آثار العالم العربي
في العصرين اليوناني والروماني

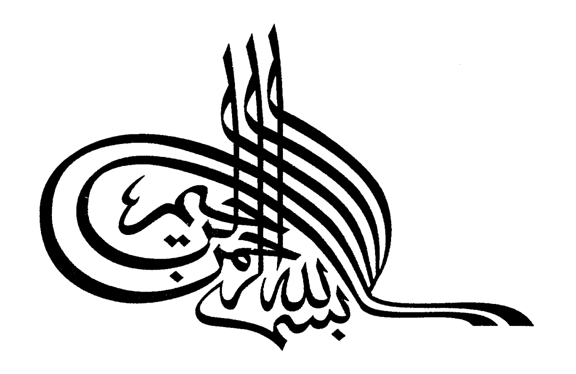
القســم الآســيوي

الأستاذ الدكتور
عزت زكي حامد قادوس
رئيس قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية
كلية الآداب ــ جامعة الإسكندرية

اسم الكتـــاب: آثار العالم العربي
في العصرين اليوناني والروماني
(القسم الآسيوي)
المـــــؤلـــف: أ. د/ عـــزت زكـــى حـــامد قـــادوس
الوظيفـــــــة: أستاذ ورئيس قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية
كلية الآداب ــ جامعة الإسكندرية
عدد الصفحات: ٥٦٠
مكان الطبـــع: الإسكندرية ــ مطبعة الحضري
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٥٩٧٥/ ٢٠٠٣

التوزيـــــــع: الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية
منشأة المعارف
مؤسسة حورس للنشر والتوزيع
القاهرة: دار البستانى للنشر والتوزيع
مؤسسة الأهرام
دار نهضة الشرق
مكتبة زهراء الشرق
وجميع المكتبات الكبرى بالإسكندرية والقاهرة

آثار العالم العربي
في العصرين اليوناني والروماني
(القسم الآسيوي)


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلـــي أبـــي الجليـــل .... قدوتي وأسوتي الحسنة
إلي روح أمي الطاهرة .... طـــيب الله ثـــراهـــا

علهما يطيبا نفساً ويقرا عيناً لما توسماه
فيّ من آمال.

مقدمة

كثيراً ما تجولت بين أروقة المكتبات وتوقفت عند أرففها ألتمس كتاباً عن آثار العالم العربي يضم بين دفتيه حديثاً غائباً عن ألف عام قابعة في رحم الزمان تحمل البصمة اليونانية الرومانية، ولكن تصفعني اللاجدوى وتبقى في القلب مرارة وأسى تنزع النفس سُقماً وألماً لا ينتهي واستمرئ مرارتي من كتاب وحيد يعود لأكثر من خمس وأربعين عاماً مضت (١٩٥٨) بما لا يليق وذاكرة تلك الأمة التي تبحث دوماً عن حلمها وسط الألم والعدم ومرافئ التيه، أقصد كتاب "بين آثار العالم العربي". ورغم أن مؤلف هذا العمل هو العالم الجليل "أحمد فخري" قد بذل جهداً واضحاً في جمع مادة هذا الكتاب آنذاك إلا أن هذا الكتاب اليوم لا يشفي غُلة الباحث نظراً لتوالي الكشوف الأثرية والتنقيبات والحفائر التي تقوم بها في وطننا العربي بعثات ومراكز أكاديمية محلية عديدة. فبات لزاماً أن تجمع هذه المادة العلمية في كتاب موسوعي يركز على الفترة الهللينستية والرومانية في أرجاء الوطن العربي حيث كانت هذه الفترة بمثابة نقطة تحول ومنعطف تاريخي في حضارة هذه الأمة.

وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في عام ١٩٩٩ ولكني آثرت أن أقوم ببعض التعديلات التي جاءت نتاجاً لمؤلفات

جديدة في هذا المجال صدرت في بداية هذا القرن. ولكي تكتمل المنفعة من دراسة آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني فقد صدر في العام الماضي مؤلف بعنوان **"آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني" (القسم الإفريقي)** وهو يشمل الآثار اليونانية الرومانية في منطقة ليبيا وتونس والجزائر والمغرب دون مصر التي أفردت لها كتاباً خاصاً بآثارها في الفترة اليونانية الرومانية بعنوان: **"آثار مصر في العصرين اليوناني والروماني"**. وقد حصل هذا الكتاب بحمد الله على جائزة مؤسسة الأهرام لعام ٢٠٠٠ ــ نظراً لتميز هذه الفترة ولا أدل على ذلك من ظهور الإسكندرية ككعبة للعالم الهلينستي ــ إن جاز لي استخدام هذا اللفظ ــ حيث تمخضت هذه المدينة عن ميلاد مكتبة وجامعة ومدرسة فنية وفكرية لا نظير لها غيرت ملامح الفكر الإنساني آنذاك. وها هو التاريخ يعيد نفسه بتأسيس مكتبة الإسكندرية الحديثة في نفس موقع المكتبة القديمة تقريباً والتي نأمل أن تؤدي نفس الدور الثقافي الريادي حتى تكون مدينتنا الإسكندرية على قمة المعالم الثقافية في عالمنا الحديث.

ولم تحظ منطقة في العالم باهتمام علمي في مجال الآثار والتاريخ والجغرافيا التاريخية والأنثروبولوجيا مثل الإقليم الذي يضم فيما يضم الوطن العربي في إطار جغرافي عظيم ذو أولوية في إنتاجه المستقر معنوياً ومادياً والذي يمتد من نهر السند شرقاً إلى شمال أفريقيا غرباً، ومن بحر قزوين والبحر الأسود شمالاً إلى اليمن والسودان جنوباً حيث تشكلت الحضارة الإنسانية في الفترة الحاسمة

من مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي في تلك النطاق العظيم وعليه فمن الخطأ الجسيم أن ندرس كل إقليم في منطقتنا العربية بصورة مستقلة حيث تتصل أجزاء المنطقة اتصالاً وثيقاً وترتبط بوشائج قوية لا ينفصم عراها في تدخالات وتفعيلات اقتصادية وحضارية وسياسية على أننا نجنح إلى إتباع أو اتخاذ نوع التحليل الموضوعي المقارن بدراسة كل إقليم على حده بحيث لا نغفل المقومات المحلية لكل إقليم ولكن من داخل إطار يجمع تلك الأجزاء حيث أثمر الاتصال بين تلك الحضارات نتائج مباشرة وغير مباشرة ليس في تاريخ المنطقة فحسب بل في تاريخ الإنسانية برمته.

فتاريخ وحضارة سوريا ولبنان وفلسطين على سبيل المثال يرتبط بتاريخ وحضارة القوى المحيطة بها مثل مصر وحاتي بالأناضول والبابليين والآشوريين والكلدانيين والفرس كما ارتبط تاريخ شمال أفريقيا بتاريخ شرق المتوسط على نحو خاص إلا أن المؤثرات مع باقي الأجزاء لم ينعدم أيضاً.

وعلى القارئ ألا يغفل أن المنطقة العربية تشكل وحدة حضارية لها طبيعتها الخاصة فتمثل مجالاً حضارياً يمكن أن يناظر بمجال آخر في جزء آخر من العالم مع عدم إغفال كون المنطقة محوراً حضارياً في تاريخ الإنسانية جمعاء.

ولم تسلم الحضارة العربية من الزعم الكاذب بأنها ذا أصل هندي أو فارسي وبالطبع فيحكم هذه النظرة تصوراً علمياً مغرضاً فقد

منّ الله على المنطقة خلافة الإنسانية، فعلى تخـوم تلـك المنطقـة العربيـة من جهة الشمال والشرق وفـد برابـرة رحـل ــ الكاشـيون والخوريـون والعيلاميون ــ لم يعرفوا أي نوع من الحضـارة فـي مواطنـهم الأصليـة، ويعترف الفرس بل والإغريق بفضل مصر عليهم فـي مؤلفاتـهم العلميـة، وكأنني أرى المنطقة العربية بؤرة حضارية لمناطق التخـوم مـن حولـها.

ويذكر لينارد وولي: "الآن وقد تحررنا من العقدة التي كنا نرجع فيـها كل أصول الحضارات إلى اليونان حيث انبثقت اليونان مـن عقـل زيـوس الأوليمبي مثل أثينا بالاس كاملة النمو، ولكن العبقرية المزدهرة قد اسـتمدت قوتها من الليديين والحيثيين والفينيقيين ومصر وبابل وسومر".

وأنوه هنا أنه رغم عناء البحث في هذا المضمـار ونـدرة المراجـع واتساع منطقة الدراسة إلا أنني عايشت التاريخ والحضارة في مدننـا ولكنـه على الجانب الآخر يسكن مدننا ونعرفه ويعرفنـا منـذ أن وعـت الإنسـانية رسالتها.

وفي النهاية لعلي أكون قد وفقت إلى استجلاء تلك الفترة الزمنية مـن عمر هذه الأمة الضارب في أعماق التاريخ والتي غابت عنها الدراسة طويلاً، ومما يسعدني أن القارئ العربي سوف يجد بين يديه كتاباً يجمع آثار وطنـه الكبير فى كل قسم من أقسام المنطقة العربية.

أ.د/ عزت زكي حامد قادوس

الإسكندرية في ٢٤ مارس ٢٠٠٤

المحتويات

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل الأول

تخطيط المدينة الهللينستية

- تقديم
- مفهوم المدينة في الشرق
- مفهوم المدينة الإغريقية
- المدينة الشرقية خلال الفترة الهللينستية



تخطيط المدينة الهللينستية

تقديم

كان للموقع الجغرافي للشرق الأدنى القديم، ولتوافر الشروط الطبيعية الملائمة دوراً في النمو الاقتصادي، إضافة إلي توافر المواصلات التجارية، مما جعل المنطقة دائماً عرضة للأطماع الأجنبية.

وبقدر انفتاح مصر وسورية على التأثيرات الحضارية الخارجية، بقدر ما استطاعت استيعاب هذه التأثيرات وبالتالي تطويرها، ومن ثم تذويبها في إطار تراثي محلي[١]. أما على الصعيد السياسي فقد كانت لتلك التأثيرات الخارجية أثرها السلبي، مما ساعد على قيام دويلات تتعايش أحياناً وتتطاحن أحياناً أخرى، ولم تصل إلى مشروع وحدوي إلا في حالة مواجهة ضغط أجنبي ما.

وخلال منتصف القرن السادس ق.م أضحت سورية ومصر جزءين من الإمبراطورية الفارسية، ومن أهم ولاياتها.

وفى عام ٣٣١ ق.م وصل الإسكندر المقدوني إلى مصر[٢] في طريقه لفتح الأجزاء المتبقية من الإمبراطورية الفارسية بعد أن سيطر على أطرافها الغربية في آسيا الصغرى وسورية. وخلال سنة ٣٣٣ ق.م دخل الإسكندر

(١) هورست كلينكل، آثار سورية القديمة، ترجمة قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥، ص ١٥.

(٢) إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ١٨ – ٣٤.

المقدوني الأراضي السورية بعد الانتصار الذي حققه في معركة أسوس .. وقد عبر سورية مرتين، الأولى في طريقه إلى مصر والمرة الثانية أثناء زحفه نحو بلاد ما بين النهرين ونحو بلاد فارس، لكن ما أن لقي الإسكندر حتفه في بابل سنة ٣٢٣ ق.م، حتى دبت الصراعات والنزاعات بين قواده على السلطة، فاستطاع سلوقس تثبيت حكمة في سورية، بينما اختار بطلميوس مصر، وهكذا أصبحت بلاد الشام ووادي النيل ووادي الرافدين، أجزاءاً من العالم الهللينستي، حيث اللقاء الحضاري، والتفاعل بين ثقافتين: شرقية وغربية وسوف نتحدث فيما بعد عن الاتصال الحضاري، متسائلين: هل كان التأثير الغربي (الإغريقي) على الشرق (مصر وسورية) ــ تحديداً ــ تأثير يشمل كل النواحي الحضارية؟ أم أن الشرق ــ خلال الفترة الهللينستية كان نسخة للغرب؟ وهل يمكن الحديث عن فعل التثاقف (Acculturation) بينهما؟ إذا كان الأمر كذلك، فكيف استوعب الشرق ــ من خلال مخططات مدنه ــ التفكير الإغريقي؟ هل هو استيعاب من أجل الاستيعاب فقط؟ أم أنه استيعاب حضاري ــ إنساني يبغي إخضاع الآخر (الإغريقي) إلى قراءة واعية، من أجل تطويره وجعله يتناسب والشخصية المحلية، ومن ثم تجاوزه؟.

أسئلة أراها ضرورية، كلما تحدثنا عن الفترة الهللينستية، باعتبارها فترة تعكس وجود ثقافتين مختلفتين، على المستوى المرجعي، وعلى المستوى الأيدولوجي.

قبل ذلك كان لزاماً عليّ، أن أحدد مفهوم المدينة في الشرق، وعند الإغريق. بمعنى أخر، كيف يتصور التفكير الشرقي المدينة؟ وكيف يراها التفكير الإغريقي؟

مفهوم المدينة في الشرق

من المعروف ــ حضارياً وأثرياً ــ أن منطقة الشرق القديم قد شهدت البوادر الأولى للمدنيات، سواء في وادى النيل أو بلاد الرافدين، أو بلاد الشام وفلسطين، فقامت هناك حضارات عظيمة، كان لها الأثر الكبير في تطور الإنسان ثقافياً ودينياً واجتماعية وسياسياً واقتصادياً... لكن نود هنا أن نتساءل: كيف كان يتصور المواطن والسلطة في هذه الحضارات "المدنية" كمفهوم؟ وبالتالي إلى أي حد استطاع أهل الشرق أن يخلقوا مفهوماً خاصاً للمدينة، يرتبط وثقافتهم وفكرهم؟ يبدو لي، أن هذين السؤالين.. يحيلا المرء إلى قضية أخرى، وهى علاقة الإنسان في الشرق بالسياسة والحكم والدين والطبيعة. فمما لاشك فيه، أن الإنسان في هذا العالم القديم، كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بآلهته ومعتقداته، والتي كانت ــ في الوقت نفسه ــ تحكمه سياسياً، فالسلطة السياسية لم تنفصل عن السلطة الدينية، فظل هناك مستويان متباينان:

- **مستوى أعلى:** يمثله الملك أو الحاكم وحاشيته.
- **مستوى أدنى:** يمثله سكان المدينة باختلاف انتماءاتهم الطبقية.

وسنجد هذا واضحاً، على مستوى تخطيط المدينة نفسها، فالأكربول أو الزاقورة كمكان مرتفع مقابل المدينة السفلية. إضافة إلى ذلك، فالمؤسسات الدينية، كانت من أعظم المؤسسات ذات القيمة الأثرية والحضارية، فالمعبد يشكل المحور في المدينة الشرقية، وهو الركيزة لسن القوانين، وإليه ومن أجله تبدع كل المهارات الفنية والجمالية والمعمارية، (فالمدينة) أو المعبد، يشكل، بكل تأكيد المستوى الفني والجمالي لكل مدينة على حده.

إن المعبد الشرقي، يتسم بالعظمة والضخامة والغموض في البنـــاء، فلا يمكن للمتعبد أن يلج إلى غرفة قدس الأقداس المخصصة لرجـــال الديــن "الكهنة" الذين يشكلون طبقة ذات امتياز وأهمية في المجتمع.

فظل تصور الإنسان في بلدان الشرق القديم للمدينة، من خلال المعبـد ذاته وليس اعتبار المدينة كفضاء (Space) بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ متعددة.

وإلى جانب المعبد هناك محور آخر هام في المدينة: يمثله القصر الذي يُباشر منه الحاكم سلطته وقد روعي في تخطيط المدينة: العلاقة بين القصـــر والمعبد فالشارع الطولي الرئيسى، لم يكن ذا مغزى مدني صرف، بقدر مـــا كان مرتبطاً بالمعبد أو القصر. فهذا الشارع لابد وأنْ يفضي بالزائر إلى المعبد أثناء دخوله المدينة. ولعل هذا الجانب الديني الخالص الذي ارتبط به الإنســان في الشرق، هو ما جعل المقدونيين يتأثرون ويتفاعلون مع هـــذه التصـــورات التي نجدها واضحة في العصر الهللينستى.

إذن يتضح أن هناك اختلاف حول مفهوم المدينة، عند الإغريق ــ كما سنرى في حديثنا عن مفهوم المدينة عندهم ــ وقبلهم عنـــد الشـــرق اختلافـــاً سيصبُح ائتلافا عند دخول الإغريق إلى بلاد مصر والشام والرافدين، فحـــدث ذلك التمازج العظيم بين ثقافتين[1] من أعظم الثقافات التـــي شـــهدها التـــاريخ الحضاري القديم، إلى جانب الثقافة الرومانية والإسلامية فيما بعد.

(١) نأخذ "الثقافة" هنا بمفهومها الأنثروبولوجي العام.

مفهوم المدينة الإغريقية

إن البحث في مسألة مفهوم المدينة الإغريقية يعتبر من الموضوعات المعقدة لاعتبارات عدة، منها ما يعود لمفهوم الإغريق عن المدينة والسياسة والسلطة، ومنها ما وصلنا عن الإغريق من خلاصة رؤية الفلاسفة الإغريق لهذه المسألة حيث اختلط المفهوم التاريخي بالمفهوم النظري والمفهوم الأسطوري.

فالإغريق القدماء، اعتبروا أن وجود المدينة كان حدثا طبيعيا وليس وليد العرف والاتفاق، فأرسطو يعرف الإنسان بأنه "حيوان سياسي أو مدني"[(١)] فالإنسان عنده "مدني" بمعنى أنه ينتمي إلى المدينة، وانتماؤه هذا طبيعي وليس مكتسبا، حيث أن الإنسان "ينشأ ويتشكل وينمو في الأسرة ويصل إلى تكامله ويحقق طبيعته في المدينة".[(٢)]

وهناك نظرية أخرى تربط مفهوم المدينة بعامل جغرافى، باعتبار أن بلاد اليونان تمثل جغرافيا بقاعا منخفضة من الأرض تحيط بها جبال عالية ليس لها من منفذ إلا الشاطئ، هذه الحتمية الطبيعية فرضت قيام مقاطعات عديدة نطلق عليها مصطلح دولة المدينة πολis كل واحدة منها يمكن اعتبارها نمطا لمجتمع صغير. فهذا التقسيم الطبيعى انعكس بدوره على الجانب السياسى، فنشأت المدن اليونانية بسماتها وخصائصها المميزة عبر التاريخ. وهناك نظرية ثالثة تؤكد على دور العامل الدينى وتفسر مفهومها للمدينة من خلال التصورات الدينية والمعتقدات الأولية، وقد تبنى هذه النظرية مجموعة

(١) راجع نقولا زيادة، "المدينة الكلاسيكية فى الغرب والشرق"، مجلة الفكر العربى، العدد ٢٩، ١٩٨٢، بيروت، ص ٣٢.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٧.

من الباحثين الأثريين وخاصة F. De Coulages[١] الذى يرجع أسباب قيـــام النظم الاجتماعية إلى العبادات والشعائر الدينيـــة وتقديـــس الموتـــى والنـــار المقدسة. فتلك كما يقول كولانج "زعيم المدينة" هو وقبل أى شئ زعيم دينـــى، وعليه فالسلطة السياسية تستمد قوتها من الوظيفة المقدسة"[٢].

إن مدناً كأثينا وإسبرطة وسيراكوز وطيبة وكورنثه، أعطت من خلال أنظمتها السياسية ونظمها الاجتماعية صورة عن عظمة الفكـــر الإغريقـــي، وفلاسفة اليونان يرجعون تفوقهم على غيرهم من الشـــعوب إلـــى تصورهـــم لنموذج المدينة. فقد عرفت المدن اليونانية مختلف أشكال الحكم مـــن ملكـــي وأرستقراطي وأوليجركى وديموقراطي واستبدادي.

وبالرغم من هذا التعدد والاختلاف، فهناك خصائص ثابتـــة وعامـــة اتسمت بها المدن الإغريقية كلها. كالنظرة إلى العلاقة بين الفـــرد والدولـــة، ومفهوم الحرية والمواطنة، وشرعية الحكم وسيادة القانون إضافة إلى المدينـــة كتخطيط حضارى، يشمل الجوانب: الاقتصادية والتربوية والدينية والرياضيـــة والفكرية وغيرها، من خلال إنشاء مؤسسات ترتبطُ بهذه الجوانب كلها. وهـــذا ما أعطى للمدينة الإغريقية مكانة رائدة في التاريخ الإنسانى سواء أكان علـــى المستوى الفكرى النظرى أو التخطيطى العملي.

---

(١) De Coulages, F., La cite antique IV, 9, p. 337.

(٢) Ibidem, p. 337.

المدينة الشرقية خلال الفترة الهللينستية

أولاً- دخـــول الإسكنـــدر إلى الشرق

أ- بــلاد الشــام (ســورية)

إذا كانت حضارات الشرق الأدنى، تتصف بوجود المراكز الحضارية المتعددة التي أفسحت مجالاً رحباً للتأثيرات الخارجية وللتطـــورات المحليــة الخاصة وبالتالي أعطتنا وأفرزت لنا تعدداً كبيراً في الأشكال الفنية والإبداعية، فإن الفترة الهللينستية قد أعطت لهذه الأشكال إنسجاماً وتماسكاً أكـثر. وكــان للقاء الغرب بالشرق على أرض مصر والشام، ثماراً مشتركة يصعب في كثير من الأحيان تحديد حصة كل منها.[1] لقد جرت العادة، في العالم الإغريقي أنه عند التفكير في إنشاء مدينة جديدة كانت تبذل قصارى الجهود فـــي اختيـــار الموقع،[2] من الناحية الصحية، وغيرها من المزايا الطبيعية، وكان الفلاســـفة الإغريق ومخططوا المدن يدرسُون كل هذه العوامل بعناية فائقة. ولهذا عندمـا أصبحت سورية جزءاً من العالم الإغريقي، إثر فتوحات الإســـكندر الأكــبر (٣٥٦ – ٣٢٣ ق.م)، فقد غدت مهيأة كموقع لمدينة إغريقية جديدة ثبت أنــــه كان من أحسن المواقع في العالم القديم، وكما يقـــول داونـــي:[3] "إن تـــاريخ انطاكية بأكمله ومراحل تطور حضارتها لتنهض، دليلاً على حســـن اختيـــار موقعها ومزاياها الطبيعية مما حدا بالقائد سلوقس نيكاتور إلى القيـــام ببنائـــها هناك في سنة ٣٠٠ ق.م". إن طبيعة التكوين الجغرافي لسورية قد هيأت لسهل

---

(١) راجع، كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) نفس المرجع.

(٣) جلانفيل داوني، انطاكية القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القـاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٣.

العمق (Amuk) أن يكون أحد العوامل الأساسية في طرق المواصلات في الجزء الشمالى الغربى من ذلك الإقليم، إذ أنه كان يجب أن تمر في هذا السهل جميع حركة التجارة والنقل بين الجزء الجنوبى من الأناضول والجزء الساحلي أو الغربى من سورية وفلسطين وأيضاً جميع حركة التجارة والنقل من الجزء الشمالى لبلاد ما بين النهرين والبحر المتوسط (شكل ١). كل هذه العوامل، إضافة إلى عوامل أخرى كانت سبباً في تأسيس مدن سورية عديدة، وخاصة انطاكية، التي سوف نتحدث عنها لاحقاً، وكان هذا التأسيس نتيجة منطقية لمرحلة طويلة من التطور في هذا الإقليم.[١]

ولم تكن مناطق سورية، معزولةً عن العالم الإغريقي قبل دخول الإسكندر الأكبر، بل تعود علاقات سورية مع هذا العالم منذ زمن بعيد، وحسب نتائج الحفائر الأثرية في مواقع (ألالاخ) تل العطشانة، والمينا وصابونى عند مصب نهر العاصى، فإن التجار الإغريق كانوا يعيشون في موقعي المينا وصابونى منذ عهدٍ مبكر. وقد عثر في ألالاخ ومواقع أخرى على كميات هائلة من الفخار الموكينيى (Mycenae) والقبرصي[٢] الذي يعود إلى العصر البرونزي، مما يدل دلالة واضحة خلال هذه الحقبة الهامة على وجود علاقات تجارية مع الغرب وقد استمرت منتجات الإغريق والجزر الأخرى التابعة لها تمر عبر هذه الطريق[٣] (شكل ٢). حتى عهد الإسكندر الأكبر فمن المعروف، أن فكرة إنشاء انطاكية تعود إلى الإسكندر الأكبر في

(١) نفس المرجع.

(٢) أحمد عتمان، تاريخ قبرص، جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليوم، القاهرة، ١٩٩٧، ص ص ٤٤ – ٥٧.

(٣) يُقصد بهذه الطريق: وادى العاصى (Oronts)، وسهل العمق.

الوقت الذي تؤكد فيه بعض المصادر أن تأسيسها يعود إلى سلوقس الأول، لكن ما يهمنا هو أن انطاكية كمدينة حظت بقدر كبير من الاهتمام من قبل الإسكندر، فإذا كان الإسكندر قد زار المنطقة ــ فعلا ــ فإنه يحتمل أن يكون قد فطن لأهمية الموقع وخصائصه، وأن مشروع تأسيس المدينة قد أثارت فكرته أذهان الإسكندر وقواده.."[١]

لقد كانت فتوح الإسكندر لبلاد المشرق ــ في آسيا الصغرى إلى بلاد الشام ومصر وأرض الرافدين حدثا هاما في تاريخ هذه البلاد، لكن بعد وفاته (٣٢٣ ق.م) دب الخلاف بين قواده فبعضهم أراد المحافظة على وحدة الإمبراطورية الشاسعة. فقد قبل أنتيجونوس على أن يكون هو الوريث والبعض الآخر قد رغب في تولي شؤون جزء من الإمبراطورية، ومن هؤلاء بطلميوس الذي استقر في مصر حاكما أولا ثم ملكا مؤسسا لأسرة البطالمة هناك.[٢] لهذا ذهبت كل محاولات الاتحاد أدراج الرياح، فأصبح المشرق تحت يد السلوقيين والبطالمة والأنتيجونيين.

ب- مصر (الإسكندرية)

تأسست الإسكندرية بدخول الإسكندر المقدوني إلى مصر سنة ٣٣٢ ق.م ولعل موقعها الجغرافي ــ الإستراتيجي، كان سببا من أسباب هذا التأسيس، ولن ندخل في إشكالية السبب الذي حدا بالإسكندر إلى اختيار هذا الموقع.[٣] لكن ما يبرر هذا الكلام، هو التراث الحضاري والطبيعي الذي

---

(١) داوني، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٢) زيادة المرجع السابق، ص ٣٢.

(٣) لمزيد من التفاصيل أنظر: عزت قادوس، آثار الإسكندرية القديمة، الإسكندرية ٢٠٠١، ص ص ١٣ وما بعدها.

عرفته مصر، بكل ما تضمنه من قيم واتجاهات ورؤية للعالم.[١] فالإنتاج الزراعي الذى يوفره النيل، والموقع التجاري الوسيط، والرصيد الديني.. كل هذه المعطيات قد هيّأت من مصر عامة، والإسكندرية خاصة أن تكون من أحسن العواصم العالمية إبان الفترة البطلمية، ويصف لنا "محمد عواد حسين"[٢] مميزات الإسكندرية بقوله "...... سهولة وصول مياه الشرب إليها، وقربها من بحيرة مريوط، ومن جزيرة صغيرة كانت تقع تجاهها فى البحر، ولا تبعد عن الشاطئ بأكثر من ميل واحد، وهى التى عرفت باسم جزيرة فاروس، هذا بالإضافة إلى جفاف المكان، وارتفاعه عن مستوى الدلتا، وبعده عن الرواسب التي يأتى بها فرع رشيد".

من هذا المنطلق قامت الإسكندرية ومدن أخرى، فالمدينة الوحيدة التي أشرف عليها الإسكندر واختطها هي الإسكندرية ورغم أن البطالمة لم يكونوا بناة مدن[٣]، إلا أنهم قد اهتموا بهذه المدينة اهتماماً "يفوق الوصف" واعتنوا بمدينة نوقراطس (في غرب الدلتا). كما بنوا مدينة "بطلمية Potlemais" في مصر العليا، حتى تكون نداً لمدينة طيبة الفرعونية القديمة (عاصمة الإمبراطورية المصرية في القرن الخامس عشر ق.م)، لكن المنطقة التى عرفت تنوعاً واختلافاً بالنسبة للمدن، في العصر الهللينستيى، فهي آسيا الصغرى، وبلاد الشام، وخاصة المملكة السلوقية.

---

(١) لطفي عبد الوهاب، الإسكندرية في العصر البطلمي، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣، ص ٢٤.

(٢) محمد عواد حسين، تخطيط المدينة، تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، ص ١٣.

(٣) زيادة المرجع السابق، ص ٧١.

وقبل تناول مدينتي الإسكندرية وانطاكية باعتبارهما نموذجين لتخطيط المدينة الهللينستية الشرقية، أرى لزاماً عليّ الحديث عن الغايـــات والأهـــداف وراء تأسيس المدن الشرقية خلال الفترة الهللينستية، وتحديداً مدينتا الإسكندرية وانطاكية.

ثانياً- أهداف تأسيس المدن الهللينستية ــ الشرقية

كان هناك أهداف عدة وراء بناء وتأسيس المدن الشرقية خلال الفـــترة الهللينستية نخص منها:

أ- كان الهدف الأولَ عسكرياً حربياً وذلك للحفاظ على هذه المدن التـــي ظلت بأيدي السلوقيين والبطالمة، والسيّطرة على الطرق التجارية.

ب- أن يكون سكان هذه المدن (وخاصة بلاد الشام) إغريـــق ومقدونيـــن وذلك لسببين: **الأول** اطمئنان السلوقيين إلى مواطنيهم، و**الثاني** كي تصبـــح هذه المدن ركيزة اجتماعية" تدعو إلى التوازن والاستقرار[1].

ج- كانت تُمنح أراضي المستوطنات للمقيمين (المســـتوطنين) وبالتـــالي تصبح ملكاً شخصياً لهم[2].

د- إن أغلب هذه المستوطنات ــ التي أصبحت مدناً ــ يتمتـــع ســـكانها بالحريات العامة التي كان الإغريق (لا أهل مقدونيا) يعرفونها في مدنـــهم الأصلية، وأن تتوافر لها مؤسساتها، على أنه يجب الإشارة إلى أن الملـــك السلوقى عندما كان يؤسس "مدينة" أو يرفع مستعمرة إلى درجة "مدينـــة"

(١) نفس المرجع، ص ٧١.

(٢) نفس المرجع، ص ص ٧١ – ٧٢.

كان يمنحها كافة الحقوق الأصيلة للمدينة اليونانية. وأهم ما كـــان يُمـيز المدينة –من حيث الحرية عملياً– هو منحها حق "سك النقود"[(١)].

هـ- لقد استمر تخطيط المدينة اليونانية في أغلب المستعمرات التي أنشـئت في الدولة البطلمية والسلوقية، لكن المخطط هنا كان يترك مساحة لإقامـة الأبنية اللازمة للمؤسسات المدنية والتجارية والرياضية (بعـض الأبنيـة الرياضة كانت تقام خارج أسوار المدينة)[(٢)].

و- هدف حضاري، فقد أراد الإسكندر أن تصبح مدينته الجديـدة – وقـد أقامها على أسس الحضارة الإغريقية – معيناً لهذه الحضارة، ينشر صداها في مناطق الشرق بعد فتحها والسيطرة عليها[(٣)].

ز- هدف تجارى، فالإسكندر كان قد حطم ميناء صور وهو في اتجاهـه إلى مصر، ومن ثم أصبح في حاجة ماسة إلى تأسيس ميناء جديد يعـوض مكانة صور تجارياً، إضافة إلى علاقة مصر بعالم بحر إيجه والتي كـانت في تطور متزايد منذ عدة قرون سابقة على قدوم الإسكندر وهذا ما جعـل الفراعنة يتجهون إلى الدلتا لتأسيس عواصم جديدة هنـاك فكـان علـى الإسكندر أنه يوثق هذه العلاقة ولتحقيق ذلك فقد أنشأ ميناءاً كبـيراً يطـل على بحر إيجه.[(٤)]

لا يسعنا– من خلال عرض غايات وأهداف بناء هذه المسـتوطنات– الحديث عن الدور الذي قام به السلوقيون والبطالمة، لكن الذي نعنيه من خلال

---

(١) نفس المرجع، ص ٧٢.

(٢) نفس المرجع، ص ٧٢.

(٣) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٣.

(٤) نفس المرجع، ص ص ١٣ – ١٤.

هذه المقدمة– أساسا– هو "المدينة" الهللينيستية علـــى المســـتوى الحضـــارى، والدور الذى قامت به، مع الإشارة إلى مؤسساتها المختلفة، ومن هذا المنطلــق سنحاول أولاً معرفة خصائص المدينة الهللينستية الشرقية كتوطئـــه لمعرفـــة مخططات كل من انطاكية والإسكندرية.

ثالثاً– خصائص المدن الهللينستية فى الشرق

إن أكبر أثر تركه دخول الإسكندر إلى بلاد المشـــرق، كـــان علـــى مستوى " المدينة الدولة" سواء تعلق الأمر بالمدينة الإغريقية نفسها أو المدينـــة الشرقية، بالرغم من الاختلاف البّين بالنسبة لتخطيط المدينة.

فالتواجد السكندري فتح آفاقاً جديدة للإغريق، حتى في عصر توســـعها في البحر المتوسط والبحر الأسود، وأيضاً بالنســـبة للمشـــرق فالإمكانيـــات الاقتصادية والتجارية فيها بأسواقها المتعددة، فتحت أمام الســـكان باختلافـــهم مجالات رحبة لم تعرفها –بهذا الشكل– من قبل وقد ظـــهرت أمـــام الســـكان قضايا جديدة واجتماعية ودينية وفكرية،[١] نشأت بفعل الاحتكاك والتواصل بين التّجارب الشرقية القديمة والإغريقية الوافدة. وسوف نعرض لأهم مميزات هذه الجوانب من خلال المدن التي نسميها بـــ "الهللينستية"[٢] فى أواخـــر القـــرن الرابع ق.م.

وولد هيبوداموس في مدينة ميليتوس في أيونيا (غرب آسيا الصغـــرى) وهي إحدى المدن الأولي التي أسسها الأغريقيون، الذين فروا بفعـــل الغـــزو

---

(١) زيادة، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٢) Frezouls, E., Observation sur l' urbanisme dans l' orient Syrien, Annales Archeologique Arabes Syriennes, Vol. XXI, Tome 1-2, 1971, p. 231.

الدوري لبلادهم، ويعود إنشاء ميليتوس[1] إلي القرن العاشر ق.م، وتعتبر المدينة الأولى التي خططها هيبوداموس بعد هزيمة الفرس (٤٧٩ ق.م) إذ تهدمت في كثير في أجزائها، فاعتمد المهندس الخطة التعامدية الدقيقة، في قسميها وترك بين البلوكات السكنية مكانا واسعا للأبنية العامة المدنية والتجارية والدينية، وقد عني بأن تكون هذه كلها يسيرة الاتصال بالميناءين، والسور المحيط بالمدينة لم يكن متصلا عضويا بمخطط المدينة العام، إضافة إلي الأكروبوليس للدفاع عن المدينة[2]. وهناك مدن عمل هيبوداموس على تخطيطها مثل بيريه ميناء أثينا (٤٧٥-٤٥٠ ق.م) وتوري في جنوب إيطاليا (٤٤٤-٤٤٣ ق.م) لكن تعتبر مدينتا رودس وكنيدوس من أفضل النماذج الدالة علي هندسة هيبوداموس.

والمدينة الهللينستية — الشرقية يعتمد مخططها الأساسي علي المستطيلات المتناسقة، التي تحدها الشوارع المتعامدة، وخير مثال علي ذلك مدينة دورا — أوروبوس (الصالحية) الواقعة علي الفرات، أنشأت حوالي ٣٠٠ ق.م وخربت سنة ٢٥٦ ق.م لكن مخططها الأصلي عبارة عن شبكة ذات تسعة شوارع طولية واثني عشر شارعاً عرضياً، توجد بينها ما بين ستين إلي سبعين قطعة أرض في شكل مستطيل جاهزة للبناء، مساحة كل منها (٣٥×٧٠م)، وعرض كل شارع، خمسة أمتار ونصف المتر، باستثناء شارعين أو ثلاثة، وتقع الأجورا والأبنية الملحقة بها علي مساحة ثماني قطع

---

(١) لويس ممفورد، المدينة على مر العصور، أصلها وتطورها ومستقبلها، ترجمة: إبراهيم نصحى، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٥٢ (١١).

(٢) زيادة، المرجع السابق، ص ٦٩.

(شكل ٢٦)، بينما يشرف الاكروبوليس علي الفرات، وكانت أسوار المدينة تتبع خطوط الارتفاع للأرض القائمة عليها[١].

وثمة مدن أخري عديدة، عاشت التجربة الهللينستية، سواء في الشام أو الرافدين أو في مصر... ورغم أننا سوف نقصر الحديث علي مدينتي انطاكية والإسكندرية، إلا أن هذا لا يمنع أن ندرج بعض المدن في الشرق التي كانت لها أهميتها خلال هذه الفترة المشار إليها، وسوف نقف علي أهمها مشيرين إلي مخططاتها.

فبلاد الشام، عرفت تأسيس المدن خلال التواجد الإغريقي ثم السلوقي، ومن أهمها: سلوقية (السويداء)، اللاذقية، أفاميا. فسلوقية، كانت ميناءا رئيسيا يوصل انطاكية (العاصمة) بالموانئ المتوسطية، بينما اللاذقية كانت حلقة الوصل بين أواسط الأجزاء الشمالية في سورية وبين قبرص ومصر، أما أفاميا (علي نهر العاصي) فقد كانت منطقة زراعية خصبة (شكل ٣) وفي الأجزاء الداخلية من بلاد الشام، بنيت مدن، وأعيد بناء مدن أخري مثل: بوروبا (حلب)، وهيرابوليس، وأبيفانيا (حماة)، ولاريسا (شيزر)، وارتوزا (الرستن)، وهليوبوليس (بعلبك)، وبلقيس (عنجر)[٢] (شكل٤) وفي بلاد الرافدين، أنشأ السلوقيون (أوجدوا) دورا — أوروبوس (الصالحية) وسلوقية في عيلام (سوسة) و(انطاكية — إديسا).

وفي فلسطين، أنشأ الإسكندر مستوطنة عسكرية في السامرة، وفي أيام البطالمة (القرن٣ ق.م) تم إنشاء بطوليماس (عكا)، وسكيتوبوليس (بيسان)، بينما أقام الإسكندر مستوطنة عسكرية في جيرازا (جرش) في الأردن، ثم اهتم

---

(١) ممفورد، المرجع السابق، ص ٣٥٣.

(٢) زيادة، المرجع السابق ص ٧١.

بها فيما بعد السلوقيين، حيث أضافوا إليها هبوس (قلعة الحصن) وجدارا (أم قيس)، وكذلك مدينة فيلادلفيا (عمان) التي كان البطالمة قد بنوها.[1]

أما في مصر، فقد كانت المدينة التي اختطها الإسكندر وأشرف على وضع الأسس لها، هي مدينة الإسكندرية[2]. وقد اهتم البطالمة فيما بعد — بدرجة أقل — بمدينة نوقراطيس (في غرب الدلتا)، التي كانت قد أنشأت في عصر التوسع اليوناني في القرن السابع ق.م، وبنوا مدينة بطلمية في مصر العليا كما سبق القول.

وسنتناول مدنا هللينستية أهمها: أفاميا(Apamea)، دورا — أوروبوس (Dura-Europos)، بصرى (Bosra)، فيليبوبوليس (Phillipopolis)، دمشق (Damascus) ثم تدمر (Palmyra)، إضافة إلى انطاكية والإسكندرية اللتان خصصنا جزءا مستقلا لكل منهما.

أفاميا (APAMEA)

تقع أفاميا القديمة علي بعد حوالي ٢٠كم إلي الغرب من خان شيخون، وتطل علي أطراف وادي العاصي، وفي مواجهتها سلسلة جبال اللاذقية (شكل ٥). بلغت أفاميا ذروة مجدها في الفترة الهللينستية، فقد دخلها الإسكندر المقدوني، وسماها (بيلا) تيمنا باسم مسقط رأس والده في مقدونيا، وعندما أصبح سلوقس الأول سيدا علي سوريا في عام (٣٠١ ق.م)، قام بتحصين وتوسيع تلك المدينة، لكنه غير اسم (بيلا) باسم (أفاميا) نسبة إلي زوجته

(١) نفس المرجع، ص ٧١.

(٢) عزت قادوس، المرجع السابق، ص ص ١٤- ١٥.

الفارسية في سوزا (بلاد عيلام) منذ أن كان قائدا من قواد الإسكندر أثناء فتوحاته.[١]

من المعروف عن هذه المدينة إبان التواجد السلوقي — أنها كانت مربطا لخيول السلوقيين وأفيال جيوشهم[٢]، وبعدها تعرضت المدينة للاحتلال الروماني علي يد القائد بومبيوس عام ٦٤ ق.م، الذي حطم قلعتها. ثم ما لبثت أن استعادت ازدهارها، واستمرت حتى الفترة البيزنطية لتعيش بعد ذلك تدهورا ملحوظا بسبب ابتعاد طرق التجارة الدولية عنها. وكانت النهاية في احتلال الفرس لها عام ٥٤٠م.

مخطط مدينة أفاميا

ترتفع المدينة حوالي مائة متر عن مستوي وادي الغاب، ويحيط بها سور طوله ٦,٤ كم (شكل ٦)، وهناك سبع بوابات ضخمة للدخول إلي المدينة والخروج منها. أما داخل المدينة، فمخططها عبارة عن مستطيلات ناتجة عن تقاطع ستة عشر شارعا تتجه من الشمال إلي الجنوب مع ستة عشر شارعا تتجه من الشرق إلي الغرب.

يمتد الشارع المستقيم الرئيسي مسافة ١٧٧٤م وعرضه ٣٧ مترا بما في ذلك الأروقة التي كانت تحف بجانبيه،ويقطع هذا الشارع الرئيسي شارعان يصل كل منهما بين بوابتين من بوابات المدينة، وكان الجنوبي منهما بطول ١١٥٠م وتلتصق بأعمدة أروقته الجانبية قواعد لتماثيل وجهاء القوم، ويبلغ متوسط عرض الشوارع الثانوية حوالي ستة أمتار. بالقرب من الشارع

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢) نفس المرجع، ص ٦٧.

الرئيسي (ديكومانوس) وفي مركز المدينة توجد الأجورا وبجوارهـــا توجـد الحمامات، التي كانت في الوقت نفسه مجالس للخاصة والعامة من النـــاس[١].
أما المسرح فكان خارج أسوار المدينة حيث كان لانحدار الأرض نحـــو وادي الغاب ميزة خاصة في تأمين الميل اللازم للمسرح المدرج (يبلغ عرض خشبة المسرح وكواليسه ١٤٥م)[٢].

دورا – اوروبوس (Dura-Europos)

تعود أهمية دورا – اوروبوس (الصالحية) إلي موقعـــها الجغرافـــي المتميز، حيث تقع علي حافة البادية المنحدرة نحو وادي الفرات، وكانت تتحكم بالتجارة النهرية علي الفرات. وقد أقام ســـلوقس الأول قلعـــة مهيبـــة، قـــام نيكاتور– وهو أحد قواده – ببناء حصن في هذا المكان أطلـــق عليـــه اســـم اوروبوس (شكل٧).

لذا كان موقعها الجغرافي والإستراتيجي نعمة في ازدهارها، ونقمة في تعرضها للهجمات الأجنبية على يد الإغريق أنفسهم، ثم البارثيين، والرومـــان، والساسانيين، والتدمريين.

مخـــطط مـــدينة دورا – اوروبوس

أقيم للمدينة سور طويل ذي أبراج، وهـــو الســـور الغربـــي لصـــد المهاجمين القادمين من بادية الشام[٣] (شكل٨) يتوسطه باب ضخم هو المدخـل الوحيد إلي المدينة من هذا الجانب، وقد عرف هذا الباب بباب تدمر.

(١) Frezouls, *op.cit.*, p. 241, Fig. 6.
(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٩.
(٣) نفس المرجع، ص ٧٣.

يبدأ الشارع الرئيسي (شكل٨) من باب تدمر بعرض ٤,٣ ١م، ويمـــر بأسواق ظليلة[١] وينتهي عند حافة وادي الفرات، ويتقـــاطع معـــه شـــارعان رئيسيان لتشكل هذه الشوارع المتقاطعة مخططـــا شـــبكيا،[٢] موزعـــا بيـــن مستطيلات. وتقع الساحة العامة أو الأجورا في وسط المدينة (شكل٩)، بحيـث لا يختلف مخططها عن باقي المدن الهللينستية الأخرى[٣]، إلي جانب معـــالم أخري كالمسرح والحمامات وغيرها. فضلا عن الأكروبول، وهو عبارة عـــن كتلة صخرية محاذية لشاطئ الفرات يطل علي المدينة، بسور طويل تخترقـــه ثلاثة أبواب معززة بأبراج[٤].

بصرى (Bosra)

تقع بصرى في سهل خصيب هو امتداد للمنحدرات الجنوبية الغربيـــة لجبل العرب وهي ترتفع حوالي ٨٠٠م عن سطح البحر، وقد تردد اسمها فـــي النصوص المسمارية التي تعود إلي الألف الثاني ق.م، ثم اختفت لتظهر مـــن جديد بعد فتح الإسكندر المقدوني لبلاد الشام. وبلغت بصرى أوج ازدهارهـــا في عهد السلوقيين ثم تدهـــورت أحوالـــها فـــي أواخـــر القـــرن الأول ق.م. واستطاعت بصرى أن تعود إلي ازدهارها أثناء حكم الأنبـــاط، وظلـــت ذات مكانة إستراتيجية في المنطقة التابعة للعرب الأنباط إلـــي أن قضـــى عليـــها

---

(١) نفس المرجع، ص ٧٣.

(٢) Barghouti, A., City Planning in Syria – Palestine in Hellenistic and Roman Times, Diss., Chigago, 1974, p. 411, Fig. 102.

(٣) Ibidem, p. 413, Fig. 164.

(٤) ممفورد، المرجع السابق، ص ٣٥٣.

الإمبراطور تراجان في عام ١٠٦م، فأصبحت منذئذ تحمل اسم بصرى نوفا تراجانا[1].

وتكتسب بصرى الشام أهميتها من خلال خصوبة أراضيها ووقوعها علي طريق التجارة العالمية، فكانت محطة تجارية هامة بين الشمال والجنوب (دمشق والبحر الأحمر)، وبين الشرق والغرب (الخليج العربي وسواحل جنوبي بلاد الشام)، إضافة إلي امتلاك المدينة كميات وفيرة من المياه بفضل الثلوج التي تسقط فوق جبل العرب.

مخطط مدينة بصرى

يتخذ مخطط المدينة الشكل المستطيل محاطة بسور يبلغ سمكه حوالي أربعة أمتار وتعززه دعامات شبيهة بالأبراج، وهناك باب رئيسي للمدينة في كل ضلع من أضلاع المستطيل. ويعتبر الباب الغربي في حالة جيدة حيث يعود تاريخ إنشاءه إلي القرن الثاني الميلادي، وهو يفتح على الشارع الرئيسي (شكل١٠) الذي يخترق المدينة باستقامة من الغرب إلي الشرق.

وعند نقطة تقاطع الشوارع الهامة مع هذا الشارع الرئيسي تقوم أربعة أعمدة كورنثية هي ما تبقي من معبد آلهة المياه في هذا المكان، وينتهي الشارع الطولي المستقيم في أقصى الشرق الذي كانت تحف به الأروقة في الجانبين بقوس جميل مؤلف من ثلاث فتحات. وهناك السوق العامة (الأجورا) وبقايا أطلال القصر الذي كان يقيم فيه حاكم المدينة[2].

---

(١) خليل المقداد، مسرح بصرى الأثري – سوريا، دمشق، ٢٠٠١، ص ص ١٨-١٩.

(٢) بشير زهدي، مدينة بصرى، الحوليات السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦، لوحة ٥.

فيليبوبوليس Philippopolis (شهبا)

تقع شهبا علي أطـــراف جبـــل العـــرب، وترتفـــع حوالـــي ١٠٥٠م عن سطح البحر، وهي علـــي الجـــانب الشـــرقي مـــن طريـــق دمشـــق – السـويداء.

مخـــطط مـــدينة فيليبوبوليس

يأخذ سور المدينة شكلا مربعا غير منتظما، ويفتح في كل ضلع بـــاب رئيسي يعد الجنوبي منهم أكثرهم بقاء (شكل ١١)، وبالضلع الجنوبـــي بـــاب ثانوي. وكانت الأروقة الظليلة تحف بجانبي الشارع الرئيســـي الـــذي يتجـــه باستقامة من الباب الجنوبي إلي الباب الشمالي، وما تـــزال بقايـــا الأرضيـــة الحجرية واضحة للعيان حتى يومنا هذا. وعلي مسافة قريبة تطل علي الشارع الرئيسي بقايا الحمامات الكبرى في المدينة (شكل١١). ويوجد بجانب المعبد – الذي يعود بناؤه إلي عصر فيليب العربي– مسرح صغير يعود تأسيسه إلـــي الفترة الرومانية لا يتجاوز قطره الأربعين مترا، ويتراوح عدد صفوف مقاعده بين خمسة عشر إلى عشرين صفا[1].

دمشـــق (Damascus)

ذكر اسم دمشق في النصوص المسمارية القديمة المسطرة في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد. وكانت دمشق[2] في مطلع الألف الأول قبل الميـــلاد عاصمة لمملكة آرامية، لكن كيف كانت إبان التواجد الإغريقي والهللينستي؟

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٩٠.

مخطط مدينة دمشق

يحيط بالمدينة سور غير منتظم الشكل (شكل١٢) ويخترق المدينة شارع رئيسي من الشرق إلى الغرب[١] تحفه الأروقة من الجانبين، وينتهي إلى الشرق ببوابة –حفظت معظم أجزائها– على شكل القوس الثلاثي الفتحات. وقد احتفظت دمشق –في مخططها العام– بالمعالم الحضارية الممثلة في كل المخططات الهللينستية الأخرى (شكل ١٣) مثل الأجورا[٢].

اللاذقية (LAODICEA)

أسس الملك سلوقس الأول هذه المدينة في أواخر القرن الرابع ق.م وأطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى والدته، وأعيد تجديدها في ظل الحكم الروماني لمنطقة بلاد الشام.

مخطط مدينة اللاذقية

لا يختلف مخطط اللاذقية عن مخطط المدن الأخرى،[٣] فيكاد يشبه مخطط مدينة دورا–أوروبوس، حيث نجد الشارع الطولي(Decumanus) يجتاز المدينة من الشرق إلى الغرب، والآخر الشارع العرضي (Cardo) يمتد من الشمال إلى الجنوب، ويتقاطع هذان الشارعان بزوايا قائمة (شكل١٤). ويحيط بالمدينة سور محصن يحتوي على عدة أبراج إلى جانب القلعة التي تشرف على المدينة، وقد استنتج Sauvaget[٤] –بعد دراسته لمخطط اللاذقية– أن الشارع الذي

---

(١) Barghouti, *op.cit.*, p. 418 Fig. 109.

(٢) Ibidem, p. 427, Fig. 108.

(٣) Frezouls, *op.cit.*, p. 238, Fig. 2.

(٤) Sauvaget, J., De plan de Laodicé sur mer, in: BEO 4 (1935), p. 64.

دعاه بالشارع (ب) كانت له أروقة جانبية استقر فيها سوق دائم. إلى جانب هذا، نجد مسرح المدينة الذي جدد فيما بعد. ويعتبر ميناء اللاذقية من الأماكن التي لعبت دورا هاما في التجارة الإقليمية والدولية، ولعل منطقة الميناء أكسبت المدينة أهمية تجارية قوية لدرجة أنها وصلت إلى أن تكون عاصمة للأقاليم السورية بدلا من انطاكية.

تدمر (PALMYRA)

تتوسط تدمر(١) الطريق الواصل بين الفرات -الذي كان عصب المواصلات في شرق سورية- وسواحل بلاد الشام التي تكثر على شواطئها الموانى والبلدان. وقد ازدهرت المدينة في مطلع احتلال الإغريق لبلاد الشام فى حوالى عام ٦٣ ق.م، حيث أصبحت ولاية من الولايات الرومانية، إلا أن ما يميز تدمر عن باقي المدن الأخرى، هو احتفاظها بشخصيتها واستقلالها سواء أمام الفرس أو الرومان أنفسهم. لكن ما أن بدأت السنوات الأولى بعد الميلاد حتى تمكن الرومان من السيطرة الكاملة على هذه المدينة، وتعتبر تدمر نموذجا فريدا في تخطيط المدن الهللينستية في الشرق(٢).

مخطط مدينة تدمر

يحتوي مخطط تدمر على شارعين متعامدين: شارع رئيسي يمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة ١١٣٥م(٣)، يتقاطع مع شارع أخر يجتاز المدينة من الشمال إلى الجنوب مسافة ٣٧٥م (شكل ١٥). ويحيط بالمدينة سور عرف

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٢) Frezouls, *op.cit.*, p. 240, Fig. 5.

(٣) بشير زهدى، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦، دمشق، ص ٥٣.

باسم سور زنوبيا[1] يأخذ الشكل المستدير في جهته الشمالية ويبلغ محيطه أثنى عشر كيلو مترا، وبه أبراج مربعة الشكل تدعمها أبـــراج مســـتديرة، وتبلـــغ المسافة بين كل برجين ٣٧ مترا تقريبا.

وتقع الأجورا قرب المسرح جنوب الشارع المعمد المتجه من الشـــمال إلى الجنوب وهى عبارة عن مساحة مســـتطيلة الشـــكل يبلـــغ طولـــها ٨٤ م وعرضها ٧١ مترا[2]. وهناك أعمدة فى الساحة العامة تشير إلى وجود أروقة، وكان يزين الساحة –غالبا– تماثيل لمن خلدتهم المدينة مقابل خدماتهم لـــها. ويعتقد وجود نحو مائتي تمثال للأعيان في هذه الساحة[3].

ويوجد المسرح في الجهة الجنوبية من الشارع الرئيسي بين الســـاحة العامة والقوس، ويحيط بالمسرح رواق نصف دائري يطابق شكل المســـرح. ويعتبر معبد بعل من معالم تدمر الحضارية الهامة وهو مربع الشـــكل يبلـــغ طوله ٢٣٥م[4] (شكل ١٦) ومحاط بأعمدة ضخمة على الطـــراز الكورنثـــي. ومن ضمن المؤسسات العامة التي لم يهملها مهندسو تنظيـــم المدينـــة عنـــد تخطيطهم مدينة تدمر مجلس الأعيان الذي يشابه المسارح ويجـــاور الســـاحة العامة[5]. كما روعي في تخطيط المدينة الشروط اللازمة لحياة ســـكان هـــذه المدينة وازدهارها من خلال تزويد المدينة بالمياه، وذلك ببنـــاء قنـــوات لمـــد

(١) نفس المرجع، ص ٥٤.

(٢) Stancky,R., Palmyre. Guide archeologique, without Date.

(٣) الحوليات الأثرية السورية – المرجع السابق، ص ٦٠.

(٤) نفس المرجع، ص ٦٠.

(٥) نفس المرجع، ص ص ٦١ – ٦٢.

السكان بالمياه. بقي أن نشير أيضا إلى المقابر التي تقع خارج المدينة، وتتكون من غرفة تحت الأرض يعلوها شاهد على شكل البرج[١].

مدينة انطاكية (ANTIOCHIA)

أ- انطاكية في الفترة السلوقية

كانت انطاكية عاصمة المملكة السلوقية وكانت إحدى أهم المدن الأربعة في المملكة السلوقية. وقد بلغت انطاكية شهرة واسعة في العصر الهالينستي في آسيا الغربية، لذا فهي تعد بحق نموذجا للمدن الهالينستية في بلاد الشرق.

دخلت انطاكية تحت السيطرة السلوقية بعد انتصار سلوقس على انتيجونوس في موقعة أبسوس في أغسطس عام ٣٠١ ق.م. وقد رويت عدة روايات عن تأسيس انطاكية لكنها ذات بعد أسطوري وأهم ما يستنتج منها هو أن اسم المدينة اقترن بـ أنطيوخوس ابن سلوقس. وقد تولى المهندس المعماري زيناريوس إقامة الأسوار وتخطيط الشوارع[٢]، وكانت انطاكية تتألف من حيين منفصلين أحدهما للنزلاء الأوروبيين والآخر للأهالي السوريين. ويعتقد داوني[٣] أن لكل حي من هذين الحيين سوره الخاص وبالتالي فإن الحي الخاص بالأوربيين كان يشغل حوالي ٢٣٠ فدانا تقريبا، في حين أن الحي المخصص للأهالي المواطنين كان أصغر من ذلك إذ كان يبلغ نحو ١٨٥ فدان.

---

(١) نفس المرجع، ص ص ٦١ – ٦٢.

(٢) داوني، المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) نفس المرجع، ص ٤٩.

ويري سوفاجيه Sauvaget أن أسوار المدينة قد بنيت وفق تصميم مستقيم الأضلاع[١]. ويتضح من تخطيط المدينة أنها بنيت وفقا للتخطيط الشبكي الذي يرتبط باسم هيبوداموس من ميليتوس. وكما أسلفنا في الجزء السابق -عند حديثنا عن المدن الهللينستية الشرقية- فإن نظام توزيع الشوارع في هذه المدن لا يختلف عن تخطيط انطاكية وخاصة مدن مثل (أفاميا، دورا- أوروبوس، دمشق، اللاذقية) فنكاد نجد تشابها ملحوظا بين مخطط اللاذقية ومخطط انطاكية وأيضا بالنسبة لمخطط الإسكندرية وكأن مصمم هذه النماذج مهندس واحد[٢].

مخطط مدينة انطاكية

تبلغ أبعاد وحدات المباني في انطاكية ٣٦٧ × ١٩٠ قدما ويبدو أن المدن الأربعة التي أسسها سلوقس شمال غرب سورية يمكن اعتبارها نموذجا لمدن هللينستية في آسيا في عهد الإسكندر وخلفائه[٣].

وقد كان سكان انطاكية ذوي انتماءات عرقية مختلفة، فإلى جانب السكان السوريين الأصليين الذين يقطنون في حيهم الخاص -فيما يرى داوني- هناك المقدونيون من جنود سلوقس المتقاعدين، إضافة إلى وجود عنصر بشري هام من عناصر المدينة كان يتألف من أبناء أثينا الذين قدموا من أنتيجونية وأعيد توطينهم في المدينة الجديدة[٤]. وكان يوجد أيضا عدد من

(١) Sauvaget, J., "ALES" 1941, Paris, p. 43; Idem, "Le plan antique de Damas", Syria, XXX1, 1949, pp. 339 – 345, 365.

(٢) قارن بين الشكلين (١٤) و (١٩).

(٣) Barghouti, *op.cit.*, p. 128.

(٤) داوني، المرجع السابق، ص ٥٤.

اليهود ربما كانوا من "الجنود المرتزقة" الذين تقاعدوا بعد العمل العسكري في جيش سلوقس.

ولهذا فانطاكية، مدينة متعددة الثقافات، وذات نمط يجاري سياسة السلوقيين بتوطين المقدونيين والإغريق في أماكن ذات بعد استراتيجي حتى يضمنوا سلامة نظام حكمهم، مما ولد الاهتمام بالثقافة والشخصية المحلية بالنسبة للسكان السوريين. وقد تبنى المهندس الذي نظم مدينة انطاكية المخطط المنتظم الذي ساد في العصر الهللينستي باعتباره مخططا يختزل تجارب عدة (اترووريه، اغريقية، شرقية).

ومن خلال المخطط (شكل ١٧، ١٨، ١٩) يتضح الشارع الرئيسي الذي يمتد من الشرق إلى الغرب بمحاذاة مجرى نهر العاصي بطول ستة كيلو مترات ونصف[١]، وكان هذا الشارع مرصوفا بالأحجار الجرانيتية المصرية. ويتقاطع هذا الشارع في وسطه مع شارع آخر يمتد من الشمال إلى الجنوب حتى يصل إلى ضفة النهر إضافة إلى شوارع جانبية أخرى. وقد لاحظ لافدان[٢] Lavedan أن "الجزيرة" –التي يحيط بها نهر العاصي والتي كانت تشكل حيا من أحياء انطاكية– لها شكل شبه مستدير وتقسم إلى أربعة أقسام متساوية بواسطة شارعين متعامدين. ولاحظ أيضا أن الشوارع تؤدي إلى خارج المدينة، مثل المخطط السلوقي المعروف في مدن سلوقية أخرى[٣]، وقد

---

(١) بشير زهدى، الحوليات السورية، ١٩٥٦، ص ٥٤.

(٢) Laveden, T., Histoire de l'architecture arabaine, in: AAAS, 6, 1956, p. 52. Pl. 5.

(٣) Barghouti, *op.cit.*, p. 130.

روعي أثناء تخطيط المدينة وضع الشمس وشروقها، بحيث تم توجيه زوايـــا مخطط المدينة نحو الشمس[١].

وفيما يلي نستعرض بالتفصيل بعض أجزاء مدينة انطاكية

١- تحصيــن المــدينة

اهتم مهندسو تنظيم المدن بشكل خـــاص بتحصيــن المـــدن الهامـــة، فنظرة إلـــى ســـور انطاكيـــة، يعطينـــا تصـــورا واضحـــا لضخامـــة هـــذا المشـــروع، وأهميتـــه فـــي عمليـــة التخطيـــط. ويـــرى Vita Pinto[٢] أن سور انطاكية المسمى "بسور تيبريوس" هو السور ذاتـــه الـــذي بنـــاه ملـــك ســـوريا (أنطيوخـــوس ابيفـــانيس: ١٧٥-١٦٤ ق.م) إلا أنـــه يحتمـــــل أن يكون قد اتسع في جهة الجنوب من ناحية جبـــل ســـيلبيوس وذلـــك لحمايـــة المدينة في هذه الجهة[٣]. وتم تدعيم سور المدينـــة بـــأعمدة بينـــها مســـافات قصيرة، وتوجد في كل زاوية من زوايا الســـور قلعـــة أو بـــرج للمراقبـــة. وينفرد الحي الرابع الذي يحيط به نهر العاصي بوجـــود ســـور خـــاص بـــه (أنظر مخطط انطاكيـــة).

٢- الوحدات السكنية (Blocks)

شهدت المدن السورية توسعا تمثل في ازدياد عدد أحيائها ووحداتـــها السكنية وخاصة في العصر الهللينستي، وتصل أبعاد الوحدات الســـكنية فـــي

(١) بشير زهدى، الحوليات السورية، ١٩٥٦، ص ٥٤.
(٢) نفس المرجع، ص ٥٤.
(٣) نفس المرجع، ص ٥٥.

انطاكية نحو ١١٢ × ٥٨م[١]. وهذه الوحدات مستطيلة الشكل تتخللها شـوارع طولية تتفرع منها شوارع جانبيه متقاطعة معه، وهى السمة العامة في تخطيط المدن السلوقية. وكانت هذه الوحدات السكنية متساوية المسافات، فالمساحة بين كل بلوك وآخر متساوية مع باقي المسافات بيـن الوحـدات الأخـرى ...... وهكذا[٢].

٣- سوق المدينة (الأجـورا)

بنيت الأجورا Agora بعيدة عن الشارع الرئيسي (شكل ١٩) كمركـز تجاري ضمن الحي الذي أسسه سلوقس الأول على مقربة من النهر. ونظـرا نظرا لزيادة عدد السكان في عهد أنطيوخوس أضيف حي جديد أطلق عليه اسم "ايبفانيا" Epiphania (شكل ١٩)، وكان هذا التوسـع علـى منحـدر جبـل سيلبيوس بجوار مركز الاستقرار الأصلي الذي أنشأه سلوقس علـى الأرض المستوية بالقرب من النهر.[٣] وقد أضاف أنطيوخوس سوقا أخـري بحيـث أصبحت انطاكية تملك مركزين للأجوراء، كما هو الشأن في مدن ميلتيـوس[٤] وبرجامون[٥] وبيريه[٦]. ولعل ذلك يتمشى مع نظرية أرسطو فـي ضـرورة وجود أجورتين لكل مدينة في موقعين مختلفين تكون إحداهما "أجورا حـرة" يحتفظ بها خالية من جميع السلع التجارية، وتخصص لألوان النشاط السياسـي

---

(١) Barghouti, *op.cit.*, pp. 129 – 131.

(٢) Ibidem.

(٣) داوني، انطاكية القديمة، ص ٧٩.

(٤) ممفورد، المرجع السابق، ١٥٢ (١١).

(٥) Frezouls, *op.cit.*, p. 243, Fig. 10.

(٦) Ibidem, p. 243, Fig. 11.

والتربوي-التعليمي، وتكون الأخرى "أجورا للتجارة" تخصص للاحتياجات التجارية ويحدد مكانها في أكثر المواقع ملائمة لهذا الغرض(١).

٤- المسرح

عرفت منطقة الشرق القديم المسارح في العصر الهللينستي، لكننا نجد أن هذه المسارح كانت ذات صبغة حضارية هامة خلال العصر الروماني الذي يعتبر عصر ازدهار المسارح في الشرق، ففي كل مدينة سورية مسرح تختلف مساحته بحسب أهميتها، واستنتج فريزول Frezouls(٢) في دراسته أن جميع المسارح السورية الباقية هي مسارح تعود إلى العصر الروماني، لكننا نود أن نتساءل أين هي المسارح الهللينستية؟ وهل انطاكية عرفت مسرحا بالفعل؟ إذا أخذنا بعين الاعتبار، أن ما وصلت إليه هذه المدينة من ازدهار قد يفيد هذا الاعتقاد، وربما أن المسرح الروماني حل محل المسرح الهللينستي؟

فمن خلال نتائج الحفريات التي أقيمت في انطاكية، نخلص أن مسرح هذه المدينة بني في عهد يوليوس قيصر (١٠١-٤٤ ق.م) ولكن أعيد بناءه في عهد الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧ م)، ولم تشر هذه الدراسات إلى وجود مسرح يعود إلى العصر الهللينستي.

٥- المعابد والحياة الدينية

وفدت مع دخول الإسكندر إلى الشرق معتقدات إغريقية، في الوقت الذي ظل فيه السكان المحليون محافظين على اعتقاداتهم، إلى جانب الحرية الدينية التي تبناها الإسكندر وخلفاؤه، فأصبحت الاعتقادات الشرقية تؤثر على

---

(١) دواني، المرجع السابق، ص ص ٧٩ – ٨٠.

(٢) Frezouls, E., les Annales Archologiques de Syrie, II, 1952, p. 49.

المقدونيين والإغريق مثلما أثرت معتقداتهم على السكان المحليين. وقد استطاع انطيوخوس الرابع "إيبفانس" (١٧٥-١٦٣ ق.م) أن يقوي مركز الديانة الهللينستية وعبادة الحاكم والقضاء على النزعات الانفصالية التي كانت تشجع ديانة اليهود من رعاياه. وانطلاقا من هذه السياسة -كما يعتقد داوني[١]- قام أنطيوخوس الرابع بمصادرة أملاك المعبد التي كان من المحتمل استخدامها لتمويل حركة المعارضة أو الثورة. ومن خلال الاستراتيجية السياسية أبدي أنطيوخوس اهتماما كبيرا بعبادة الحاكم مقارنة بالملوك السلوقيين السابقين لعصره، حيث قام بنشر عبادة كبير الآلهة زيوس الأولمبي -رب الأرباب- وهو الذي كان يتشبه به[٢]، حيث تم العثور على عملة من عهد أنطيوخوس تحمل صورته كزيوس[٣]. وقد أقام انطيوخوس في ساحة الأجورا الجديدة (بوليوتريون) أو دارا لمجلس الشورى وهو يشبه -إلى حد كبير- البوليوتريون الموجود في مدينة ميليتوس. ويعتقد داوني[٤] أيضا أن هذا المهندس كوستيوس هو الذي قام بوضع تصميم معبد أنطيوخوس لجوبتير كابيتولينوس في انطاكية. ويلاحظ أن السلوقيين -جريا على العادة التي استنها الإسكندر الأكبر- أقاموا لأسرتهم عبادة رسمية، فقام الملك انطيوخوس الأول برفع الملك سلوقس الفاتح إلى مرتبة الآلهة بعد وفاته وقد سار على هذا النهج الملك انطيوخوس الثاني، وأعاد تنظيمه الملك انطيوخوس الثالث. ولم يكن هذا دليلا على تعبير ديني خالص بقدر ما كان إضفاء الشرعية على حكم

---

(١) داوني، المرجع السابق ص ٧٨ – ٧٩.

(٢) نفس المرجع.

(٣) نفس المرجع، ص ٩٦.

(٤) نفس المرجع، ص ٧٩.

السلوقيين ومن ثم الولاء لهم. ولكن مع دخول الرومان إلى انطاكية أتخذت المسألة الدينية مجرى آخر، ووصلت العلاقات الشرقية-الغربية ذروتها عقائديا.

٦- الحمامات

كان بناء الحمامات الإغريقية في سورية والشرق عامة يدخل ضمن التخطيط الأولي لإنشاء أو تحديد مدينة ما. ولم تكن الغاية من بناء هذه "المؤسسة" هي التنظيف أو التدليك أو ما شابه ذلك، بل كانت تحمل أكثر من معني (التربية-التعليم-الجدال السياسي). ولم يصلنا عن حمامات هللينستية أي شئ سوى تلك التي أسسها الرومان. ويذكر داوني[١] فضل يوليوس قيصر (١٠١-٤٤ ق.م) في تحسين وتجديد حمامات انطاكية وقد قام بتوسيع بعضها كل من الإمبراطور كاليجولا (٣٧-٤١ م) والإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨ م).

٧- ملاعب سباق الخيل (السيرك)

لم ينس مهندس تنظيم المدن ملاعب سباق الخيل التي أخذت أهمية خاصة في كل المدن القديمة (انطاكية-السويداء-فيليبوبوليس-بصرى). وتقع هذه الملاعب غالبا خارج المدينة وتتألف من أرض واسعة مستطيلة الشكل، ولكن من سوء الحظ لم يتبق في سورية أي ملعب قديم. ومع ذلك فقد تبين من خلال الحفريات الأثرية في انطاكية أن أحد الملاعب فيها يبلغ طوله ٥٠٢ م وعرضه ٧١-٧٢ م، ويحيط بطولي الملعب مقاعد للمشاهدين[٢]. ويقع السيرك

---

(١) Downey, G., The Water Supply of Antioch on the Orontos in the Antiquity, in: AAAS, II, 1952, p. 281.

(٢) Lassus, J., les Fouiles d'Antioche, Gazette des Beaux Arts, 1933, p. 26.

(Circus) شمال المدينة (شكل ١٩) إلى جانب القصر في شبه جزيرة صغيرة حيث يحيط به نهر العاصي.

٨- القصـــور

تحدثنا الروايات الإغريقية وغيرها بأن المقدونيين والسلوقيين قد بنـــوا عددا من القصور في كثير من المدن السورية. وبالنسبة لانطاكية لم تكشــف الحفائر الأثرية بعد، ما إذا كانت هناك قصور تعود إلى الفـــترة الهللينســتية، ولكن ما وصلت إليه انطاكية من ازدهار حضاري -بما لا يدع مجال للشــك- على وجود قصور ذات مستوى رفيع.

٩- بـــوابات المـــدينة

روعي في تخطيط المدينة الهللينستية فـــي الشـــرق وجـــود بوابـــات للدخول إلى المدينة وللخروج منها، رغم أن ذلك كان معروفـــا فـــي المـــدن الشرقية قبل فتوحات الإسكندر. وكانت هذه البوابـــات توجـــد فـــي أطـــراف الشوارع الرئيسية وكان لها وظيفتان: وظيفة دفاعية ممـــا اســـتلزم تقويـــها، ووظيفة تجميلية[1]. ولا تخرج مدينة انطاكية عن هذا النمـــط، فـــهناك عـــدة بوابات (شكل ١٨): البوابة الشرقية التي يتم الولوج عبرهـــا إلـــى الشـــارع الرئيسي الطولي لنصل إلى البوابة الوسطى، ثم يستمر الطريق إلـــى البوابـــة المسماة الشاروبيم Cherubim gate في اتجاه منطقة دفنه، حيث نجد آخـــر بوابة وهى بوابة دفنه التي تؤدي إلى اللاذقية في الجهـــة الشـــمالية. وعلـــى ضفاف نهر العاصي نجد بوابة ذات أربعة ممرات تؤدي إلى القصـــر عنـــد تقاطع الشارع الرئيسي العرضي بالشارع الطولي الرئيسي.

---

(١) بشير زهدي، مجلة الحوليات السورية ١٩٥٦، ص ٦٥.

١٠- الجســـــور

كان من أهداف مخططي مدينة انطاكية هو تسهيل حركة المرور ممــا جعلهم يشيدون جسورا أو قناطر حتى تساعدهم في تحقيق ما يـــهدفون إليـــه. وكان في المدينة خمسة جسور (شكل ١٨) تصل المدينة القديمة بالحي الجديــد الذي يحيط به نهر العاصي.

١١- تزويد المدينة بالمياه

أعار مهندسو المدينة اهتماما خالصا لأمر تزويدها بالمياه، إذ لا شــك أن الماء حاجة ضرورية لا بد منها لاستكمال الشروط اللازمة لحياة المدينــــة وازدهارها وازدياد سكانها، فكانت المياه تصل إلى انطاكية عبر قنوات مـــــن دفنه، ولا أدل على اهتمام الملوك الذين تعاقبوا على الحكم في انطاكية بـتزويد المدينة بالمياه من وصف داوني[١] للأعياد والمناسبات التي يحضرها القـــــادة أنفسهم بمناسبة وصول المياه إلى المدينة. إضافة إلى هـــذا فانطاكيـــة تحفــل بميزات طبيعية تجعلها قادرة علي تزويد الأرض وسكانها بالمياه.

١٢- النيمفايوم Nymphaeum

كان لمأخذ الماء (النيمفايوم) شكلا بنائيا له وظيفتان: الأولي هي ســـد حاجة الناس من المياه، والثانية استعماله كعنصر جمالي[٢]. وكانت النيمفـــايوم في انطاكية تحتل موقعا هاما، أي وسط الشوارع تقريبا (شكل ١٩) ويقـــع بالتحديد عند بدء الشارع الرئيسي الذي يمتد من الجنوب إلى الشمال وقد خلـــد الروائي (ليبانيوس) في خطبه انطاكية حين وصفها بغزارة مياهها.

---

(١) ج. داونى، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ا، ١٩٥١، ص ٢٨٢.

(٢) بشير زهدى، الحوليات الأثرية السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦، ص ٦٦.

يتضح من تخطيط مدينة انطاكيــــة أنــها لا تختلــف بشــكل كبــير عن المدن الهللينستية-الشـــرقية، لكنــها وصلــت إلــى نهضــة عمرانيــة وتنظيمية كبيرة. وأن اهتمام مخططي هذه المدينة قـــد انصــب علــى كــل الجوانب المتعلقة بالدفـــاع عــن المدينــة حيــث بنــوا الأســوار والقــلاع الحصينة كما اهتمـــوا براحــة الســكان فقــاموا بتســهيل المــرور بشــق الشوارع الرئيسية والثانوية وبناء الجسور والقنـــاطر ومــن أجــل ثقافتــهم شيدت المســرح والملاعــب. ولمناقشــة أمورهــم ومشــاكلهم وحاجياتــهم أسسوا الأجـــورا والســاحات العامــة ومجلــس الأعيــان. وفيمــا يخــص الاهتمام بالجانب العقائدي أقاموا المعــابد مــع احــترام العقــائد الأخــرى. كما أبدوا تقديـــرا كبــيرا لمداخــل المدينــة فأنشــئوا البوابــات والأبــراج وغيرهـا.

وهكذا نرى أن تخطيط المــدن الشــرقية فــي العصــر الهللينســتي بات يفوق حتى تخطيط المدن الإغريقية نفسها، وهذا مـــا ســوف نلاحظــه عند حديثنا عن مدينة الإسكندرية. وجدير بـــالذكر أن هــذه المنظومــة لــم يسهم فيها المقدونيون والســـلوقيون فقــط بــل أيضــا الســكان المحليــون بثقافتهم المتراكمة عبر أجيال عرفــت أولــي بــوادر المدنيــة فــي العــالم القديم.

ولولا ما تحفل بــه هــذه المــدن الشــرقية مــن تكويــن جغرافــي وطبيعي وتراكم تراثي لما وصل المقدونيون والســـلوقيون والرومـــان إلــى جعل هذه المدن آيه من الإبـــداع الحضـــاري لازالــت آثارهــا بينــة إلــى يومنا هـذا.

مدينة الإسكنـــدرية

إن الموقع الجغرافي – الإستراتيجي الهام الذي تحتله مصـــر جعلــها عرضة للأطماع، وإذا كانت هذه الأطماع قد تمكنت من امتلاك مصر سياسـيا وعسكريا واقتصاديا، فإنها لم تســتطع امتلاكــها علـــي المســتوي الثقــافي والحضاري بشكل عام. ذلك أن هذه الأطماع الأجنبية كانت تجد أمامها إنســانا يحمل تراكما تراثيا معرفيا ودينيا غير قابل للاستلاب، إلا الإغريـــق الذيــن استطاعوا التأثير على هذا الإنسان المصري دون أن يفقد هذا الأخير شخصيته وخصوصيته والتي تتضح في سلوكه العقائدي أو في إبداعاته الفنية والجمالية.

وقد كان دخول الإغريق إلي مصر إعلانا لمرحلة هامة فـــي تـــاريخ الإنسان المصري، تلك هي المرحلة الهللينستية التي تعكس التفاعل والتلاقـــح والتمازج بين حضارتين مختلفتين: حضارة مصرية عريقة وحضارة إغريقيــة متطورة.

من هذا المنطلق سيكون حديثنا عن مدينة الإسكندرية، كمدينة شـــهدت هذا التلاقح الحضاري العظيم، وكنموذج جيد لاستقراء "اللحظـــة الهللينســـنية" بكل خصوصيتها الحضارية.

وسوف نركز هنا علي مخطط مدينة الإسكندرية والذي قد لا تختلـــف عن النماذج السابقة الذكر في المـــــدن الهللينســـتية الشـــرقية، إلا أن مدينـــة الإسكندرية احتفظت بميزات لا نجدها حتى في المدن الإغريقية نفسها.

إن انتباه الإسكندر المقدوني إلي هذه المدينة لم يكن اعتباطا أو محضا للصدفة، بل كانت هناك ظروف أخري ساهمت في ذلك، ولعـــل أهـــم هـــذه الظروف تلك التي تتعلق بالموقع ذاته قبل تأسيس الإســـكندر لـــها. فـــالموقع

الجغرافي والأصالة الفرعونية والتراكم الحضاري ... هيأ هـذه المدينـة لأن تكون عاصمة من أحسن العواصم في العالم وقتئذ.

١-المــوقع والتأســيس

سبق وأن أشرنا إلي أهمية موقع مدينة الإسكندرية خاصـة، ومصـر عامة، باعتبارها نقطة التقاء تجاري عالمي. ومن أهم مميزات هـذا الموقـع الذي تحتله الإسكندرية سهولة وصول مياه الشرب إليه، وقربة مــن بحـيرة مريوط، ومن جزيرة صغيرة كانت تقع تجاهه في البحر ولا تبعد عن الشاطئ بأكثر من ميل واحد وهي التي عرفت باسم جزيرة "فاروس". كذلـك جفـاف المكان وارتفاعه عن مستوي الدلتا وبعده عن الرواسب التي يأتي بـها فـرع رشيد[١]. بالإضافة إلي ذلك فموقع المدينة شرق البحر المتوسط، جعلها تشرف علي طرق تجارية ملاحية هامة في منطقة البحر المتوسط، وأيضا كونها نقطة التقاء وإشعاع حضاري بين عالمين متباينين[٢]، أحدهما ينتمـي إلـي العـالم الشرقي بنظمه ومعتقداته وتراثه، والآخر غربي مختلف الثقافة. هذا الموقـع المتميز لعب دورا هاما في عملية التلاقح الحضاري، ليس فقط مع الإغريـق كطرف آخر، بل أيضا مع أطراف أخري، إلي جانب الحضـارة الفرعونيـة العريقة كانت هناك حضارات أخرى كالفينيقية والفارسية.

إن العلاقات المصرية الإغريقية لم تبدأ مع مجـيء الإسـكندر إلـي الشرق بل كانت هناك إرهاصات قبل قرون عديدة جسدتها التجارة خاصة عن طريق تجار ميليتوس الإغريقية الذين قاموا بدور الوساطة بين المملكة الليديـة

---

(١) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٣، ١٣؛

راجع أيضا: عزت قادوس، المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) لطفي عبد الوهاب "الإسكندرية في العصر البطلمي، تاريخ الإسكندرية ص ٢٢.

وشعوب البحر المتوسط(١)، ومن ثم أسسوا محلة في دلتا النيل في أواخر القرن السادس قبل الميلاد والتي عرفت فيما بعد باسم نقراطيس(٢). وظلت العلاقات تجارية محضة إلي أن تحولت إلي سياسية بلغت أوجها مع دخول الإسكندر بعد انتصاره علي قوات الملك الفارسي ووصله إلي مصر في عام ٣٣٢ ق.م وتأسيسه لمدينة الإسكندرية عام ٣٣١ ق.م ليبدأ بذلك عهد جديد علي المستوي الحضاري الإنساني...

ومهما كانت الأهداف من وراء تأسيس هذه المدينة –سواء أكانت أهدافا تجارية أو عسكرية أو حضارية– فقد كان الاهتمام الذي أبداه الإسكندر وخلفاؤه يفوق الوصف. والدليل علي ذلك مخطط المدينة ذاتها والذي يعتبر من النماذج المتميزة –إلي جانب انطاكية– ضمن مخططات المدن الهللينستية الأخرى(شكل ٢٠).

مخطط مدينة الإسكندرية

يذكر سترابون(٣) أن الإسكندرية تأسست علي نفس المكان الذي كانت تحتله قرية مصرية تسمي راقودة –إلي جانب قري صغري أخري يسكنها الصيادون– التي كانت تقيم بها إحدى الحاميات العسكرية(٤) لدرأ الأطماع الأجنبية عن وادي النيل.

ولا يختلف مخطط الإسكندرية كثيرا عن مخططات مدن بلاد الشام التي عاشت نفس التجربة الهللينستية. وقد أثبتت الحفائر الأثرية المبكرة التي

---

(١) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ٩.

(٢) Bernard, A., Alexandrie la grande, Arthaud, Paris 1966, p. 30.

(٣) Strabo, Geographika XVII, 6.

(٤) Strabo, Geographika XVII, 6.

أجريت في موقع الإسكندرية، أن مخطط المدينة روعي فيه الطريقة التي عرفت في بناء المدن منذ القرن الخامس ق.م كمدينة بيرايوس (بيريه) باليونان.

وقد اعتمد مهندس المدينة دينوكراتيس[١] في مخططه علي اتساع الشارعين الرئيسين الذى يزيد علي ثلاثين ياردة[٢] حيث يمتد الأفقي منهما من بوابة كانوب "أبي قير" في الشرق إلي باب سدره في الغرب (طريق كانوب)، بينما الطريق الرأسي يمتد من باب الشمس عند بحيرة مريوط في الجنوب الشرقي إلي بوابة القمر قرب بداية الجسر الرابط بين الشاطئ وجزيرة فاروس (شكل ٢١). ويتقاطع الشارعان الرئيسيان: الطولي والعرضي في الساحة الكبيرة (الميدان) للمدينة، في حين كانت هناك شوارع ثانوية موازية للشارعين الرئيسيين[٣]. ويعتقد محمد عواد حسين[٤] أن هذه الشوارع كانت تحمل أسماء أفراد الأسرة الحاكمة معتمدا بذلك علي إحدى الوثائق البردية.

كثيرا ما نعتمد علي الكتابات الكلاسيكية في انعدام الدليل الأثرى في مسائل تتعلق بتخطيط المدينة، وأن يظل تعاملنا مع هذه المصادر يشوبه الحذر والحيطة، إلا أن هذا لا يمنع الباحثين من تصور شامل لكيفية تخطيط المدينة.

إن هذا الكلام يصدق علي أسوار المدينة، فرغم أن المؤرخين اليونانيين أمدونا بمعلومات جيدة عن هذه الأسوار المحيطة بالمدينة، لكن من خلال قراءتنا للمخططات الهللينستية المنتشرة في مناطق كثيرة في الشرق

---

(١) Arrianos, Anabasis 1,5.

(٢) Strabo, Geographika XVII, 6.

(٣) عزت قادوس، المرجع السابق، ص ١٥.

(٤) محمد عواد حسين، المرجع السابق. ص ١٦.

القديم نستنتج أن الإسكندرية -بكل تأكيد- كانت محاطة بعدة أسوار ومحصنة بأبراج، وما يؤكد هذا الاستنتاج أهمية موقع المدينة المطل والمشرف علي المنطقة الشرقية من البحر المتوسط محور التجارة العالمية وقتئذ.

وقد روعي في تخطيط المدينة تناسق المباني السكنية التي تأخذ شكل بلوكات Blocks تخترقها شوارع فرعية، وهذه الوحدات السكنية عادة ما تكون مستطيلة بحيث تكون المسافة متساوية بين كل بلوك وآخر وهذا الشكل من التخطيط كان سائدا في المدن الهللينستية كلها تقريبا[١].

من المعروف أن مهندسي المدن الهللينستية قد اهتموا كثيرا بتزويد السكان بالمياه وهذا ينطبق كذلك علي تخطيط مدينة الإسكندرية فكانت المياه تصل إلي منازل المدينة ضمن نظام دقيق فمدت تحت الأرض قنوات لتوصيل المياه العذبة إلي خزانات المساكن[٢]. وكان مصدر هذه المياه يأتي عن طريق قناة كبيرة تتفرع من النيل عند شيديا (كوم الجيزة) التي تبعد عن العاصمة بحوالي ٣٧ كم[٣] وهذه المياه العذبة تتجه وتتوزع علي خزانات في المنازل التي عثر علي عدد منها محمود الفلكي. وقد اهتم البطالمة بالجسور وخاصة جسر "هيبتاستاديوم" الذي يربط الشاطئ بجزيرة فاروس (حوالي ١٣٠٠ مترا)[٤] ويكمن دور هذا الجسر في خلقه لميناءين "الميناء الكبير" المتجه إلي الشرق وهو الميناء الكبير Portus Magnus، والآخر "يونوستوس" أي العود الحميد

(١) Strabo, Geographika, XVII, 8.
(٢) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٦.
(٣) Strabo, Geographika, XVII, 16.
(٤) Strabo, Geographika, XVII, 6.

Portus Eunostos إلى الغرب وقد وضع في الجسر ممران قـرب طرفيـه يصلان بين الميناءين[١].

إن موقع الإسكندرية البحري جعلها ذات أهمية من الناحية التجاريــة، لهذا تم إنشاء العديد الموانئ لتخفيف العبء عن الميناء الرئيسى وقد خصـص ميناء خاص "ميناء الملوك" الواقع على الشاطئ الجنوبي للميناء الكبير تجـاه جزيرة انتيرودوس لاستقبال الوفود الرسمية القادمة إلى عاصمة البلاد[٢].

أحتل ميناء الإسكندرية مكانة رائدة في مصر إبان الحكم البطلمي فـي المنطقة وذلك لعدة عوامل هامة منها وجود منارة الإسكندرية التـي أقامـها المهندس سوستراتوس بن ديكيفانيس على جزيـرة فـاروس فـي الجـانب الشرقي[٣]، وتعتبر هذه المنارة معلماً معمارياً نادراً في أنحاء المعمورة حيـث يصل ارتفاعها أكثر من ١٣٥مترا وكانت نقطة يهتدي بها الملاحون القـادمون من شواطئ البحر المتوسط المختلفة. ومن ضمن العوامل أيضا ترعة شـيديا[٤] المتفرعة من النيل والممتدة إلي ميناء الإسكندرية عبر خليج بحـيرة مريـوط والذي أقيم عليه ميناء فرعي يدعم الميناء الرئيسي، وقد سهلت هـذه الترعـة سبل الاتصال التجاري بين الإسكندرية والعالم الإغريقي.

يذكر فيلون[٥] أن الإسكندرية كانت تحتـوي علـي خمسـة أحيـاء كبيرة، أهمها الحي الملكـي (شـكل٢١) أو حـي القصـور الملكيـة وهـو

---

(١) Strabo, Geographika XVII, 6.

(٢) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ١٩.

(٣) لطفي عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤) نفس المرجع، ص ٣٠.

(٥) Philon, In Falccum, 55.

يطل علي الميناء الكبير ويمثل أكثر من ربع مساحة المدينة، وفي هذا الحي أقام البطالمة قصورهم الملكية حتى تطل قبالة جزيرة أنتيرودوس فتلتقي بالمسرح الكبير ومن بعده معبد بوسيدون ثم معبد قيصرون[١] الذي دشنته كليوباترا وأكمله الإمبراطور الروماني أوغسطس (٣٠ ق.م ــ ١٤م) ثم تأتي بعد ذلك السوق الكبيرة (الأجورا) والأرصفة ومستودعات الميناء[٢]. ويتضمن الحي الملكي –إضافة إلي القصور الملكية– حديقة كبيرة للحيوانات مزينة بالنافورات، وكذلك المتحف (دار الحكمة) إلي جانب مكتبة الإسكندرية العظيمة التي حج إليها كثير من الفلاسفة والعلماء من أنحاء بلاد اليونان والشرق وغيرها، ويوجد في الحي نفسه مجلس القضاء والجيمنازيوم المعروف لدى الإغريق. وعلي قمة المدينة شيد معبد للإله "بان"[٣] في حين شيد معبد السرابيوم في راقودة بالحي الوطني (منطقة عمود السواري) الذي لم يبق منه سوي أطلال تقع في الجنوب الغربي لمنطقة عمود السواري[٤] ويعود تاريخه إلي عهد بطلميوس الثالث (٢٤٦- ٢٢١ق.م)، وقد وضع مهندس المدينة كلا من ميدان سباق الخيل[٥] وميدان الألعاب الرياضية في أطراف المدينة، الأول في الجهة الشرقية والثاني في الجهة الجنوبية الغربية قريبا من معبد السرابيوم.

---

(١) راجع، هنري رياض "آثار الإسكندرية في العصر البطلمي" تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور، ١٩٦٣، ص١٤٣.

(٢) محمد عواد حسين، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٣) Bernard, *op.cit.*, p. 49, p. 91

(٤) هنري رياض، المرجع السابق، ص ص ١٣٩-١٤٣.

(٥) Bernard, *op.cit.*, pp. 147 – 148.

أما المقابر فقد وضعت في أطـراف المدينـة شـرقا[1] (الشـاطبي-الإبراهيمية-مصطفي كامل) وغربا[2] (الأنفوشي-كـوم الشـقافة-القبـاري-الورديان-المكس). وكانت هناك جبانتان كبيرتان الحجم: الجبانـة الشـرقية والجبانة الغربية، وخلال الحكم البطلمي كانت الجبانة الشرقية مخصصة لدفـن اليونانيين وغيرهم من الأجانب بينما كانت الجبانة الغربية مخصصـة لدفـن الموتى من المصريين.

من خلال هذا الوصف البسيط لتخطيط مدينة الإسكندرية نسـتنتج أن مخطط الإسكندرية كان قائماً علي الطريقة الهللينستية، حيث يراعي فيه مفهوم المدينة اليونانية وأيضا الشرقية فامتزج المفهومان سواءً علي المستوي الفكري أو العمراني إلي جانب موقع المدينة المتميز وتراث إنسـانها وثقافـة الوافـد اليوناني، كل هذه المعطيات جعلت من المدينة نموذجـا لا يضاهيـه سـوي انطاكية في بلاد الشام.

ولقد استوعبت الإسكندرية التأثيرات الإغريقيـة اسـتيعاباً ناضجـاً، فطورتها ثم تجاوزتها خالقة بذلك شخصيتها "الهللينستية" فأصبحت عاصمة من اكبر العواصم في العالم خلال الفترة البطلمية في مصر في المجـال العلمـي والفكري والحضاري بشكل عام.

---

(١) Ibidem, pp. 187 ff.

(٢) Ibidem, pp. 166 ff.

وخلاصة القول أنه:

١- في إطار "المدينة" الإغريقية ولدت المدينة وتطورت وانتقلت إلي أماكن جديدة واتصلت بغيرها واحتكت مدينة المدينة الواحدة بمدينة أخري. ومن ثم كما يقول نيقولا زيادة(١): "فقد قولبت" المدينة التفكير السياسي والاجتماعي والاقتصادي فضلاً عن "قولبتها" للتصرف في هذه الأمور في حين أن للشرق القديم -قبل الإغريق والاتروسكيين والرومان بقرون عديدة- تجارب متعددة متنوعة المناحي في المدن وحضاراتها ومدنيتها، لكن المدينة الدولة في المشرق القديم (بلاد الشام-مصر-أرض الرافدين) كانت لها خصائصها وكياناتها واتجاهاتها وانتهي الأمر بها أخيرا إلي أن تخضع لمملكة أو إمبراطورية فتصبح جزءا من هذا الكل. لهذا فعند قدوم الإسكندر واعتزامه هو وخلفاؤه إنشاء "المدينة" الإغريقية لتكون "وعاءاً للمدينة الهللينستية" وضع في اعتباره أن مدن الشرق قد عرفت من قبل ممالك وإمبراطوريات لمدة لا تقل عن عشرين قرناً.

٢- ولما حطت المدينة الإغريقية رحالها في المشرق وأقامها البطالمة والسلوقيون إزاء المدينة القديمة كان ثمة اختلاف بين ما كان يقوله الوافدون (المستعمرون) وما يدركه أهل البلاد (الذين أصبحت بلادهم مستعمرة)، فالأولون يريدون حريتهم علي غرار المدن الإغريقية والآخرون يريدون كرامة في بلادهم، ولكن عندما تظهر الصراعات والخصومات لم تكن من سكان المدينة الأصليين ضد مدينة إغريقية (أو مقدونية) أو مستعمرة عسكرية (مقدونية أو إغريقية) وإنما كانت موجهه

(١) نيقولا زيادة، المرجع السابق، ص ٨٧.

ضد السلطة نفسها فالثورات التي عرفها العصر الهللينستي كـــانت فـــي معظمها ثورات ضد الحاكم[1].

٣- إن إنشاء المدن الهللينستية كان سريعا فقد تم بناء أغلبها في مصر وبـــلاد الشام والرافدين (ما تبقي منها للسلوقيين) في فترة امتدت مـــن ٣٠٠ ق.م إلي حوالي ١٧٠ ق.م. فهذا التسارع القـــوي كان له الأثر السلبي علـــي المدن نفسها لولا مجيء الرومان، فعمليـــــة "الهللينـــة"Hellenisation والرومنة Romanisation عمليتان متصلتان باشرت الثانية فعلها بعدما ثبتت الأولى أقدامها.

ونعود الآن إلي سؤال طرحناه في البداية مؤداه **ما هو الـــدور الـــذي قامت به المدينة الهللينستية في التاريخ الحضاري لمنطقة الشرق؟**

إن دخول الإسكندر وحملاته علي المنطقة هو الذى مهد الطريق إلـــي قيام الإمبراطورية الرومانية وعرف العالم اتصالاً بين أجزائه لم يعرفه مـــن قبل، فالتجارة كانت عنصرا هاما في مجال التطـــور الاقتصـــادي، فبضـــائع الشرق كانت تتجمع في أسواق الإسكندرية وانطاكية ودمشق وصور وتدمـــر كي تنقل إلي الغرب، كما كانت بضائع الغرب تصل إلي هذه الأماكن، على أن هذه المدن لم تكن مجرد أسواق لتبادل البضائع بقدر ما كان لها من صناعاتـها الخاصة في بلاد الشام[2] مثل الأصباغ في بلاد الشام والزجاج في مصر. وفي المدن الهللينستية الشرقية كان هناك اختلاف عرقي انعكـــس علـــي الجـــانب

(١) نفس المرجع، ص ٧٩.

(٢) نفس المرجع، ص ٨٠.

الطبقي والاجتماعي وأيضا علي مستوي اللغة، فالقادمين إلـى البـلاد كـانوا يتحدثون اليونانية أما سكان البلاد فقد احتفظوا بلغاتهم الأصلية ولـم تنتشـر اليونانية إلا بين فئات من أهل البلاد الأصليين المقيمين في المدن في أغلـب الأحيان.

لقد أفادت المدن الهللينستية من سكان منطقة الشرق من خلال جوانـب تتعلق بالزراعة، فهناك الاهتمام بمد المناطق بالمياه إضافـة إلـي تجـارب زراعية حملت إلي المنطقة وخاصة بلاد الشام[1] في تلك الفترة فانعكس ذلـك علي مستوي الإنتاج. إلي جانب هذا فقد كان دور المدن المصرية والشـامية واضحا في الأدب والفن وخاصة بعد ما تم إتقان اللغة اليونانية من قبل أبنـاء المنطقة ولعل الدور الذي قامت به مدينة الإسكندرية خير دليـل علـي ذلـك باعتبارها مدينة العلم الأولى في ذلك الوقت فالبطالمة جعلوا من تلك المدينـة مركزا للعلم في المتحف والمكتبة، فأصبحت كعبة العلماء يقصدونـها للتعليـم والتعلم من جميع الأنحاء. ويجدر بنا هنا أن نشير إلي بعض رموزها العلميـة مثل إقليدس (القرن٣ ق.م) الذي لم يجد مكانا أصلح من الإسكندرية لمتابعـة دراساته[2].

وفي الإسكندرية أيضا قام أراتوستثنيس العالم الريـاضي القورينـي الأصل (٢٧٥-٢٠٠ ق.م) بقياس محيط الأرض بدرجة شديدة الدقة لا تختلف

---

(١) نفس المرجع، ص ٨٣.

(٢) راجع. عبد الوهاب لطفي، "الإسكندرية في العصر البطلمـي" تـاريخ الإسـكندرية ١٩٦٣ ، ص ٣٧.

عن قياس محيط الكرة الأرضية الآن إلا بمائتي ميل. فقائمة أسماء علماء الإسكندرية ومفكريها وأدبائها طويلة ولا يمكن سردها في هذا المجال.

وأيضا في سورية(١) خلال العصر الهللينستي ظهر نقولاوس الأديب والمؤرخ الذي ألف كتابا عن تاريخ العالم في ١٤٤ جزءا، وأرخياس الأنطاكي وبوزيدون الأبامي ثم انطيوخوس العسقلاني الفيلسوف الذي وصل إلي درجة رئيس الأكاديمية في أثينا، فكان العصر الهللينستي بحق عصر تمازج وتقارب وتلاقح وتثاقف في أمور الفكر وشئون الدين والاقتصاد والمجتمع والسياسة وقد انعكس هذا كله علي مستوي تخطيط المدينة الهللينستية الشرقية وكذلك علي المستوي الفلسفي الفكري بحيث تجلي ذلك في المذاهب الفلسفية السائدة والتي كانت مذاهب انتقائية، وهذا الانتقاء لم يتعمده مؤسسو هذه المدارس بقدر ما كان لابد لهم من الجمع والتوفيق بين خيوط الفكر الشرقية والإغريقية.

إذن فالعصر الهللينستي بحضارته العظيمة كان نتاجا لتلاقح ثقافتين ذات اختلاف علي مستويات عديدة وضمن تجارب متعددة ومتنوعة.

وإذا كانت حضارة بلاد الشرق وغيرها خلال العصور الشرقية القديمة تتصف بوجود المراكز الحضارية المتعددة التي أفسحت مجالا رحبا للتأثيرات الغربية (الإغريقية) فإن هذه التأثيرات بدورها أضفت على هذه الحضارة طابعا خاصا تكامل في جوانب كثيرة تنظيما وعمرانا وتخطيطا وغيرها.

---

(١) نيقولا زيادة، المرجع السابق، ص ٨٣.

الفصل الثاني

آثار منطقة سورية

- مقدمة تاريخية
- مدينة أفاميا (قلعة المضيق)
- مدينة دورا أوروبوس
- مدينة بصرى الشام
- مدينة شهبا (فيليبوبوليس)
- مدينـــة تدمر (بالميرا)
- مدينة انطاكية
- سورية في العصر البيزنطي
- مدينة الرصافة (سرجيوبوليس)



آثار منطقة سورية

مقدمة تاريخية

اصطلح علماء التاريخ والآثار على إطلاق اسم "شعوب ما قبل الموجات السامية" على السكان الأوائل في سورية، وسرعان ما حلت مكان هؤلاء شعوب سامية. وتذكر النصوص المكتوبة في منتصف الألف الثالثة ق.م أن العنصر السامي كان قوياً في هذه المنطقة، واستقرت القيادة السياسية في أيدي الأموريين الساميين في نهاية الألف الثالثة ق.م[١]. وكان الأموريون إبان تلك الفترة هم العنصر السائد في بلاد ما بين النهرين وفي فلسطين أيضاً.[٢]

وهناك قبائل سامية أخرى عرفت في النصوص المسمارية باسم القبائل السوتية والقبائل العيلامية (السوتيون والعيلاميون). أما في نهاية الألف الثانية ق.م فقد عرفت تلك القبائل باسم الآراميين. وكانت آخر موجة سامية كبرى هي موجة القبائل العربية التي ورد ذكرها في نصوص النصف الأول من الألف الأولى ق.م، إذ تغلغل هؤلاء في مختلف أرجاء سوريا واستطاعوا تأسيس دول سياسية ذات شأن في حوران وفي تدمر قبل مجيء الإسلام بوقت طويل. ومع مجيء الإسلام أصبح العرب العنصر السائد في سورية.[٣]

---

(١) Klengel, H., Syria. 3000 to 300 B.C., London, 1992, pp. 10 ff.

(٢) هورست كلينكل، آثار سورية القديمة. آثار ما قبل الإسلام في الجمهورية العربية السورية، ترجمة: قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥، ص ٢١.

(٣) Odenthal, J. Syrien: Hochkulturen zwischen Mittelmeer und Arabischer Wüste. 5000 Jahre Geschichte inspannungsfeld von Orient und Okzident, Du Mont Buchverlag, Köln, 1987, pp. 18-19.

إلى جانب تلك الشعوب والجماعات التي جاءت نتيجة الهجرات البشرية استوطن سورية غرباء آخرون وصلوا إليها كتجار أو موظفين أو جنود، وكانوا من أصل مصري أو إيجي أو أناضولي أو بلاد ما وراء النهرين أو فارس أو من العالم اليوناني الروماني في حوض البحر المتوسط، وأصبحت سورية بوتقة انصهرت فيها شعوب مختلفة وكان الناتج هو ما يمكن تسميته "بالسوريين" الذين أبدعوا في تطوير التيارات الثقافية المختلفة وأصبحوا من أكثر شعوب العالم تقدماً في مجال الحضارة.(١)

أما فيما يخص الفترة الهللينستية الرومانية فقد امتدت في سورية قرابة سبعة قرون من الزمن، بدأت بفتوحات الإسكندر المقدوني للشرق في أواخر القرن الرابع ق.م وانتهت بتقسيم الإمبراطورية الرومانية في نهاية القرن الرابع الميلادي.(٢)

وقد بدأ تأثير العالم الإيجي على بلاد الشام قبل وصول الإسكندر المقدوني بوقت طويل، حيث كانت حضارة بلاد الشام خلال العصور الشرقية القديمة تتصف بوجود المراكز الحضارية المتعددة التي أفسحت مجالاً رحباً للتأثيرات الخارجية وللتطورات المحلية الخاصة وبالتالي أثمرت تنوعاً كبيراً في الأشكال الفنية.(٣)

وبالرغم من أن الفترة الهللينستية الرومانية أقصر من العصور الشرقية القديمة، إلا أنها خلفت لنا العديد من الشواهد الأثرية، وكذلك فقد لجأ

---

(١) Klengel, H., Kulturgeschichte des alten Vorderasiens, 1989, pp. 5 ff.

(٢) مفيد رائف العابد، سورية في عصر السلوقيين. من الإسكندر إلى بومبيوس ٣٣٣ -٦٤ ق.م. دراسة سياسية حضارية، دار شمأل للنشر، دمشق ١٩٩٣، ص ص ٢٤-٢٦.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٠.

الصناع خلال تلك الفترة إلى مادة الحجارة في العمارة بصورة لم يسبق لـــها مثيل مما جعل هذه المباني تصمد أمام عوادي الدهر.

وعندما فتح الإسكندر المقدوني بلاد الشام في أعقاب انتصـــاره فـــي معركة أسوس عام ٣٣٣ ق.م ترك بلاد الشام موحـــدة – كمـــا كـــانت أيـــام الاحتلال الفارسي – ولكنه استثنى منطقة الفرات لأنها كانت طيلـــة تطورهـــا التاريخي تختط سياسة خاصة بها، لذلك لم تتأثر بالتيار الهللينستي كما تـــأثرت به بلاد الشام الواقعة إلى الغرب من نهر الفرات.(١)

وكان من بين قواد الإسكندر الأكبر أنطيوخوس مونوفثالموس، وكـــان أحد من تقاسم إرث الإسكندر وتمكن من بسط سيطرته الكاملة على بلاد الشام ولكنه سرعان ما تخلى عن سلطانه لصالح منافسة سلوقس نيكاتور وكان ذلـك في عام ٣٢١ ق.م وكون مملكة أطلق عليها مملكة السلوقيين وقد امتدت هـــذه المملكة حتى منخفض حمص.(٢) وجدير بالذكر أن البطالمة – خلفاء الإسكندر في مصر – قد احتفظوا بكافة الأراضي الواقعة إلى الجنوب من النهر الكبـــير وظل الحال كذلك حتى عام ٢٠٠ق.م حين انتهى الصـــراع بيـــن الســـلوقيين والبطالمة – فيما سمي بالحروب السورية – بضم ســـورية الجنوبيـــة إلـــى سلطان السلوقيين.

وقد حرص السلوقيون على توسيع مدن كثيرة في بلاد الشـــام عـــن طريق إضافة أحياء جديدة إلى المدن القديمة، واتخذ الســـلوقيون مـــن مدينـــة انطاكية عاصمة لدولتهم.(٣) ورغم ذلك اكتسبت مدن أخرى أهمية متزايدة مثل

---

(١) العابد، المرجع السابق، ص ص ٢٠-٢٣.

(٢) Tarn, W.W., Hellenistic Civilization, E.Arnold & Co.,London, 1941, pp. 117-120.

(٣) Ibidem, p. 138.

أفاميا واللاذقية ودورا أوروبوس، فنشط الاقتصاد والحياة الفكرية في كل هـذه المدن.[١]

ولم يتمكن السلوقيون من السيطرة الكاملة على هذه المنـاطق وذلـك بسبب الفوضى السياسية الناجمة عن منازعات الملوك مع منافسيهم ومحاولات الاستقلال في المدن وتمرد الأمراء المحليين وتغلغل البارثيين الفـرس حتـى الفرات. كل هذه الأمور تسببت في زعزعة أركان الدولة السلوقية فـي بـلاد الشام حتى أصبحت البلاد غنيمة في يد تيغران الثاني ملك أرمينيا في عام ٨٣ ق.م، ثم غدت لقمة سائغة في أيدي الرومان عام ٦٤ ق.م.[٢]

وفي عام ٦٣ ق.م جعل القائد الروماني بومبيوس من سورية ولايـة رومانية، لكن المناطق الجنوبية الشرقية ومنطقة تدمر ظلت بعيدة عن متنـاول السلطة الرومانية، فالعرب الأنباط، الذين امتد سلطانهم من عاصمتهم البـتراء حتى حوران، وصل نفوذهم إلى دمشق لفترة محدودة من الزمن.[٣]

ولكن الرومان استطاعوا القضاء على تلك الأسر المحليـة تدريجيـاً وجردوا مناطقهم من السلاح وجعلوا القبائل البدوية حراساً عليها. وظل الحال كذلك حتى عام ١٠٦ ميلادية حين حول الوالـي الرومـاني علـى سـورية كورنيليوس بالما المناطق الشمالية للأنباط إلى ولاية عربية خاضعة لسـلطة روما، وجعل من بصري الشام في جنوب حوران عاصمة للولاية الجديدة. أما الأراضي التي كان الرومان قد سلبوها من البارثيين إلى الشـرق مـن نـهر الفرات فكانت تتبع ولاية ما بين النهرين.[٤]

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦١.

(٢) العابد، المرجع السابق، ص ص ١٥٢-١٥٤.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص٦٢.

(٤) نفس المرجع.

ولم يحدث أي تعديل على نظام الولايـــات الشــرقية إلا فـــي عـــهد الإمبراطور سبتيميوس سفيروس عام١٩٥ ميلادية حين أراد هذا الإمـبراطور تقليص الصلاحيات الواسعة التي منحها أسلافه من الأباطرة إلى حكام الولايـة السورية فقسم تلك الولاية إلى ولايتين:

١- ولاية سورية الداخلية (سورية السهلية) وتمتد من جبال لبنان إلى تدمر التي قضى على استقلالها.

٢- ولاية سورية الفينيقية.

ثم قام الإمبراطور سفيروس بتوسيع الولاية العربية بأن ضم إليها كـل فلسطين وأقاصي جنوب بلاد الشام.[١]

وكانت المدن ذات التخطيط الهللينستي قريبة من الشكل المربع ولـــها بوابة في منتصف كل ضلع، يخترقها شارع رئيسي على جانبيه أروقة مسقوفة ويتقاطع مع هذا الشارع شارع رئيسي آخر وينتصب عند نقطة التقاطع صرح معماري مؤلف من أربعة أعمدة يعرف باسم التترابيل Tetrapylon. وتتعـامد شوارع فرعية مع الشارعين الرئيسين وتحصر فيما بينها مساحات مربعـــة، ومستطيلة من الأراضي التي تقوم عليها المنازل والمباني الرسمية.

ومن بين المباني العامة كان المعبد الرئيسي للمدينة والمعابد الصغـيرة مثل معبد ربة المياه النيمفايوم والحمامات العامة والمسرح وقصر الحكم[٢].

---

(١) نفس المرجع.

(٢) Barghouti, *op.cit.*, pp. 10 - 20.

مدينة أفاميا (قلعة المضيق)

تقع مدينة أفاميا القديمة على بعد حوالي ٢٠كم إلى الغرب من خان شيخون، فهي ليست بعيدة عن الطريق العام الذي يصل بين دمشق وحلب.

تجثم المدينة على أطراف وادي العاصي (حاليا سهل الغاب) وفي مواجهتها سلسلة جبال اللاذقية، أما تل أفاميا الذي يطل على الغاب فقامت فوقه قلعة المضيق التي تعود أسوارها إلى القرن الثالث عشر الميلادي. ومن خلال النصوص المسمارية نستطيع القول بأن هذه المدينة كانت عامرة في الألف الثاني ق.م.(١)

وقد شهدت أفاميا ذروة مجدها في الفترة الهللينستية الرومانية، فعندما وصل الإسكندر الأكبر إلى هذه البقعة كانت هناك بلدة اسمها فارناكه وقد بدلها باسم بيلا تيمنا باسم مسقط رأس والده في مقدونيا. وعندما انفرد سلوقس الأول بحكم سورية في عام ٣٠١ ق.م قام بتحصين وتوسيع تلك المدينة لكنه بدل اسم المدينة من بيلا إلى أفاميا تيمنا باسم الأميرة الفارسية التي أصبحت زوجته في سوزا منذ أن كان قائدا من قواد الإسكندر الأكبر أثناء فتوحاته.(٢)

وقد ظل اسم مدينة أفاميا محافظا على نفسه طوال الفترة الرومانية وكذلك بعد الفتح العربي وأثناء الوجود الصليبي، لكن تراجع أمام اسم قلعة المضيق منذ القرن السابع عشر وظل اسم قلعة المضيق هو الأكثر استخداما في العصر الحديث.(٣)

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٥.

(٢) العابد، المرجع السابق، ص ٣٢٧.

(٣) Balty, J.C., Guide d'Apamee, Brsüssel, 1981, p.23.

وقد أسس سلوقس نيكاتور أربعة مدن نسبهما إلى أفراد عائلته وهم مدينة أنطاكية Antiochia نسبة إلى أبيه، مدينة سلوقية Seleuceia نسبة إليه، ومدينة Laodiceia اللاذقية نسبة إلى أمه وأخيراً مدينة أفاميا Apameia نسبة إلى زوجته كما سبق القول.(١)

وقد اشتهرت مدينة أفاميا منذ العصور القديمة بتربية الخيول والفيلة حيث جعلها السلوقيون مربطاً للقسم الأعظم من خيول وفيلة جيوشهم، وفي عام ٦٤ ق.م احتل القائد الروماني بومبيوس مدينة أفاميا بعد أن هدم قلعتها التي كانت في مكان قلعة المضيق الحالية، لكن سرعان ما استعادت المدينة ازدهارها وتكاثر عدد سكانها إلى حد جعلها حاضرة كبرى في سورية.(٢)

وقد بقيت أفاميا حتى الفتح العربي نقطة عسكرية حصينة ومحطة هامة على الطريق التجاري في العصور القديمة. وقد توقف كل من كليوباترا والإمبراطور سبتميوس سفيروس والإمبراطور كراكالا أمام أسوارها، وكانت الفرقة البارثية الثانية تتخذ منها مقراً شتويا. وقد كانت مدينة أفاميا مقراً لبطريركية خلال القرن الرابع الميلادي، وتطورت هذه البطريركية حتى أضبحت مقراً للكنيسة الشرقية.

في القرن الخامس الميلادي، واحتوت على العديد من المباني الدينية الهامة. وقد ألمت بالمدينة خلال القرنين السادس والسابع عدة كوارث منها الاحتلال الفارسي فيما بين ٦١٣-٦١٨م، والزلازل التي أدت إلى تهاوي مبانيها.(٣)

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, p. 156.

(٢) العابد، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p.158.

تخطيط المدينة

تتكون المدينة من شارعين متقاطعين، الطولي من الشمال إلى الجنوب والعرضي يتخذ الاتجاه من الشرق إلى الغرب وقد قسمت المدينة إلى مساحات مربعة منتظمة حول هذين الشارعين بشكل متوازي (شكل٢٢)، ومساحة كل قطعة أو مساحة ٥٠ × ١٠٠م، هذان الشارعان الرئيسان يسميان Cardo Maximus و Decumanus Maximus.[١] وترتفع المدينة حوالي مائة متر عن مستوى وادي الغاب، ويحيطها سور يبلغ طوله ٦,٣كم، وهناك سبع بوابات فخمة لتأمين الدخول إلى المدينة والخروج منها، وكل بوابة تتصل بطريق عام يتجه إلى أنطاكية واللاذقية ولاريسا وحماه (إيفانيا) وتدمر وأسريا (سيريانا) وقنسرين (كالسيس). وتنتشر المسافات المستطيلة الناتجة عن تقاطع ١٦ شارعاً تتجه من الشمال إلى الجنوب مع ١٦شارعاً تتجه من الشرق إلى الغرب.[٢] ويمثل الشارع الرئيسي من الشمال إلى الجنوب تحفة معمارية حقيقية حيث يمتد بطول ١٧٧٤م وهو يصل بين باب انطاكية الكبير في الشمال وباب حماه في الجنوب. ويبلغ عرض هذا الشارع ٣٧,٥م بما في ذلك الأروقة التي كانت تمتد على جانبيه. وتلتصق بجذوع الأعمدة قواعد حجرية بارزة كانت تحمل تماثيل الوجهاء من أهل المدينة أو الأشخاص الذين قدموا خدمات للمدينة.

---

(١) Ibidem, p. 157.

(٢) Balty, *op.cit.*, p. 28.

وجدير بالذكر أن هذه الخاصية من أهم ما تتميز بـــه الأعمــدة فـــي سورية وكذلك القنوات الحلزونية التي تلتف حول بدن الأعمدة ذات الطـــراز الكورنثي[١].

ويقطع هذا الشارع المستقيم شارعان رئيسيان يصل كل منهما بيـــن بابين من أبواب المدينة وكان الجنوبي منهما بطول ١١٥٠م وتلتصق بـــأعمدة أروقته الجانبية قواعد لتماثيل الوجهاء، وكان متوسط عرض الشوارع الثانوية يبلغ حوالي ستة أمتار.[٢]

البقايا الأثرية في مدينة أفاميا

١- القلعـــــة[٣]

تقع قلعة أفاميا فوق هضبة عالية تنحدر من كل جوانبها نحو الســـهل وقد ساهمت هذه القلعة في حماية المدينة في عصر السلوقيين. وتقـــع معظـــم المباني الهامة للمدينة على المحور الشمالي الجنوبي أو على شوارع الأعمـــدة التي تمتد من الشرق إلى الغرب (شكل ٢٣).

٢- الشارع الأعظم (شارع الأعمدة)[٤]

يمتد هذا الشارع كما سبق القول قرابة حوالي ٢كم فـــي طولـــه مـــن الشمال إلى الجنوب ويبلغ عرضه ما يقرب من ٣٧,٥م، ويعتبر هذا الشـــارع من أضخم الشوارع القديمة في سورية إذا ما قورن بالشوارع الرئيســـية فـــي المدن الأخرى حيث يبلغ الشارع الرئيسي في بالميرا (تدمر) ما يقـــرب مـــن

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢) نفس المرجع، ص ٦٩.

(٣) Odental, *op.cit.*, 159.

(٤) Balty *op.cit.*, p.33-35

١١٠٠م طولاً و٢٥ متر عرضاً (وكذلك الشارع الرئيسي في انطاكيـــة يبلـــغ ٣٦م في عرضه) (شكل ٢٤).

وطبقاً للنصوص والنقوش فقد تم بناء هذا الشارع فيما بيـــن عصـــر الإمبراطور تراجان وعصر الإمبراطور ماركوس أوريليوس. وقد قام تراجان بإعادة بناء هذا الشارع بعد الزلزال الذي هز المدينة في شهر ديسمبر من عام ١١٥م. ويتميز هذا الجزء الشمالي والأوسط من هذا الشارع بوجـــود أعمـــدة ملساء على الطراز الكورنثي تحمل فوقها أفـــاريز مكونـــة مـــن الـــترجليف والميتوب. أما الجزء الجنوبي فأعمدته ذات قنوات وتحل محـــل الـــترجليف والميتوب زخرفة زهرة الأكانتوس (شكل ٢٥).[١]

٣- الحمامات[٢]

تقع الحمامات على جهة الشمال الشرقي من الشارع الرئيسي وتتكـــون من الأجزاء المعروفة وهي: حجرة البخـــار Tepidaruim، حجـــرة المـــاء الساخن Caldaruim وهما مبنيتان من الحجر الجيري عدا حنية الكلداريـــوم فيدخل في بنائها الطوب الأحمر.

٤ -البوابات[٣]

تقع هذه البوابات Tetrapylon عند تقاطع الشوارع الرئيســـية مـــع الشوارع العرضية ويبلغ ارتفاع هذه الأعمدة ١٤م، وتقف كل أربعـــة أعمـــدة فوق قاعدة مربعة.

---

(١) Balty, J., Balty, J.C. & Dewez, M., Die Ausgrabungen Von Apameia am Orontos. Informationsdienst des Belgischen Aussenministeriums, Bericht No. 49,Brüssel, 1970, p. 35.

(٢) Balty, *op.cit.*, p.38.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p.160.

وجدير بالذكر أن أعمدة الشارع الرئيسي التي تقع إلى الشمال من الشارع العرضي والتي أقيمت بعد عام ١٦٦م تحمل قنوات حلزونية، وكانت ثلاثة أعمدة منها في واجهتها تحمل تماثيل برونزية للإمبراطور أنطونينوس بيوس، ماركوس أوريليوس، ولوكيوس فيروس.

٥- الأجورا أو الفوروم

وهو مكان متسع كان يميز كل المدن اليونانية وتقع ساحة السوق في أفاميا إلى الجنوب من الشارع العرضي وعند تقاطع الشارعين الرئيسيين وهو مركز الحياة في المدينة اليونانية وإلى الغرب من ساحة السوق يقع معبد زيوس Belos والذي دمره الأسقف مارسيليوس عام ٣٨٤/٣٨٥م.(١)

٦- معبد الحوريات Nymphaeum

وهو يقع إلى الشرق من الشارع الرئيسي وبالقرب مباشرة من التقاطع الرئيسي للشارعين الرئيسيين، وهو على هيئة Exedra ويفتح على الشارع الأعظم مباشرة وكان هذا المبنى مزخرفاً بالعديد من صور الآلهة اليونانية والرومانية.(٢)

٧- المبنى الدائري

يقع إلى الجنوب الغربي من التقاطع الرئيسي ويرجع بناؤه إلى عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م). يقع المدخل الرئيسي لهذا البناء على الشارع الأعظم ويفتح على فناء تؤدي مداخله إلى الحنية وإلى الرواق المستعرض وكذلك الحجرة الرئيسية المزدوجة(٣).

---

(١) العابد، المرجع السابق، ص ٣٢٨.

(٢) Odenthal, *op.cit.*, p.160.

(٣) Balty, *op.cit.*, p.40.

٨- الأروقـــة

إلى الجنوب من التقاطع الرئيسي يوجد جزء من الأروقة ذات الأعمدة الكورنثية ذات البدن الأملس وخلف هذه الأعمدة توجد واجهـــة ذات طـــابقين خاصة ببعض المحلات. ومن حسن الحظ لا تزال بقايا رسومات حـــائط ذات لون أحمر وزخرفة تقليد الرخام. وكذلك توجـــد أرضيـــة مـــن الموزايكـــو (الفسيفساء) أرخت بعام ٤٦٩م طبقا لنقش في التقاطع الرئيسي للشوارع. هـذه الأرضية بها مناظر من قوافل الجمال ومناظر من الصيد وأواني للشرب وهذه الأرضية موجودة الآن في متحف أفاميا.(١)

٩- المســـرح(٢)

في غرب المدينة وإلى الجنوب من التقاطع العرضي الثاني يقع مسرح المدينة الذي يأخذ شكل نصف الدائرة ومحيطه ما يقرب من ١٣٥ مترا وهـــو أكبر المسارح في سورية. ونظرا لقرب المسرح من القلعة فقـــد اســـتخدمت أحجار هذا المسرح في بناء القلعة مما أدى إلى تدهوره. ورغم ذلك فيمكننـــا التعرف على الحائط الخلفي لخشبة المسرح حيث يوجد ممران أحدهما شـــرقي والأخر غربي هذا فضلا عن الأجزاء السفلية من مدرجات المسرح. وقد كانت مدرجات هذا المسرح مكونة من عدة طوابق تفصلها ممرات أفقية Diazoma تصل حتى المداخل الجانبية، وكذلك يوجد ممر أفقي للطابق العلـــوي. وبنـــاء على الجزء المتبقي من المدرجات فى الجهة الشرقية يمكن القول بأن الطـــابق السفلي من المدرجات كان مكونا من ١١ درجة ويمكن الوصول إليـــها عـــن طريق الأوركسترا أو الممرات. أما واجهة خشبة المســـرح فتغلـــق مســـاحة

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, p.161.

(٢) Ibidem, pp. 163-164.

الأوركسترا. ويرجح تاريخ هذا البناء فـــي عصــــر الإمـــبراطور مـــاركوس أوريليوس[١].

وقد كان لانحدار الأرض نحو وادي الغاب ميزة خاصة فـــي تـــأمين الميل اللازم للمسرح المدرج. ويستمتع المشاهد الجالس على الدرجات العليـــا للمسرح بمنظر خلاب لوادي الغاب ولقلعة المضيق الواقعــــة علـــى ارتفـــاع شاهق.

(١) Frezouls, E., Les theatres romains de Syrie, in: Annals archéologique de Syrie 2, 1952.

مدينة دورا أوروبوس

تدين مدينة دورا أوروبوس Dura-Europos فى نشأتها وازدهارها لملاءمة موقعها الجغرافي فهي تتربع على حافة البادية التي تنحدر بانكسار شديد نحو وادي الفرات، وكانت تتحكم بالتجارة النهرية على الفرات الذي يخترق البلاد الواقعة بين الخليج العربي والبحر المتوسط. وتعتبر دورا أوروبوس — بوقوعها على طريق المواصلات — وريثة لمدينة مارى الواقعة إلى الجنوب منها بمسافة عشرين كيلو متراً.(١)

تنحدر الأرض التي تقوم عليها دورا أوروبوس بانكسار شديد نحو وادي الفرات في جهاتها الشرقية والشمالية والجنوبية مما أكسب المدينة مناعة طبيعية ضد الغزاة ولم يتطلب الأمر إلا بناء جدار عال على طول تلك الجهات. أما الجهة الغربية التي تطل على البادية الواسعة الأرجاء فقد تحصنت بالأسوار والأبراج والخنادق.(٢)

وكانت الكتلة الصخرية الرابضة على شاطئ الفرات مكاناً مناسباً لإقامة قلعة مهيبة ترهب الأعداء.

في هذه البقعة أسس سلوقس نيكاتور Seleukos Nikator قبل عام ٢٨٠ ق.م حصناً هللينستياً واسماه "أوروبوس" تيمناً بمسقط رأسه في مقدونيا. وكان اسم هذه البقعة قبل ذلك هو دورا Dura وهى كلمة آشورية Duru

---

(١) ازدهرت مدينة مارى بفضل التجارة العالمية على الفرات لمدة أكثر من ألف عام، ثم دمرها حمورابي في القرن الثامن عشر ق.م ولم تقم لها قائمة منذ ذلك الزمان، انظر:
Parrot, A., Mari. Capitale fabuleuse, Paris, 1974, pp. 30 ff.

(٢) Parrot, A., Rükkehr in die Vergangenheit. Ein Leben für die Archäologie, Köln, 1981, pp. 1 ff.

تعني الحصن. ويبدو أن المدينة كانت تعرف باسم دورا نيكاتور أي حصن نيكاتور[١].

تخطيط المدينة في العصر الهللنيستي

يوضح تخطيط المدينة في العصر الهللنيستي أنها تحمل نفس ملامح تخطيط المدن السلوقية مثل انطاكية وأفاميا واللاذقية، حيث يمتد الشارع الرئيسي منتظماً من الجنوب إلى الشمال وتتقاطع عليه الشوارع الجانبية حيث تبلغ مساحة القطع بين كل شارع جانبي ٧٠ × ٣٥م وهذه الشوارع تقع في جانبها الأقل عرضاً إلى الشارع الرئيسي (شكل ٢٦).[٢]

أما سور المدينة فيمتد حول مساحة المدينة الكلية ويكون مستقيماً في الجانب الغربي فقط وذلك لتسهيل الدفاع عن المدينة من الناحية المفتوحة. وتقع القلعة إلي الجهة الشمالية من سور المدينة وكانت هذه القلعة نقطة دفاعية حصينة تخدم السيطرة السلوقية. وقد كان مخطط المدينة الهللنيستية هو الأساس لكل التوسعات التي قامت في المدينة في كل العصور التالية[٣].

ولم تكن أوروبوس في العصر السلوقي مدينة حدودية ولكنها كانت موقعاً لحراسة الطريق بين المراكز التجارية في كل من بلاد ما بين النهرين وغرب سوريا هدفها مراقبة القبائل البدوية وتأمين الطريق التجاري القادم عبر الفرات (شكل ٢٧).[٤]

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧١.

(٢) Odenthal, *op.cit.*, p. 288.

(٣) Stierlin, H., Städte in der Wüste. Petra, Palmyra und Hatra. Handelszentren am Karawanenweg, Stuttgart, 1997, p. 120.

(٤) العابد، المرجع السابق، ص ٣٣٠.

وعندما وقعت سلوقية الواقعة على نهر دجلة عام ١٢٨م في أيدي البارثيين وفقد السلوقيين مملكتهم الشرقية تحولت مدينة أوروبوس إلى السيطرة البارثية وظلت المدينة تحت السيطرة البارثية حتى عام ١٦٣م.

ومن خلال سياسة السلم التي تبناها الإمبراطور أغسطس فقد ازدهرت المدينة وتحولت إلى موقع تجاري هام يقع في نطاق تجارة تدمر.(١)

وكما ذكرنا كان مصير دورا أوروبوس متقلباً، فهي تقع في نطاق الحدود الفاصلة بين السلوقيين والبارثيين ثم بين الرومان والبارثيين وأخيراً بين الرومان والساسانيين، وكانت علاقات هذه القوى تتبدل في كثير من الأحيان.(٢) ففي نهاية القرن الثاني ق.م استولى البارثيون على القلعة السلوقية، وكانت ما تزال بأيديهم عندما احتل الرومان بلاد الشام وجعلوها جزءاً من الإمبراطورية الرومانية،ولم يصبح للرومان موطئ قدم على الفرات إلا في منتصف القرن الثاني بعد الميلاد.(٣)

ومع هذا لم تكن أقدام الرومان ثابتة على طول الفرات فقد كانوا يتعرضون باستمرار لهجمات البارثيين. وفى منتصف القرن الثالث الميلادى سقطت دورا أوروبوس في يد الساسانيين وسرعان ما تراجع الساسانيون أمام التدمريين.

وبدأ التدمريون ينسحبون من دورا أوروبوس للذود عن مدينتهم التي كانت في مهب الريح، وكانت النتيجة أن سقطت تدمر بأيدي الرومان في

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, p. 289

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ٧٣.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p.289.

٢٧٣م وعاد الساسانيون على إثر ذلك إلى دورا أوروبوس، لكن المدينة بدأت تتضاءل في أهميتها تدريجياً ويبدو أنها خلت من سكانها تماماً.(١)

الفن في دورا أوروبوس

بالرغم من الاحتلال البارثي فقد ظلت الإدارة في دورا أوروبوس هللينستية وكذلك ظلت اللغة الرسمية هي اليونانية. ونظراً للتسامح الذى أظهره البارثيون تجاه أهالي دورا أوروبوس فقد بادلهم سكان دورا أوروبوس نفس الشعور واعتبروهم خلفاء شرعيون للسلوقيين. وهكذا بقيت دورا أوروبوس حتى منتصف القرن الأول ق.م مدينة يونانية في حين كان القصر البارثي فوق القلعة يمثل بناءاً غريباً في دورا أوروبوس.(٢)

وقد استطاع Brown أن يعيد تصميم هذا القصر الذي كان يتكون من ثلاثة إيوانات ومع بناء معبد Atargatis فى عام ٥٠ ق.م ومعبد أرتميس بدأت فترة ازدهار للمدينة الهللينستية فى قالب شرقي. فقد انتهجت كل من عمارة المنازل (شكل ٢٩) وعمارة المعابد منهج العمارة في بلاد ما بين النهرين.(٣) وقد تحدث Schlumberger(٤) فى هذا الصدد عن طراز هللينستى شرقي وأعتبره مقدمة للفن البارثي (شكل ٢٨). فكل المعابد توضح طرازاً أساسياً عبارة عن فناء رئيسي للمعبد يحاط من كل الجوانب بحجرات وأسوار غير منتظمة ويمكن الدخول لهذا الفناء عن طريق صالة تحوي مذبحاً مدرجاً.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ٧٣.

(٢) Perkins, A., The Art of Dura-Europos, London, 1973, p. 156.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p.289.

(٤) Schlumberger, D., Nachkommen der griechischen Kunst ausserhalb des Mittelmeerrumes, 1960, in: Altheim, F. und Rehork, J., Der Hellenismus in Mittelasien, Köln, 1969, p. 87.

وفى باقي الحجرات كانت تحفظ الأدوات التي تستخدم في الطقــوس الدينيــة. وهناك صالة ذات مقاعد وأماكن للجلوس كـــانت تســتخدم كمكـــان للتجمـــع لممارسة الشعائر الدينية.

ويميز الرسومات والمنحوتات في دورا أوروبوس طراز فريد حيـــث تغلب الصفة الأمامية للأشخاص والتصوير ذات البعدين والسكون الذي يغلــب على هذه الأشخاص.(١)

وجدير بالذكر أن كل المناظر التي تحويها رسوم الحائط فى المعــابد وأماكن العبادة ذات طابع ديني. وهكذا نجد اختلافاً واضحـــاً فـــي رســومات الحائط فى معابد بل وزيوس Theos المؤرخين فى القرن الثـــاني الميـــلادي وبين رسومات الحائط المتأثرة بالطراز الروماني فـــى معبـــد الإلـــه ميـــثرا Mithra والكنيسة التي ترجع إلي القرن الثالث الميلادي.(٢)

أهم الآثار المتبقية في دورا أوروبوس

ســـــور المـــدينة

سوف نتحدث هنا عن الجزء الغربي من سور المدينـــة نظـــراً لأنـــه الأكثر حفظاً فهو يتكون من سور ممتد فى خط مستقيم مبنـــى مـــن الحجـــر الجيري عن طريق كتل حجرية مستطيلة الشكل، ويحتوى هذا الســـور علـــى عدد من الأبراج المربعة فى مسافات منتظمة تشرف على المدينة بالكامل. أما البوابة الرئيسية للسور فتقع فى منتصف السور وهى المدخـــل الوحيـــد إلـــى المدينة من هذا الجانب، ولما كانت هذه البوابة في قبالة تدمـــــر فقـــد أطلـــق الأثريون عليها اسم بوابة تدمر. هذه البوابة عبارة عن برجين ضخمين يقـــــع

---

(١) Schlumberger, Der Hellenisierte Orient, Köln, 1969, p. 110.

(٢) Odenthal, *op.cit.*, p. 290.

بينهما ممر ضيق وطويل يوصل إلى حجرات الأبراج (شكل ٢٧). ففي الطابق السفلي في البرج الشمالي يوجد معبد صغير للإلهة تيخي Tyche إلهة المدينة وحامية البوابة والمدافعة عن الموقع بالكامل. ويؤرخ هذا السور في العصر الهللينستي ولكنه تم تجديده وتقويته في فترة الاحتلال الساساني.(١)

وبعد أن نتخطى بوابة تدمر يبدأ الشارع الرئيسي لدورا أوروبوس والذي يتجه نحو نهر الفرات ويبلغ عرضه حوالي ٤,٣ ١م على يمين هذا الشارع توجد بقايا حمامات رومانية ذات الطوب الأحمر المحروق.

وإلى يسار الشارع يحتل خان دورا مساحة مستطيلة محاطة بالشوارع الجانبية من ثلاثة اتجاهات ومدخله الرئيسي يقع نحو الشارع الرئيسي في مخطط المدينة الهللينستية.

بعد ذلك إلى اليسار من الشارع توجد مساحة ضخمة تحتلها سوق المدينة Agora وقد بنيت هذه السوق على النمط البارثي(٢).

وفى مواجهة السوق على يمين الشارع الرئيسي يقع معبد أرتميس الذى مر بناؤه بمرحلتين:

المرحلة الهللينستية في (٤٠ -٣٠ ق.م) ويمكننا أن نتعرف على فناء المعبد من الطراز البارثي. ومدخل هذا المعبد عبارة عن صالة يتبعها مذبح وحجرة ذات ثلاثة أضلاع وهى تكون أساس المبنى، وكذلك نجد حجرة مشابهة لشكل المسرح يتم فيها التجمع لممارسة الطقوس الدينية ومن خلال النصوص نعرف أن سكان دورا قد أقرنوا الآلهه اليونانية أرتميس بالآلهه الشرقية نانايا Nanaia، والإله أبوللو بإله ما بين النهرين حداد Hadad. وإلى

(١) Matheson, S. B., Dura Europos. The ancient City and the Yale Collection, Yale, 1982, pp. 25 ff.

(٢) Odenthal, *op.cit.*, p. 292.

الشرق من معبد أرتميس يوجد معبد Atargatis وهذان المعبدان متفقان فـــي تخطيطهما. وإلى الشمال من معبد أتارجاتيس يوجد معبد لكل من جـــاد Gad حيث عبدت به العديد من الآلهة التدمرية المرتبطة بالإله بعلشمين، وفى هـــذا المعبد بقايا رسومات حائط تؤكد بناء المعبد في القرن الثاني الميلادي.(١)

وأما الجزء الشمالي من المدينة فهو منفصل عن باقي المدينـــــة فـــي العصر الروماني من خلال سور من الطوب. وفى هذا الجزء يقع قصر القـائد الذي ينقسم إلى فناء الأعمدة وفى جانبه الجنوبي يوجد فناء ثان، أما فى جانبــه الشمالي فيوجد تراس يشرف على نهر الفرات.

وإلى الجنوب من هذا القصر يوجـــد معبـــد صغـــير للإلـــه زيـــوس Dolichenus كان مخصصا للطقوس الخاصة بالجنود الرومان. وفى أقصى الطرف الشمالى الغربى يوجد معبد الإله بعل ذات رسوم الحوائط الرومانيـــة. وقد تبين أنه معبد خاص بالجالية التدمرية التي كان لها شأن فى هذا المكـــان. وكان المعبد مخصصا لآلهة تدمر الثلاثة، ولا غرابة فى ذلك فعبـــادة هـــؤلاء الآلهة كانت منتشرة فى منطقة القرن وخاصة الإله التدمرى بعل.(٢)

وجدير بالذكر أن الرسوم الجدارية التي اكتشفت فى عام ١٩٢١ هـــي الرسوم التي تزين المعبد التدمرى. ويتصل هذا المعبد بسور المدينة بواســـطة أحد الأبراج، وهو يتألف من فناء كبير مستطيل الشكل يكتنفه عدة غرف. يقـــع المعبد فى الغرب ويتقدمه رواق لم يبق من أعمدته إلا أربعـــــة. أمـــا قـــدس

(١) Rostovtzeff, M. Dura-Europos and its Art, 1938, p. 72.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٧٣ - ٧٤.

الأقداس فيحتوى فى جانبه الخلفي على حنية نصف مستديرة تطل نحو المدخل، وفى هذه الحنية كانت تقف تماثيل الآلهة المعبودة.(١)

وقد كانت جدران قدس الأقداس مزينة فى الداخل برسوم ملونه وأشهرها رسوم الجدار الجنوبى. تمثل هذه الرسوم منظرا لتقديم الأضاحي حيث نشاهد كونون بن نيكوستراتوس يقوم مع اثنين من الكهنة بتقديم قربان بحضور كافة أفراد عائلته، ويمسك كونون بشريط زهرى اللون وله نهايات زرقاء. ويتقدم كونون بخطوة، كاهن يعتمر قبعة عالية بيضاء اللون ويرتدى ثوبا طويلا أبيض اللون وأمامه آنية من الخزف يظهر منها غصن نبات. ويحمل الكاهن بيده اليسرى طبق وجره من الخزف الأزرق، وعلى الطبق وضع خنجران لابد أنهما كانا مخصصين لذبح الضحية، (شكل ٣٠) وهناك كاهن ثالث بجوار الأول وهو يقف أمام مذبح البخور. أما باقى المنظر فيغطيه أفراد عائلة كونون(٢).

وقد تم الكشف فى دورا أوروبوس عن كثير من التماثيل والمنحوتات البارزة والمباخر والدمى الطينية والأواني الزجاجية والفخارية والخزفية وهناك دروع من الجلد وبقايا قطع نسيج وسرج حصان من البرنز، كل هذه المكتشفات الأثرية ما هي إلا شواهد مادية على الحياة اليومية والممارسات الدينية وفنون الحرب، وهى إلى جانب الشواهد المعمارية والعمرانية تقدم الدليل الدامغ على أن المدينة ظلت شرقية الطابع رغم هيمنة الأساليب الإغريقية والرومانية.(٣)

(١) Odenthal, *op.cit.*, p.291.

(٢) Perkins, *op.cit.*, p. 133.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧٥.

وفي الزاوية الجنوبية الغربية من المدينة معبد أفلاد الذي عبده أهـالي دورا أوروبوس[١] بصفته ابنا لإله الطقس العظيم، لكننا نلمس وجـود تـأثير بارثى (فارسي) في طقوس عبادته[٢].

ومن أشهر اللوحات النحتية لوحة أبعادها ٥١ x ٣١سم وهي محفوظـة في المتحف القومي بدمشق، وتكمن أهمية هذه القطعة في أنها تزودنا بفكـرة عن تصورات أهل دورا أوروبوس لهذا الإله، فهو يقف فوقه حيوانين خرافيين مجنحين كما أنه يرتدي بدلة عسكرية هللنيستية الطراز لكن الـرداء الأسـفل الذي تظهر أطرافه عند الركبة، بارثى الطراز. هناك كاهن يقف أمام مذبـح وفي حالة تقديم الأضاحي. ويقول النقش بالكتابة اليونانية أن المدعـو حـدد يابوس ابن زبد يبولوس أمر بإنجاز هذه القطعة للإله أفلاد طالبا الخير لنفسـه ولأولاده وآل بيته. ويرجع تاريخ هذه القطعة طبقا لطرازها الفني إلى أوائـل القرن الأول الميلادي[٣].

(١) Hopkins, C., Aspects of Parthian Art in the Light of Discoveries from Dura Europos, in: Berytus 3, 1936, pp. 1-31.

(٢) Stierlin, *op.cit*, pp. 118 ff, Abb. 97.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٧٦، الشكل٥٧.

مدينة بصرى الشام

تقع مدينة بصرى الشام[١] Bosra في سهل خصيب هو امتداد للمنحدرات الجنوبية الغربية لجبل العرب وهي ترتفع حوالي ٨٠٠م عن سطح البحر ويظهر اسم بصرى في النصوص المسمارية التي ترجع إلى الألف الثاني ق.م حيث كانت تعرف باسم "بوصرونا" كما كانت عاصمة لإمارة.

وتنقطع أخبار بصرى من المصادر المكتوبة لفترة تزيد عن ألف عام ثم تعاود الظهور بعد فتح الإسكندر الأكبر لبلاد الشام.[٢] وازدهرت بصرى في عهد السلوقيين حتى أواخر القرن الأول ق.م، وحينما دب الضعف في الأسرة السلوقية قام العرب الأنباط بتوسيع سلطانهم نحو الشمال واستطاعوا بسط نفوذهم على دمشق واحتلوا بصرى وتحولت المدينة إلى حصن صعب المنال وقد أفادها في ذلك موقعها الإستراتيجي الهام واقتصادها القوي الناتج عن موقعها في السهل الخصيب الذي يطوقها من كل مكان.[٣]

وحينما احتل القائد الروماني بومبيوس بلاد الشام في عام ٦٤ق.م ظلت بصرى ومنطقة حوران تحت سيطرة الأنباط وكانت حدودها الشمالية محاذية لولاية سوريا الرومانية.

---

(١) بصرى بضم الباء وسكون الصاد والألف المكسورة في أخرها تمييزا لها عن بصرة جنوب العراق بفتح الباء وسكون الصاد وبتاء التأنيث في أخرها، وهي تعني الحصن.

(٢) أحمد فخري، بين آثار العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ص ٤٧-٤٨.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٧٨-٧٩.

وبقى الأمر على هذا الحال لفترة امتدت أكثر من ١٧٠ عامـــا حيـــن احتلها عام ١٠٦م القائد الروماني كورنيليوس بالما فـــى عـــهد الإمـــبراطور تراجان وإقتطع الأطراف الشمالية من دولة الأنباط ومنها دولة حوران. وعلى ذلك تكونت الولاية العربية Provincia Arabia التى أصبحت واحدة من أهم ولايات بلاد الشام وكانت مقرا للفرقة الثالثة الرومانية وأصبحت تحمل اســـم بصرى نوفا تراجانا Bosra Nova Trajana(١). وقد اكتسبت بصرى أهميتها من خلال خصوبة أراضيها ووقوعها على طريق التجارة العالميـــة، وكـــانت بصرى محطة تتوقف فيها القوافل التي تتردد بين الجنوب والشـــمال - بيـــن دمشق والبحر الأحمر- وبين الشرق والغرب - بين الخليج العربى وســـواحل بلاد الشام. وقد أفاد المدينة وفرة المياه فيها من خلال الينابيع التى تتفجر منـــها المياه(٢).

وكان لانحطاط شأن البتراء عاصمة الأنباط فى جنوبى البحر الميـــت أثره البالغ فى تعاظم دور مدينة بصرى حيث انتقل القسم الأعظم من تجـــارة البتراء إلى بصرى. وقد شهدت بصرى نهضة معمارية واضحة فـــى عـــهد الإمبراطور سبتميوس سفيروس والإمبراطور الســـوري الأصـــل ســـفيروس الإسكندر والإمبراطور فيليب العربى فى بداية القرن الثالث الميـــلادى حيـــث رفعها إلى مرتبة حاضرة "ميتروبول" (مجمعة عمرانية عملاقة) وقد وصلـــت أهمية بصرى إلى حد أنها اعتمدت تقويما مستقلا عـــن التقويـــم الســـلوقي - المعتاد فى هذه المنطقة - إذ بدأ تقويمها مع عام ١٠٦م وهى نفس السنة التـــي

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, p.106.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٧٩.

تحولت فيها المنطقة إلى ولاية عربية عاصمتها بصرى، كما كانت تسك النقود باسمها مما ساهم فى ازدهارها تجاريا[١].

وبعد أن أصبحت بيزنطة عاصمة الشرق الروماني وأفول نجم روما استمرت بصرى فى ازدياد أهميتها حين آمنت بالرسالة السماوية التى حملها السيد المسيح، وغدت بصرى مقرا لأسقفية ثم سرعان ما قفزت إلى مرتبة رئاسة أسقفية. وقد تجلت تلك المكانة المرموقة بأن قامت فى قلب بصرى أعظم كاتدرائية فى أي بلد من بلدان المشرق فى القرن السادس الميلادي[٢].

وقد كانت قوافل الحجاج تتوقف فى بصري فى الذهاب والإياب ولكن عندما انعدم الأمان على طريق بصري بسبب ضعف وتهاون الدولة فى العهود المتأخرة أصبح الحجاج يسلكون طريقا يبعد إلى الغرب من المدينة، وهكذا فقدت بصرى كل اتصال بقوافل الحجاج والتجار. وتحولت من مدينة مكتظة بالسكان إلى قرية مقفرة فقيرة الحال.

تخطيط المدينة

يتخذ سور المدينة شكلا مستطيلا ويبلغ سمكة ما يقرب من أربعة أمتار وتعززه دعامات تشبه الأبراج، وهناك أربعة بوابات رئيسية تخترق كل ضلع من أضلاع المستطيل. وتعتبر البوابة الغربية من أحسن البوابات الباقية وهى ترجع إلى القرن الثانى الميلادى.

وهذه البوابة تقود إلى داخل المدينة من ناحية الغرب(شكل ٣١) وتؤدى إلى شارع الأعمدة الرئيسي الذي يخترق المدينة من الغرب إلى الشرق ليصل فى النهاية إلى بوابة الأنباط التي تقع شرق المدينة. ويظهر فى نهاية

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, pp.106-107.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨١.

هذا الشارع الرئيسي قوس النصر(شكل ٤٠) المؤلف من ثلاثة فتحات (أقواس)، وعند التقاطع الأول لهذا الشارع الرئيسي مع الشارع الذى يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب توجد التترابيل Tetrapylon[١].

ويسيطر على تخطيط المدينة النمط النبطي[٢] خاصة فيما يخص اتجاه الشوارع حيث لا تتقاطع شوارع الأعمدة الرئيسية مع الشارع الرئيسي فى زوايا قائمة متعامدة وإنما زوايا مائلة وغير مستقيمة. كذلك فإن شوارع الأعمدة تتفرع من الشارع الرئيسي إما ناحية الجنوب فقط مثلما هو الحال فى الشارع المؤدى إلى المسرح أو ناحية الشمال فقط مثلما هو الحال فى الشارع المؤدى إلى السوق الرئيسية بالمدينة. كذلك يؤرخ جزء من سور المدينة غرب المسرح فى عصر مبكر من عصور الأنباط. أما عن تطور المدينة فى الفترة ما قبل الرومانية فهو غير معروف على الإطلاق وكذلك تكمن مشكلة الفترة الرومانية فى استخدام أحجار المباني القديمة الرومانية فى بناء مباني جديدة أيام الفتح العربى للمدينة[٣].

البوابة الغربية

بقيت هذه البوابة الغربية أفضل البوابات التي كانت تطل على المدينة بالنسبة لباقى البوابات، ويرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي، ويعلو فتحة الباب قوسان متتاليان. تبرز الوجهتان الجانبيتان إلى الأمام كالأبراج وهما

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, p. 107.

(٢) Rehm, E. Bosra. In: Antike Stätten am Mittelmeer, Darmetadt, 1999, p. 652.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٨٢ – ٨٣.

مزينتان بالعضادات والمحاريب. يقود هذا الباب إلى الشارع الأعظم الذي يخترق المدينة من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق (شكل ٣٣).[١]

المســرح

يعتبر مسرح مدينة بصرى من أهم المسارح الرومانية فى الشرق. وقد استخدم هذا المسرح فى عصر بنى أميه كحصن للدفاع عن المدينة. فقد قام الأمويون بسد مداخله إلى الأوركسترا وإلى المدرجات وإلى خشبة المسرح. وفى القرن الحادي عشر ساهم الفاطميون فى تقوية الركن الشمالى الشرقى للمسرح من خلال أبراج ظلت مكتملة حتى العصر الأيوبي فيما بين ١٢١١ - ١٢٥١م. كما استخدم هذا المسرح كقلعة منيعة فى الحرب ضد الصليبيين لكن دون أن يلحق أدنى أذى بجسم المسرح أو مبانيه[٢].

ومنذ عام ١٩٤٧ بدأت محاولات رفع هذه الأتربة والأنفاق من داخل جسم المسرح حتى أننا نرى اليوم مسرحا متكاملا بكل أجزائه لا نظير لكماله فى أي بلد من بلدان المشرق أو المغرب. ويبلغ قطر المدرج النصف دائري أكثر من ١٠٠م وهو مطوق بعدد من الممرات الأفقية فى أكثر من طابق، ويوجد فى الجوانب ممرات تؤدى إلى الأوركسترا. أما ساحة المدرجات فهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام أو طوابق يفصلها ممرات Diazoma أفقية وينتهي الطابق العلوي بصالة أعمدة تدور حول المدرجات وهى على الطراز الدوري (شكل ٣٤)[٣].

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, p.110.

(٢) Ibidem, pp. 108-109.

(٣) Ibidem p. 109.

ويؤدى إلى الممر الأول ستة صفوف من السلالم، يتبعه ثمانية صفوف تؤدى إلى الممر الثاني وتنتهي بأحد عشر صفا من السلالم حتى صالة الأعمدة العلوية.

ويغلق ساحة المدرجات النصف دائرية بناء يمثل خشبة المسرح، التى تتكون من جزء أمامي Proskenion الذي يحتوى على حجرة الممثلين والذي يأخذ نفس مساحة الممر الأفقي الأول، وينتهي هذا البناء إلى الخلف فى حائط مكون من ثلاثة طوابق وهذا الحائط مزخرف بعدد من الحنايا والأعمدة والكرانيش المعمارية، ومازالت بعض الأجزاء من هذه المعالم واضحة فى الطابق السفلي لهذا الحائط حتى الآن (شكل ٣٥). أما الحوائط المحيطة بجوانب بناء خشبة المسرح فهى ذات زخرفة معمارية ممثلة فى أنصاف أعمدة دورية ومن مساحة الأوركسترا فى الوسط يصل المرء من خلال ممرات إلى مساحة التمثيل المستطيلة الشكل والتي كانت محاطة بعدد من الأعمدة. ويحف بخشبة المسرح من الجانبين مقصورات كانت مخصصة لكبار الشخصيات. وتتجلى ذروة الكمال فى ضبط هندسة الصوت داخل هذا المدرج الفسيح، فالمتكلم على خشبة المسرح يمكن أن يسمعه الجالس فى أعلى المدرجات بكل وضوح ونقاء[١].

أما المساحة الداخلية للمسرح فيصلها المرء عن طريق ممر يؤدى الى خشبة المسرح أو عن طريق سلالم وممرات بين بناء المسرح والقلعة ومن هذا الطريق الأخير يستطيع المرء أن يرى بوضوح جميع مدرجات المسرح والحائط الخارجي القديم لهذا المسرح.

---

(١) Finsen, H., Le Leve du theatre romain á Bosra, Syrie, in: Analecta romana instituti danici 6, Suppl. 1972.

ويرجع تاريخ هذا المسرح طبقا لبعض الكتابات النبطية إلــــى فــترة قصيرة بعد الاحتلال الروماني للمدينة أي فى نهاية القرن الأول ق.م[1].

الحمـــامـــات الرومانية

إلى الشمال من المسرح وعلى الجهة اليمنى من شارع الأعمدة تقـــع الحمامات الرومانية[2] فى جنوب المدينة وهى تأخذ شكل حرف T. ويتقدم هذا المجمع من الحمامات صالة أمامية ذات أعمدة تؤدى إلى حجرة فخمة مثمنـــه الأضلاع وهى مغطاة بقبة وبها ركن على هيئة الحنية وهو فيما يبدو مكـــان لتغيير الملابس Apodyterium. ويتبع هذه الحجرة الرئيسية عدة حجـــرات هى حجرة الهواء الساخن Tepidarium، حجرة الماء البـارد Frigidarium وحجرة الماء الساخن Caldarium (شكل ٣٩).

معبد حوريات المياه

وفى الشارع المقابل للحمامات نرى أربعة أعمدة كورنثية فوق مبنـــى مثمن الأضلاع وهى كل ما تبقى من معبد حوريات المياه Nymphaeum[3]. هذه الأعمدة يصل ارتفاعها إلى ١٤م وهى لا تزال تحتفظ بتيجانها الكورنثيـة، وكانت هذه الأعمدة علامة لتقاطع الشارع الأعظم مع شـــارع فرعـــى هـــام (شكل ٣٦). ومن المعتقد أن هذه الأعمدة كانت جزءا من معبد آلهـــة الميـــاه ولعلها كانت تحمل سقف الرواق الظليل الذى يتقدم المعبد. ويذكر رحاله القرن التاسع عشر أنهم شاهدوا حنية نصف مستديرة كجزء باق من بنيان المعبـــد، لكن كل تلك الآثار قد زالت الآن ولم يبق قائما إلا هذه الأعمدة.

---

(١) العابد، المرجع السابق، ص ص ٣٤٧ – ٣٤٨.

(٢) Rey, J.& Coquais, Bostra P., in: The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton, 1976, p. 159.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٤.

البوابة النبطية

كما سبق القول يخترق الشارع الرئيسي المدينة من الغرب إلى الشرق وفى نهايته الشرقية توجد بوابة يطلق عليها اسم البوابة النبطية(١) فــى حالــة جيدة لها مدخل عميق يأخذ الشكل القبوي من أعلاه ويرتكز علــى عموديــن مربعين. وترتكز حوائط الطابقين اللذين يلتفان حول البوابة فوق قاعدة بسيطة تقف عليها البوابة. فى الطابق السفلي نجد الواجهة مكونه من نصف عموديــن بين أعمدة الأركان وبين أنصاف الأعمدة توجد حنية مقببة ذات أعمدة مربعة، أما الطابق الثانى فيحتوى على ثلاث فتحات الوسطى منهم ذات سقف قبــوي (شكل ٣٢).

ومن الملاحظ أن كل جزء من البوابة فى الطابق السفلي تكون حجــرة على جانبي البوابة. ومن الطراز الفني لهذه البوابة خاصــة طــراز تيجــان الأعمدة التى تصور قرنا فى كل جانب نستطيع القول أن هــذا المبنــى ذات أصول نبطية ويمكن تأريخه فى بداية القرن الثانى الميلادى.

كاتدرائية بصرى

من سوء الحظ أن معظم أجزاء كاتدرائية بصرى(٢) قد دمرت تماما ما عدا الجزء المتبقي من المحراب وتدلنا بقايا هذا المبنى أنه بنى فى عام ٥١١م وهو عبارة عن مبنى على الطراز المركزي ويتميز هذا المبنى بوجود حنايــا كثيرة فى حوائطه الخارجية.

أما أساسات هذا المبنى فتأخذ شكلا هندسيا، وهو عبارة عــن مبنــى دائري داخل مساحة مربعة وتقع أبواب هذه الكاتدرائية عند تلامــس الجــزء

---

(١) Rehm, *op. cit.*, pp. 652 f.

(٢) Odenthal, *op.cit.*, pp. 112-113.

الدائري مع المساحة المربعة فى الجانب الغربى من المبنى. أما الحجرات التى تقع على الأركان الأربعة فقد زينت بالعديد من الحنايا. وتبلغ المساحة المربعة لهذا المبنى ٣٦ × ٣٦ مترا (شكل ٣٧). وقد قدم لنا Vogüe فى عـلم ١٨٦٥ تصورا لهذا المبنى الذى تكون من قبة فوق المربع الداخلي تستند على أعمـدة مربعة.[١] ومن أهم الأجزاء المتبقية الجزء الشـــرقى الــذى يقــابل مدخــل الكاتدرائية والذي يحتوى على الحنية الرئيسية ومبنيين ملاصقين لها وصالتين صغيرتين.

وتمتد الحنية الرئيسية متعددة الأضلاع وكذلك الصالتان الملتصقتـــان بها إلى خارج المبنى (شكل ٣٨) واللتين تتصل بهما حجرتان كانتــا تمثــلان ممرات إلى مركز إقامة الأسقف. وتوجد بعض آثار لرسومات الحائط علـــى الحنية الرئيسية كانت تصور السيدة العذراء[٢].

مدينة شهبا (فيليبوبوليس)

يرتبط اسم هذه المدينـــة باســم مؤسســها الإمــبراطور الرومـــاني فيليب العربى حيث انتصر أثناء فتره توليه ولايـــة ســورية علــى جيــوش الساسانيين فى عـــام ٢٤٣م فـــى موقعتـــي Carrhae, Nisibis واســتطاع فى عام ٢٤٤ أن يتغلب علـــى جوردتيـــان الثــالث ويحكــم الإمبراطوريــة الرومانية حتى عام ٢٤٩م. وفى عـــام توليـــه الســلطة أســس مـــن جديــد مدينة فيليبوبوليس مسقط رأسه فى حوران واعتمـــد لـــهذه المدينـــة تقويمـــا مستقلا، وتحمل هذه المدينة كل صفات المدينة الرومانيـــة. وقـــد اســتمرت

(١) Rey-Coquais, *op.cit.*, p. 160.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٤.

هذه المدينة مزدهرة حتى أصبحت مقرا للأسقفية في القرن الرابع الميلادي.[١]

تقع شهبا على أطراف جبل العرب، وترتفع ما يقرب من ١٠٥٠ متر فوق سطح البحر، وهى على الجانب الشرقى من طريق دمشق – السويداء.[٢]

تخطيط المدينة

تنحدر المساحة الصخرية المقامة عليها مدينة شهبا من الغرب الى الشرق. ويتخذ مخطط المدينة[٣] الشكل الجيومتري ويقترب من تخطيط المعسكر الروماني ذا التقاطع الرئيسي الذي يتكون من شارع عرضي Cardo وشارع طولي Decumanus داخل مساحة مربعة غير منتظمة الأضلاع، ويتقاطع الشارعان الرئيسيان فى زاوية قائمة ويسميان شوارع الأعمدة، وهناك باب يخترق كل ضلع من أضلاع السور الأربعة، (شكل ١١) لكن هناك باب ثانوي فى كل من الضلع الشمالى والضلع الجنوبى. ويعتبر الباب الرئيسي فى الجنوب فى حالة جيدة، فهو ما يزال يستخدم مدخلا إلى قلب المدينة من ناحية الجنوب (شكل ٤١). وتخطيط كل بوابة من البوابات عبارة عن برجين فى الوسط يتخللهما ثلاث فتحات تستخدم كمدخل وهى عبارة عن قوس أعظم فى الوسط (٤,٦٠م) وقوسين جانبيين (٢,٨٠م). ونلاحظ أن الأعمدة الملتصقة بهذا البناء تحمل تيجانا تأخذ شكل القرون وكذلك السقف المقبب للبوابة

---

(١) Rey, J.& Coquais, P.,Philippopolis, in: The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton, 1976, p. 705.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ٨٤.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p. 118.

الوسطى، وكلها شواهد تعبر عن الطراز النبطي الذي ظل مستخدما حتى بعد عام ٢٤٤م في سورية. وتقوم في وسط تقاطع الشارعين الرئيسيين للمدينة بقايا متواضعة للنصب المعماري المؤلف من أربعة أعمدة (تترابيل) Tetrapylon. ونصل من هذا النصب المعماري غربا إلى مركز المدينة.[١]

النصب التذكاري

يقع هذا النصب التذكاري[٢] في الشارع الواقع إلى الغرب من الشارع الرئيسي ويتكون هذا المبنى من سلالم تصعد بعرض المبنى بالكامل وتضع هذه السلالم على حجرة رئيسية ذات حنية كبرى تأخذ شكل نصف دائرة

بين عدد من الحنايا والجدران ذات البوابات. وبالرغم من الاتساع الكبير لهذه الحجرة الرئيسية إلا أن عمارة هذه الحجرة مركزة فقط في الحنية الكبرى والتي تحتوي على عدد من المناظر المنحوتة في وسطها تمثال كبير للإمبراطور فيليب. وحول هذه الحنية الكبرى يوجد بابان يؤديان إلى حنيتين أصغر حجما من الحنية الرئيسية.

ويعتقد كل من Amer و Gawlikowsky[٣] أن هذا المبنى قد أقيم لتمجيد الإمبراطور فيليب العربي وأفراد أسرته، وأن هذا المبنى كان مخصصا لعبادة الإمبراطور.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٢) Odenthal, *op.cit.*, p. 119.

(٣) Gawlikowsky M.- Amer, Ch., DAM 2, 1995- 1997, pp.. 1-10.

أنظر أيضا:

Gawlikowsky, M., Monuments Funeraires de Palmyree, Warsaw, 1976, p. 56.

ضريح آل فيليب العربي

إلى الجنوب من النصب التذكاري يوجـــد مبنـــى مســتطيل الشـــكل من الأحجار المهذبة، وله مدخـــل واســع يــؤدي إلـــى حجــرة حوائطـــها مقسمة إلى ثلاث حنايا عميقة (شـــكل ٤٢). ومـــن الحنيــة الجنوبيـــة فـــي الحائط الغربي يؤدي سلم إلى سطح المبنـــى. وهـــذا المبنـــى يشـــبه المعبـــد في هيئته.[١] ويتحدث النقش التذكاري عن الإله مـــارينوس ولابـــد أن هـــذا الشخص هـــو المدعـــو جوليـــوس مـــارينوس والـــد الإمـــبراطور فيليـــب العربي. أما وظيفة هذا المبنى فقد كـــان مخصصـــا لعبـــادة أفـــراد العائلـــة الإمبراطورية وتقديس ذكرى والد الإمبراطور الـــذي وصـــل إلـــى مرتبـــة الإلـــه.[٢]

مســـرح شهبـــا

يشبه هذا المسرح فـــي تفاصيلـــه مســـرح بصـــرى مـــع اختـــلاف واحد وهو أن مسرح شهبا تتكون مدرجاته مـــن طـــابقين فقـــط فـــي حيـــن كانت ثلاثة في بصرى، ويزودنا مسرح شـــهبا بفكـــرة جيـــدة عـــن نمـــاذج المسارح الصغيرة في الفترة الرومانيـــة، ويبلـــغ قطـــر المـــدرج ٤١ مـــتر وقد قسمت صفوف المقاعد إلى قسمين بواسطة ممريـــن أفقييـــن ولكـــن لـــم يبق من القسم العلـــوي إلا جـــزء قليـــل. ويوجـــد بـــالجزء الســـفلي مـــن المدرجات ثلاث صفوف مـــن درجـــات الســـلم فـــي حيـــن يوجـــد خمســـة

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, p. 119.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٩٠ شكل ٧٧.

صفوف من الدرجات في الجـــزء العلــوي مـــن المدرجـــات (شـــكل ٤٣ - ٤٧)[١].

وتكمن أهمية مسرح شهبا في قربه المباشـــر مـــن المبـــاني الهامـــة في المدينة، ومن الملفـــت للنظـــر أن حجـــم هـــذا المســـرح مـــن الحجـــم المتواضع، مثله في ذلك مثل مســـرح بصـــرى وهـــو يكفـــي فقـــط حاجـــة سكان المدينة وليس له ارتباط بوجوده داخـــل مدينـــة إمبراطوريـــة[٢].

أما خلفية خشبة المسرح فـــهي مكونـــة مـــن حـــائط مكـــون مـــن طابقين وهي مكونة من ثلاثة أقواس وحنايا صغـــيرة. ويتبـــع طـــراز هـــذا المسرح الطرز المستخدمة في منطقة حوران. وتبلـــغ أبعـــاد هـــذا الحـــائط الخلفي (الكواليس) في مسرح شـــهبا ٤٢ ×١٢م بينمـــا تبلـــغ أبعـــاد خشـــبة التمثيل الملاصقة للجدار الشمالي للكواليـــس مقـــدار ٢٠ ×٤,٣٠ م. وتشـــبه واجهة الحائط الخلفي للمسرح شكل بوابات المـــدن أي قـــوس أعظـــم فـــي الوسط وقوسان جانبيان وعلى جانبي كل قوس توجـــد محـــاريب مســـتديرة ومســـتطيلة[٣].

أما أسفل المدرجات في الطابق الســـفلي فتوجـــد مداخـــل مســـقوفة بعقود وهي تقود إلى الأوركسترا الواقعة بيـــن خشـــبة المســـرح والمـــدرج وكذلك توجد نفس المداخل على جـــانبي خشـــبة المســـرح وذلـــك لدخـــول الممثلين. وقد استغل المهندس الذي صمم المسرح ميـــل الأرض فـــي هـــذه

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, p. 119.

(٢) Coupel, P., Le Theatre de Philippopolis en Arabie, in: Bibliotheque Archeologique et Historique 63, 1956, pp. 20 ff.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٩١ شكل ٨٠.

البقعة من بلدة شهبا كي يستند عليها جسم المدرج ويبلغ عرض الممرات التي تؤدي إلى داخل المسرح ٢,٨٦م ويمكن الدخول إلى المسرح عبر خمسة مداخل.[١]

الحمامات الكبرى

تقع الحمامات الرئيسية بالمدينة إلى الشرق من الشارع الرئيسي الذي يمتد من الشمال إلى الجنوب وبالقرب من منطقة المسرح عند نهاية خط للمياه قادم من الجنوب الشرقي إلى مدينة شهبا. وجدران هذه الحمامات مبنية من صخور بركانية، أما الحنايا فبناؤها من الطوب المحروق (شكل ٤٨).

ويدخل الزائر إلى الحمامات من الغرب عن طريق ثلاثة مداخل مقوسة تؤدي إلى صالة عرضية. وتمتد أنابيب المياه في المساحة المستطيلة بين المداخل والحنايا. وتظهر أجزاء الحمام الرئيسية متوالية حيث تظهر أولا حجرات الماء البارد Frigidaruim وبجوارها حجرة جانبية Vestaruim وهي مخصصة لخلع الملابس يتبعها حجرة ذات قبة قطرها ٩متر وهي حجرة الماء الساخن Caldaruim وهذه الحجرة مرتبطة بصالة شمالية ذات حنيتين هي حجرة الهواء الساخن Tepidaruim[٢].

وبالقرب من الحمامات الكبرى كشف الأثريون عن بقايا دار كبيرة احتفظت أرضياتها بروائع الفسيفساء وهي محفوظة الآن بالمتحف الوطني بدمشق:

---

(١) نفس المرجع، ص ص ١٩٤-١٩٥ شكل ٨٣ - ٨٤.

(٢) Odenthal, *op.cit.*, pp. 119-120.

اللوحة الأولى

لوحة فسيفساء[١] يبلغ طولها ٣,٣٧م وعرضها ٢,٧٦م وألوانها صفراء وحمراء وخضراء وسوداء وزرقاء وبرتقالية. هذه اللوحة (شكل ٤٩) تمثل مشهداً رمزياً للآلهة وأنصاف آلهة وكل منهم يحمل اسم بحروف يونانية، يتوسط تلك الجمهرة إلهة الأرض وأطفالها وخلفهم ملائكة الزراعة.

في الجانب الأيسر من اللوحة نشاهد أيون ملاك الزمن الأبدي وإلى جانبه نسوة تجسد الفصول الأربعة في السنة. وفي الجانب الأيمن نرى الإله بروموثيوس وهو منهمك في خلق جسم الإنسان ويقف وراءه الإله الشاب هرميس حاملاً الصولجان، وتطل من بين الغيوم التي تعلو الجمهرة رؤوس ترمز إلى الرياح وإلى الذوبان.

وترمز هذه اللوحة إلى ثراء وخصب منطقة حوران وترمز إلى نهضة تجارتها من خلال تصوير الإله هرميس. وتعتبر هذه اللوحة من أهم مشاهد الفسيفساء المكتشفة في بلدان المشرق، وترجع هذه اللوحة إلى القرن الثالث الميلادي[٢].

اللوحة الثانية

لوحة فسيفساء (شكل ٥٠) تحتوي على مشهد رمزي حيث نرى اوتيكنيا التي تجسد السعادة جالسة على العرش في الوسط وإلى يسارها تقف الفلسفة وأمامها سلة مليئة بلفائف ورق البردي وإلى يمينها تقف دياكوسيني أو

---

(١) Will, E., Une nouvelle mosaique de Chahba- Philippopolis, in: Annales archeologiques de Syria 3, 1953, pp. 18 ff.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٩٧ شكل٨٧.

العدالة. وتتكون ألوان اللوحة من اللون البنفسجي والأحمر والأصفر والأسود. وترجع هذه اللوحة إلى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي[١].

مدينــــة تدمر (بالميرا)

تقع مدينة تدمر على ارتفاع حوالي ٤٠٠متر فوق سطح البحر وبجوار منحدرات سلسلة من جبال الحوار الممتدة من الفرات حتى مشـــارف الشـــام. وفوق أحد مرتفعات هذه الجبال تقف قلعة ابن معن. وأسفل هذه القلعة تقع آثار تدمر على مساحة حوالي ستة كيلو مترات مربعة، ويطوق الأطلال من ناحيــة الجنوب حزام من أشجار النخيل. وتتوسط تدمر الطريق الواصل بين الفـــرات ــ الذي كان عصب المواصلات في شرق سورية ــ وسواحل بلاد الشام ذات الموانى الكثيرة. وكان التجار منذ العصور القديمة يسلكون الطريق القادم مـــن نهر الفرات ولابد من المرور من تدمر إذا كانت وجهتهم موانئ بـــلاد الشـــام ومنها إلى أي دولة أخرى عبر البحر، ومن هنا ازدهرت تدمـــر ســـواء فـــي العصر اليوناني أو الروماني وحتى الفتح العربي عام ٦٤١م[٢].

ويقول بلينيوس[٣]: "بالميرا مدينة مشهورة من خلال موقعها وكذلـــك بسبب خصوبة أراضيها وينابيعها المتعددة. ومساحتها محاطة من كل الجـــهات بحزام من الرمال(شكل ٥١ – ٥٢). ومن خلال طبيعتها فهي منعزلـــة عـــن العالم أجمع وهذه الطبيعة هي التي حددت مصيرهـــا بيـــن الإمبراطوريـــات الكبرى للرومان والبارثيين".

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٩٨، شكل ٨٨.

(٢) Stierlin, *op.cit*, pp. 125 f.

(٣) Plinius, Historia Naturalis, 26.

أصـــل التسمية

يرجع أصل تسمية تدمر Tadmor إلى الأصل السامي منـــذ الألـــف الثاني قبل الميلاد ولكن حرف هذا الاسم في العصر اليوناني إلي كلمة بـالميرا Palmyra التي تعني مدينة النخيل لكثرة النخيل بها،[١] ويطلق عليـــها أســـم عروس الصحراء.[٢]

بدايـــة تدمـــر

برهنت الظروف الطبيعية أن موقع تدمر صالح لاســتقرار الإنســـان حيث يوجد بها:[٣]

١- نبع أفقا الذي تتدفق منه المياه وتغذى البساتين في تدمر.

٢- نبع السراي الذي يحمل المياه العذبة إلى المدينة.

لذلك نجد أن الإنسان قد توطن في تدمر منذ العصر البرونزي القديـــم (٢٠٠٠ ق.م) والعصر البرونزي الحديث (١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م)، ولابـــد أن جماعات الأموريين قد سكنوا تدمر وهم الذين جاءوا من بادية الشام وتوغلـــوا في العراق وبلاد الشام.

تدمـــر في العصـــر الرومـــاني

توقفت النصوص الكتابية عن ذكر تدمر قرابة ألف عام ولكن استأنفت ذكر المدينة في القرن الأول ق.م. كانت تدمر ذات شأن عظيـــم حيـــث بـــدأ ازدهارها في مطلع احتلال الإغريق لبلاد الشام حيث يوجد نقش يذكر وجـــود معبد للإله بل (بعل).

---

(١) Wiegand, Th. - Krencker, D., Palmyra, Band I, Leipzig 1932, pp. 5-6.

(٢) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ١٠٠-١٠١.

في عام ٦٣ ق.م دخل القائد الروماني بومبيوس سورية وجعلها ولاية تابعة للإمبراطورية الرومانية ولكن تدمر لم تكن آنذاك جـزءا منـها حيـث استطاع أهلها الاحتفاظ باستقلالها ضد الفرس والرومان. وفي الأعوام الأولـي بعد الميلاد استطاع الرومان فرض سيطرتهم علي تدمر واحتلالها واستطاعت هذه المدينة بحكم موقعها أن تلعب دورا خطيرا وقد كان لرماة السـهام مـن التدمريين صيت ذائع في صفوف الجيوش الرومانية.(١)

وفي عام ١٢٩م جعل الإمبراطور الروماني هادريان من تدمر مدينـة حرة أثناء زيارته لسورية وجعل أهلها من الأحرار وأعطاهم حق المواطنـة الرومانية مما جعل التدامرة يطلقون علي المدينة اسـم Tadmor Hadriana وقد اعتمدت السلطة في تدمر على نظام مجلس الشيوخ. وكان يوجد في تدمـو كتيبة من الجيش الروماني وذلك لتجسيد وتأكيد الوجود الأجنبي في المدينـة. وكان الوالي الروماني يتبوأ منصبا رفيع المستوى وقد كـان يقـوم بجبايـة الضرائب.(٢)

وفى عهد الإمبراطور سبتيميوس سفيروس توسعت المدينة، ويعتـبر عهد هذا الإمبراطور مرحلة تحول فى تاريخ تدمر حيث رفعها الإمـبراطور إلى مستوى مستعمرة في عام ٢١١م وجعلها تابعة لولاية فينيقيا. وقد أدت هذه المرتبة الجديدة إلى زيادة هيبة تدمر حيث أعتقت من دفـع الجزيـة لخزينـة الإمبراطورية الرومانية. وقد تجسدت هذه الأهمية لتدمر في الصراع الفارسي الروماني في ذلك الوقت حيث قام عدد من الأباطرة الرومان بزيارتها(٣).

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, pp. 299-300.

(٢) Ibidem, p. 330.

(٣) Stierlin, *op.cit*, p. 128.

وبعد وفاة الإمبراطور سبتميوس سفيروس تجلت أهمية تدمر بشـــكل كبير حيث حل الاضطراب إرجاء الإمبراطورية الرومانية وحاول الساسانيون استغلال ذلك في النيل من ممتلكات الإمبراطورية في غرب نهر الفرات. لذلك تعتبر فترة الإمبراطور سبتميوس سفيروس من أهم الفترات التي عاشتها تدمر وقلت أهميتها بعد ذلك وحتى دخول المسيحية.(١)

أما الفترة التالية فتسمي عصر الملوك التدامرة (٢٣٥ - ٢٧٣م) حيـث ظهر شخص يدعي أذينه وقد كان عضوا في مجلس الشيوخ ثم ترقـــي إلـــى منصب قنصل، وفي عهده بدأ نفوذ تدمر السياسي في التوسع والانتشار. وقـــد قام أذينه بتلقيب نفسه "ملك الملوك" وذلك كمحاولة منه للاستقلال بالمدينة عـن الإمبراطورية واستطاع أن يبنى مملكة في هذه المنطقة.(٢)

ولكن أذينه أغتيل وكذلك ابنه الأكبر لذلك اعتلى العرش من بعده أخوه الأصغر وهب اللات الذي ورث لقب أبيه ملك الملوك، ولكن وهب اللات كان صغير السن لذلك قامت أمه زنوبيا بالاهتمـــام بشـــئون الحكـــم نيابـــه عنـــه واستطاعت هذه الملكة أن تصل بتدمر إلي أوج مجدها وفـــي الوقـــت نفســـه شهدت مملكة تدمر نهايتها ودمارها في عهد هذه الملكة.(٣)

التجـــــارة

كان التجار منذ العصور الشرقية القديمة يسلكون الطريق القادم مـــن الفرات ويمرون بتدمر إذا كانت وجهتهم بلاد الشام، ومع ازدياد التجارة بيـــن بلاد الشام والهند وغيرها ازدادت عدد الطرق التي تمر بتدمر حتى أصبحـــت

(١) Odenthal, *op.cit* p. 301.

(٢) Wiegand-Krencker, *op.cit.*, p. 35.

(٣) حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ص ١٥٠-١٥١.

تدمر في العصر الروماني عقدة لشبكة واسعة من طرق المواصلات التي تمتد من شمال الجزيرة العربية وبادية الشام وقد جلبت هذه الطرق التجارية لتدمر الخير والثراء. ويوجد نقش عبارة عن مرسوم أصدره مجلس الشيوخ يحدد الضرائب والرسوم لمن يريد الانتفاع من مياه نبع أفقا ونبع السراي. وتعتبر هذه الوثيقة من أكثر الأدلة علي الدور الهام الذي كانت تلعبه تدمر في الحركة التجارية في هذا الوقت حيث انتعشت التجارة العالمية بشكل خاص عندما ضم الإمبراطور هادريان دولة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية حيث تولت تدمر جزءا من التجارة التي كانت بيد الأنباط، وقام التدامرة بممارسة التجارة بأنفسهم وقد كانوا يجلبون الحرير من الصين والتوابل من الهند،[١] وقد أظهرت الدلائل الأثرية والتاريخية علي أنه كان للتدامرة جاليات ومكاتب ووكلاء في مختلف البلدان[٢].

لذا استغل وهب اللات ثم الملكة زنوبيا هذا الدور الوسيط لتدمر بأن وسعا نفوذ تدمر السياسي والاقتصادي، ففي عهد الإمبراطور كلاوديوس Clauduis والإمبراطور كوينتيلوس Quintillus احتلت زنوبيا سورية وأسيا الصغرى حتى أنقره وكذلك مصر. وفي الفترة من بداية عام ٢٧٠ وحتى مارس/ إبريل ٢٧١م ضربت فى أنطاكية والإسكندرية عملات تحمل صورة وهب اللات وزنوبيا وأطلقوا علي أنفسهم علي العملات اسم Augustus وAugusta بذلك أصبح القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية يخضع لسلطانها وتحت سلطان تدمر.[٣]

---

(١) نفس المرجع، ص ص ١٤٦-١٤٧.

(٢) Jones, H. J., The Cities of the eastern Roman Provinces, Oxford, 1971, p. 79.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p. 301.

وبسبب هذه الأخطار قام الإمبراطور أورليان في بداية عام ٢٧١م علي رأس جيش بالتوغل فى بلاد الأناضول والشام واستطاع أن ينتصر علي زنوبيا وطاردها حتى أبواب تدمر ولكنها رفضت الاستسلام وحاولت الخلاص ولكن استطاع جنود الإمبراطور القبض عليها، ودخل الإمبراطور أورليان مدينة تدمر وصادر أموالها وعين الوالي ماركلينوس واليا عليها. وبعد انسحاب الجيش الروماني انتفضت بالميرا فى عام ٢٧٢م وقامت بقتل أفراد الكتيبة الرومانية المرابضة بها، فعاد الإمبراطور أورليان مرة أخري إلي المدنية وأشعل فيها النيران، وبذلك دمرت المدينة ولم تستعد مكانتها بعد ذلك.(١)

وفى عهد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٥ - ٣٠٥م) أقام الرومان خطا دفاعيا من الحصون والثغور عبر بادية الشام وكان هذا الخط يمر بتدمر ونتيجة لذلك ابتعدت طرق القوافل عن تدمر مما ترك أثرا سيئا على السكان وأدى إلي كثير من الإهمال فيها.(٢)

وفي عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) استعادت تدمر بعض الاعتبار حيث جدد أسوارها وزودها بمياه الشرب وجعلها قاعدة عسكرية ولكن المدينة لم تستعد الأهمية التى كانت عليها في الماضى حتى دخلها القائد الإسلامى خالد بن الوليد في عام ٦٣٤م.(٣)

---

(١) Ibidem, pp. 301-302.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ١٠٧ – ١٠٨.

(٣) حسين الشيخ، المرجع السابق، ص ١٥٦.

الكتابـــة التدمـــرية

كان البيت الحاكم في تدمر من أصل عربى حيـــث اســـتقر العـــرب الناطقون باللسان الآرامي في تدمر منذ وقت طويل وامتزجوا مع السكان الذين ينحدورن من أصل سامي ولذلك نشأ عن الخط الآرامي القديم شكل جديد.

وفي عهد الملوك التدامرة وجدت أعداد كبيرة من النقوش والكتابـــات بالخط التدمري الجديد ولغة هذا الخط هي الآرامية ولكنها متأثرة بالعربية فـــى اللفظ.(١)

كذلك كانت اللغة اليونانية دارجة نطقا وكتابة فى تدمر أيضا وليــــس هناك أدل من التعريفة الجمركية التى نقشت بنودها باليونانيـــة علـــي حجـــر عرضه ٥ متر محفوظ الآن في متحف لينيجراد. ويعود تاريخ هذه الوثيقـــة(٢) إلى عام ١٣٧م فى عصر الإمبراطور هادريان، ويتألف النقش من أكثر مـــن ٤٠٠ سطر وهو عبارة عن مرسوم أصدره مجلس الشيوخ يحـــدد الضرائـــب والمكوس كما يحدد مقدار الرسوم لمن يريد الانتفاع من نبع أفقا ونبع الســـواي وقد عثر علي هذا النقش بالقرب من الأجورا أو السوق العامة.

آلهـــة تدمـــر

تتعدد الآلهة فى مدينة تدمر(٣)حيث يزيد عددها على ستين إلها منها:

١- يتصدر الآلهة فى تدمر الثالوث بـــل ـ يرحبـــول (إلـــه الشـــمس) ـ عجليبول (إله القمر) وقد كان معبد التدامرة فى مدينة دورا أوروبـــوس مخصصا لعبادة هذا الثالوث.

---

(١) Wiegand-Krencker, *op.cit.*, p. 80.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٣) نفس المرجع، ص ص ١١٠ – ١١١.

٢- الإله بعلشمين سيد السماء ــ وهو يتحكم في المطر الذي يتسبب في خصوبة الأرض.

٣- الإله ملكبيل وهو يعبد فى أغلب الأحيان كإله الشمس وكان يلقب بـ "شمش" إله بابل القديم (شكل ٥٣).

٤- الإله نبو.

بالإضافة إلى هذه الآلهة الرئيسية توجد آلهة أخرى فرعية مثل:

١- آلهة أصلها معروف فى شبه الجزيرة العربية مثل اللات.

٢- بعض آلهة اليونان.

٣- عبادة الإمبراطور الروماني.

الشواهد الأثرية فى تدمر

معبد الإله بعل Baal Tempel

وهو من أهم معابد مدينة تدمر (شكل ٥٤ - ٦٦) حيث كان يعبد فيه الثالوث التدمرى بعل ــ يرحبول ــ عجليبول. وهذا المعبد يحاذي بساتين النخيل المنتشرة فى القطاع الجنوبى من المدينة[١].

ويتربع المعبد فوق تل مرتفع به آثار العصور البرونزية ومخلفات الفترة الهللينستية.

تخطيط المعبد[٢]

يزين الجدران الخارجية للمعبد أعمدة ملتصقة بالجدار مربعة تعلوها تيجان كورنثية تلتصق بالجدار ويخترق الجدران الأربعة بانتظام نوافذ

---

(١) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ص ٥٤– ٥٥.

(٢) Seyrig, H. Amy R,. & Will, E., Le Temple de Bel a Palmyre, Syria, 1975, pp. 32-33.

مستطيلة تعلوها جبهات مثلثة جمالونية الشكل ولكن النوافذ أغلقت بكتل الحجارة لمنع دخول الأعداء إلى القلعة عندما تحول المعبد إلى قلعة أثناء الفترة الأيوبية. ويقع المدخل الرئيسي للمعبد فى الجدار الغربى ولكن يحجبه برج أقيم عندما حول الأيوبيون المعبد إلى قلعة، وتطوق الساحة المكسوة بالبلاط أروقة تحمل أعمدة كورنثية، وقد كانت ارتفاعات الأعمدة تختلف فى أروقة المعبد. والأعمدة عبارة عن كتل مستديرة فوق بعضها، وكانت هذه الكتل بها ثقوب يوضع بها الرصاص المصهور لربط الفقرات ببعضها لإقامة العمود.

وهناك ميزة هامة تظهر فى تدمر ولم تظهر فى العصر الروماني وهي وجود طابقين من الأعمدة أي عمود يقف فوق عمود أخر ويبلغ ارتفاع العمود العلوي ثلث أو ربع طول العمود السفلي وتظهر فى تدمر ثلاثة طرز من الأعمدة[١]:

١- أعمدة ملساء بدون قنوات.

٢- أعمدة بها قنوات تشبه الأعمدة الدورية.

٣- أعمدة بها قنوات حلزونية وهى مميزة لمنطقة الشام.

أما تيجان الأعمدة فهي من الطراز الكورنثي الشائع فى العصر الروماني. وإلى اليسار من مدخل المعبد يوجد نفق مفتوح يصعد إلى مستوى ساحة المعبد وينتهي عند مذبح القرابين والأضاحي. وإلى الجنوب من المذبح توجد بقايا دار كانت مخصصة للولائم والطعام، وكذلك بركة كبيرة مخصصة لأغراض الطهارة والاغتسال[٢]. ويقود هذا النفق إلى مستوى هيكل المعبد

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, pp. 305-306.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 140, Abb. 112-113.

(قدس الأقداس)، أما الوصول إلى الهيكل نفسه فيتم بواسطة درجات. وعلى الطريق بين النفق والهيكل كان موكب المتعبدين والكهنة يتوقف عند المذبح لتقديم الذبائح ثم الدخول إلى داخل دار الأضاحي [١].

أما الهيكل أو قدس الأقداس فيقابل مدخله مدخل المعبد وهو عبارة عن حجرة مستطيلة محاطة بأروقة ذات أعمدة تعلوها تيجان محلاة بالبرونز ويعلوها إفريز مليء بالزخارف التي تعكس عظمة الفن في هذه الفترة.[٢] هذه الزخارف عبارة عن نحت بارز عند مدخل قدس الأقداس ويمثل هذا النحت في الجانب الأيسر مشهد قتال بين محارب على عربة وحيوان خرافي على هيئة الأفعى. وفي الجانب الأيمن نشاهد خلف المحارب آلهة تسانده في هذه المعركة، ويشغل الجزء السفلي إطار من زخرفة البيضة واللسان وهى زخرفة إغريقية يعلوها زخرفة من عناقيد العنب وأغصان الكروم ذات اللون الأحمر وهى زخرفة رومانية وهى من أبدع ما أنتجه الفن التدمري[٣].

وداخل قدس الأقداس نجد في الضلع الجنوبي والشمالي محاريب توجد بداخلها تماثيل الآلهة حيث كانت محاريب الشمال مخصصة لتماثيل الآلهة بل – عجليبول – ويرحيبول في حين كانت المحاريب الجنوبية مخصصة لتماثيل الإله بعل فقط[٤].

وتمتلئ محاريب هذه الآلهة بالزخارف الجميلة، فزخارف هذه المحاريب وزخارف المعبد بوجه عام تنم عن ذوق محلي بالرغم من الطابع

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢١٥ شكل ١٢١.

(٢) Odenthal, *op.cit.*, p. 307.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٢٢ شكل ١٢٨، شكل ١٣١.

(٤) Stierlin, *op.cit*, p. 144.

الهللينستى الروماني فى إطاره العام، فمن التأثيرات اليونانية نجـــد زخرفـــة البيضة واللسان.

وأما التأثيرات الرومانية فتتمثل فى بروز الأفـــاريز عـــن مســـتوى الأعمدة. ونلاحظ العديد من التأثيرات المحلية فى معبد بــــل ومنـــها وجـــود الشرافات المسننة التى تعلو تيجان الأعمدة، فإقامة الشرافات فى قمة البناء هو تقليد شرقي عريق لم يعرفه الإغريق أو الرومان.

كذلك زخرفة عناقيد العنب ــ وإن كانت ذات طابع يونـــاني ترتبــط بالإله ديونيسوس ــ إلا أن عناقيد العنب هنا تظهر بشكل مختلف عن الشـــكل اليوناني حيث أن شجرة الكروم إلى جانب ارتباطها بالإله ديونيسوس إلا أنـــها عند التدمريين تعبر عن شيء آخر حيث أنه من المعروف أن العنـــب ينمـــو بسرعة لذلك رمز العنب إلى الخصوبة والإكثار فى الفن التدمرى مما يســـبغ عليه الصبغة المحلية. هذا بالإضافة إلى زخرفة الأعمدة بالقنوات الحلزونية[١].

ومن التأثيرات الشرقية فى معبد بل إقامة المعبد فوق ربـــوة مرتفعـــة ويتم الوصول إلى المعبد عن طريق سلم وهو ما يذكرنا بـــالزاقورات وهـــى المعابد الآشورية – البابلية التى تقام فوق ربوة مرتفعة ويتم الوصول إليها عن طريق سلم وهى ظاهرة مأخوذة من الحضارة الآشورية والبابلية والفارســـية وذلك على عكس المعابد فى العصر الروماني حيث كان المعبــد يقـــام فـــوق مصطبة Podium[٢].

وثمة تميز آخر في قدس الأقداس حيث اســـتعاض العمـــاري عـــن المباني المنخفضة بأعمدة مسقوفة ومرتفعة كان الغرض منها إعطاء نوع مـــن

(١) Michalowski, K., Palmyra, Seeman Buch-und Kunstvrelag, Leipzig, 1968, p. 18.

(٢) Ibidem p. 19.

الرهبة عن طريق الإضاءة القليلة الخافتة. كذلك كانت الأعمدة الكورنثية مزخرفة بتيجان من البرونز لم تعد موجودة الآن استعاض عنه بمبان خرسانية صماء وهذه الأجزاء لا تخص المباني الأصلية[١].

أما الزخارف (شكل ٦٧ - ٧٠) فهي تنم عن ذوق فني رفيع حيث نجد أن سقف المحراب الجنوبي المخصص لتمثال الإله بل مزينا بزهرة متفتحة محاطة بإطار هندسي زخرفي وهى تقترب من الأشكال في مذبح السلام Ara Pacis فى عهد الإمبراطور أغسطس[٢].

وفى قدس الأقداس كان يوضع تمثال لإله المعبد أو لآلهة المعبد إذا كان ثالوثا فى مكان ظاهر ومحدد بشكل معين لكي يلفت النظر ويكون متعامدا على المدخل.

وفيما يخص المنحوتات فى معبد بل فهي تشكل فنا شرقيا خالصا لم نعهده فى وادي الرافدين أو مصر أو فى الحضارتين الإغريقية أو الرومانية من قبل، فعلى سبيل المثال يوجد نحت بارز على هيكل المعبد (شكل ٧١) عبارة عن موكب من النساء[٣] فى طريقهن إلى تقديم الأضاحي خلف جمل يحمل فوق سنامه حجر مقدس (بيت أيل- حرف فيما بعد إلى بيت الإله) وترتدى النسوة الخيتون وفوقه عباءة كاملة تغطي الرأس والأذرع حتى الأقدام، ويلفت الناظر إلى هذا النحت الانسيابية التامة في الخطوط والتكوين الفني الإيقاعي[٤].

---

(١) هزار عمران ــ جورج دبورة، المباني الأثرية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٠، شكل ٥.

(٢) Michalowski, *op.cit.*, p. 22.

(٣) كلينكل، المرجع السابق ص ٢٢٧ – شكل ١٣٤.

(٤) Stierlin, *op.cit*, p. 147, Abb. 121.

وجدير بالذكر أن معبد بل قد تحول فى عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ ــ ٥٦٥م) إلى كنيسة مسيحية مزينة برسوم السيد المسيح والعذراء والرسل، ثم تحول المعبد إلى مسجد فى العصر الإسلامي فى القرن السادس عشر الميلادي.

وتذكر النقوش الموجودة على جدران معبد بل أن هذا المعبد قد أقيم فى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، حيث تدل النقوش على أنه قد أقيم فى عام ٣٢م فى عهد الإمبراطور تيبريوس فى حين أن هناك اتجاه آخر لتأريخ هذا المعبد بعام ١٩م.

وثمة ملاحظة هامة فى طرز البناء فى تدمر وهى وجود البوابات الضخمة Propylae التي تكون مدخل المنطقة المقدسة أو المعبد نفسه ولكن فى العصر اليوناني تكون البوابات مدخلا للمنطقة المقدسة بأسرها مثل منطقة الأكروبول فى أثينا. كذلك توجد فى تدمر منطقة أثرية هامة بها العديد من الأماكن الدينية وبها أيضا عدد من أقواس النصر لأباطرة مختلفة، وكانت هذه الأقواس تؤدى إلى المعابد عن طريق مقدس (شكل ٧٢) وهذه الظاهرة ظاهرة مصرية ويونانية حيث نجد فى مصر طريق الكباش الذي يؤدى إلى معبد الإله آمون فى الكرنك بالأقصر ولكن فى اليونان توجد طرق مقدسة توجد على جانبيها الخزائن التى تأخذ شكل وهيئة المعبد(١).

معبد بعلشمين

كان هذا المعبد مخصصا لعبادة الإله بعلشمين Baalshamin سيد السماء ورب المطر والرياح البرق، وقد ظلت عبادة إله الشمس فى هذا المعبد

(١) Michalowski, *op.cit.*, p. 25.

حتى القرن الثاني الميلادي.[١] وقد تحول هذا المعبد إلى كنيسة في القرن الخامس الميلادي[٢].

تخطيط المعبد

يسير تخطيط معبد بعلشمين (شكل ٧٣ – ٧٧) على نفس الطراز اليوناني حيث وجود الخزائن على جانبي الطريق المقدس المؤدى إلى المعبد مثل معبد الإله أبوللو فى دلفى ويحيط بساحة هذا المعبد سور يرجع إلى القرن الأول الميلادي، وقد أكدت نتائج التنقيبات الأثرية التي قامت بها بعثة أثرية سويسرية بين ١٩٥٤– ١٩٥٦ أن الهيكل الحالي يقوم فوق أنقاض هيكل أقدم عهدا ولعله معاصر للسور سالف الذكر.

وينتصب أمام واجهة معبد بعلشمين مذبح عليه كتابة تدمرية ويونانية مؤرخة بعام ١١٥م، أما الرواق الخارجي للمعبد فهو يمثل ردهة مكونة من ستة أعمدة كورنثيه الطراز على الأربعة أعمدة الأمامية فقط قواعد بارزة تلتصق بجذوعها كانت مخصصة لحمل تماثيل الوجهاء من أهل المدينة،[٣] وتحمل إحدى هذه القواعد نقشا يقول: أن مالى ابن يرحاي بنى هذا المعبد فى عام ١٣٠ ميلادية – أي فى عصر الإمبراطور هادريان[٤]. والمعبد مكون من بناء مستطيل يخترق كل ضلع من ضلعيه الطوليين نافذة ذات واجهة مثلثة فى أعلاها. أما مدخل المعبد فهو موجود فى الضلع العرضي

---

(١) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ٥٥.

(٢) Rey, J. & Coquais, P., Palmyra, in: The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton, 1976, p. 669.

(٣) Will, E., Seats of Bods, Altars and Shrines in Semitic Sanctuaries of Hellenistic and Roman Times, in: Petra and Caravan Cities, Symposium 23. – 28. / 9/ 1985, p. 23.

(٤) Odenthal, *op.cit.*, p. 311.

الذي يتقدمه رواق مؤلف من أعمدة تحمل تيجان كورنثيه وتلتصق بجذوعها قواعد بارزة لحمل التماثيل فى الثلث السفلي من ارتفاع العمود، ويتميز هذا المعبد بوجود الأعمدة المستديرة فى واجهته الأمامية فقط أما فى الجهة الخلفية فتوجد أعمدة مربعة ملتصقة بحائط المعبد وهى تسمى بالعضادات وهى ذات تيجان كورنثيه بينها حائط مرتفع يعلق عليه الستائر(١).

ومن خلال عرضنا لهذا المعبد نستطيع القول أن الطراز الأساسي للمعبد فى تدمر كان على النحو التالي(٢):

١- المعبد عبارة عن مبنى مستطيل الشكل.

٢-المدخل يقوم فى الجانب العرضي الصغير ويتقدمه أعمدة كورنثيه تؤدى إلى صالة مستعرضة تؤدى إلى مدخل المعبد.

٣-جوانب المعبد الطولية عبارة عن حائط بين أعمدة مربعة يتوسطه نافذة ذات شكل جمالونى فى أعلاها.

٤-الحائط الخلفى للمعبد عبارة عن أعمدة مربعة بينها ستائر تصل إلى أعلى المبنى.

٥-فى قدس الأقداس لا توجد نوافذ أو أية فتحات وذلك لإضفاء الرهبة والإحساس بهيبة المكان الذي هو محل العبادة فى أي معبد.

ومن الغريب أن تظهر فى ساحة هذا المعبد أماكن للدفن ترجع إلى القرن الثاني ق.م وبالطبع كانت هذه المقابر فى خارج أسوار المدينة السلوقية آنذاك. وهذه المقابر كانت مقابر تحت الأرض عبارة عن ممر أوسط على

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٢٣٠ – ٢٣١ شكل ١٣٧ – ١٤٠.

(٢) جان-مارى دنتز، ميشيل غافليكوفسكى، المعبد السوري، ترجمة: موسى ديب الخورى، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٦، ص ص ٧٧ – ٧٨.

جانبيه أماكن للدفن. واستخدام الطوب اللبن فى هذه المقابر يؤكد طراز ما بين النهرين الذي نجده فى أشور البارثية.

ويبدو أن المعبد القديم الذي كان قائما من قبل قد تم تجديده فى عـــام ٦٠م[١] ومن خلال هذه التجديدات تحول اتجاه المعبد إلى الناحيـــة الشـــمالية الغربية. وإذا ما قارنا هذا المعبد بمعبد الإلهة سيا Sia فى حوران الذي يرجع إلى العصر الهللينستى المتأخر نجد أن معبد بعلمشين قد حافظ علـــى التقـــاليد الشرقية. فمخطط معبد بعلمشين لا نجده فقط فى مناطق التأثير النبطيـــة بـــل أيضا فى المناطق الفارسية المتأثرة بالهللينية. ويؤكد ذلك على ارتباط بـــالميرا (تدمر) بالفن اليوناني الفارسي حتى القرن الأول الميلادي.[٢]

وبداية من عصر الإمبراطور هادريـــان ١١٧-١٣٨م أتخـذ المعبـد طراز البناء اليوناني الروماني الذي تكون من أساس مسطح يرتفـــع لدرجـــة واحدة، يرتكز عليه المعبد المكون من حجرة رئيسية فى الخلف بناؤها بســـيط وهى عبارة عن حائط بين أعمدة مربعة كورنثيه الطراز تسبقها ردهة عرضية ذات ستة أعمدة كورنثيه تحمل قواعد بارزة لتماثيل الوجهاء. وفـــوق مدخـــل باب المعبد وجد نسر حجري ــ محفوظ الآن فى متحف دمشق الوطنـــي ــ ذو أجنحة منبسطة تصل بين تماثيل نصفيه لإله القمر وإله الشمس وقـــد اقـــترح Schlumberger [٣] أن هذا المنظر ما هو إلا رمز لثلاثي بعلشمين.

ومن المعروف أن بعلشمين كان إلها فينقى الأصل وهو سيد الشـــمس والقمر وهو يشابه فى ذلك الإله بعل، وقد تجسدت عبادة هذا الإله فى بـــالميرا

(١) Stierlin, *op.cit*, pp. 156 ff.

(٢) Michalowski, *op.cit.*, p. 22.

(٣) Schlumberger, D.La Palmyréne du nord-ouest, Paris, 1951, p.87.

بداية من العصر الروماني وفى بعض الأحيان يظهر الإله بعلشمين فى هيئة نسر إلى جوار الإله عجليبول وملكيبول وهما الإلاهان المصاحبان للإله بعل(١).

معبد الإله نبو

فى الجنوب الغربى من قوس النصر على الشارع الرئيسي مباشرة يقع معبد الإله نبو Nebo، ويأخذ المعبد شكل شبه المنحرف الذي يتسع كلما اتجهنا شمالا، ويقع مدخل المعبد إلى ناحية الجنوب والمدخل عبارة عن بوابة ضخمة وللمبنى مدخل أخر ضيق من الناحية الشمالية عند الشارع الرئيسي (شكل ٧٨ - ٧٩). ويحيط المعبد ساحة كبرى أقيمت فى جهاتها الشمالية والجنوبية والغربية أروقة أعمدة تلتف حول الساحة، بوابة الساحة تحتوى على ستة أعمدة من الطراز التوسكانى ووجود هذا الطراز ليس غريبا فى المقاطعات الرومانية.(٢)

وفى وسط الساحة ينتصب مدخل من الأعمدة الكورنثية فوق مصطبة مرتفعة يكون بناء المعبد الذي يمتد عبر حائطين بينهما سلم يؤدى إلى مدخل المعبد حيث يؤدى هذا المدخل إلى البناء الرئيسي للمعبد المكون من حجرة كبيرة تليها حجرة مستطيلة صغيرة هى قدس الأقداس. ويحيط بالمعبد ستة أعمدة فى الجانب العرضي واثنا عشر عمودا فى الجانب الطولي وهو بذلك يتبع الطراز الأرخي فى البناء.

ويتقدم الهيكل مذبح عبارة عن شكل معبد صغير يحيطه أثنا عشر عمودا وهى على الطراز الكورنثى. وهذا المذبح يقع على نفس محور قدس

---

(١) جان – مارى دنتز، المرجع السابق، ص ص ٧٣ – ٧٤.

(٢) Odenthal, *op.cit.*, pp. 310-311.

الأقداس داخل المعبد[١]. ومن المعروف أن الإله نبو كان رسول الكتابة ورب الحكمة، وكان فى نظر الإغريق نظيرا للإله أبوللو.

وقد اكتشفت فى منطقة معبد نبو خلال عام ١٩٦٦ لوحة منحوتة رائعة محفوظة فى متحف دمشق الوطني (شكل ٨٠) وهى تمثل الإلهة البابلية عشتار جالسة على مبنى ربما يعبر عن مدينة تدمر[٢] وإلى جوارها تقف إلهه تحمل فى يدها غصنا من الزيتون وفوق رأسها تاج يشبه الحصن وترتدى ثيابا من نفس الطراز الذي نراه في فنون سوريا ذات الشكل الانسيابي وربما تكون هذه الإلهة هى الإلهة جاد أو الإلهة تيخى الإلهة الحامية لمدينة بالميرا. وإلى يمين الإلهة عشتار يقف نسر فوق قاعدة مرتفعة ويمسك فى منقاره أحد الأغصان.

شارع الأعمدة

يحتوى شارع الأعمدة –الشارع الرئيسي فى المدينة– على كل المباني الهامة فى المدينة ويقطع هذا الشارع المدينة بكاملها ولكن ليس فى شكل مستقيم وإنما يكون زوايا في بعض الأماكن. ويبدأ هذا الشارع ببوابة فخمة يطلق عليها بوابة هادريان ويبلغ طول هذا الشارع[٣] الذى تحف به الأعمدة من الجانبين أكثر من كيلو متر (شكل ٨١-٨٧). وإلى الناحية اليسرى منها نرى أربعة أعمدة كورنثية الطراز وهى تمثل مدخل الشارع الرئيسي، هذه الأعمدة تقف على قواعد مربعة، وهى تمثل واجهة لمعبد آلهة المياه Nymphaeum

(١) Odenthal, *op.cit.*, p. 311.

(٢) Colledge, M., A., R., The Art Of Palmyra, London, 1976, p. 48, Fig. 38.

(٣) Stierlin, *op.cit*, p. 131, Abb. 107.

وتوجد قواعد بارزة من هذه الأعمدة كانت مخصصة لحمل التماثيل، ولا تزال إحدى هذه القواعد ماثله حتى الآن. ويماثل شكل البوابة ذات القوس المرتفع المتوسط والأقواس المنخفضة الجانبية شكل الشارع ذو الأروقة الجانبية[١].

ويتجه الشارع الرئيسي من الجنوب إلى الشمال ثم يعرج نحو الشرق حيث يتقاطع فى ميدان به التترابيل Tetrapylon[٢] الذي يحدد زاوية الشارع حيث يتقاطع الشارعان الرئيسيان في المدينة وبالتالي فهو صرح ومعلم لمركز المدينة يتألف هذا الصرح (شكل ٨٨-٨٩) من مصطبة ضخمة تقوم فى زواياه الأربعة قواعد عالية تحمل كل منها أربعة أعمدة مرتفعة من الجرانيت يعلوها سقف له كورنيش وإفريز، وفى وسط المصطبة كان يقوم تمثال ضخم على قاعدة.

ولابد أن الشارع الرئيسي كان يحتوى على مخازن التجار وكانت الأروقة التى تتقدم مخازن التجار يتجاوز عرض كل منها ستة أمتار، أما الشارع نفسه فيصل عرضه إلى أكثر من عشرة أمتار. وعند بداية الشارع الرئيسي المتجه الآن من الغرب إلى الشرق نجد على الناحية اليمنى أربعة أعمدة جرانيتية ربما استوردت من مصر، كانت جزءا من تكوين بناء الحمامات المتبقي منه اليوم فقط عدة أحواض للمياه وحجرات للتسخين ترجع إلى عصر الإمبراطور دقلديانوس[٣].

(١) Odenthal, *op.cit.*, p. 312.
(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 135, Abb. 109.
(٣) Odenthal, *op.cit.*, p. 314.

مسرح تدمر

إلى الجنوب من الشارع الرئيسي يقع مركز مدينة تدمر حيث المسرح والأجوار (السوق)، ويحدد المسرح بوابتان كبيرتان، وخشبة المسرح تظهر متوازية تماما مع الشارع الرئيسي. وجدير بالذكر أنه لا توجد أي مدينة يونانية بدون مسرح، فالمسرح يعد من أهم المعالم في حياة الشعب حيث يتم عن طريقه تناقل الآراء وتبادل الخبرات.

ومسرح تدمر (شكل ٩٠-٩٢) مبني على الطريقة الرومانية أي استخدم في بنائه الطوب المستطيل الصغير ويفصل بين الصفوف أحجار كبيرة وبه بوابة ذات جمالون. ويقع مسرح تدمر في مكان هام حيث يتوسط السوق العامة ويحتل مركز المدينة على جانب الشارع الرئيسي. وليس من المعتاد أن يقام مسرح في مثل هذا المكان ولكن صغر حجم المسرح أتاح ذلك[١].

كانت الأوركسترا مكسوة بالبلاط وعلى جانبي الأوركسترا يوجد مدخلان رئيسيان يدخل منهما المتفرجون إلى المدرجات وقطر الأوركسترا المستديرة بين الخشبة والمدرج لا يتجاوز العشرين مترا. ويأخذ المدرج الشكل النصف مستدير ولم يبق من صفوف المقاعد إلا ١٣ صفا[٢] وهناك درج ضيق Paradoi للصعود والنزول يخترق صفوف المقاعد ويقسمها إلى أحد عشر قسما، أما المدخل الرئيسي للمشاهدين فيقع في منتصف المدرج[٣].

أما واجهة خشبة المسرح (شكل ٩٣) فهي ذات شكل بديع حيث يبلغ عرض الخشبة مع الكواليس مقدار ١٠,٥م ويصل طولها إلى ٤٨ متر. واجهة

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص١١٥.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 126, 131, Abb. 123.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, pp. 313-314.

الكواليس غنية في صياغتها المعمارية حيث يتجوف فيها محرابان وفي كل محراب تنتصب عدة أعمدة حاملة كورنيشا فوقها، ونجد أيضا الواجهات المثلثة الشكل[١].

وبين خشبة المسرح والمدرج نجد ممر ذات سقف قبوي على كل جانب يسمح بمرور الناس إلى المسرح ثم إلى الممرات الطولية Paradoi الخاصة بالمسرح. وهذا المسرح في تدمر مثله مثل المسارح السورية الأخرى يرجع إلى القرن الثاني الميلادي ولابد أن المسرح في تدمر كان يقوم بدور سياسي واجتماعي هام في تاريخ المدينة[٢].

الأجورا(سوق المدينة)

تقع الأجورا إلى غرب مسرح تدمر على أحد جوانب الشارع الرئيسي. والأجورا هي المكان الذي كان يخدم سكان المدينة والبدو القادمين من أطراف المدينة، وكان موقع هذه السوق يسمح بالوصول إليها من كل مكان في المدينة بدون عناء. وهي تخدم سكان تدمر والوافدين إليها من التجار حيث تتم عملية البيع والشراء والتجمع السكاني للأهالي[٣].

وترجع أقدم النقوش في السوق إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي. وفي عصر الإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م) تم زيادة مساحة السوق نتيجة للازدهار الاقتصادي الذي حدث في هذا العصر[٤].

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص٢٤٤ شكل ١٥٧.

(٢) Odenthal, *op.cit.*,p. 314.

(٣) Ibidem, pp. 314-315.

(٤) Ibidem, p. 315.

والأجورا في تدمر عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل مساحته ٧١م طولا و٤٨م عرضا محاطة من الداخل بأروقة ظليلة وعلى أعمدتها نجد القواعد البارزة لحمل تماثيل كبار قواد الجيش والقوافل والوجهاء في الدولة والمدينة ومجلس الأعيان، كذلك نجد عددا وفيرا من المجاريب[١].

في الجزء الشمالي من السوق توجد نافورتان، وكذلك مصطبة عالية مخصصة للخطباء. ويوجد بالأجورا ١١ مدخلا لتسهيل دخول وخروج الجموع الكبيرة من الناس. وكانت الأروقة على جوانب السوق تستخدم كحوانيت أو أماكن لعرض لوحات الفنانين أو كمستشفيات أو فنادق أو أماكن للراحة والاسترخاء[٢].

ويجاور الأجورا مبنى عام كان يقام فيه حفلات الولائم الدينية ولا يشترك في مثل هذه الولائم من لا يحمل بطاقة دعوة في هيئة قطعة فخارية مختومة. وبالقرب من الأجورا أيضا يقف مبنى مجلس الشيوخ الذي يتوسط ساحة محاطة بالأروقة[٣].

المنازل في تدمر

تقع المنازل خارج سور المدينة الذي بناه الإمبراطور جستنيان في القرن السادس الميلادي ولكن لم يكشف سوى عدد قليل من هذه المنازل. تقع هذه المنازل (شكل ٩٤) إلى الشرق من معبد بل وقد ازدهرت هذه المنازل في القرن الثالث الميلادي.[٤]

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٦.

(٢) نفس المرجع، ص٢٥٠ شكل ١٦٤.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p. 315.

(٤) Ibidem, p. 316.

وتكمن أهمية هذه المنازل في لوحات الفسيفساء المكتشفة في أرضيات حجرات المنازل ومن أهمها:

١-لوحة تمثل الإله عشتار البابلية[١] وهي تمسك سنابل القمح وهـو رمـز لخصوبة أراضي المنطقة التي كانت من أكثر المناطق خصوبة في بـلاد الرافدين والشام.ونلاحظ أن الطراز الفني لهذه اللوحة مميز مـن خـلال تصوير الملابس وملامح الوجه وهي مختلفة عن بلاد الرافدين من خلال ثراء القطعة فنيا وميلها إلى الطابع الزخرفي[٢].

٢-لوحة من الفسيفساء (شكل ٩٥) تمثل الإله اسكليبيوس (إله الطـب عنـد اليونانيين) حيث نجد أن الإله مصورا جالسا على كرسي ويمسك العصـا المميزة له التي يلتف حولها الثعبان وهو نفس النمط الذي صور به فـي مختلف المناطق سواء في مصر أو غيرها. واسم الإله مكتوب بالحروف اليونانية حول رأس الإله، ويضع الإله عباءته فوق الكتف الأيسر نـاظرا إلى المشاهد.

المنظر الرئيسي داخل إطار مثمن الأضلاع يحيـط بـه عـدد مـن الإطارات ذات الأشكال الهندسية وبعض الزخارف الشـرقية مثـل الحبـال المتداخلة[٣].

النصب التذكاري

وهو عبارة عن عمود منفرد يسمو عاليا بين معبد الإله بعل ونبع أفقا، وتشير الكتابة المنقوشة عليه أن مجلس الشيوخ أقام هذا النصب التذكاري فـي

---

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 148, Abb. 120.

(٢) Colledge, *op.cit.*, p. 48, Pl.38.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٤٨ شكل ١٦٢.

Colledge, *op.cit.*, p.105, 141.

عام ١٣٩م تكريما للمواطن باريكى والمواطن مقيموا لما قدماه من خدمات جليلة للمدينة وهذا العمود عرفانا من حكومة تدمر بجميلهما أو فضليهما(١).

معسكر دقلديانوس

يقع عند أحد الشوارع الفرعية التي تتفرع من شارع الأعمدة الرئيسي في اتجاه الجنوب الغربي وهو أيضا محاط بالأروقة المحمولة على أعمدة، وفي هذا الشارع الفرعي كان يقوم ما يسمى بمعسكر دقلديانوس، وقد سمي كذلك لأن تصميمه المعماري يشبه تصميم قصر دقلديانوس الباقية أثاره في سبوليتو بيوغوسلافيا السابقة(٢).

ويمكن الوصول إلى داخل البناء (شكل ٩٦) من باب الحراس، ويلي هذا الباب صرح يشبه صرح التترابيل، ثم تأتي ساحة كبيرة بها معبد صغير يسمى معبد الأعلام ومعبد آخر كان مكرسا لعبادة الإلهة اللات ويرجع تاريخ هذا المعبد في فترته الأولى إلى نهاية القرن الأول ق.م(٣)، وفي عصر الإمبراطور هادريان تم بناء المعبد الحالى على أنقاض المعبد القديم وكان قدس الأقداس مكونا من حوائط بينهما أعمدة مربعة ويتقدمه صالة أمامية بها ستة أعمدة. وكان تمثال الإلهة أثينا الذي يوجد في قدس الأقداس يقابل الإلهة اللات الفينيقية(٤).

ويحيط سور المدينة بمعسكر دقلديانوس من جهاته الثلاثة. وقد تم بناء هذا السور في عصر الإمبراطور جستنيان في القرن السادس على أنقاض

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص٢٥١ شكل ١٦٧.

(٢) نفس المرجع، ص ١١٧.

(٣) Michalowski, *op.cit.*, pp. 25-26.

(٤) Odenthal, *op.cit.*, p. 317.

جزء من سور الملكة زنوبيا الذي هدمه الرومان في عام ٣٠٠ ميلادية. ويبلغ طول سور المدينة حوالي ١٢كم وهو مزود بأبراج مربعة، وقد شمل سور جستنيان بعضا من دور تدمر التي كانت خارج الأسوار. ويرجع تاريخ معسكر دقلديانوس إلى الفترة من٢٩٣ إلى ٣٠٣م استنادا إلى النقوش التي اكتشفت في هذه المنطقة.[١]

مقابر تدمر

سميت المقابر في تدمر دار الأموات (شكل ٩٧)، وتقع في نهاية الشارع الأعظم الرئيسي وكالعادة كان يتم دفن الأموات خارج المدينة والأسوار، وتنتشر المقابر في الشمال وفي الشمال الغربي والجنوب الغربي والجنوب الشرقي للمدينة.

ونظرا لازدياد عدد السكان في تدمر وبالتالي ازدياد عدد الأموات، ورغبة في دفن الموتى في مقابر لائقة تتصف بالهيبة والاحترام فقد أكثر الناس من تهيئة المقابر الجماعية إلى جانب المقابر الفردية. لذا فقد أخذت المقابر أشكالا مختلفة في تدمر على النحو التالي[٢]: مقابر على هيئة سراديب، مقابر على هيئة أبراج مرتفعة متعددة الطوابق.

١- مقابر على هيئة سراديب

ومن بين المقابر التي ترجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي نذكر منها ما يسمى بدار الموتى ومدفن أرليوس ماروثا وكلاهما لأفراد أثرياء كانوا قد جمعوا ثرواتهم أثناء فترة الازدهار التي شهدتها تدمر. والمدفن يبدو في تصميمه الخارجي قريبا من شكل هيكل المعابد، فقد كان له أروقة تحف

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥١ شكل ١٦٦.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٧.

بجوانبه الأربعة، وفي عصر متأخر فقد المدفن وظيفته كمقبرة واستخدم دارا للسكن. أما المقابر التي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الميلادي فقد ظهر عدد منها أثناء مد خط أنابيب البترول القادم من شمال العراق(١).

مدفن الاخوة الثلاثة

ومن بين مقابر القرن الثاني مدفن الأخوة الثلاثة(٢) الواقع إلى الجنوب الغربي من المدينة، وقد ذاع صيت هذا المدفن لما يحتويه من رسوم ملونة على الجدران ويرجع تاريخها إلى الفترة ما بين ١٦٠-١٩١م(٣)، وهناك أجزاء منها ترجع لبداية القرن الثالث الميلادي(٤).

ومخطط هذا المدفن (شكل ٩٨) عبارة عن نفق مفتوح ينحدر نحو باب حجري منحوت وعلى عتبة الباب يوجد نقش باسم الأخوة الثلاثة وهم مالي وسعداى ونعمان، ويذكر النقش أن هؤلاء الثلاثة هم الذين أمروا ببناء هذا المدفن في عام ١٤٤م.

وقد صمم مخطط هذا المدفن على شكل حرف T وفي هذه الممرات الثلاثة ست حفر مستطيلة غائرة في قلب الصخر وتتكرر مثلها بعد كل متر تقريبا، وكانت هذه الحفر مخصصة لاحتواء رفات الأموات ويبلغ عدد تلك الحفر ٣٩٠ حفرة وكانت تسمى في منطقة الشام "المعازب"، هذا بالإضافة إلى وجود توابيت حجرية تكثر المنحوتات الفنية

(١) Odenthal, *op.cit.*, p. 319.
(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 160.
(٣) Colledge, *op.cit.*, pp. 84 –87, pls.115-116.
(٤) Ibidem, pp. 86 –87, pl. 117.

على أسطحها الخارجية. وكانت تلك الفتحات تسد بلوحة حجرية تحمل نحتـا بارزا للنصف العلوي للراقد في الحفرة.[١]

ومن الملفت للنظر كثرة عدد الراقدين في هذا المكان، وربما يرجـع السبب في ذلك إلى أن الأخوة الثلاثة قد أسسوا هذه المقبرة لتكـون مثواهـم الأخير وأفراد عائلتهم وورثتهم بعد الموت ولكنهم فكروا في استثمارها تجاريا أثناء وجودهم على قيد الحياة وذلك لدفن العامة من الناس مقابل مبلغ معين من المال.

وفي عدد من مقابر تدمر كانت توجد لوحات منحوتة تمثل المتوفـى مستلقيا على سريره ويستند على وسادات في لحظة يتناول فيها وليمة الأموات مع أفراد أسرته الأحياء.[٢]

ومن أشهر اللوحات المنحوتة نحت بارز (شكل ٩٩) في أحد مدافـن تدمر يمثل زوج وزوجة واسم كل منهما محفور بأحرف تدمرية وهي موجودة في المتحف الوطني بدمشق فالزوج والزوجة مصوران في شكل نصفي، ونجد أن ملامح السيدة تميل إلى الشكل الرجالي وهو طابع سوري معروف ويقفـون في وضع المواجهة للمشاهد وعلى وجههما مسحة حزن واضحة تعكس رهبـة المكان[٣].

كذلك توجد رسوم ملونة على جدران مدفن الأخوة الثلاثة في المقـبرة الجنوبية الغربية وتتألف الرسوم التي نفذت في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي من أشكال حيوانات في أسفل الصورة ومـن شـكل معيـن داخـل

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٨.

(٢) Odenthal, *op.cit.*, p. 321.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥٣ شكل ١٧١.

مستطيل في أعلى الصورة ثم أشكال بشرية، وفي وسط المساحة المستديرة شكل نصفي لرجل أو امرأة، ثم نرى في يسار الصورة شكل امرأة وطفل. وكان سقف المدفن مزينا بالرسوم الملونة بهدف محو الشكل الحجري للمقبرة، وهي طريقة شائعة في تغطية جدران المقابر بالرسوم الجدارية.(١)

وبالرغم من الأسلوب الهللينستى العام للرسوم إلا أن الذوق المحلي والتقاليد الفنية الشرقية يتجليان بوضوح تام وخاصة الميل إلى رسم الأشخاص في وضع أمامي، وعلى هذا النهج نفذت الرسوم في دورا أوروبوس على نهر الفرات.(٢)

وهناك نوع آخر من الدفن في تدمر وهو فتحات للدفن تشبه فتحات الـ Loculi في المقابر الرومانية وهي عبارة عن حائط منحوت بداخله فتحات داخل الصخر بشكل أرفف توضع بها جثة المتوفى وتغلق بلوحة حجرية عليها اسم المتوفى ووظيفته وأدعية دينية جنائزية. وكانت هذه الفتحات تتكون من ثلاثة صفوف أو أكثر في الجدار الواحد وفي بعض الأحيان يبرز من سطح اللوحة الحجرية نحت بارز يمثل النصف العلوي للمتوفى الراقد داخل هذه الفتحات(٣).

٢- المقابر على هيئة أبراج

تعتبر المقابر التي شيدت على هيئة أبراج من ابتكارات شعوب بلاد الشام وذلك لأن مثيلاتها موجودة بكثرة في منطقة الفرات وفي حوران.

---

(١) Colledge, *op.cit.*, pp. 84 – 87 pl. 115.

(٢) Perkins, *op.cit.*, p. 90.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ١١٨.

وتوجد أهم المقابر البرجية في الجانب الغربي من تدمر في المنطقة المسماة وادي القبور[١].

وتتميز هذه المقابر بأنها مربعة الشكل ومؤلفة من عدة طوابق وكل طابق يحوي العديد من الدفنات. وهناك درج يصعد من طابق إلى آخر. وجدير بالذكر أن أكثر هذه المقابر مزين بالزخارف والصور المنفذة بواسطة النحت أو الألوان. وتؤرخ أقدم المقابر البرجية في تدمر بالقرن الأول الميلادي وهي مرتبطة بسرداب أو مدفن تحت الأرض[٢].

ومن أشهر تلك المقابر البرجية في وادي القبور في تدمر مدفن كيتوت بن تيمارصو (شكل ١٠٠) الذي يرجع إلى عام ٤٠م، ويوجد على ارتفاع عشرة أمتار من مستوى سطح الأرض، وبه نحت بارز على جداره يمثل وليمة جنائزية وهو أقدم نحت يمثل هذا المشهد في تدمر، ففي مقدمة النحت يستريح الأموات وخلفهم يقف ثلاثة من أفراد العائلة الأحياء، وهما زوجة المتوفى وولداه ثم خادم الدار، ويرافق كل شخص من هؤلاء الأشخاص اسمه محفور بأحرف تدمرية. ويحيط بالمشهد قوس تزينه سلسلة من أغصان الكروم وعناقيد العنب.[٣]

والمثال الثاني هو مدفن جمليكو (شكل ١٠١) المؤرخ بعام ٨٣م حيث يبرز هذا المدفن من بين المدافن البرجية الرابضة على ربوة في وادي القبور، وهو أكبر المدافن المجاورة له في الارتفاع وأغناها في الزخرفة والزينة.[٤]

(١) أحمد فخري، المرجع السابق، ص٥٦.

(٢) Colledge, *op.cit.*, p. 60 pls. 55-57.

(٣) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥٤، شكل ١٧٢.

(٤) Stierlin, *op.cit*, p. 162.

والمثال الثالث هو مدفن ايلاخبيل (شكل ١٠٢) في وادي القبور ويؤرخ بعام ١٠٣م ويتألف من خمسة طوابق وعلى واجهة الطابق الثالث يوجد تابوت حجري بين محورين مربعين يعلوهما قوس[1].

مدينة انطاكية

ترجع فكرة إنشاء مدينة انطاكية[2] إلى الإسكندر الأكبر نفسه حيث أنه بعد انتصاره في معركة أسوس على خليج الأسكندرونة في أكتوبر عام ٣٣٣ق.م تقدم الإسكندر زاحفا إلى فينقيا، وفي أثناء الطريق توقف عند مكان شرقي الموقع الذي قامت عليه انطاكية بعد ذلك، وكانت توجد بجانب الجبل عين ينبع منها ماء عذب شرب منه الإسكندر وقال أنه يضارع لبن أمه مما دعاه إلى أن يطلق على هذا النبع اسم أمه أوليمبياس وأمر بإقامة نافورة في هذا المكان[3].

وعندما رأى الإسكندر جمال موقع انطاكية أراد أن يبني مدينته هنالك إلا أنه لم يستطيع ذلك نتيجة انشغاله بمواصلة الزحف نحو سوريا ومصر.

---

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ٢٥٥ شكل ١٧٤.

(٢) تقع مدينة انطاكية حاليا في لواء الإسكندرونة الواقع داخل حدود تركيا الحالية، والأسكندرونة أحد مشكلات الانتداب الفرنسي على سوريا حيث كانت تشكل لواء سوري أقتطع منها منذ يونيو عام ١٩٣٩ وضم إلى تركيا، وجدير بالذكر أن تركيا قد تنازلت عنه عام ١٩٣٢ ثم عادت وطالبت به عام ١٩٣٨ ثم تنازلت فرنسا عنه لتركيا عام ١٩٣٩.

أنظر: أحمد عطيه الله ، القاموس السياسي، القاهرة،١٩٨٠، ص ٨٤.

(٣) جلانفيل داوني، انطاكية القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧، ص٤٤.

ولكنه مع ذلك فقد أقام معبدا أطلق عليه اسم معبد زيوس بوتيايوس وحصنا أطلق عليه اسم إماثيا.

ويذكر مالالاس قرية تسمى "بوتيا" بالقرب من نهر العاصي، حيث أنشأ الملك سلوقس مدينة إنطاكية فيما بعد[1].

وبعد وفاة الإسكندر الأكبر عام ٣٢٣ ق.م آلت سورية إلى سلوقس، وقد شرع سلوقس في إنشاء أربع مدن في الجزء الشمالي الغربي من سورية وهو الإقليم الذي سمى الإقليم السلوقى، هذه المدن كانت إنطاكية وسلوقية وأفاميا واللاذقيه وقد أطلقت عليها هذه الأسماء نسبة إلى الملك سلوقس نفسه وبعض أفراد أسرته.

وهذه المدن الأربع كانت عبارة عن مينائين تقابلهما مدينتان فى الداخل. وإنشاء هذه المدن الأربع ينم عن وجود خطة موحدة لتصميمها، فتخطيط شوارع مدينتين منهما وحجم رقعات المباني في كل من إنطاكية واللاذقيه توحي بأنهما كانتا من تصميم مهندس معماري واحد. وكانت سلوقية أصلا المقر الملكي الرئيسي للسلوقيين والعاصمة الكبرى في شمال غرب سوريا، ولكن انطاكية سرعان ما فاقتها وطغت أهميتها عليها وعلى سائر المدن في الإقليم السورى. وكان إنشاء هذه المدن الأربع جزءا من الخطة الاستعمارية التي استهدفت إقامة المقدونيين والإغريق فيها ضمانا لسيادة الدولة الجديدة[2].

---

(١) نفس المرجع، ص٤٤.

(٢) نفس المرجع، ص ص ٤٥-٤٦.

وقد بنيت مدينة إنطاكية على النظام الهيبودامى ذو التخطيط الشبكي (شكل ١٠٣) الذي أبتدعه هيبوداموس من ميليتوس والذي استخدم في تخطيط كثير من مدن العصر الهللينستى وعلى رأسها الإسكندرية[١].

ويوحى تماثل وحدات المبانى فى كل من إنطاكية واللاذقيه بالتزام تطبيق نموذج بعينة في التخطيط، فمساحة كل وحدة من وحدات المباني في مدينة انطاكية تبلغ أبعادها ٣٦٧ × ١٩٠ قدما في حين تبلغ في مدينة اللاذقية ٣٦٧ × ١٨٦ قدم. ومن الملفت للنظر أن الشوارع في إنطاكية لم يكن لها صلة بالنهر حيث يتوقع أن يكون المحور الطولي للشارع الرئيسي موازيا للنهر، ولكن اتجاهات الشوارع قد حددت بدقة بالغة من حيث اعتبارات الشمس والرياح السائدة فقد خططت الشوارع بحيث تفيد من مزايا الظل في الصيف والشمس في الشتاء، وقد راعى المهندس في اتجاهات الشوارع الرئيسية الممتدة مع المحور الطولي أن تتيح لها استقبال النسيم الذي يهب صيفا بانتظام من البحر إلى وادي نهر العاصى[٢].

ويحدثنا بعض الكتاب القدامى عن المباني العامة التي أقيمت عندما أنشئت المدينة، ومنها معبد زيوس بوتيايوس الذي شيده الملك سلوقس كما حدثنا المؤرخ مالالاس، ولا بد كذلك من أنه كانت هناك معابد أخرى وحمامات عامة وبعض المنشآت الإدارية والعسكرية. ولم يرد إلينا أي دليل على وجود مسرح بالمدينة مما يدعونا إلى الدهشة، وكذلك لا نعرف متى شيدت القناطر التي تحمل قناة لجلب الماء العذب من مدينة دفنه[٣].

(١) جلانفيل داونى، انطاكية فى عهد ثيودوسيوس، ترجمة: البرت بطرس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٨، ص ص ٣٨ – ٣٩.

(٢) داونى، انطاكية القديمة، ص ٥٠.

(٣) نفس المرجع.

ومن أشهر التماثيل التي وجدت في إنطاكية تمثال الإلهة تيخي إلهة الحظ حيث ساد الاعتقاد في العصر الهللينستى بوجود قوة خارقة تتحكم في مصائر البشر[١]. وقد عهد الملك سلوقس إلى النحات الشهير يوتوخيدس من سيكيون -وهو أحد تلاميذ ليسيبوس، فنان الإسكندر الأكبر- بصنع تمثال الحظ لانطاكية فيما بين ٢٩٦ - ٢٩٣ ق.م وأصبحت هذه الإلهة هي الإلهة الحامية لمدينة إنطاكية وكذلك حارسة الملك. وقد صور يوتوخيدس التمثال على أنه رمز النجاح والخصب والرخاء مما صادف رواجا عميقا في مدن الشرق[٢].

والتمثال الأصلي كان مصنوعا من مادة البرونز (شكل ١٠٥) وكانت الإلهة مصورة برداء طويل جالسة على صخرة تمثل جبل سيلبيوس وهي تستند بيدها اليسرى على الصخرة، وتمسك في يدها اليمنى حزمة من القمح رمزا لرخاء وخصوبة المدينة وفوق رأسها تاج على هيئة قلعة أو برج يمثل سور المدينة، وتحت قدميها سباح عار يرمز إلى نهر العاصي. وللأسف فقد زال هذا التمثال ولم يعد هناك إلا التمثال الرخامي الصغير الموجود في متحف الفاتيكان فهو أقرب النسخ الشبيهة بالأصل الذي صنعة الفنان يوتوخيدس Eutychides[٣].

وهناك تمثالان آخران لهما أهمية خاصة فيما يتعلق بنشأة انطاكية وهما تمثالا زيوس وأبوللو بوصفهما مؤسسي وحاميي الأسرة السلوقية، وكان سلوقس يتشبه رسميا بالإله زيوس في حين تشبه ابنه أنطيوخوس بالإله أبوللو[٤].

---

(١) Plinius, Historia Naturalis XXXIV, p. 51.

(٢) Dohrn, T., Die Tyche von Antiochia, Berlin 1960, pp. 23-25.

(٣) Pausanias, VI, 2, 7.

(٤) داونى، انطاكية القديمة، ص ٥٢.

انطاكية في العصر الروماني

حينما أستولي القائد الروماني بومبيوس عام ٦٣ ق.م علـــى ســوريا وحولها إلى ولاية رومانية كانت انطاكية هي أكبر المدن في الجزء الشـــمالي الغربي من سورية وعاصمة السلوقيين ومركزا تجاريا هاما، لذا ظلت إنطاكية هي أيضا عاصمة الولاية الرومانية الجديدة.

وقد أعطى بومبيوس مدينة إنطاكية قدرا من الحرية حيث كان يســمح لها بإدارة بعض شئونها الداخلية، غير أن جميع الأمور الهامة كـــانت تحـت الإشراف الروماني. وسرعان ما وطد الرومان نفوذهم في سورية، وبادر كثير من التجار الرومان إلى توطيد أقدامهم في إنطاكية. وفى عام ٤٨ ق.م كـــانت جالية المواطنين الرومان المشتغلين بالتجارة في المدينة جالية مزدهـــرة ذات نفوذ قوى.[١]

وحينما نشبت الحرب الأهلية في عام٤٩ ق.م بين يوليـــوس قيصـــر ومجلس الشيوخ وهزيمة بومبيوس أمام قيصر في معركة فرسالوس عـــام ٤٨ ق.م أعلن أهل إنطاكية عدم مناصرتهم لبومبيوس، ووقوفهم مع قيصر.[٢]

وقد قام قيصر بإنشاء مجموعة من المباني العامـــة الشـــهيرة وكـــان أشهرها البازيليكا التي أطلق عليها اسمه فسميت "قيصريون" وهى أقدم بازيليكا في الشرق، وقد بنيت في مواجهة معبد الإله أريس في وسط المدينة، وكـــانت تحتوى على فنار مكشوف وقاعة مستطيلة بها محراب كبير. وكان يقوم خارج القاعة تمثال قيصر وتمثال تيخى روما، ويعكس وجود هذين التمثالين اتجـــاه قيصر إلى صبغ الإمبراطورية الشرقية بالصبغة الرومانية وميله إلي إضفـــاء

---

(١) Dawney, G., A History of Antioch in Syria from Seleucus to the Arab Conquest, Princeton, 1961, p.153.

(٢) داونى، انطاكية القديمة، ص ١٠٣.

طابعا جديدا على عناصر العبادة الهللينسية للحاكم وعناصر العبادة الرومانية لتشخيص روما. وقد تطورت هاتان العبادتان فيما بعد على يد أوغسطس بإنشائه العبادة الرسمية لروما وأوغسطس.

وقد أمر قيصر بإعادة بناء البانثيون في انطاكية وكذلك إقامة مسرح جديد على منحدر الجبل وإنشاء مدرج Amphitheater على منحدر الجبل، وتشييد قناطر تحمل الماء لسد حاجة الأهالى، وإنشاء حمام عام في الجزء الأعلى من الجبل بحيث يتزود بالمياه من خلال هذه القناطر.(١)

وتتجلى السياسة الرومانية في إدخال أسلوب الحياة الرومانية إلى الشرق الإغريقي بوضوح في إنشاء المدرج لإقامة مباريات المبارزة والألعاب الرياضية الوحشية. ومن بين الأحداث الهامة الكبرى التي شهدتها انطاكية في عهد أوغسطس إنشاء حفل الألعاب الأوليمبية المحلية، الذي أصبح بمرور الزمن من أشهر الحفلات في العالم الروماني. وقد أمتاز عصر الإمبراطور أوغسطس بتنفيذ العديد من المشروعات في إنطاكية مما ساهم في تحويل انطاكية إلي عاصمة رومانية، وظل إنشاء هذه المشروعات في عصر الإمبراطور تيبريوس.(٢)

وقد شهدت مدينة إنطاكية نهضة شاملة فيما يخص إقامة المباني في عهد الملك هيرودوس ملك اليهود وأجريبا. وقد أقترن باسم أجريبا حي جديد في المدينة أطلق عليه اسم منشئة، وكان هذا الحي يشتمل على حمام عام

---

(١) داونى، انطاكية القديمة، ص ١٠٤.

(٢) داونى، انطاكية فى عهد ثيودوسيوس الأكبر، ص ص ٤١-٤٣.

(شكل ١٠٤). كذلك أضاف صفوفا جديدة من المقاعد إلى مسرح المدينة مما يدل على زيادة في عدد السكان في عهده.[١]

ومن أهم إنجازات هذا العصر إنشاء شارع عظيم على جانبية بوائك الأعمدة ويبلغ طول الشارع ميلين رومانيين وهو يخترق المدينة على امتداد مسار الشارع الهللينستى السابق عليه، وكان هذا الشارع هو الشارع الرئيسي في انطاكية وكان سببا في ذيوع شهرة هذه المدينة، وقد أشترك كل من هيرودوس ملك اليهود في رصف الشارع ثم تولى الإمبراطور إنشاء البوائك المسقوفة التي كانت تصطف على جانبي الشارع، وكذلك إنشاء بوابات ذات أربعة ممرات Tetrapylon عند تقاطع هذا الشارع مع كل شارع رئيسي وكانت هذه البوابات مغطاة بسقوف حجرية ذات قباب مقامة على أربعة أعمدة، يقوم واحد منها عند كل ركن من أركان التقاطع، وقد بلغ أتساع مسار الشارع نحو ٣١ قدما وأتساع كل من الرواقين الممتدين على الجانبين نحو ٣٢ قدما.[٢]

ومن أعمال الإمبراطور تيبريوس في إنطاكية إتمام بناء وتحسين حي إيبافانيا[٣] وكذلك إقامة ثلاثة معابد منها معبد الإله جوبيتر كابيتولينوس وكان هذا المعبد قد شيده أنطيوخوس الرابع وقام تيبريوس بإصلاحه. كذلك أقام معبدا للإله ديونيسوس وكان يقوم أمامه تمثالان للديوسكوروى أمفيون وزيثوس أبناء أنتيوبى وزيوس، ويدل وضع هذين التمثالين على أن المعبد بنى فوق قاعدة مرتفعة يؤدى إلى سطحها عدد من الدرج. أما المعبد الثالث فقد

---

(١) داونى، انطاكية القديمة، ص ١١٠.

(٢) داونى، انطاكية فى عهد ثيودوسيوس الأكبر، ص ص ٣٨-٤٠.

(٣) هو الحى الذى أقامه الملك السلوقى أنطيوخوس الرابع إيبفانس، وأطلق عليه أسمه.

أنشئ للإله بان Pan وكان يقوم خلف المسرح. وقد تمت توسعة ثانية للمسرح في عهد الإمبراطور تيبريوس مما يدل على ازدياد عدد سكان المدينة، وكانت التوسعة الثالثة في عصر الإمبراطور تراجان.[١]

ومن أهم الأعمال في عصر تيبريوس البوابة الشرقية التي أقيم علـــى قمتها -رمزا للسيادة الرومانية- تمثال من الحجر للذئبة وهى ترضع التوأمين رومولوس وروموس. وكانت هذه البوابة مقامة عند الطرف الشرقي للشـــارع الرئيسي ذات الأعمدة. واعترافا بفضل الإمبراطور تيبريوس على المدينة فقد أقام مجلس الشيوخ وأهل انطاكية تمثالا من البرنز فوق عمود في ميدان فسيح يقع في الشارع ذات البوائك[٢].

وقد كانت انطاكية طوال مراحل تاريخها مـــن أجمـــل مـــدن العـــالم الهللينستى والروماني مما دعا المؤرخ أميانوس ماركللينوس الذى كتب مؤلفة في الجزء الأخير من القرن الرابع الميلادي إلى القول بإن انطاكية -مســـقط رأسه- هي درة الشرق الجميلة.

وتدلنا الأرضيات المغطاة بالفسيفساء عن التاريخ الفني للمدينـــة منـــذ القرن الأول وحتى القرن السادس الميلادي، وقد اكتشفت هذه الأرضيات فـــي منازل خاصة ومبان عامة ولا سيما في الحمامـــات. وتكمـــن أهميـــة هـــذه الأرضيات ليس فقط في تتبع التاريخ الفني للمدينة بل أيضا في أنـــــها تمدنـــا بفكرة واضحة عن الحياة الفكرية والحياة اليونانية لأهالي انطاكية[٣].

---

(١) داونى، انطاكية القديمة، ص ١١٢.

(٢) Lassus, J. Antioch on the Orantos, in: The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton, 1976, p. 62.

(٣) داونى، انطاكية القديمة، ص ٢٥٩.

ومن خلال المكتشفات من أرضيات الفسيفساء في إنطاكية نستطيع أن نتبين كيف شاع الطراز السكندري المبكر في انطاكية مع خضوعه لتأثير المدرسة الأتيكية الحديثة التي تميزت بها آسيا الصغرى، وكذلك تأثير الطواز الفارسي على أرضيات انطاكية والذي نتج عن اتصال الفرس بانطاكية الذي كان أوثق من اتصالهم بأية مدينة أخرى من المدن الكبرى في العالم اليوناني الروماني.(١)

وتكشف الأرضيات عن تأثير الفن الفارسي في انطاكية، وذلك من خلال طرز الزخرفة وفى اختيار الموضوعات، ومثال ذلك استخدام إطار من رؤوس الكباش وهو إطار فارسي يرمز إلى الملكية وذلك في الأرضية المعروفة باسم العنقاء التي يظهر من خلال أسلوبها الزخرفي البحت تأثير النسق الشرقي في الزخرفة.(٢)

وجدير بالذكر أن أرضيات الفسيفساء في انطاكية كانت تقوم بدور كبير في تخطيط وزخرفة المنازل بجميع أنواعها سواء كانت مساكن متواضعة أم قصور للأثرياء. وفى حالة المساكن المتواضعة كانت الأرضيات تزخرف بنماذج هندسية أو مستمدة من شكل الأزهار، أما المنازل الأكثر أناقة فكانت تزخرف بأشخاص يحاطون برسوم هندسية.

وقد حرص الفنان في انطاكية أن يصمم وضع ومحتويات الفسيفساء ـ بوصفها جزءا من التخطيط المعماري للمبنى ـ بعناية شديدة بحيث ترى من كل جوانب الحجرة وتكون ملائمة لوضعها المعماري.(٣)

---

(١) Levi, D. Antioch Mosaic Pavements, Vol. I, Princeton, 1947, pp.43-47.

(٢) داونى، انطاكية القديمة، ص ٢٦٠.

(٣) Levi, *op.cit.*, pp. 83 – 87.

وكثيرا ما كانت أرضيات الفسيفساء تزين أحواض المياه والمنظر الخلفي للنافورات سواء في المنازل الخاصة أو في المباني العامة الكبرى مثل النيمفايون، فكانت هذه اللوحات تصور أسماكا وآلهة بحرية وكانت تبدو مظللة من أسفلها كما لو كانت تعوم في الماء. ومن أهم الأرضيات في انطاكية الفسيفساء (شكل ١٠٦) التي كانت تزين بهو الأعمدة الذي كان يحيط بفوروم الإمبراطور فالنس وكذلك أرضيات الحمامات العامة الكبيرة ، وقد اقتضت الزخرفة على مساحات كبيرة استخدام الرسوم الهندسية على نطاق واسع ولدينا مثالا رائعا في الفيلا البديعة التي ترجع إلى عصر قسطنطين الأكبر (٣٠٦ – ٣٣٧م) والتي اكتشفت في مدينة دفنه Daphne. فنجد هنا أن زخرفة الأرضية قد صنعت طبقا لخواص الطريقة الفنية التي أتبعت في زخرفة السقوف، وذاعت شهرتها في روما في القرن الثاني الميلادي. وفي وسط الأرضية كانت توجد نافورة مثمنة الأضلاع، وكانت تمتد منها إلى الأركان الأربعة في الحجرة أربع لوحات تمثل كل منها تشخيصا لفصل من فصول السنة، وبين هذه التشخيصات كانت توجد مناظر للصيد وهو موضوع محبب لدى صناع الفسيفساء[1]. وقد ظهرت العديد من الأرضيات التي تصور مشاهد من المسرحيات اليونانية التراجيدية وكان هوميروس ويوريبيديس من أبرز الممثلين في صور العصر البيزنطي وخير دليل على ذلك مشهد من مسرحية إفيجينيا في أوليس (شكل ١٠٧) وهو يصور اللحظة التي أخذت فيها كلوتمنسرا تدعو أفيجينيا إلى إثارة عوامل الشفقة في قلب أجاممنون وحملة على العدول عن القرار الذي أتخذه بأن يضحي بأبنه ليتحقق له القيام بحملة

(١) داوني، انطاكية القديمة، ص ٢٦٣.

طرواده، وقد وجدت هذه الفسيفساء في انطاكية بمنزل يرجع إلي أواخر القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث الميلادي وهى محفوظة بمتحف انطاكية(١).

وقد وجدت قطعة فسيفساء جميلة في منزل بانطاكية يرجع إلى أواخر القرن الأول الميلادي وأوائل القرن الثاني وهى تمثل قضاء باريس. وهذه الفسيفساء (شكل ١٠٨) واحدة من خمس قطع فسيفساء فاخرة كانت تزين بها قاعة الطعام. وتصور اللوحة قضاء باريس بين الإلهات الثلاث، فقد زعمت الروايات المحلية أن الحادث جرى في مدينة دفنه. ويجلس الراعي باريس على صخرة ويقف هرميس وراءه وتجلس هيرا في الوسط والى يمينها أثينا وعلى يسارها أفروديتى وقد حملت كل منهن صولجانا طويلا. وفى خلفية الصورة تقف بسيخى مجنحة تجاه ايروس، وهى محفوظة في متحف اللوفر بباريس(٢). وكذلك تظهر أسطورة أخرى محلية في أرضية من الفسيفساء حيث صور أبوللو وهو يلاحق العذراء دفنه التي تبدو وهى تتحول إلى شجرة غار لتنجو من الإله، وقد وجدت في دفنه بمنزل من القرن الثالث الميلادي(٣).

وهناك لوحة من الفسيفساء (شكل ١٠٩) تصور شكلا نصفيا لديونيسوس، ووجدت اللوحة في دفنه بمنزل من عهد الإمبراطور قنسطنطين الأكبر.

وكان الصيد من أهم موضوعات التسلية لدى أهل انطاكية حيث كان من أخص سماتهم، ومن أحب تلك الموضوعات مناظر للصيد بعضها من الأساطير الخرافية وبعضها من الحياة المعاصرة، ولدينا منظر للصيد على

(١) Levi, *op.cit.*, p. 110.
(٢) Ibidem, pp. 119 – 120.
(٣) داونى، انطاكية القديمة، ص ٢٦٦.

أرضية من الفسيفساء مساحتها ٢٣ × ٢٠ قدم وجدت في دفنه بمنزل يرجع إلى حوالي ٥٠٠م (شكل ١١٠). ويتوسط هذه اللوحة رجل يمثل انتصار الإنسان في الصيد(١).

ومن خلال إحدى الأرضيات في انطاكية نستطيع ربط الماضي بالحاضر حيث تصور إحدى الفسيفساء (شكل ١١١) خرافة عين الحسد التي مازالت منتشرة في بلاد حوض البحر المتوسط، ففي هذه الفسيفساء تبدو العين وقد شن الهجوم عليها حيوانات وأسلحة مختلفة كوسيلة لإتقاء هجمات عين الحسد ذاتها مثل الغراب الأسود، حربة مثلثة الشعب، سيف، عقرب، ثعبان، كلب، نمر. وترجع هذه القطعة إلى القرن الأول الميلادي.(٢)

سورية في العصر البيزنطي

مدينة الرصافة (سرجيوبوليس)

في عام ٣٩٥ م انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسم شرقي وآخر غربي، وكانت بلاد الشام من نصيب الإمبراطورية الشرقية التي أصبحت بيزنطة (القسطنطينية) عاصمتها.

ومنذ عصر الإمبراطور دقلديانوس في أواخر القرن الثالث الميلادي ظلت سورية جزءاً من الولاية الشرقية، ولعبت دوراً هاماً في الدولة البيزنطية التي كانت قوانينها رومانية وديانتها مسيحية ولغتها الرسمية اليونانية(٣).

---

(١) Levi, *op.cit.*, pp. 153 –154.

(٢) داونى، انطاكية القديمة، ص ص ٢٧٤ – ٢٧٥.

(٣) Heichelheim, F.H. Geschichte Syriens und Palästinas von der Eroberung durch Kyros Π. Bis zur Besitznahme durch den Islam, in: Handbuch der Orientalistik Π 4, p. 318-322.

وقد رسخ الدين المسيحي جذوره في مدن ومناطق سورية منذ القرون الأولى للميلاد حتى غدت بلاد الشام مركزا رئيسيا للحضارة المسيحية، ومع عمق التمايز الحضاري في الجانب الشرقي نتيجة للخلافات المستمرة مع الدولة الرومانية الغربية أصبحت الكنيسة في بلاد الشام تستقل شيئا فشيئا عن الكنيسة الرسمية في العاصمة البيزنطية(١).

ورغم انقسام الكنيسة في بلاد الشام إلى كنائس يعقوبية ونسطورية وملكية أعلنت كل هذه الكنائس رفضها للغة الرسمية وهي اليونانية واستخدمت اللغة السريانية التي كانت لغة أهل البلاد وهي إحدى اللغات الرسمية التي انتشرت في بلاد الشام منذ الألف الأولى ق.م غير أن هذا التطور لم يشمل كافة أرجاء بلاد الشام إذ كان القسم الأكبر من السكان من أصل عربي وهؤلاء اعتنقوا المسيحية لكنهم ظلوا يبجلون الآلهة القديمة السامية مثل اللات والعزى(٢).

ويبدو أن مسيحي المدن الكبرى في سورية كانوا أقدر على تحقيق إنجازات رائعة في مجالات الفنون. ففي خلال القرنين السابقين للفتح الإسلامي نشأت العديد من الكنائس والمعموديات وكنائس الشهداء والأديرة وخاصة في منطقة حوران.

ومن أهم هذه المواقع:

مدينة الرصافة (سيرجيوبوليس)

تقع الرصافة في بادية الشام وتبعد مسافة ٢٦كم عن مجرى نهر الفرات، وكانت الرصافة خلال الفترة الهللينستية الرومانية محطة بين مدينة

---

(١) Fedden, R. & Thomson, J., Kreuzfahrerburgen im Heiligen Land, Köln 1959, p. 68-70.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ١٢٣-١٢٤.

سوزا وتدمر، كما كان يمر بها خط الحدود الذي أسسه الإمبراطور دقلديانوس[١].

وتشبه الرصافة في تاريخها تاريخ منطقة أبو مينا غرب الإسكندرية حيث اكتسبت الرصافة أهميتها منذ أيام الإمبراطور دقلديانوس، ففي عام ٣٠٥ ق.م نفذت السلطات الرومانية حكم القتل على الضابط السوري سركيس بسبب تمسكه بالإيمان بالدين المسيحي الذي اضطهد معتنقيه الإمبراطور دقلديانوس، ورفض سركيس تقديم القرابين إلى كبير الآلهة الرومانية جوبيتر، مما تسبب في موته على أيدي الرومان.

ومنذ ذلك الوقت ذاع صيت الضابط السوري وصار الناس يحجون إلى قبره الموجود في موقع الرصافة ويتبركون ببركاته[٢].

وقبل منتصف القرن الخامس الميلادي أصبحت الرصافة مركزا لأسقفية مسيحية في عام ٤٣٤ م. في عهد الإمبراطور أنستاسيوس (٤٥١-٥١٨م) تحول اسم الرصافة إلى مدينة سركيس أو سيرجيوبوليس، وقد ترك حكام بيزنطة في الرصافة كتيبة عسكرية لحماية حدود الإمبراطورية ولصد هجمات الفرس من وراء الفرات. وفي عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) شهدت المدينة توسعا كبيرا.

وقد تدهورت المدينة أثر إجتياح جيوش الملك كسرى الثاني لها في عام ٦١٦م وظلت بها حتى عام ٦٣٦م حينما فتح خالد ابن الوليد بلاد الشام ودخلت تحت الحكم الإسلامي[٣].

---

(١) نفس المرجع، ص ١٢٥.

(٢) نفس المرجع، ص ١٢٥.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p.263.

أهم آثار مدينة الرصافة

ســـور المـــدينة

تعتبر أسوار مدينة الرصافة من أضخم نماذج العمارة العسكرية التـــي لا تزال ماثلة للعيان بشكل شبه كامل منذ الفترة البيزنطية وحتى الآن.

ويتخذ مخطط المدينة الشكل المستطيل تقريبـــا، (شـــكل ١١٢-١١٣) والمستطيل يتوجه نحو الجهات الرئيسية أي أن أضلاعه تتجه بالتوالي نحـــو الشرق والغرب ونحو الجنوب والشمال. ويبلغ أبعاد المستطيل كالتالي: الضلع الجنوبي ٥٤٩,٤٠م، الشـــمالي ٥٣٦,٥٠م، والغربـــي ٤١١,٢٠م، والشـــرقي ٣٥٠,٣٥م. ولابد أن السور كان يرتفع لمسافة تتراوح بين ١٠-١٢م[١].

وكان السور (شكل ١١٤-١١٥) يحتوي من الداخل علـــى ممـــرات وأنفاق للدفاع في شكل طابقين متتاليين، وقد أقيمت العديد من الأبراج المختلفة في الزوايا وعلى الأضلاع إمعانا في زيادة تحصين المدينة، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى إحاطة السور بخندق عميق يملأ بالماء، ولا تزال بقايـــا هذا الخندق ظاهرة حتى الآن[٢].

ويحتوي سور المدينة على أربع بوابات، واحدة في منتصف كل ضلع من الأضلاع، وأفخم هذه البوابات وأروعها البوابة المطلة على الضلع الشمالي (شكل ١١٦). ونظرا لأن هذه البوابة كانت تقود من يغادرها إلى اتجاه الفرات

---

(١) Karnapp, W. Die Stadtmauer von Rusafa in Syrien, 1976, pp. 32-35.

(٢) Mackensen, M., Eine befestigte spätantike Anlage von den Stadtmauern von Resafa, 1984, pp. 22-24.

فقد اتخذت زخارف وحليات معمارية منحوتة غاية في الروعة بحيث تتناسب مع أهمية موقعها[١].

وواجهة هذه البوابة الشمالية مؤلفة من انسياب ثلاثة أقواس فوق أعمدة تعلوها تيجان كورنثيه الطراز وتحمل هذه الواجهة بروزا مقداره ٤م، يحيط بالباب المتوسط إطار عرضه ٦٠سم ويتوسط سقفه شكل زهرة بارزة، كذلك يتحلى الإطار نفسه بأعمدة مستمرة رفيعة الحجم. وتظهر بوضوح الزخارف البديعة المنحوتة في سطح الأقواس (شكل ١١٧) كما تظهر روعة التيجان ودقة صناعتها. وتبرز الأعمدة مقدار ٧٠سم عن الجدار. ويبلغ عرض القوس الأوسط ٤,٧٠م وهو أعظم من بقية الأقواس حجما ، ويحيط بالأقواس إطار بارز غني بالزخارف النباتية مثل عناقيد العنب والأغصان[٢].

كنيسة القديس سركيس (شكل ١١٨-١٢٢)

من أهم المباني الدينية في سرجيوبوليس كنيسة سركيس، وقد ظهر في أرضية الحنية في الكنيسة نقش يوناني يذكر أن: ابراميوس قد شيد هذه الكنيسة لتبجيل الصليب المقدس ويبغي من خلال ذلك رضا الإله. حدث ذلك في شهر أرتيمسيوس في العام ٨٧٠ وهو ما يقابل شهر مايو (٥٥٩م).[٣] تقع هذه الكنيسة في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة وهي تتألف ــ مثلها مثل الكنائس المسيحية ــ من ثلاثة أروقة متوازية وردهة أمامية. وفي نهاية ضلعها الشرقي تبرز حنية نصف مستديرة مخصصة لقدس الأقداس. وفي وسط هذه الحنية ترتفع مساحة حجرية تعرف باسم (البيما Bema) وهي

(١) Karnapp, *op.cit.*, p. 42.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ص ٢٦٠-٢٦١ أشكال ١٨٦ - ١٨٧.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p.283.

مخصصة للكهنة أثناء إقامة الصلوات وترديد التراتيل الدينية الخاصة بالصلاة(١).

وتحتفظ هذه الكنيسة بنفس طراز الكنائس في القرن السادس حيث يخترق الكنيسة صفان من الأقواس المحمولة على أعمدة ويعلوها تيجان، وهذان الرواقان يقسمان مساحة الكنيسة إلى ثلاثة أجنحة أو أروقة أو أقسام: جناح أوسط وجناحين جانبيين(٢).

وبالطبع يرتفع الرواق الأوسط عن مستوى الرواقين الجانبيين، ويمد الرواق الأوسط مبنى الكنيسة بالضوء عبر نوافذ لها أقواس نصف مستديرة تخترق الأجزاء العلوية لجداري الرواق الأوسط.

والرواق الأوسط هو الأعظم في الحجم والارتفاع، وتخترق هذا الرواق من الغرب إلى الشرق أربعة أقواس كبيرة الاتساع حيث يبلغ عرض القوس الكبير حوالي عشرة أمتار في الأصل. ولما تعرضت المدينة لبعض الزلازل تم تقسيم كل قوس كبير إلى قوسين صغيرين لضمان صموده أمام الزلازل ويبلغ طول الرواق الأوسط أكثر من أربعين مترا(٣).

البازيليكا الثانية Basilika B

يحتفظ هذا البناء بالجزء الشرقي والجنوبي الغربي منه (شكل ١٢٣) وقد قام كولفيتز Kollwitz بترميم هذا البناء، وهو يتكون من بازيليكا من ثلاثة أروقة معمدة تنتهي بحنية مخمسة

(١) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٢) Ulbert, T., Rusafa- Sergiupolis–Wallfahrtsort und Residenz, in: Katalog zur Ausstellung land des Baal, 1982, p.256.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p. 283.

الأضلاع في الضلع الشمالي، وقد ألحق بهذا المبنى صالة في الجانب الجنوبي والغربي[١].

وتنتمي الزخارف النحتية لهذه التوسعات إلى نفس التاريخ مثل زخرفة البوابة الشمالية أي في عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م).

وإلى الشمال من الرواق الأوسط ذو النوافذ الثلاثية توجد حنية بارزة وهي عبارة عن حجرة ثلاثية الحنايا يرتكز فوقها قبة فوق مربع طول ضلعه ٥,١٠ متر. وأرضية هذه الحجرة مزخرفة على طريقة Opus sectile[٢] وبها قطعة فسيفساء زجاجية وكذلك تابوت في الحنية الشرقية كانت مخصصة لعبادة الشهيد سرجيوبوليس والإله باخوس إله الخمر. وقد بلغ عرض الحنية ٨,٣٠م[٣].

الصهاريج

في الجنوب الغربي من المدينة تقع الصهاريج التي كانت تمد مدينة الرصافة بالمياه العذبة وهذا البناء عبارة عن أقبية مخصصة لتخزين الماء الذي يتجمع في فصل الشتاء[٤].

---

(١) Ulbert, T. Die Basilika des Heiligen Kreuzes, 1986, pp. 83-86.

(٢) طريقة Opus sectile من أقدم الطرق التي استخدمت في صناعة الموزايكو، وفيها كانت تجمع القطع الصغيرة المختلفة الأشكال والأحجام معا لتكون المنظر الزخرفي المراد تصنيعه. وقد أتقن الرومان هذه الطريقة التي أتت إليهم من الشرق وأخذوا يشكلون بها الكثير من اللوحات الأرضية والحائطية.

(٣) Ulbert, *op.cit.*, p.88.

(٤) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٣٠.

ويبلغ طول القبو الأعظم ٥٧,٥ متر وعرضه ٢١,٥ متر وحينما تتجمع المياه حتى ارتفاع ١٣ متر يبلغ محتوى هذه الصهاريج من المياه ١٦ ألف متر مكعب، وهناك فاصل من الأقواس المحمولة على دعامات يقسم داخل القبو إلى قسمين وكلاهما مغطيان بقبوة واحدة(١).

دير القديس سمعان Simeon Kloster أو قلعة سمعان

انتشرت الرهبنة المسيحية في سورية منذ القرن الرابع الميلادي، وقد كان من نتاج ذلك ازدياد الإيمان الديني الذي اتخذ شكلا متميزا مبالغا من أشكال الوجدانية وفي كنيسة القديس سمعان مثال رائع على ذلك(٢).

ولد القديس سمعان في عام ٣٩٠ ميلادية في قرية سيس Sis على حدود سورية وقليقلية وعندما بلغ الثلاثين من عمره أقام لنفسه عمودا Stylit اتخذه مقرا مدى الحياة، وكانت لمواعظه أمام جمهور المؤمنين الذين كانوا يلتفون حول العمود ولردوده على الرسائل التي كانت تصله من كل مكان أثر بالغ على مجريات الأحداث في الكنيسة في سورية(٣).

وعندما توفى القديس سمعان في عام (٤٥٩م) أقيم له قبر فوق العمود، وفيما بعد تم نقل رفاته إلى مدينة انطاكية حيث كانت وما تزال مقر بطريركية المشرق وبلاد الشام. ولكن العمود الذي عاش فوقه القديس سمعان ظل مقدسا في قلوب الناس. وقد دعت الوفود المتزايدة من الحجاج على هذه المنطقة إلى

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, p.282.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٣١.

(٣) Odenthal, *op.cit.*, p.193.

قيام دير حول العمود في القرن الخامس الميلادي، وأصبح الدير يحمل اسم دير القديس سمعان[١].

وتقع قلعة سمعان فوق جبل سمعان إلى الشمال من مدينة حلب، (شكل ١٢٤) ويطل هذا الجبل على واد نهر عفرين، وتبلغ مساحة المنطقة الأثرية حوالي ١٢ ألف كم^{٢} وهي محاطة بسور حصين، وهناك سور يفصل الدير وكنيسة القديسة سمعان عن بقية العمائر الموجودة في هذا المكان[٢].

ديـــر سمعان

يعتبر هذا البناء من أجمل العمائر الدينية المسيحية التي قامت خلال الفترة البيزنطية في بلدان المشرق على الإطلاق. ويرجع تاريخ إنشاء هذه الكنيسة إلى نهاية القرن الخامس الميلادي. وفي مركز الكنيسة بقية العمود الذي كان موطنا للقديس سمعان وكان ارتفاع العمود في أيام القديس سمعان ٢١ متر. ويحيط بالعمود بناء مثمن الأضلاع (شكل ١٢٥-١٢٧) وتخترقه أقواس متسعة، لكن الحنيات التي توجد في أربعة من تلك الأضلاع تجعل المثمن يبدو مربعا. أما بقية الأضلاع فتتصل بأربع كنائس، وهناك بعض الدلائل التي تشير إلى أن المساحة المثمنة لم تكن مكشوفة للسماء بل كانت تعلوه قبة من الخشب[٣].

وتتخلل جدران الجسم المثمن حنيات نصف مستديرة بحيث يصبح الجسم قريبا من المربع. وبين كل كنيسة وأخرى من الكنائس الأربعة توجد حنية لا تجعل الكنائس الأربعة تلتقي بزوايا قائمة عند اتصالها بالجسم المثمن

(١) Biscop & Sodini, Qal'at semán et les chevets à colonnes de syrie du Nord, in: Syria 1984, p.13.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص ١٣١.

(٣) Blersch, H.G. Die Säule im Weltgeviert, 1978, p.27.

في الوسط. وتستند الأقواس الضخمة للمثمن على دعامات وأعمدة لها تيجـــان بزخرفة الأكانتوس، (شكل ١٢٨-١٢٩) وكذلك توجد زخـــارف نحتيـــة فـــي الإطار الذي يحيط بالأقواس.[١] ويطل الجسم المثمن البالغ قطره ٢٧ متر على أربع كنائس ثلاثية الأروقة أهمها الكنيسة الواقعة في الشرق فهي تتميز بوجود ثلاث حنيات ويوجد بحوائطها الخلفية عدد من النوافذ التي تتخذ شكل نصـــف الدائرة في ضلعها العلوي.

والكنيسة الشرقية لها حنية رئيسية وحنيتان ثانويتان كما أنـــها أكـــبر حجما من الكنائس الثلاثة الأخريات (شكل ١٣٠-١٣١)[٢]. أما الكنيسة الغربية والشمالية والجنوبية فأشكالها بسيطة وحجمـــها صغـــير بالمقارنـــة للكنيســـة الشرقية[٣].

ويتقدم الكنيسة الجنوبية رواق يطل نحو الخارج بقوس ثلاثي الفتحات، (شكل ١٣٢-١٣٣) ومن المعتقد أن هذا الرواق قد أضيف إلى الكنيســـة فـــي القرن السادس الميلادي، وتمتد حول الكنيستين الشرقية والجنوبية ساحة واسعة يقوم في رحابها بناء الدير ومصلى خاص بالكهنة[٤].

المعمـــودية

تقع المعمودية جنوب قلعة سمعان، وتعتبر المعمودية ثاني بناء هـــام في هذا الموقع (شكل ١٣٤) بعد كنيسة القديس سمعان، ويبلغ طول المعموديـــة

---

(١) Odenthal, *op.cit.*, p.133.

(٢) Strube, C., Die Formgebung der Apsisdekoration in Qalbbze und Qalaat Saman, in" Jahrbuch für Antike und Christentum, 1977, pp.283-285.

(٣) هزار عمران – جورج دبورة، المرجع السابق، ص ص ٢٢ – ٢٣ شكل ٦.

(٤) Odenthal, *op.cit.*, pp.199-200.

٢٠ مترا وهي عبارة عن بناء مربع يتوسطه جسم مركزي مستدير يلتحم مع بناء كنيسة ثلاثية الأروقة أي من نوع "البازيليكا"[١].

ويخترق السور جنوب المعمودية باب يقود للخارج من المكان عبر طريق منحدر إلى مرافق دير سمعان، وهي مبان ومنشآت كانت تستخدم لنزول الحجاج والزوار. ويعكس العدد الكبير من تلك المباني والمنشآت ضخامة قوافل الحجاج القادمة لزيارة القديس سمعان الذي وصلت شهرته وبركاته آفاقا بعيدة من منطقة سورية القديمة[٢]. ويرجع تاريخ بناء دير سمعان إلى الفترة من ٤٧٦-٤٩٠م.

(١) Blersch, *op.cit.*, p.54.

(٢) كلينكل، المرجع السابق، ص١٣٣.

الفصل الثالث

آثار منطقة لبنان

- مدينة بعلبك (هليوبوليس)
- مقدمة تاريخية
- معابد الآلهة
- أهـم آثـار بعلبـك
  - البروبيليا "البوابة العظمى"
  - معبد الإله جوبيتر (المعبد الكبير)
  - معبـد الإله باخــوس
  - معبـد الإلهــة فينــوس



آثار منطقة لبنان

مدينة بعلبك (هليوبوليس)*

مقدمة تاريخية

بالرغم من أن معابد بعلبك قد حظيت باهتمام كبيراً في الأزمنة القديمة والحديثة إلا أننا نعلم القليل من تاريخها، والكثير من هذا القليل أيضاً غير محدد. عدا عدد قليل محدود من الكتاب القدامى في القرن الرابع الميلادي قد بحثوا عن هذا المكان عندما أعطتهم المسيحية فكرة عن المعابد والآلهة الوثنية نجد هؤلاء لا يذكرون مصادرهم التي استقوا منها معلوماتهم(١).

وقد قام روبرت وود Robert Wood بعمل دراسة مفصلة عن هذا الموقع في القرن الثامن عشر وفي محاولة منه لتحديد تاريخ إقامة هذه المعابد وتحديد منْ قاموا ببنائها إذ قال:(٢)

" لم يكن من العجيب – بعد رؤيتنا لمتانة وطول هذا المكان – أن نجد صعوبة في معرفة صانع هذا العمل ومصممه وبالرغم من كل ما قمنا به من جهود لمعرفة ذلك. فلا نجد إجابة مرضية؟!

ولكن من الواضح أن هذا المكان كان مشهوراً لأنه كان موقعاً مقدساً قبل ظهور الرومان بفترة طويلة، وبما أن الرومان بنوا في هذا الموقع أشهر وأكبر المعابد لهم فإن ذلك يوضح مدى تكريمهم لآلهتهم. وبالنسبة لمكانة هذا الموقع في عصر ما قبل الرومان فنحن لا نعلم شيئاً عن ذلك ولكن

---

(١) Justinus, 18, 3.

(٢) Harding, G.L., Baalbek, Beirut, 1963, p.11.

بما أن هذا الموقع يزخر بالماء، فهذا دليل واضح على أنه كان مسكوناً منـــذ القدم(١).

لذا فسوف لا تأخذنا الدهشة حين نعثر في منطقة رأس العين علـــى أطلال تعود إلى حقبة زمنية سابقة(٢).

ويعتقد الكثير من العلماء أن هناك أطلال للفترة السابقة على الحقبـــة الرومانية مدفونة تحت المدن الرومانية والمدن التي تلتها. والدليـــل الوحيـد الحقيقي على وجود نشاط سكني في فترة ما قبل الرومان في هذه المنطقة هـو وجود عدد من القبور الحجرية التي يعتقـــد أنـــها ترجـــع للفـــترة الفينيقيـــة والهللينستية وذلك بالرغم من تشتت محتوياتها وفسادها(٣).

ويعتبر اسم المنطقة في حد ذاته إشارة إلى سكناها في فترة مـــا قبـل الرومان وذلك بالرغم من وجود جدال حول المعنى الحرفي لاسم المكان:

فنجد أن كلمة "بعل" معناها "سيد" وهذا يعتبر اسم أو عنـــوان للآلهـــة السامية القديمة والتي كانت مقدسة ومبجلة في كل الشرق الأدنى(٤) (وقد ذكـــر العهد القديم الكثير عنها) ـــ أما لفظة "بك" قد تكون تصغيراً لاسم الوادي "بكة" لذلك نجد أن الاسم قد يكون معناه سيد بكة وقد يلقى هذا التفسير قبولاً.

إلا أننا نجد أيضاً أن كلمة بك قد تكون الكلمة الفينيقيـــة التـــي تعنـــى "مدينة أو بلدة" وبما أن كلمة بعل هي من أسماء الشمس فبذلك نجد أن الكلمـــة

(٣) Plinius, Historia Naturalis 5, 80.

(٢) Eissfeldt, O., Temple und Kulte syrischer Städte in Hellenistisch-Römischer Zeit, in: Der Alte Orient 40, 1941, pp. 197-198.

(٣) Harding, *op.cit.*, p.13.

(٤) Irmscher, J., Lexikon der Antike, Wilhelm Heyene Verlag, München, 1987, p. 80.

اليونانية "هليوبوليس" يمكن اعتبارها ترجمة دقيقة للاسم لأن معنى الكلمتين سوياً "مدينة الشمس"(١).

وقد تمت محاولات عديدة للتعرف على بعلبك من بين المدن المذكورة في العهد القديم مثل "بعل جاد" و "بعل الله" (التي بناها نبى الله سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد) وتونب المذكورة في رسائل "تل العمارنة" بمصر (القرن ١٥ق.م) "وقبر حداد" المذكورة في قائمة المدن التي استولى عليها تيجلات بلاسر الثالث" الآشوري عام ٧٣٨ق.م، ولكن لم يتم إثبات أي من ذلك حتى الآن(٢).

وهناك اعتقاد عربي قديم ينسب بناء هذه المدينة إلى نبي الله سليمان ليس له أساس من الصحة إذ أنه في ذلك الوقت كانت كل المباني الضخمة تنسب إليه أو إلى فرعون، لأنهم كانوا يعتقدون أن مثل هذه الأعمال لا يمكن أن ينجزها أي شخص عادى. ولا نعلم أول مرة تم فيها إعطاء اسم هليوبوليس لهذا المكان ولكن ربما جاء أو تم ذلك بعد أن احتل الإسكندر الأكبر المدينة في القرن الرابع ق.م ويعتبر اليونانيون بعل حداد مساوياً لهليوبوليس إله الشمس(٣).

وبعد وفاة الإسكندر انتقلت المنطقة تحت سيطرة بطلميوس وحلفاؤه ولكن في عام ٢٠٠ق.م على الأرجح استولى عليها انطيوخوس الرابع (٢١٥-١٦٣ق.م) واستمرت تحت حكم السلوقيين حتى سقوط الأسرة

---

(١) Kapelrud, S., Baal in the Ras Shamra Texts, 1952, pp.16-17.

(٢) Harding, *op.cit.*, p.14.

(٣) H. Gressmann, Hadad und Baal, in: Zeitschrift für die Wissenschaft, Berlin. Beiheft 33, 1918, pp. 191 ff.

السلوقية[1]. وباحتلال الرومان لسورية في القرن الأول ق.م دخلت المنطقة تحت الحكم الروماني. وعندما احتل القائد الروماني بومبيوس مدينة بعلبك (هيليوبوليس) في العام ٦٣ق.م[2] كانت حينئذ تحت سيطرة رجل عربي اسمه بطلميوس ابن منايوس الذي عينه القائد بومبيوس كأمير للمكان نظير مبلغ كبير من المال. وفي حوالي عام ١٦ق.م قام الإمبراطور أوغسطس بتعيين جنود من فيلقين في بيروت وهليوبوليس[3].

ويبدو مما سبق ومن المفهوم العام والرأي الذي أجمع عليه معظم العلماء أن العمل في هذا المكان بدأ أولاً في معبد جوبيتر وبعل في الفترة الأوغسطية في بداية القرن الأول بعد الميلاد وقد تم التأكد من ذلك بعد اكتشاف مخطوط يذكر أن هذا المعبد انتهي العمل به عام ٦٠م[4] .

ونعلم أيضاً أنه كان هناك في معبد "بعل حداد" وهليوبوليس وحي[5] كان يستشيره الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م) ذلك قبل ذهابه إلى حملته ضد البارثيين وقد قيل أنه تنبأ بموته بطريقة لم يتم فهمها إلا بعد وقوع الحدث نفسه وهذا معناه أنه كانت هناك بعض المباني المقامة في ذلك الوقت.

---

(١) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ص ١٢٠- ١٢٥.

(٢) Ragette, F., Baalbek, Noyes Press, New Jersey, 1980, p. 17.

(٣) A. Heuss, Römische Geschichte, Westermann, Braunschweig, 1976, pp. 310-311.

انظر أيضاً: ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٠١.

(٤) Harding, *op. cit.*, pp. 14 -17.

(٥) Alexander, J., The Oracle of Baal, Dumbarton Oaks, 1967, pp. 61-63.

وكون أن هناك البعض ينسبون بناء المعبد إلى "انطونينوس بيـــوس" حوالي عام ١٣٥ بعد الميلاد فهذا استنادا إلى المقولـــة التـــي قالـــها John. Malalaالانطاكي الذي كتب في بداية القرن السادس بعد الميلاد قائلا:[١]

"بني انطونينوس بيوس معبدا عظيما للشمس قرب لبنان فـــي فينيقيـــة وكان هذا المعبد إحدى عجائب الدنيا".

وردا على ذلك لا نجد المؤرخ Julius Capltolinus الذي كتب عن حياة انطونينوس بيوس يذكر أي شئ عن معابد هليوبوليس من بيـــن قائمـــة المباني التي ذكرها، وهذا بالطبع يعتبر مغالطة جسيمة إذ كان بـــالفعل هـــذا البناء إحدى عجائب الدنيا، ولكن John Malala -على أي حال- لا يعتـــبر كاتبا يعتمد عليه بالدرجة الأولى.

ومن المؤكد أن هذه الأعمال كانت مستمرة تحت حكـــم الأنطونييـــن خلال القرن الثاني بعد الميلاد ويعتقد أنه في هذا الوقت تم بناء معبد بـــاخوس، ونجد أول صور للمعابد على العملات في صورة معبد هليوبوليس وذلك أثنـــاء حكم سبتيميوس سفيروس وكراكالا في الفترة من ١٩٣-٢١٧م وهما اثنان من الأباطرة الرومان من الأسرة السيفيرية[٢]. هذا ويظهر تمثيل البروبيليا العظيـــم على عملة فيليب العربي ٢٤٤م وقد يعني هذا أن البناء تم الانتهاء منه أثنـــاء حكمه، إذ أننا نعلم من خلال نقوش وجدناها على ثلاثة من الأعمدة الموجـــودة هناك أن البناء بدأ على الأقل خلال حكم الإمبراطور كراكـــالا Caracalla. وتذكر هذه النقوش أن موظف من الفيلـــق الأول واســـمه انطونيـــانوس قـــام بصناعة الأساس البرونزي لهذه الأعمدة على نفقته الشخصية كوفاء لنذر قـــام

(١) Harding, *op.cit.*, p. 17.

(٢) Eissfeldt, *op.cit.*, pp. 201-202.

به لتأمين سلامة الإمبراطور Caracalla ووالدته Julia Domna. ومن المحتمل أن المعبد الصغير المستدير الموجود بالخارج والمعروف باسم معبد "Venus – فينوس" تم بناءوه أيضاً في القرن الثالث بعد الميلاد وفي الواقع يبدو أن العمل في جزء أو كل البناء قد بدأ واستمر حتى تم إيقافه بواسطة الإمبراطور قنسطنطين الأكبر حوالي عام ٣٣٠ بعد الميلاد، وكان هذا الإمبراطور قد اعترف بالمسيحية ديناً رسمياً وعمل على إغلاق معابد الآلهة القديمة.

ويقال أن الإمبراطور قنسطنطين منع كل الاحتفالات المقامة في معبد فينوس وأقام كنيسة هناك غير أن المؤرخ باسكال Paschal (٦١٠-٦٤١م) قال: أغلق قنسطنطين معابد اليونانيين غير أن ثيودوسيوس حوالي عام ٤٤٠م دمرها وحول معبد هليوبوليس إلى كنيسة مسيحية[١].

وهناك نزاع على هذا النص من قبل الدارسين والترجمة تتخذ أشكالاً عديدة ولكن المعنى الأساسي كما هو. ويفترض أن الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) قد نقل بعض الأعمدة المصنوعة من الجرانيت الأحمر إلى القسطنطينية لاستعمالها في بناء كنيسة ايا صوفيا[٢].

وعندما استولت جيوش المسلمين بقيادة أبو عبيدة بن الجراح عام ٦٣٤م على المنطقة وحولت المعابد والكنائس إلى حصون ضخمة أزال الخليفة الوليد (٧٠٥-٧١٥) القبة البرونزية من الكنيسة لإقامة جامع عبد الملك

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 18.

(٢) Wiegand, Baalbek, Leipzig 1973, Bd III, pp. 30-31.

في أورشليم وقام الخليفة مروان الثاني بهدم حوائط المدينة القديمة ٧٤٤-٧٤٨م وكان آخر الأمويين[١].

معابد الآلهة

عند الحديث عن هذه المعابد نصطدم مرة أخرى بالواقع وهو عدم وجود أية معلومات يمكن الاعتماد عليها بالنسبة لهذا الموضوع سواء لدى الكتاب القدامى أو من خلال النقوش التي تم اكتشافها في الموقع.

وتشير النقوش المحفورة على قاعدة ثلاثة من أعمدة البروبيليا والمشار إليها سابقاً:

أنه كان هناك ثلاثة آلهة معبودة في هليوبوليس وهما: جوبيتر هليوبوليتانوس وفينوس وميركور، وهما نفس الثلاثي الهليوبوليتاني الذي وجد في النقوش التي عثر عليها في مواقع خارج بعلبك[٢].

وكما سبق القول فإن الإله جوبيتر كان يماثل إله الصاعقة السوري (حداد بعل- الشمس)، وكذلك كانت فينوس تماثل إلهة الطبيعة السورية الشامية (اتارجاتيس- دركيتو) زوجة حداد،[٣] وأخيراً العضو الثالث في الآلهة هو ميركور فلم يكن من السهل أبداً مساواته مع أي إله سامي آخر من دون الآلهة السامية لكنه كان يعتبر أحد الأرواح الحارسة والحامية للنباتات والمزروعات فكان يعتبره اليونانيون مثل الإله هرميس الراعي.

---

(١) Harding *op. cit.*, p. 18.

(٢) Eissfeldt, *op.cit.*, pp. 213-214.

(٣) Ragette, *op.cit.*, p. 29 – 30.

ومن هنا نجد أن الرومان كانوا يساوونه مع ميركور، ويرى البعض فيه صورة الإله سيميوس والذي كان يعرف عنه من كتابات القدامى أنه ابن أو عشيق اتارجاتيس، ولو أن هذا الأمر غير مؤكد(١).

على أية حال فقد كان هناك ثالوث مقدس ولكن المشكلة تكمن في معرفة أي معبد يخص كل منهم أو معرفة ما إذا كان بالفعل لكل إله معبد مستقل أو أنها معابد مشتركة وهنا تكمن الصعوبة.

وهناك أدلة تشير إلى وجود ستة معابد على الأقل في بعلبك، منها معبد كائن على منحدرات الشيخ عبد الله في الجنوب الشرقي، والدليل الوحيد على وجود هذا المعبد هو وجود نقشين يشيران إلى ذلك في نفس الموقع. هذا فضلاً عن وجود بقايا لسلالم من المرجح أنها كانت تقود إلى هذا المعبد.

ويعتبر هذان النقشان مهمان للغاية إذ أنهما يذكران الإله ميركور مما يرجح الاعتقاد بأن هذا كان معبده، لذلك فإذا قبلنا هذه النظرية ووضعنا ميركور في هذا المعبد على أنه معبده يتبقى اثنين من الآلهة يجب علينا معرفة أين يوجد معبد كل منهما من بين اثنين من المعابد المتبقية.

ويمكننا أن نسقط من الاعتبار البقايا الموجودة في رأس العين وكذلك المعبد الصغير الذي يطلق عليه معبد فينوس. وقد اتفق بوجه عام أن المعبد العظيم الذي يحتوي على ستة أعمدة قائمة هو معبد (جوبيتر- بعل – حداد- الشمس) ويتضح بالتأكيد أنه كان رأس الثلاثي أي الإله الأكبر وذلك أنه إضافة إلى النقش الموجود في البروبيليا هو وحده المذكور في كل النقوش الأخرى التي تم العثور عليها(٢). ويشار إليه بالحروف I.. O. M. H. وهي

---

(١) Pope, M.H.-Röllig, W., Wörterbuch der Mythologie, Bd. I, pp. 253 ff.

(٢) Iovis هي صيغة متأخرة استخدمت للتعبير عن الإله جوبيتر.

اختصارات لكلمات Iovi Optimo Maximo Heliopolitano ومعناهـــا: إلى جوبيتر الإله الأعظم الهليوبوليتاني ونستطيع رؤية هذه الأمور على العديد من المذابح الموجودة في الفناء الرئيسي(١).

ولقد ذكر الكاتب لوكيانوس صمن دراسته التي كتبها في القرن الثـاني بعد الميلاد الآلهات السوريات حيث أوضح أن الإلهات الأنثى كانت لها أهميـة مساوية تماماً للآلهة الذكور أو ربما كانت أكثر أهمية. وتحدث عن معبد فـي هيرابوليس Hierapolis كان يضم ثلاثياً مشابهاً من الآلهة تسكنه سوياً(٢).

وإذا نظرنا إلى الأمرين ومن خلال وجهة نظر أخـرى نسـتطيع أن ندرك أن هذه الأهمية كانت نسبية وتعتمد على المنطقة نفسها وتختلـف مـن منطقة أو مقاطعة إلى أخرى. لذلك فسوف نهمل هذه النقطة ونفترض جدلاً أن هذا المعبد العظيم كان مهدى للإله جوبيتر –حداد حيث إن الرومان– حينمـا غزوا بلاد الشام ــ جعلوا مدينة بعلبك مقراً لعبادة إله الشمس وحلت شـريكته فينوس مكان الإلهة القديمة عشتار(٣).

ويؤيد مكروبيوس Macrobius هذه النظرية فقد كتب في بداية القـرن الخامس أن هذا المعبد كان مهدى إلى جوبيتر والشمس فقال:

"يتضح بجلاء أن هذا المعبد كان مهدى لجوبيتر والشمس وذلك مـن طقوس العبادة وصفات التمثال الذي كان مصنوعاً من الذهب ويمثل شـخصاً

---

(١) Gressmann, *op.cit.*, pp.198-199.

(٢) Harding, *op.cit.*, p.25.

(٣) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٧.

حليق اللحية يمسك سوطاً في يده اليمنى وفي يده اليسرى صاعقة وسنبلة قمح"(١).

ولكن لسوء الحظ أهمل الكاتب أن يذكر في أي معبد من معابد هليوبوليس كان يوجد هذا التمثال، كما لم يذكر وجود اثنين من الثيران على جانبي التمثال، مع أن هذه كانت خاصية مميزة في كل تماثيل الإله حداد، كما نستطيع رؤية ذلك على صوره أو لوحاته الموجودة على المذبح الصغير الموجود في القاعة الأمامية السداسية(٢).

ومن العجيب أيضاً أنه في القرن الخامس كان يكتب كتاباته بصيغة الزمن المضارع كما لو كان التمثال ما زال موجوداً حينئذ هناك وكما لو كانت الطقوس ما زالت تقام له.

كما أشار الكاتب أيضاً إلى الوحي والذي كان مصدر شهرة المعبد فقال:

"يفيض المعبد بالعرافة (معرفة الغيب) والتي كانت من صفات أبوللو الشمس وفيه نرى تماثيل الآلهة محمولة بنفس الطريقة التي تحمل بها تماثيل الآلهة في الألعاب السيرسنسيانية Circensian Games فهناك شخص من الأشخاص البارزين في المقاطعة حليق الذقن يحمل تمثال الإله بين يديه بعد أن يتطهر وذلك بأن يظل عفيفاً لمدة طويلة(٣).

والمعبد الثاني هو معبد أصغر قليلاً في الحجم وهو الآن معروف باسم معبد باخوس ومن المؤكد أن هذه التسمية من الخطأ بمكان حيث أنها كانت

(١) Harding, *op.cit.*, p.25.

(٢) Ibidem, Fig. 8.

(٣) Alexander, *op.cit.*, p. 74.

مأخوذة من رسوم وتصميمات موجودة على البوابة الكبيرة ومنحوتة عليها وبخاصة الرسومات والتصميمات المنحوتة على الحرم والمزار الداخلي حيث نجد باخوس فيها ممثلا مرتين(١).

والصولجان (صولجان هرميس الذي تلتف عليه حيتان وفي أعلاه جناحان) الذي كان يمسك به النسر بين مخالبه والمرسوم على عتبة البوابة أعطى الفكرة للبعض بأن ميركور قد يكون هو إله هذا المكان ولكنه يبدو أقل الأعضاء أهمية في الثلاثي(٢). وإذ سلمنا جدلا بأن المعبد الأعظم يخص جوبيتر – حداد إذن فأن ثاني أكبر المعابد هو معبد أكثر الأشخاص أهمية وهي فينوس – اتارجاتيس – زوجة حداد (بعل–الشمس) وهناك تلميحات في كتابات لوكيانوس تشير إلى أن النسر يرتبط أحيانا بالآلهة الأنثى ولكن كل ذلك يعتبر افتراضات وتخمينات إلا إذا تم اكتشاف نص مخصص لذكر هذه التفاصيل على الرغم من أنه في الأرجح يخص الإلهة فينوس أكثر من الإله باخوس(٣).

ويعتقد بعض الدارسين أن كلا من المعبدين كانا مخصصين للثلاثي ومن وجهة نظر لوكيانوس فإن هذا غير بعيد الاحتمال ويرجح أن كل معبد على حده كان غرضه إظهار أوجه مختلفة لهم. ومن هنا نجد أن الزخرفة الرمزية الموجودة في المعبد الأصغر قد تعني أن الجانب الخفي من هذه الآلهة

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 26.

(٢) Ragette, *op.cit.*, p. 20.

(٣) Eissfeldt, *op.cit.*, pp. 210-211.

هو الذي كان ممجداً بينما يمثل المعبد الأكبر الجوانب الأخرى الأكثر عملية ومنها الصاعقة وأشكال أخرى من مظاهر التقديس(١).

فما هو السبب الذي جعل المعبد الصغير المستدير يطلق عليه الآن معبد فينوس؟ وإلى من كان هذا المعبد مكرساً؟

نجد أن نسبه هذا الإله إلى فينوس كان مبنياً على حقيقة واقعة وهي أن المسافرين الأوائل كانوا يجدونه يستخدم كجزء من كنيسة سانت بربارا ولذلك ربطوا بين هذا وبين الكنيسة التي بناها الأمبراطور قنسطنطين في معبد فينوس. وأيضاً نجد أن بقايا المنحوتات توضح ما اعتقدنا أنه حمامة كانت دائماً ترتبط بوجود فينوس اتارجاتيس مع تصوير الأنثى تخرج من صدفة ويحملها كيوبيد وهذه تعتبر صورة مألوفة لفينوس(٢).

ولكن هذه المنحوتات للأسف رديئة الحالة ويمكن تفسيرها بأحد احتمالين:

فعلى الرغم من أن هذا المعبد من أكثر المعابد سحراً وتأسيساً في موقعه غير أنه يبدو أنه ليس من الضخامة بما يكفي لكي يتسع لزوجة حداد، ويوجد تفسير آخر إذ كان من المعتاد عند الرومان بناء مثل هذه المزارات الصغيرة للإلهة الحارسة للمدينة بمثل هذه الطريقة.

أهم آثار بعلبك

من أهم آثار بعلبك المعبدان العظيمان الموجودان في وسط الحدائق اللذان يقفان فوق الأكروبوليس. والذي جعل من هذه الأطلال أهمية متتالية من ذلك الوقت الذي رآها الزوار الغربيون منذ أربعة قرون مضت عاملان:

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 28.

(٢) Wiegand, T., *op.cit.*, p. 35.

أولهمـــا : كبر حجم أعمدة معبد جوبيتر الستة.

وثانيهما : الحالة الجيدة التي ما زال عليها معبد بـــاخوس الأصغـــر.

البروبيليا "البوابة العظمى"

والوصول اليوم إلى هذه المعابد – كما كـــان ســـابقاً – مـــن خـــلال البروبيليا "البوابة العظمى" (شكل ١٣٥) مروراً بالسلالم الأثرية التي أزيلـــت في القرون الماضية وحل محلها سلماً على نفس الطراز. وكان اتساع الســـلم ٥٠م وإرتفاعه ٨,٥م عن مستوى المساحة المحيطة به والتي كـــانت تحتـــوي على أبراج وأثنا عشرة عموداً من الجرانيت الأسواني في شكل صف علـــى قمة المدرجات[١].

وكانت الواجهة الخارجية للأبراج تنقسم إلى قسمين غير أن العـــرب حولوا هذا المكان إلى قلعة وكان الحائط الخلفي للرواق مزين بـــإثني عشـــر محراباً (كوه في الحائط) وهناك القليل مما تبقى من كل ذلك إذ أن هذا الجـــزء من المعبد قد دمّر وتغير شكله تماماً ليتناسب مع دوره الجديد كحصن.

وكان الوصول للأبراج يتم عبر ثلاثة أبواب مقوسة وبأعمدة مربعـــة، اثنان منهما كانا يقودان للبرج الشمالي ثم أغلقا في عهد الرومان لسبب غـــير معروف. وقد سقط سقف الغرفة السفلي بحيث دُمّر أرضية هذه الغرفة.

ولقد تم هدم أعمدة الواجهة لاستخدامها في الحصـــن غـــير أن هيئـــة الآثار في لبنان قامت بإعادة بنائها وعلى هذا الأساس نجد المخطوط اللاتينـــي يذكر قصة الثلاثي الهليوبوليتاني.

---

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 104.

ومن المرجح أن اثنين من هذه الأعمدة كانتا ضمن نــذر اوريليــوس انطونيوس المسئول عن الفيلق الأول. وعلى الرغم من ذكر المخطوط أنـــهم مصنوعان من البرونز فلم يوجد أي أثر لهما في الموقع.(١)

وتوجد إشارات عديدة توضح أن هذا البناء لم تنته تفاصيله ولكن كمـا نرى على عملات فيليب العربي فهي تشير على الأقل أنه تم الانتـــهاء مــن العناصر الأساسية.وطبقاً للمخطوط اللاتيني فإن هذه الأعمدة كانت مقامة فــي وقت الإمبراطور كراكالا Caracalla عام ٢١٧م.

وجدير بالذكر أنه على الحائط الخلفي للرواق يوجــد ثلاثــة أبــواب أحدهما في المنتصف كبير وباب أصغر في كل جانب من الجــانبين يقــودان لفناء سداسي الشكل(٢).

ويوجد في مدخل الباب الشمالي سلم دائري يقود إلى سطح البروبيليــا يعطي رؤية شاملة للمكان كما يوجد سلم آخر عند الباب الجنوبــي غــير أن حالته رديئة. ومن خلال البروبيليا نستطيع الدخول لقاعة أمامية سداسية الشكل وهي تصميم فريد في المعمار الروماني يبلغ قطرها ٦٠ يــاردة وكــل مــن جوانبها الستة ٢٥ ياردة طولاً.

وكان منتصف القاعة مفتوحاً إلي السماء ومحاطاً برواق أعمدته علــى قاعدة من ثلاثة درجات وكان بهذه الحجرات صفان أعمــدة مــن المحــراب المثلث تم هدمها لعمل الحصن واستخدمت الأقواس الموجــودة فــي الحــائط كجزء من الأعمال الحربية للحصن(٣).

---

(١) Harding, *op.cit.*, p.30.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 107.

(٣) Harding, *op.cit.*, p.32.

وفي الزاوية الشمالية الغربية للساحة الأمامية يوجد مذبح يحمل نحتاً بارزاً للإله جوبيتر بعل حداد وقد وجد بالقرب منه عين لجوج على بعد خمسة أميال شرق بعلبك ولسوء الحظ فإنه سيئ الحالة غير أن الغرض منه معروف. يمثل المذبح الإله واقفاً مرتدياً رداءاً مرصعاً بالميداليات ويرتدي غطاء للرأس طويل ويدفع يده اليمنى وقد يكون ممسكاً بها سوط بينما اليد اليسرى ممسكة بصاعقة وسنبلة قمح تماماً كما وصفه مكروبيوس ويقف على جانبيه ثوران كالعادة، وعلى جانب هذا التمثال يوجد اثنان من الثيران والصاعقة وهما مخصصات للإله حداد.

ومن المرجح أن الساحة الأمامية السداسية تم استكمالها تقريباً في نفس وقت استعمال البروبيليا أي في منتصف القرن السادس الميلادي[١]. إذ يبدو أن هذين العملين هما آخر جزء تم بناءه في هذا العمل. وفي هذه الساحة الأمامية يوجد ثلاث بوابات مقابلة لبوابات البروبيليا وتقود إلى الساحة الرئيسية حيث يوجد مذبح الأضحية.

وطول هذه الساحة أربعمائة وخمسون قدم وعرضها ثلاثمائة وسبعون قدم وبها رواق مغطى في الشمال والجنوب والشرق، وهو مقام على أربع وثمانيين عمود من الجرانيت تم جلبها من أسوان جنوب مصر وكان يحتمي به زوار المعبد الذين كانوا يأتون إلى هذا المعبد القديم لتقديم القرابين للإله جوبيتر[٢].

ويوجد صف مزدوج من الحنايا ذات الكورنيش المثلث والمقوس تزين الحوائط. ومن المرجح أنها كانت تحتوي على تماثيل.

---

(١) Eissfeldt, *op.cit.*, p.218.

(٢) أحمد فخري، المرجع السابق، ص ٦٨.

معبد الإله جوبيتر (المعبد الكبير)

يوجد السلم الأثري لمعبد جوبيتر[١] (شكل ١٣٦) في نهايـــة الجهــة الغربية لهذا الفناء ولكن قام البيزنطيون بتدميره لإقامة كنيسة هناك.

وعند تدمير تلك الكنيسة عام ١٩٣٢م ظهرت سلالم المعبـــد وآثـار أخرى وقد استطاع المهندسون المعماريون تحديد هويتها على أنهما مذبحـان كبيران مقامان في وسط الساحة، وكان أساس هذين المذبحين قد ظـل تحـت أرضية الكنسية وأصبح من الممكن إعادة تشكيل جزء كبير من المذبح الغربي الذي كانت تقدم عليه الذبائح والقرابين للآلهة، أما بالنسـبة للجـزء الشـرقي فيعتبر أثراً فريداً من كل الأوجه ولقد استطاع المهندسون بفضل الأحجار التي وجدوها تحت الكنيسة أن يرسموا نموذجاً كاملاً على الورق[٢].

وأبعاد معبد جوبيتر أبعاد ضخمة للغاية حيث يبلغ طوله ٨٨م وعرضه ٤٨م وارتفاعه ٤٤م. وترتفع الأعمدة إلى نحو عشرين متراً يعلوها كورنيـش بارتفاع ٥م. والجزء الأسفل من المعبد يوجد بطول تسع وستين قدم وعـرض ست وستين قدم وهو متسع وله رواق من الشرق والغرب ويمتد منه رواقيـن آخرين.

ومن الرواق الغربي توجد درجات سلم تؤدى إلى قمة البناء ويبدو أنه كان يتكون من أربعة طوابق. ويبلغ الارتفاع الكلي حوالي ستين قدم ويبدو أن الهدف من هذا البناء الغريب هو إعطاء الحرية للعابدين لكي يتحركوا من سلم لآخر لكي يتسنى لهم الفرصة لرؤية تقديم الذبيحة على المذبح السفلي وربمـا رؤية تماثيل الآلهة الموجود بالمعبد أيضاً، إذ أنه كان مسموحاً للكهنة فقـط أو

(١) Ragette, *op.cit.*, pp. 27 – 39.

(٢) Harding, *op.cit.*, p. 33.

علية القوم رؤية ذلك. ويوجد حوض كبير على كل من جانبي المذبح الشمالي والجنوبي حيث كانت تقام فيه شعائر التطهير وذلك بالاغتسال قبل الصعود للمذبح(١).

وكانت جدران هذه الأحواض منقوش عليها الحور، التريتون – رأس الميدوسا – كيوبيد... ....إلخ.

وفي المساحة المفتوحة بين المذبح الشرقي والبوابة كانت هناك عمليات حفر تحت مستوى أرضية الفناء أظهرت حوائط مباني سابقة مجهولة الهوية.

ومن خصائص هذا الفناء هو وجود عدد كبير من المذابح المربعة المصنوعة من الطمي وكلها تحمل نقوشاً لجوبيتر–هليوبوليتانوس(٢).

ويبدو أن الرواق والمصاطب قد تم بناؤهما في القرن الثاني بعد الميلاد، غير أنه يحتمل أن تكون المذابح معاصرة للمعبد أي في القرن الأول بعد الميلاد. وفي منتصف المسافة بين السلالم التي تقود للمعبد وبين المعبد نفسه نرى جزء من القبة النصف دائرية لكنيسة، وفي أعلى السلالم الأثرية نجد منصة صناعية ترتفع المعبد حوالي أثني وأربعين قدم فوق مستوى الأرض وحوالي ستة وعشرين قدم فوق الفناء وبذلك نجد أن البروبيليا (وهو الرواق الضخم الذي كان به بوابة المعبد عند اليونانيون) والفناء الرئيسي كلهم كانوا مجرد مقدمات لمعبد جوبيتر–هليوبوليتانوس العملاق. ويبلغ عرض السلم مائة وخمسة وسبعون قدم وعلى ثلاثة مستويات كالعادة والمنطقة

---

(١) Ibidem, p. 34.

(٢) Huber, I., Baalbek, in: Antike Stätten am Mittelmeer, Darmstadt, 1999, p. 672.

المغطاة بالمعبد تبلغ حوالي ٣٠٠ × ١٧٥ قدم وتحتوي على مقصورة الإله أو جزء منه[1].

والمبنى محاط بالرواق العظيم ويحتوى على تسعة عشر عمود في كل جانب وعشرة أعمدة في كل جانب عرضي وعلى ذلك يكون مجموع الأعمدة هو أربع وخمسون عمود والواجهة كانت بالتأكيد تحتوي على كورنيش إذ أن جزء منه ما زال باقياً حتى الآن وهو بلا شك يحمل زخارف غنية.

ويوجد سقف خماسي مصنوع من القرميد وفي زوايا وقمم الكورنيش تقف تماثيل، ولم يتبق من كل تلك العظمة إلا ستة أعمدة فقط، (شكل ١٣٧) توضح المهارة الهندسية لصناع هذا المعبد والتي حلت مشكلة رفع هذه الكتل الحجرية الضخمة فكل عمود من الطراز الكورنثي مكون من ثلاثة صحف (والصحفة هي حجر العامود) بارتفاع خمسة وستين قدم شاملة القاعدة وتاج العمود ويبلغ قطر العمود سبع عشرة قدم وست بوصات. وقد كان يوجد فوق تيجان الأعمدة دعامة مرتكزة على العمود ارتفاعها ستة عشر قدم مكونة من عارضة ترتكز على العمود وإفريزة من رءوس الثيران والأسود متصلة مع بعضها بأكاليل الزهور، مع وجود كورنيش من السنون (حليات معمارية) والبيض والأسهم والورود ورسوم للمفتاح اليوناني وأوراق النبات.

كانت تلك الأمثلة الأخيرة تستغل كمزاريب في صرف ماء المطر من السطح وهي مثال رائع يمكن رؤيته على الشرفة أسفل الستة أعمدة[2].

وقواعد الأعمدة الموجودة في الجهة الغربية ما زالت في موقعها، أما أعمدة الجهة الشمالية فيتبقى منها فقط بقايا بسيطة تقف على القواعد ويوجد في

(١) Puchstein, O., Führer der syrichen Ruinen, Berlin, 1905, pp.62-64.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 107.

الزاوية الشمالية الغربية باب يقود إلى برج كان يستعمل قديما في الحصن ومنه يستطيع المرء رؤية منظر ساحر خلاب للحدائق والوادي وجبال لبنان.

ومن هناك أيضا يمكن رؤية جدار الشرفة العملاقة والقاعدة أو المصطبة المقام عليها تلك الأعمدة، ومن شرفة أخرى في الزاوية الجنوبية يمكن رؤية نفس المناظر(١).

ونعود مرة أخرى إلى الأساس الموجود تحت المصطبة الصناعية المقام عليها المعبد، وهذا الأساس يعتبر أهم وأجمل خصائص البناء كله، وحيث يتكون المعبد من مستويين: المستوى الذي يقوم عليه البناء ومن المرجح أنه يعود إلى فترة ما قبل الرومان ويبدو أنه في فترة الإمبراطورية الرومانية قد تم وضع خطة طموحه وتصميم لبداية العمل بهدف التوسع في منصة المعبد. ثم بعد ذلك أهمل هذا العمل ويوجد الآن شرفة مستديرة تطل من ثلاث جهات على المعبد على مساحة ثلاثين قدم شمالا وجنوبا وخمسة عشر قدم غربا.

وكل ذلك مبني من بلوكات عملاقة من الحجارة، ولقد كان الحائط الغربي مشهورا حتى في الأزمنة القديمة لوجود ثلاثة أحجار كبيرة تكون الحائط بأكمله وهو عبارة عن بلوكات ضخمة كل منها ٦٢ ×١٤ ×١١ قدم ووزنه حوالي ثمانمائة طن، ولا شك أن تلك البلوكات الموجودة في المحجر كان الهدف منها استعمالها في الجانب الشمالي أو الجنوبي، غير أنه تم إيقاف العمل عند هذه المرحلة، وربما كان ذلك بسبب فقدان السيطرة على ضخامة

---

(١) Rey, J.P.- Coquais, Heliopolis, in: The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton, 1976, p. 381.

العمل إذ أن هذا البلوك يعتبر أكبر وأضخم حجر نحت في العالم أجمــع فقــد كانت مقاييسه ٦٩ ×١٦× ١٤ قدم ووزنه ألف طن وحجمه ٣٢٠م٣[١].

وهناك أمران يدعوان التأمل والإعجاب بهما بالرغم مـــن اعترافنــا بجنون الفكرة **أولهما:** المهارة الفنية العظيمة لعمال المحاجر الذين اســتطاعوا اقتطاع مثل هذا البلوك الضخم من الحجارة دون أن يكسر. **ثانيهما:** المـــهارة الهندسية التي حركت مثل هذه الكتل العملاقة ووضعتها فـــي مكانـــها علـــى الحوائط.

ويبدو أن العمل في المعبد قد بدأ في القرن الأول الميـــلادي إذ أنـــه اقترب من الانتهاء في عام ٦٠م.

أما بالنسبة لحائط الشرفة الضخم فمن المحتمل أنه يكون قد تم الانتهاء مبكراً قليلاً عن ذلك الوقت[٢].

وتوجد سلالم حديثة في الزاوية الجنوبية الغربية للفناء الرئيســـي تقود للشرفة أسفل الأعمدة وعليها يوجد كتل الكورنيش الرائعة المشار إليـــها سابقاً. ومن الشرفة نجد سلالم حديثة أخرى تقود إلى مساحة مفتوحة في شمال معبد باخوس.

وفي الطرف الغربي لهذه المساحة المفتوحة يوجد بقايا عديـــدة مـــن الحصون والمباني العربية ومن هذه الحصون مسجد وأغلبها تعود إلى القـــرن الثاني عشر أو الثالث عشر الميلادي[٣].

---

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 107.

(٢) Harding, *op.cit.*, p. 39.

(٣) Puchstein, *op.cit.*, p. 67.

معبـد الإله باخـوس

يُعرف هذا المعبد[١] باسم المعبد الصغير (شكل ١٣٨) وهو على طراز Peripteral Oktostylos وهو أيضاً مقام أيضاً على مصطبة صناعية Podium غير أنها أقل ارتفاعاً بكثير عن مصطبة معبد جوبيتر ولكنها على أي حال أفضل مثال وجد بحالة جيدة لمعبد روماني تم العثور عليه في الشرق الأدنى[٢]. فيبلغ طول المعبد ٢٢٥قدم (حوالي ٧٥متر) وعرضها ١١٠ قدم (حوالي ٣٦,٥متر). والمعبد كالعادة محاط برواق مكون من خمسة عشر عمود على الجوانب الطولية وثماني أعمدة على الجانبين العرضيين. وهذه الأعمدة أقل قليلاً في ارتفاعها من أعمدة معبد جوبيتر إذ يبلغ ارتفاعها ٦٢ قدم (حوالي ١٩متر) غير أنها تعطي انطباعاً بأنها أصغر كثيراً بسبب حالة المبنى الجيدة وبسبب وجودها في الخلاء. أما العارضة الراكزة على العمود والإفريز والكورنيش فيعتبروا مثل الموجودين في معبد جوبيتر ولكن أصغر قليلاً[٣].

أما بالنسبة للساحة الأمامية للمعبد فقد اختفت وتلاشت وربما ما زالت مدفونة فمن المؤكد أنه كان يوجد هناك مذبح أمام مدخل المعبد.

بالإضافة إلى وجود سلم اثري مكون من ثلاثة وثلاثين درجة ومقسم إلى ثلاثة أدوار ويقود إلى المدخل الخارجي الذي تم تزيينه بأعمدة محززة لم يبق منها الآن سوي اثنين فقط في جنوب الموقع.

---

(١) Ragette, *op.cit.*, pp. 40 – 51.

(٢) Stierlin, *op.cit*, pp. 107 f.

(٣) Harding, *op.cit.*, pp. 39-40.

وبالنسبة لسقف الرواق فهو مصنوع من بلوكات كبيرة من الحجـــارة ومقبب قليلاً ومزخرف بالتصميمات وأفضل جزء بحالة جيدة في المبنى هـــو الممشى الشمالي والذي به الآن ثلاثة عشر عمود من ضمن خمسة عشر عمود قد أعيد ترميم معظمها. ويعتبر السقف (شكل ١٣٩) بحالة رائعة ويمكـــن أن نرى في وسط كل تصميم بارز في المعبد أوجه مثل وجه الإله مارس وهـــو يحمل درعاً والآلهة ديانا وهي تسحب سهماً من جعبتـــها والإلهـــة فيكتوريـــا المجنحة والإلهة تيخي بقرن الخيرات والإله فولكانوس بمطرقته والإله باخوس الذي يرتدي تاج العنب على رأسه والإلهه سيريس ومعها سنبلة القمح وآلهـــة أخرى صغرى. وقد تم ترميم الأعمدة الموجودة في الطرف الغربي، ويمكـــن رؤية كل المباني والحصون العربية بوضوح من هذا المعبد[١].

أما بالنسبة للطرف الجنوبي فقد عانى كثيراً من التلف والدمار وتوجـد بعض الأعمدة الآن صامدة لفعل الزمان بالإضافة إلى وجود عمود يستند على حائط مقصورة الإله ويرجع تماسك هذا العمـــود إلـــى الأربطـــة الحديديـــة والبرونزية التي كانت تدخل في صناعته، وهي الطريقة المتقدمة فـــي ربـــط الحجارة بعضها ببعض، إذ كانت تعتبر خاصية ممتازة تعطي متانـــة للعمـــود والبناء وحماية من الزلازل، ولسوء الحظ فإنه عندما أهمل اســـتخدام البنـــاء القيت الأعمدة جانباً، مما تسبب في انهيار المكان وخرابه تماماً وكأنه تعـوض لزلزال مدمر[٢].

ولاشك أن زلزال عام ١٧٥٩م قد دمر هذا المعبد مع معبـــد جوبيـــتر تماماً لأن الرسوم التي رسمها وود Wood عـــام ١٧٤١ توضـــح أن كـــل

---

(١) Ibidem, p. 40.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 108.

الأعمدة الموجودة بالجانب الغربى لمعبد باخوس لم تمس بينما نجد ثلاثة أعمدة قائمة فقط بعد أعمال الترميم الحديثة كما يظهر في رسمه أنها تسعة أعمدة من معبد جوبيتر تحولت بعد بضعة سنين إلي ستة أعمدة فقط ويبدو أنه أيضا بعـد هذا الزلزال قد هجرت الحصون ولم تستعمل قط(١).

وبعد اجتياز الرواق نصل إلى مقدمة الهيكل والبوابة الأثرية لمقصورة الإله، وهى تعتبر من أهم المداخل إذا أنها أكثر المداخل هيبة وإجـــلال فـــي العالم أجمع وهنا يكمن جمالها إذ أن هناك تناسق بين ارتفاع وعرض الحـــائط المبنى عليه حتى أن المرء لا يدرك من أول وهلة مدى ضخامة أحجامها حيث تبلغ أثنتا وأربعون قدم وست بوصات ارتفاعاً، كما أن النقوش المنحوتة علـــى قوائم الباب وعتبة الباب تعتبر مصنوعة بطريقة دقيقة ليس لها مثيل، إضافـــة إلى التصميمات المعتادة والتى تتمثل فى البيضة والسهم ونبـــات الأكـــانثوس. ويوجد شريط عريض مزخرف بزخرفة أوراق العنب المتداخلة ولـــه رســـوم لوجه كيبوبيد، وإله الحقول والرعاة عند الرومان غير أنها جميعـــاً للأســـف وجوهاً مشوهة(٢).

ويوجد على عتبة الباب تصميم غريب لنسر في المنتصف يمسك فـــي مخالبه بصولجان الإله هرميس (رمز ميركورى) وفى منقاره يوجد أطـــراف أكليل زهور يمسك طرفه من كل جهة طائر مجنح.

وعلى كل جانب من جانبي البوابة يوجد باب صغير يقود إلى ســـلالم دائرية تصعد إلى السقف ونجد أن السلم الموجود على شمال البوابة هو الوحيد

---

(١) Wood, ., The Ruins of Balbeck, otherwise Heliopolis in Caolesyria, 1757.

(٢) Huber, *op.cit.*, p. 672.

المستخدم الآن. ويعلو هذه الأبواب زخرفة بطول دوران الحائط الخارجي حتى مقصورة الإله، وفى داخل المقصورة نجد أن الحوائط الشمالية والجنوبية تحتوى على صف مزدوج من المحاريب موجودة بين أعمدة محززة والصف الأعلى به كورنيش مثلث وبه أقواس في أسفله. أما الأعمدة فتقف على قواعد عالية هي نفسها ترتفع على مستوى الأرضية بثلاثة درجات، بالإضافة إلى وجود دعامة مزخرفة فوق جسم الأعمدة الكورنثيه، ويوجد فى الطرف الغربى حرم يرتفع عن مستوى الأرضية بثلاثة عشر قدم، ويتم الوصول إليه بسلالم مقسمة إلى ثلاثة أجزاء بواسطة سور صغير لم يتبق منه الآن إلا قاعدته. ويوجد أعلى القطاع الموجود بالمنتصف مجموعة أخرى من السلالم تقود إلى حرم أو قدس الأقداس حيث يوضع تمثال الإله أو الإلهة، وعلى جانبيه يوجد بلوك منحوت من المحتمل أنه كان قاعدة بناء للأعمدة والمحراب[1].

أما بالنسبة للمنحوتات وهى مشوهة تماماً غير أنه أمكن التعرف على ما يلى:

على اليسار الإله باخوس وأريادنا فى موكب، وعلى اليمين باخوس يجلس على فهد أسود ويحيط به اتباع باخوس، وقد سمى هذا المعبد باسمه نظراً لوجود هذه المنحوتات، وعلى كل من الجانبين يوجد عمود محزز يبعد قليلاً عن الحائط الجانبى ويتصل به بواسطة قوس وفوقه محراب ويوجد شمالاً باب يقود إلى سرداب أسفل الحرم كما توجد مجموعة من السلالم فى الجنوب، من المحتمل أنها كانت تقود إلى مائدة تقديم القرابين.

(١) Wiegand, *op.cit.*, p. 35.

ومن المرجح أن يكون هذا المعبد قد تم بناءوه أو على الأقل بداية بنائه في أوائل القرن الثانى الميلادى[١].

كما يوجد أيضا أعلى السلالم الأثرية برج دفاعي من فترة حكم المماليك في القرن الخامس عشر الميلادي وقد تهدم تماماً أو يكاد ولكن نستطيع أن نرى حجرة على شكل صليب مقببة ذات مقاييس متناسبة وذات جمال وبساطة شديدين، ونري ومن سقف البرج جميع الاتجاهات بوضوح.

وقد تم بناء برج صغير في نفس تلك الفترة التاريخية على مقدمة هيكل المعبد، ونستطيع رؤية بعض بقاياه اليوم، كما يوجد عدة حجرات على الحائط الذى كان يشكل الحد الشمالى لفناء معبد باخوس، وهذه الحجرات تستعمل اليوم كورش عمل ومخازن لهيئة الآثار، ويوجد في الطرف الشرقى حجرة مفتوحة ذات سقف مقبب قليلا مغطاه تماما ببطانات سقف تحتوى على بانوهات سداسية كما تحتوى على تماثيل نصفيه لإلهه وحنيات مختلفة[٢]. ولسوء الحظ فحالتها سيئة ومتهدمة، كما أن المحاريب الثلاثة الموجودة في الحائط الخلفي قد دمرت أيضا، غير أنها كانت تبدو حجرة مزخرفة وعلى درجة من الثراء، ويبدو أنها كانت لخدمة غرض معين، إذ أن باقي الحجوات غير مزينة بتلك الطريقة ويمر الطريق خارج منطقة المعبد خلال قبو كبير يعتبر جزء منه الأساسات التي تدعم مصطبة الفناء الرئيسي لمعبد جوبيتر، ويوجد مثل هذا القبو في الجهات الشمالية الشرقية والجنوبية ولم يتم الانتهاء من بناء أحجار هذه الأبنية، ويبدو أن بعضها لم يمس والبعض الآخر جزء منه قد اكتمل بناؤه والجزء المتبقي لم ينته العمل فيه، حيث توجد بعض

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 43.

(٢) Rey-Coquais, *op.cit.*, p. 381.

البلوكات التى كان الغرض منها بناء جوانب المعبد، مما يعتبر دليلاً على عدم الانتهاء من البناء ككل[١]. وتعتبر تلك الطريقة غير تقليدية في بنـــاء القبـو، وجدير بالذكر أن معظم أحجار هذه المباني قد استخدمت في بنـاء الحصـون التي ترجع لفترة الحكم الإسلامي ومن أهمها البرج الذي يعود تاريخه إلى عام ١٢١٣م.

معبـد الإلهـة فينـوس

وعلى مسافة قريبة من مخرج الأكروبوليس يوجد معبـــد فينــوس[٢] (شكل ١٤٠- ١٤١) وهو يختلف عن أي معبد من معابد بعلبك، فبداية نجــده متجهاً ليواجه جهة الشمال بدلاً من الشرق كما هو الحال في باقي المعابد، كما أن مقصورة الإلهة به مستديرة بدلاً من كونها مستطيلة[٣]. أما المنصة فـــهى مقببة ومقسمة إلى خمسة جيوب مقعرة في الجزء المحيط بمقصورة الإلهـــة، ويعتبر التصميم غير عادى ذلك أنه لم يكن فريداً من نوعه. ويتم الوصول إلى المعبد عبر سلالم شيدت –كالعادة– علي ثلاثة مراحل، وتحتوي مقدمة الـهيكل على صفين من أربعة أعمدة كورنثيه غنيـــة فـــى زخرفتــها تقــوم بتدعيـــم الكورنيش[٤].

بالإضافة إلى ذلك يمكننا أن نلاحظ بعض الأحجار التي كانت تكـــون الطبقة السفلى من القبة المفلطحة، وأما في الخارج فيوجد عمود كورنثى قــائم على كل جانب من جانبى المنصة، كما يوجد محراب فى كـــل جيـــب مـــن

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 45.

(٢) Ragette, *op.cit.*, pp. 52 – 61.

(٣) Stierlin, *op.cit*, p. 118.

(٤) Harding, *op.cit.*, pp. 45 – 46.

الجيوب السابقة الذكر على حائط مقصورة الإلهه، ونجد أن المنحوتات المنقوشة على هذه المحاريب تمثل حمامة فينوس وتمثل الإلهة فينوس خارجة من صدفة وهكذا ولكنها بحالة سيئة، وتبدو الحمامة أقرب شبها بالنسر. ومن المرجح أن يكون هذا البناء منذ أواخر القرن الثاني الميلادى أو بدايات القرن الثالث وقد تم تحويله في وقت ما إلى كنيسة للقديسة بربارة[١].

وقد تم الكشف عن بعض شوارع المدينة المرصوفة بالفيسفساء، كما تم الكشف عن السياج الخارجي لمعبد فينوس والبروبيليا الذى كان يوجد أمام بوابة المعبد، بالإضافة إلى الكشف عن معبد آخر يواجه الشرق ويبدو أنه قد بني في فترة مبكرة عن باقي المباني.

ولم يتبق من أسوار المدينة القديمة سوى القليل نستطيع من خلال هذه البقايا تحديد حجم وطول هده الجدران التي تمتد مسافة ٨ك.م أى ما يقرب من خمسة أميال، وكانت تحتوى على أربع بوابات على الأقل تضم داخلها نبع رأس العين.

ومثل هذه الأسوار الكبيرة يبدو وكأنها تضم مدينة ذات حجم كبير مما يوضح أيضا عدد العمال والحرفيين والنحاتين والمعماريين المشرفين والمهندسين الذين شاركوا في إتمام كل هذه المباني[٢].

---

(١) Huber, *op.cit.*, p. 673.

(٢) Harding , *op.cit.*, pp. 46- 48.



الفصل الرابع

آثار بلاد الرافدين

- الجضر(مدينة الشمس)
- تقديم
- الإطار الجغرافي
- اللغة
- التقويم
- تاريخ المدينة
- الديانة في الحضر
- العمارة في الحضر
- معابد مدينة الحضر

آثار بلاد الرافدين

الحضـــــر Hatra
(مدينة الشمس Heliopolis)

تقديم

تقع الحضر (شكل ١٤٢) على بعـــد ١١٠كـــم جنـــوب غـــرب مدينـــة الموصل وهى من مناطق البادية التي لا تتوافر فيـــها الميـــاه أو الزراعـــة، شأنها فى ذلك شأن مدينـــة تدمـــر (بـــالميرا) فـــى ســـوريا والبـــتراء فـــي الأردن وقد ازدهرت مدينة الحضر نتيجـــة لوقوعـــها بيـــن إمـــبراطوريتين عظيمتين أقتسمتا العالم القديم في القرون الأولـــى للميـــلاد: الأولـــى كـــانت الإمبراطورية الرومانيـــة التـــي بســـطت نفوذهـــا علـــى آســـيا الصغـــرى وحاولت مّنذ عصـــر بومبيـــوس ٦٦ق.م أن تتوســـع فـــي بـــلاد مـــا بيـــن النهرين، الثانية وكانت إمبراطورية البارثيين[١] وهـــم قـــوم كـــان مواطنـــهم الأصلي بلاد ما وراء النهر، ثم قدموا منها واستقروا فـــي شـــمال الهضبـــة الإيرانية وأخذوا في التوسع حتى تمكنوا من الاســـتقلال عـــن العـــراق فـــي عام ١٤١ق.م بقيادة ملكهم ميثرداتيس وبذلك أنـــهوا حكـــم الســـلوقيين فيـــه وقد أتخذ البارثيون سلوقية عاصمـــة لـــهم. وممـــا زاد فـــي ازدهـــار هـــذه

(١) Wolski, J., The Decay of the Iranian Empire of the Seleucids and the Chronology of parthian Beginnings, in: Berytus XII, 1956 –7, pp. 35-36.

المدينة انصرافها إلى التجارة ونقل البضائع بين موانئ الخليج العربي ومدن السواحل الشرقية للبحر المتوسط(١).

الإطار الجغرافي

كانت مدينة الحضر عاصمة لمملكة عربية لها حدود طبيعية هي دجلة من الشرق والفرات من الغرب وكذلك جبال سنجار من الشمال ومشارف المدائن من الجنوب إلا أن نفوذها امتد في الشمال إلى ما وراء سنجار فوصل إلى الخابور ونصيبين، وهي إحدى الدويلات الكبرى التي كانت تتمتع بالاستقلال الذاتي ضمن السيطرة العامة للإمبراطورية البارثية.

وتعرف بلاد مملكة الحضر باسم عربايا أي بلاد العرب، فبعد أن سقطت مدينة نينوي عام ٦١٢ ق.م وزال كيان الآشوريين عن مسرح التاريخ إلى الأبد أخذت القبائل العربية تتدفق إلى بادية العراق الشمالية من الغرب والجنوب الغربي وحدثت هجرة واسعة جديدة امتدت شمالاً إلى نصيبين وديار بكر فزعزعت الاستقرار في جميع بلدان الشرق مما أدى إلى نمو الأنباط في منطقة البتراء وإلى اندفاع قبائل عربية جديدة شمالاً وقد عرفت الأقاليم الشمالية من ما بين النهرين بعد سقوط نينوي باسم عربايا نسبة إلى العرب الذين قطنوا هذه المنطقة(٢).

ويبدو أن أرض الحضر كانت أشهر مركز للقبائل التي حلت في بادية الجزيرة الشمالية وأخذت مع مرور الأيام تستقر نظراً لكثرة المراعي حولها

(١) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) فؤاد سفر، محمد على مصطفى، الحضر مدينة الشمس، بغداد، ١٩٧٤، ص١٧.

وتوافر الماء الناتج عن تجمع مياه الأمطار.[١] وقد أنشأ أهالي الحضر فيها بيت للأصنام كانوا يقدمون إليهم النذور ويحجون إليهم في أعيادهم ويدفنون بالقرب منهم موتاهم. وكانت الشمس أشهر آلهتهم فقد عبد العرب الشمس بأسماء مختلفة فقرنوها بهبل في كعبة الحجاز وذى الشرى في البتراء وباسم شمش أو شمشا في الحضر.[٢]

ويبدو أن مدينة الحضر قد توسعت ولا سيما بعد فتح الإسكندر المقدوني للشرق (٣٣١-٣٢٣ق.م) وما أعقب ذلك من تأسيس مدن وظهور شبكة من الطرق تتشعب من بابل إلى جميع الجهات، ومن المحتمل أن أول معبد من الحجر قد شيد في الحضر في عصر السلوقيين الذين خلفوا الإسكندر في حكم العراق ويرجع هذا المعبد إلى القرن الثاني ق.م. وتقع مدينة الحضر على أحد طريقين يربطان بين عاصمتي السلوقيين: سلوقية الواقعة على نهر دجلة وانطاكية في سهل الأسكندرونة في أعالي سورية[٣].

وقد صارت الحضر مدينة كبيرة بعد بزوغ أهميتها العسكرية للدفاع عن الإمبراطورية البارثية منذ الحروب الطاحنة التي دارت في آسيا الصغرى مع الرومان في أيام الملك البارثي إفراط الثالث (٦٩-٥٧ق.م) وابنه ورود الثاني (٥٧-٣٦ق.م)، ومنذ ذلك الحين استمر خطر الرومان طيلة العصر البارثي،

---

(١) Lloyd, S. Die Archäologie Mesopotmiens. Von der Altsteinzeit bis zur persischen Eroberung, Verlag C.H.Beck, München, 1981, p.87.

(٢) Hrouda, B., Vorderasien I. Mesopotamien, Babylonien, Iran und Anatolien, Beck Verlag, München, 1971, pp. 294-295.

(٣) Ibidem, p.295.

ونتيجة لذلك برزت أهمية القبائل العربية التي أصبحت أكبر مركز لها كقـــوة عسكرية أساسية يحسب لها الحساب في الدفاع والهجوم.

ونستطيع أن نلخص العوامل التي أدت إلى ازدهار مدينة الحضر :[1]

١- معرفة أهل الحضر بفنون الهجوم والدفاع حتى أن قذائف نارية معينـــة اشتهرت باسم القذائف الحضرية.

٢- المكانة الدينية للحضر فقد جعلت القبائل العربية تـــهرع لنجدتـــها فـــي أوقات الشدة دفاعاً عن أصنامها ومعابدها.

٣- موقعها المنعزل في البادية بين دجلة والفـــرات جعلـــها أقـــل عرضـــة لهجمات الأعداء.

٤- سيطرة الحضر على طريق القوافل المتنقلة في بادية جزيـــرة العـــراق والتي تنقل البضائع من موانى الخليج العربي إلى مدن الساحل الشـــرقي للبحر المتوسط.

اللغـــة

وكانت اللغة المستخدمة في الحضر هي اللغة الآرامية حيث كانت هـــي لغة التدوين والمراسلة عند معظم شعوب المنطقة على اختلاف ألسنتهم وتباين لغتهم، وقد فضلت هذه الشعوب الكتابة بها لسهولة حروفـــها الهجائيـــة ولأن الآداب الآرامية كانت ذات شهرة واسعة.

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ص ١٨-١٩.

وجدير بالذكر أن لدينا من النصوص المكتشفة في مدينة الحضر أكثر من ثلاثمائة نص كلها بالآرامية باستثناء نص واحد باليونانية وثلاثة باللاتينية.[1]

التقويم[2]

رغم عظم تاريخ مدينة الحضر إلا أن الكتابات المكتشفة بها لا تتناسب وعظمة هذه المدينة ومع ذلك فهي في غاية الأهمية، وبين هذه الكتابات ١٨ نصاً مؤرخاً مدوناً بحسب التقويم السلوقي الذي كانت بدايته على ما يرجح أول أبريل (نيسان) من عام ٣١١ق.م وفق الحساب البابلي الذي كان يختلف قليلاً عن الحساب المقدوني. وقد كان التقويم السلوقي بالحساب البابلي هو الشائع في العراق وكان هو المستخدم على النقود التي ضربها الملوك البارثيين في هذه المنطقة.

تاريخ المدينة

من خلال النقوش والنصوص والمعلومات المتاحة من كتب المؤرخين اليونان والرومان والعرب يمكننا أن نقسم تاريخ الحضر إلى ثلاثة أدوار رئيسية هي:

١- دور التكوين.

٢- دور السادة.

٣- دور الملوك.

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٣.

١- دور التكوين[١]

من الصعب أن نحدد تاريخ بداية هذا الدور ولكن معظم المعلومات تشير إلى أن الحضر أخذت تنمو منذ منتصف القرن الأول ق.م وذلك ببروز الحاجة العسكرية مقرونة بظهور طرق تجارية صحراوية، وقد انتهى هذا الدور في نحو منتصف القرن الأول الميلادي بظهور حكم الحكام الذين كان كل منهم يلقب بلقب (مريا) أي السيد، وقد اهتم هؤلاء الحكام بإعادة بناء المعبد الكبير وتجميله وينسب إليهم كذلك بناء معظم المعابد الصغيرة.

ويبدو أن السلطة في الحضر في دور التكوين كانت موزعة بين الشيوخ الذين كانوا يعرفون بكلمة ربا أي الزعيم أو العظيم، وبين السدنة الذين يطلق عليهم لقب (رب - بيتا) أي صاحب البيت، أي المعبد الكبير وهو مسئول عن سلامة المعبد ومحتوياته ونظافته وهي ليس مرتبة دينية لأن الأمور الدينية كانت موكولة إلى كهنة على رأسهم (الأفكل) أي رئيس الكهنة ويليه (قشيشا) أي القسيس ومن ثم (كمرا) الكاهن و(كمرتا) الكاهنة، وفي الوقت نفسه كان لقادة الجيش ولأرباب القوافل التجارية نفوذاً في تسيير أمور المدينة ويبدو أنه كان هناك مجلس للتشاور داخل المعبد الكبير كما تدل إحدى الكتابات بانتخاب شمشبرك سادنا، حيث اشترك في انتخابه كافة سكان المدينة، مما يؤكد وجود مبدأ الشورى عند أهالي الحضر.

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٢٧.

٢- دور السـادة[(١)]

استمر هذا الدور نحو قرن من الزمان منذ منتصف القرن الأول الميلادي وحتى منتصف القرن الثاني الميلادي، حيث تعاقبت على الزعامة أشـخاص يلقبون بمريا أي السيد لذا أطلق على هذا الدور دور السادة ومن المحتمـل أن هؤلاء السادة كانوا من عائلة واحدة. وقد استمر هذا الدور حتى نهايـة حكـم الإمبراطور تراجان عام ١١٧م.

ومن أهم االأحداث في هذه الفترة اشتداد الخلاف بين البارثيين والرومـان إبان حكم الملك البارثي ولجش الأول (٥٠-٧٩م) بسبب مملكة أرمينيا والـذي انتهى باحتفاظ ولجش الأول وأخيه تريدات بعرش أرمينيا على أن يتسلم التـاج من روما. وبالفعل توجه تريدات إلى رومـا وأدى فـروض الطاعـة إلـى الإمبراطور نيرون وتم عقد معاهدة سلام بين الطرفين وذلك فـي عـام ٦٥م واستمرت هذه المعاهدة نافذة المفعول أيام الإمبراطور فسباسـيان (٦٩-٧٩م) وابنه الإمبراطور تيتوس (٧٩-٨١م).

وقد انتعشت مدينة الحضر في هذه الفترة وكان من أبرز الشـخصيات التـي ظهرت نشريهب السيد الذي صار أحفاده فيما بعد ملوكاً، وقد تزعم المدينة من بعده ورود السيد الذي بنى الإيوانين الكبيرين بالمعبد الكبير.

وفي عهد الإمبراطور دوميشيان (٨١-٩٦م) بـدأ الرومـان يجـهزون جيوشهم لشن حملتين لعبور الفرات إحداهما شرقاً إلى الهند والأخرى جنوبـاً للاستيلاء على مدينة طيسفون وبقية مدن العراق ولكن لم تنفذ هذه الخطـة إلا أيام تراجان، فما كان من الملك البارثي بقورس الثـاني (٧٨-١١٦م) إلا أن

---

(١) Debevoise, N.C., A Political History of Parthia, Chicago, 1938, pp.35-87.

حصن الحضر للدفاع عن العاصمة طيسفون وتم تطويرها إلى قاعدة عسكرية يجند فيها القبائل العربية للقتال في صف الجيش البارثى ضد الرومان ومنعهم من عبور الفرات، ومن المحتمل أن سور المدينة وحفر الخندق حول المدينة قد تم في هذه الفترة.

وقد غادر تراجان روما متوجهاً إلى الشرق[١] ووصل أنطاكية في بداية عام ١١٤م ثم بدأ حملته بالتوجه إلى أرمينيا فأخضعها وجعلها مقاطعة تابعة لروما، ثم توجه جنوباً إلى نصيبين وماردين واستولى عليهما ثم توجه إلى الرها فاستقبله ملكها ابجر السابع بالهدايا فتمكن من المحافظة على عرشه ومنها عاد تراجان إلى أنطاكية، وفي ربيع عام ١١٦م عبر تراجان بجيوشه الفرات ثانية ثم عبر دجلة متوجهاً إلى مملكة حدياب واستولى عليها بعد فوار ملكها، وباستيلائه على حدياب قدمت الحضر ولاءها له واعترفت بسيطرته ثم سار بعد ذلك إلى طيسفون وفتحها ولاذ ملكها خسرو بالفرار تاركاً عرشه الذهبي ثم استولى تراجان بعد ذلك على مملكة ميسان واخضع ملكها اتمبيلوس الخامس. ولم يدم هذا النصر طويلاً ففي نفس العام أعلن العصيان عدد من المدن والأقاليم ومن بينها الحضر. وعندما بلغ تراجان نبأ هذه الثورات سار بنفسه إلى الحضر على رأس جيش وحاصرها ولكنه لم يتمكن من اقتحامها لتحصينها المنيع ثم عاد منسحباً إلى أنطاكية في سوريا حيث توفى عام ١١٧م.[٢]

---

(١) Lepper, F.A., Trajan's parthian Wars, Oxford, 1984, pp.18 ff.

(٢) Maricq, A., Hatra, Trajan, Vologasis, in: Syria XXXII, 1955, pp.239-241.

ويبدو أن الذي قاد مدينة الحضر إلى الانتصار هو نصرو مريا (السـيد) الذي ترك أعمالاً عمرانية كثيرة وهو والد سنطروق الأول ملك العرب، وقـد شيد نصرو المعبد العاشر الذي كان مخصصاً لعبادة الإلـه نرجـول ولقـب بالأفكل أي الكاهن الأعظم وقد أضاف نصرو جناحاً إلى أواوين المعبد الكبير. وبعد حملة تراجان بدأت فترة سلم واستقرار دامت نحو خمسين عامـاً، تـم خلالها تشييد المعبد الكبير (باستثناء خلوة الشمس) والذي كان من أكبر الأبنية في بلدان الشرق القديم، وهذا المعبد ينفرد عن غيره من المعابد التي شـيدت للإله الشمس في كل من تدمر ومنبج وبعلبك والبتراء بالأواوين التـي كـانت الطراز السائد في عمائر مدينة الحضر.

وبعد وفاة نصرو في عام ١٣٥م جاء بعده نشريهب السيد حيث جدد فـي عام ١٣٩م باب المعبد وسوره اللذين شيدهما نصرو، ثم جاء بعده معنو السـيد في حوالي عام ١٥٠م، ثم تولى الزعامة ولجش الذي كان أول من نصب نفسه ملكاً على الحضر واتخذ له لقب "ملك العرب" وهذا يعني أن مدينـة الحضـر بلغت من الشهرة والنفوذ شأناً كبيراً بحيث أصبحت مؤهلة لتكون قاعدة لمملكة العرب تدير شئونهم.

٣- دور الملـوك[١]

يبدأ هذا الدور بعد منتصف القرن الثاني الميلادي ويستمر حتى سـقوط مدينة الحضر في عام ٢٤٠/ ٢٤١م وكان ولجش أول من نصب نفسه ملكـاً، وفي دور الملكية تمتعت الحضر بقسط أوفر من الاستقلال واتساع النفوذ حتى بلغ نفوذها ما بعد نهر الخابور.

---

(١) Wheeler, R.E.M., Rome beyond the Imperial, London, pp. 70-90.

كان الملك البارثي في ذلك الوقت ولجش الثالث (١٤٨-١٩٢م) ينتهز الفرصة لمهاجمة الرومان في سورية وحانت هذه الفرصة حين أصبح الحكم في روما مشتركاً بين إمبراطورين هما لوكيوس فيروس وماركوس أوريليوس فيما بين (١٦١-١٦٩م)، وبالفعل وقعت معركة في أرمينيا انتصر فيها الملك البارثي وتمكن من الاستيلاء على الرها ومن عبور الفرات إلى سورية.

وكرد فعل من الرومان فقد أرسلوا القائد لوكيوس فيروس إلى الشرق حيث نزل في أنطاكية ومنها وجه جيوشه إلى العراق في عام ١٦٤م فعبرت الفرات من مكان جنوب مدينة نيسيفورم (الرقه) واستولت على مدينة دورا يوروبوس (الصالحية) التي أصبحت منذ ذلك التاريخ مستعمرة رومانية، ثم تقدم بجيوشه إلى سلوقيه ودخلها دون مقاومة.

وفي هذه الأثناء كان يحكم الحضر "سنطروق الأول" بن نصرو السيد الذي اتخذ موقفاً محايداً في الحرب بين البارثيين والرومان، وكان هذا الملك هو أول من سك النقود في الحضر واضعاً النسر رمز إله الشمس مع عبارة "الحضر مدينة الشمس" على أحد الوجهين، وصورة الإله الشمس بهيئة شاب حول رأسه هاله مشعة على الوجه الثاني، والغريب أن الحرفين S C اللذين يدلان على أن السك كان بأمر من مجلس الشيوخ الروماني Senatus Consulto يظهران على ظهر العملة مما يعكس رضاء الرومان على ملك الحضر في ذلك الوقت.

وقد شيد سنطروق المعبد المربع الذي كان خلوة للشمس، وساهم في تشييد السور الشمالي للمعبد الكبير والأروقة المجاورة له، ولقب نفسه ملك العرب مما يعكس فترة السلام والازدهار في عصره الذي استمر أكثر من ثلاثين عاماً.

وتذكر المصادر اسم الملك "برسميا" ملكاً على الحضر الذي كان ضمن الزعماء الذين ساعدوا بسينيوس نيجر (الأسود) في سورية للصمود في عام ١٩٣م ضد خصمه في الحكم سبتيميوس سفيروس.

وبعد أن قضى سفيروس على خصمه في سورية توجه بنفسه خريف عام ١٩٧م إلى طيسفون واستولى عليها بعد حرب عنيفة، ثم عاد إلى سورية وفي طريق العودة مر بالحضر وضرب الحصار عليها ولكن محاولته باءت بالفشل ثم جدد المحاولة في العام نفسه للاستيلاء عليها باستخدام الجنود السوريين لاقتحام الأسوار إلا أنهم لقوا حتفهم بقذائف النار التي اشتهرت بها الحضر وعرفت باسمها.

وقد قاد الدفاع عن الحضر الملك عبد سميا الذي كان يلقب بلقب ملك العرب، وفي عصره شيدت أروقة السور الشرقي للمعبد الكبير، وأصلح سور المدينة وضاعف استحكاماته وفي زمنه تولى السدانه لدى العرب أفرهط.

وقد اعتلى سنطروق الثاني العرش بعد أبيه "عبد سميا" وكانت الحضر ما تزال تنعم بنوع من الرخاء والرفاهية وامتد نفوذها إلى نهر الخابور وعبر الفوات مما دفع سنطروق إلى أن يلقب نفسه "المظفر ملك البلاد العربية" نظراً لأنه هو الذي تولى الدفاع عن المدينة في زمن أبيه.

وفي عام ٢٢٠م توسع الملك الفارسي أردشير حفيد ساسان في جنوبي إيران ووسع مملكته شمالاً وشرقاً وتحالف مع الميديين وقضى على الإمبراطورية البارثية إلى الأبد، إلا أن الحضر لم تدين بالولاء وتحالفت مع الرومان ونتيجة لهذا التحالف أقامت في الحضر حامية رومانية في عهد الإمبراطور إسكندر سفيروس عام ٢٣٥م. وفي زمن

سنطروق جددت تحصينـــات المدينـــة وشـــيد بـــرج للدفـــاع عـــن البوابـــة الشمالية وزينت جدرانه بمنحوتات كبيرة بارزة للملـــك وولـــي العـــهد.

وظل أهالى الحضر حتى عـــام ٢٣٨م يعيشـــون فـــي رغـــد مـــن العيـــش بارتباطهم مع الرومان وفي هذا العام أقيمـــت تمـــاثيل كثـــيرة فـــي المعـــابد والبوابات ومنها تمثالا الأميرة دوشـــفرى وابنتـــها ســـمى وتمثـــالا الكاهنـــة مرتبو ومرتلة المعبد قيمي. وقد وضعت كـــل هـــذه التمـــاثيل فـــي المعبـــد الخامس الذي شيده الملك نصرو للإلهة الـــلات باســـم أشـــربل قبـــل نحـــو قرن وبات مخصصاً بالدرجـــة الأولـــى للنســـاء والمترهبـــات مـــن أهـــالي الحضـــر.

وانتهت الحضر مع محاصرة الملـــك الساســـاني شـــابور الأول لـــها لمـــدة عام من ١٢ أبريل (نيســـــان) ٢٤٠م وحتـــى الأول مـــن أبريـــل (نيســـان) ٢٤١م واضطرت إلى الاستسلام بعد أن فقدت القـــدرة علـــى الصمـــود.

الديانة في الحضر

استقت الديانة في الحضر معتقداتها وطقوسها من أربعة منابع هى: [1]

١- الديانة الآشورية البابلية التي ترجع أصولها إلى السومريين ذوي الخيـــال الخصيب والتفكير الواقعي والذين وجدوا آلهتهم بتفاعلـــهم مـــع البيئـــة العراقية. [2]

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤١.

(٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمـــة، الجـــزء الأول، ١٩٧٣، ص ٣٣٣-٣٣٤.

جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، جامعـــة بغـــداد، ١٩٧٩، ص ص٦٠-٦٥.

٢- الديانتان الإغريقية والرومانية اللتان نمتا خارج العراق ودخلت إليه مع فتح الإسكندر المقدوني.

٣- الديانة الفارسية القديمة من مزدائية وزردشتية.

٤- ديانة القبائل العربية التي قوامها المظاهر الطبيعية والعوامل المؤثرة على حياة الرعى والتنقل وطابعها الميل إلى التبسيط والتوحيد في المعتقد والعبادة.

ورغم هذه المصادر التي استقت منها الديانة في الحضر أصولها إلا أنها كانت ذات طابع خاص يميزها عن كل هذه الديانات الأربع، فقد كانت تتألف من جزء من كل منها.

الإلـــه شمـــش

خص الحضر الشمس بالأولية فـــي عبادتـــهم، وهـــي عندهـــم مذكـــر يعرف باسم شمس أو شمشا ويعتبرونه كبـــير الآلهـــة، وهـــو يقـــابل الإلـــه زيوس عند الإغريق والإله جوبيـــتر عنـــد الرومـــان، واهورامـــزدا عنـــد الفرس.[1] وكان الشمس من أشهر الآلهة لـــدى الشـــعوب الســـامية عمومـــا فالشمس ملك الســـماء والأرض وســـيد الكائنـــات العليـــا والســـفلى، وهـــو مبعث الحياة في الموتى ومطلق سراح الأســـرى، وهـــو القـــاضي المســـتقيم الذي يدبر شئون البشرية وهو السليل الأمجد الابـــن الأعظـــم، وهـــو نـــور الأرض صانع كل ما في السماء ومـــا فـــي الأرض.[2]

ولا غرابة في تشييد القبائل العربية – أينما توطنـــوا – أولـــى المعـــابد وأضخمها للشمس، فقد كان المعبد الكبير في الحضر مخصصا لعبادته وكـــان الشمس ملك المدينة إذ دونت على العملات عبارة الحضر مدينة شمش.[3]
وقد كان معبد شمس هو أبرز ما في المدينة، وكان مركـــزا للنشـــاط الدينـــي والاجتماعي ليس لأهالي الحضر فحسب بل لجميع سكان العراق، فكان كعبـــة الحجاج وفي ساحته كانت تعقد الاجتماعات وتقام الولائم والاحتفالات والأعياد ويوجد في المعبد أماكن لجمع التبرعات وتوزيع الصدقات.

---

(١) سبتينيو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتـــاب العربي، القاهرة، ١٩٥٧، ص٧٥.

(٢) صموئيل نوح كريمر، السومريون، تاريخهم – حضارتـــهم- خصائصـــهم، ترجمـــة: فيصل الوائلي، جامعة الكويت، الكويت، ص١٦٨.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤١.

عبــادة التثليث[1]

وفضلاً عن الشمس فكان لدى أهالي الحضر تثليث يتـــألف مــن مــرن ومرتن وبرمرين أي سيدنا وسيدتنا وابن سيدينا، وهم الآلهة الأب والأم والابن وكان التثليث معروفاً لدى شعوب العراق القديّمة ويتألف مـن شـمس وسـن وعشتار أي الشمس والقمر والزهرة.[2]

وقد صورت آلهة التثليث على ثلاثة منحوتات وجدت في مكــان واحــد مــن المعبد الكبير:[3]

الأولى: تصور مرن أي الإله شمس بهيئة رجل كهل حول رأسه هالـه مشعة وفوق جبينه طوق وقرنان، ويخرج جسمه من وراء الجبال أو الغيــوم (شكل ١٤٤).

الثانية: صورة نصفية تمثل الإلهة مرتن (سيدتنا) بهيئة امرأة ترتـدى ثوباً شفافاً ويخرج جسمها من وسط ورقة الأكانثوس منحوتة بشكل هــلال أو كأس. ولعل هذه السيدة هى الزهرة نجمة الصباح أو أفروديــت التــي كــان الرومان يصورونها خارجة من صدفة (شكل ١٤٥).

الثالثة: صورة برمرين وهو شاب قوى البنية حول رأسه هاله مشــعة ووراءه هلال يخرج جسمه من هلال ثان وتعنى هذه الأشــعة والــهلالان أن برمرين هو ابن الشمس والقمر وأنه يجمع بين صفاتيهما حيث أنه إله حــاضر في النهار والليل (شكل ١٤٦).

---

(١) التثليث غير الثالوث لأن الثلاثة لم يرقوا إلى درجة الاندماج معاً في إله واحد.
أنظر، موسكاتي، المرجع السابق، ص٥٧.

(٢) موسكاتي، المرجع السابق، ص ص ٧٥-٧٩.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٢.

ويحتل الإله الابن منزلة خاصة عند أهالي الحضر حيث يتكرر اسمه في كتاباتهم كثيراً، وإليه ينسب بناء معبد شمش والده وكان يأتي في مقدمة الآلهة الحضرية.

وجدير بالذكر أن عبادة الإله الابن قد انتشرت وامتدت في العصر البارثي قبل الميلاد إلى معظم أقاليم الشرق القديم، ولا عجب أن نجد جناحاً من المعبد الكبير قد خصص لعبادته. وقد جمع برمرين صفات وخصائص الإله أبوللو وديونيسوس وميثرا الذين كانوا أقراناً له بكونهم أبناء الإله الأكبر، إذ أن الإله أبوللو وديونيسوس هما أبناء الإله زيوس كبير الآلهة الإغريقية، وميثرا هو ابن الإله أهورامزردا كبير الآلهة الآشورية الفارسية.

وقد عبدت الشمس في بادئ الأمر باسم مرن الذي هو أحد أركان التثليث أكثر من عبادتها باسم شمش إذ شيد في داخل المعبد الكبير مصلى لمرن وهو البناء المحاط بأعمدة قبل نصف قرن من تشييد المصلى المربع لشمس. ويبدو أن عبادة شمش أخذت تبرز في حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي حين تأسست الملكية في الحضر حيث لقب ملوكها أنفسهم بـ "ملك العرب"، وما تشييد المعبد المربع وتدوين عبارة الحضر مدينة شمش على العملات إلا لتوثيق الصلة بين الحضر وبين القبائل العربية في بادية الجزيرة والتي كان معبودها الأكبر شمش. وقد يفسر ذلك السبب الذي من أجله شيد المعبد مكعباً بطراز غريب عن الأسلوب المعماري السائد في الحضر. والتكعيب هو الأسلوب الشائع عند العرب كافة، فقد كانت بيوت الأصنام مكعبة وكذلك المعابد التي شيدوها للشمس في سورية وكانت الأبنية المكعبة هي بيوت آلهتهم، وفي كعبة الحضر مجال للطواف حول ثلاثة من جوانبها من الخارج.

وتتميز الشمس بقرصها المستدير أي جسمها الذي ترى به ولها نورها وحرارتها ومدارها في السماء من الشرق إلى الغرب وكل من هذه الجزئيات يتجسم في معبود خاص.

ومع مرور الزمن اكتسبت الشمس خصائص معنوية كالعدل والقانون والنظام والعلم لأن نورها يبدد الظلمة ويفضح الباطل وينير السبيل إلى العلم وقد تجسدت هذه الخصائص في آلهة أخرى كانت تتميز بوجود أشعة حول الرأس ويطلق عليها الآلهة الشمسية[١].

الإله بعلشمين

وقد عبد أهالي الحضر الشمس بصفتها المهيمنة في السماء وذلك باسم بعلشمين[٢] أي سيد السماوات وقد نعتوه في كتاباتهم بالملك والإله الأكبر وخالق الأرض وكان يمثل جالساً على كرسي وعلى جانبيه عجلان وبيده حزمة البرق، مما قد يدل على أنه كان يقوم في الحضر مقام "حدد" إله البرق والرعد والمطر الذي كان العجل والبرق من أهم رموزه.

الإلهة أترعتا

وفي الحضر كان هناك معبد مشيد للإلهة أترعتا[٣] (شكل ١٤٣) التي يعتقد أنها قرينة بعلشمين واسمها مركب من اسم عشتار بالإضافة إلى اسم غير معروف، وقد انتقلت عبادتها من سوريا إلى الولايات الرومانية، وتمثل الإلهة أترعتا في الحضر بتماثيل صغيرة بهيئة سيدة جالسة على كرسي وعلى جانبيها أسدان يرمزان إليها.

---

(١) كريمر، المرجع السابق، ص ١٧٩، ص ١٥٥.

(٢) Murray, Manual of Mythology, New York, 1935, pp.73-77.

(٣) Murray, *op.cit*., pp. 80-81.

الإله نرجول أو نرجل

اقتبس أهالى الحضر عبادة هذا الإله من الآشوريين الذي كـان يعـرف لديهم باسم نرجال وهو عندهم إله للحرب وحارس لعالم تحت الأرض حيـث مصير الأرواح وقد صوّروه أهالي الحضر على هيئة الإله هيراكليس اليونـاني أي عاري الجسم بيده هراوه ويحمل جلد أسد نيميا[1]. وقد انتشـرت عبـادة نرجول في الحضر بسبب اختصاصه في حماية المدينة وحراسـة أسـوارها ومدافنها (شكل ١٤٧)[2]. حيث يظهر ذلك في لوحة Kerberos الشهيرة[3].

وقد خصص لنرجول خمسة من المعابد الصغيرة في الحضر وجدت فـي بعضها تمثال كبير الحجم عاري الجسم (شكل ١٤٨) وضع في قدس أقـداس المعبد وبجانبه سيده، وقد ورد اسم نرجل دحشفطا أي نرجول الحارس الأكبر، وكذلك نرجول الكلب وهذا كناية على أنه كان حارساً أميناً يقظاً.

الإلهة اللات

يتردد اسم الإلهة اللات[4] كثيراً في الكتابات الحضرية بل ويدخل اسـمها في تركيب أسماء الأشخاص من أهل المنطقة مثل عويذ اللات، جرم الـلات، زيد اللات.

وقد اقترنت الإلهة اللات (شكل ١٤٩) عند أهالي الحضر بالإلهة أثينا اليونانية حيث كانت تصور في رداء عسكرى وعلى رأسها خوذة وبإحدى يديها رمـح

---

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 207, Abb. 191.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ص ٤٣-٤٤.

(٣) Stierlin, *op.cit*, p. 204, Abb. 188.

(٤) محمود الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، مطبعة جامعة الملك سـعود، الريـاض، ١٩٨٧، ص ٤٢٦.

ويدها الأخرى موضوعة على درع، وعلى صدرها تظهر صورة الميدوسـا.
وقد خصص للإلهة اللات المعبد الخامس لعبادتها حيث صورت الإلهة واقفة مع امرأتين أخرتين فوق ظهر أسد في هيئة أثينا العسكرية وكانت الإلهة اللات تدعى أيضاً باسم أشريل أي فرحة الإله بل ونتعت بالبتول، وتقوم على خدمة هذه الإلهة مجموعة من الفتيات الراهبات من بينهن الكاهنة مرتبو التي وجد تمثال لها بنفس المعبد الخامس مع الأميرة دوشفرى وابنتها سمى ومرتله المعبد قيمى.

آلهة تمثل الكواكب

عُبدت في الحضر سبعة آلهة تمثل الكواكب الخمسة[1] المعروفة لديهم مضافاً إليها الشمس والقمر. وقد كان لكل إله من آلهة هذه المجموعة يوم من أيام الأسبوع.

وقد عثر في المعبد الثامن من الحضر على سبعة تماثيل لهذه الآلهة، (شكل ١٥٠) ولا تعرف أسماء هذه الآلهة باستثناء الشمس والقمر. ولكن من المحتمل أنهم يمثلون نفس الآلهة عند الرومان الشمس ولها يوم الأحد، القمر وله يوم الأثنين، مارس إله الحرب وهو كوكب المريخ وله يوم الثلاثاء، وميركور رسول الآلهة وهو عطارد وله يوم الأربعاء، جوبيتر كبير الآلهة وهو المشترى وله يوم الخميس، أفروديتى وهي كوكب الزهرة ولها يوم الجمعة، وأخيراً الإله ساتورن وهو زحل وله يوم السبت.

وجدير بالذكر أن عبادة هذه المجموعة كانت منتشرة في منطقة حوران بسوريا في مدن معاصرة لمدينة الحضر.

(١) بوتيرو، المرجع السابق، ص ص ٢٢-٢٣.

النســـر

احتل النسر[١] منزلة خاصـــة عنـد أهــالي الحضـــر حيــث يمثـــل الإله مرن أي الشمس، ويرمز إلى ســـيادته وهيمنتـــه حيــث يحلـــق النســـر عالياً في كبد السماء مثلما تفعل الشمس فيراقب من عـــلٍ مـــا يحــدث علـــى ســطح الأرض.

وقد ظهر النسر (شكل ١٥١) في كثير من التمـــاثيل فـــي الحضـــر حيث وضعت تماثيله أمام بوابات المدينة وفـــي داخـــل المعـــابد وخارجـــها، بل وبلغ الأمر إلى حد وضع ثمانية تماثيل للنسر بـــالحجم الكبـــير فـــي كـــل من الإيوانين الكبيرين في المعبـــد الكبـــير بـــالحضر، وقـــد وضـــع النســـر على سارية كل علم من أعلام الحضر مـــهما اختلفـــت نوعـــها[٢].

عبـــادة الأعـــلام

مجد أهـــالي الحضـــر الأعـــلام[٣] بطريقـــة مبالغـــة لدرجـــة أنـــهم عبدوها وتعرف عندهم باسم سميا وجمعـــها ســـميتا، حتـــى أنـــهم أدخلوهـــا في أسمائهم المركبة وخير دليل على ذلك اسم أحد ملوكـــهم عبـــد ســـميا. فالعلم كان عند أهالي الحضر رمزاً للصمود والنصر، ووقوعه في يد الأعداء شؤم ومذلة، ولكل فرقة في الحضر علمها الخاص بها، إذ يعرف علم لبيـــت عقيباً، وآخرلبنى أقلتا وثالث لمدينة مشكنه، ويحمل العلم ويقوم على حراســـته شخص ذو مرتبة عسكرية مرموقة يطلق عليه "رب ـــ ســـمياً" أي صـــاحب العلم. ويتألف العلم بصورة عامة من سارية على رأسها نسر ويليه إلى أســـفل

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٥.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 201, Abb. 182.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٥.

هلال وصورة نصفية لإله شمسي حول رأسه أشعة، ثم عادة ثلاثة أكاليل للنصر وأحياناً ثلاثة نسور باسطة الجناحين أو ثلاثة أقراص.

عبادة الحيوانات

اعتقد أهالي الحضر في قدسيّة بعض الحيوانات الخرافية أو الحقيقية(١)، فصوروها في شكل منحوتات أو على جدران معابدهم، ولا شك أن هذه الحيوانات كانت ترتبط عندهم بأساطير وآلهة معينة، ومن بين تلك الحيوانات الأفعى والعقرب والثور والبطة والأسد والكلب وكذلك العنقاوات بأشكال خرافية مختلفة ورأس الميدوسا الخرافية.

بعض المظاهر الدينية في الحضر

دفن الموتى

اهتم أهالي الحضر بدفن موتاهم في مباني مستديرة بالحجارة ولكنهم مارسوا عادة حرق الموتى في بعض الأحيان وقد اعتقد أهالي الحضر في خلود الروح إلا أنهم كانوا يرون أن الروح مصيرها العذاب في ظلام دامس ورطوبة لا تطاق تحت سطح الأرض، وأن الصلاة والنذور تخفف من عذاب الروح أو تنقذها منه، لذا أقاموا تماثيلاً كثيرة في معابدهم، وجدير بالملاحظة أن اليد اليسرى في هذه التماثيل مرفوعة دائماً إلى أعلى وكفها مفتوح لتحية

---

(١) جواد على، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦، ص ٣٢٥.

المصلين والتماسهم بالدعاء لهم أمام الآلهة لخلاص أرواحهم. وكان هذا الدعاء موجه بالدرجة الأولى إلى نرجول إله عالم الأرواح[١].

أثـــاث المعبـــد

يحتوى كل معبد في أثاثه على حصالة نقود تصنع من الحجر ويكون لها غطاء محكم فيه شق لإدخال النقود المتبرع بها، وتوضع هذه الحصالة عنـــد مدخل فناء المعبد وداخل الفناء يوضع كأس للقرابين وبجانبه نموذج مصغــر لمعبد، ويظن أن مكان الكأس والنموذج المصغر للمعبد يكون عادة على سطح المذبح في وسط خلوة المعبد وهناك أيضاً أواني مصنوعة من النحاس وأوانـي لحرق البخور والنار، ومساند توضع عليها بعض التماثيل. هذا فضـــلاً عـــن مجموعة من الأثاث المصنوعة من الخشب والجلـــد والنســيج وأدوات مـــن المعادن النفيسة.[٢]

طبقـــات رجـــال الديـــن

كان الأفكل هو أعلى الطبقـــات الدينيـــة وهـــو الكـــاهن الأعظـــم، ولا نعرف من شغل هذا المنصب الرفيع سوى نصرو والـــد الملـــك ســـنطروق الأول[٣].

ويليه في المرتبة كمرا (الكاهن) وكمرتا (الكاهنة) ثم قشيشا (القســيس) ودون ذلك هناك رتب صغيرة يساعد الشاغلون على تأدية الطقوس وخدمة المعبـد.

(١) Sourdel, D., Les cultes du Hauran a l'epoque, Romain, Paris, 1952, pp.66-67.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٣) هشام الصفدى، الوجيز في تاريخ حضارات آسية الغربية، دمشـــق، ١٩٨١-١٩٨٢، ص ١٣١.

ومن الرتب الدينية الأخرى السفرا أي الكاتب وهو المسئول عن المحافظة على كتب الدين واستنساخها والتمسك بعدم التحريف فيها. وكانت حرمة الكاتب لا تقل عن حرمة رجال الدين. ولكل إله في الحضر كاتبه المتخصص بالنصوص الدينية الخاصة به.(١)

ومن الوظائف الدينية الأخرى رب ـ بيتا الذي يعني رب المعبد أو سيد المعبد وهو الشخص الأكبر المسئول عن المعبد وهو مدير المعبد، وكانت مرتبته من الرتب الكبيرة في المدينة وهو المسئول عن سلامة بناء المعبد والمحافظة على محتوياته وملاحظة نظافته والإشراف على ممتلكاته والعمل على توسيع وارداته إضافة إلى توليه الطواف والاحتفالات، وقد كان لكل معبد رب بيتا ينسب إلى إله ذلك المعبد.(٢)

العمارة في الحضر

تتميز العمارة في مدينة الحضر بأساليبها الخاصة في طرق البناء ومادته وفي التصميم وطرق الزخرفة. وكذلك فهي تتميز باستعمال الحجر المنحوت والجص وباستخدام الإيوان كعنصر أساسي في التصميم. كما تنفرد العمارة في الحضر بتزيين واجهة الأواوين بتماثيل وزخارف وأعمدة وأنصاف أعمدة موزعة بأسلوب راق.

---

(١) غستاف لوبون، الحضارات الأولى ، تعريب: محمد صادق رستم، القاهرة، ١٩٢١، ص٤٨

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٤٧.

ويمكن تقسيم المباني في الحضر إلى نوعين:

النوع الأول: مشيد بالطوب اللبن والملاط (الجص).

النوع الثاني: مشيد بالحجر المنحوت والجص.

وجدير بالذكر أن الحضر من أقدم المدن المعروفة في استعمال الجص على نطاق واسع.[١] وقد كان الملاط المستعمل في البناء في المدن القديمة مثل آشور ونينوى وبابل من الطين عادة.

مباني النوع الأول[٢]

وهي دور السكن والمعابد الصغيرة، وقد شيدت أساساتها والقسم الأسفل من جدرانها بقطع الحجارة المنتظمة قليلا، أما باقي البناء فقد أكمل باللبن والجص.

وتتميز دور السكن في الحضر بالسمات الشرقية فهي ذات فناء مكشوف في الوسط حوله غرف ومرافق سكنية أخرى. أما إذا كانت الدار واسعة فيكون فيها أكثر من فناء واحد وتشتمل على قسم خاص بالضيوف، وفي هذه الحالة لا يكون الدخول إلى الدار مباشرة بل من خلال ممر.

وكانت المعابد الصغيرة من المباني التي شيدت باللبن وبلغ عدد المعابد الصغيرة المكتشفة في الحضر أحد عشر معبدا، وهذه المعابد متقاربة من حيث التصميم، حيث يتكون المعبد من مصلى مستطيل الشكل تتصل به عند

---

(١) Debevoise, N.C., The Origin of decorative Stucco, in: AJA, 45, 1941, pp,45f.

(٢) Moortagat, A., Die Kunst des alten Mesopotamien. Die Klassische Kunst Vorderasiens, Verlag Du Mont, Köln, 1967, pp.160-164.

منتصف أحد ضلعيه الطوليين غرفة صغيرة مربعة التي هي خلوة الإله حيث كان يوضع تمثال الإله.

ويقع أمام المصلى فناء واسع تكون على جوانبه دور للسكنى أو حجرة أو أواوين مشيدة خاصة بالخدمات في المعبد. وقد روعى في هذا الشكل أيضا إضافة خلوة الشمس خلف الأواوين المتسقة.

مباني النوع الثاني

وهي المباني المشيدة من الحجر، ومن أبرزها سور المدينة القديم، والأبراج والبوابات الواقعة عليه، والمعبد الكبير القائم وسط المدينة، والمقابر في القسم الشرقي من المدينة ومن أفخم وأكبر المباني في الحضر المعبد الكبير وهو بناء مستطيل الشكل محاط بسور جحري ومقسم إلى صحن وحرم، وتتميز داخله ستة معابد أو مصليات متفرقة كل منها لإله. وقد شيدت جدران هذه الأبنية بطريقة خاصة وهي بناء وجهى كسيت جدرانه بألواح من الحجر، الوجه الخارجي منحوت والداخلي غير منحوت، ويحشو الفراغ بين وجهي الجدار الجص وكسر الحجارة. وقد ربط المهندس المعماري وجهى الجدار بأحجار طويلة على مسافات مناسبة.

مميزات العمارة في الحضر

تتميز العمارة في الحضر بالعديد من المزايا التي تميزها عن غيرها من عمارة منطقة الشرق القديم، وتتمثل فيما يلي:

- عدم جمع الأبنية التي داخل المعبد الواحد في مركز واحد معين فالأبنية داخل المعبد الكبير تنتشر في كل مكان.
- عدم التصاق الغرف المشيدة على جوانب الفناء بالمصلى وذلك في المعابد الصغيرة.

- وجود الإيوان في كل بناء من أبنية المدينة تقريبا، وهو موجود في المعابد والقصور ودور السكنى. وهو عنصر شائع في الحضر يميز عمارتها عن العمارة الهللينستية والرومانية اللتين استخدمتا العمود بكثرة عوضا عن الإيوان في المدن المعاصرة للحضر. وقد شيد الإيوان في الحضر للأغراض الآتية:

الغرض الأول: إضفاء الفخامة والجمال على البناء.

الغرض الثاني: توفير مكان خالي ومسقوف يؤدي وظيفة البهو في القصور.

الغرض الثالث: الإيوان وهو عبارة عن فناء مغطى يحمي من المطر وأشعة الشمس وهو يشبه في ذلك الأروقة في العمارة اليونانية.

-كانت الزخرفة منصبة بالدرجة الأولى على تزيين واجهات الأواوين بأنصاف أعمدة ملاصقة للبناء، وبأعمدة توضع في أعلى الواجهة، وبتماثيل منحوتة على الأقواس في فتحات الأواوين تمثل إما آلهة أو كائنات أسطورية أو أشخاص ساهموا في بناء المبنى.

التأثيرات الوافدة على عناصر وأساليب الزخرفة في الحضر:

-تزيين أقواس الأواوين بالتماثيل في الحضر تشبه النقوش التي كان يزين بها الآشوريين الأقواس التي كانوا يرسمونها على الكاشاني ومنها القوس المرسوم على اللوح الكاشاني الذي وجد في حصن شلمنصر الثالث في نمرود، وهي من التأثيرات الآشورية.

-ظهور رؤوس الحيوانات التي تزين في الحضر مدخل الإيـــوان تحـت التاجين إذ تقوم تلك الرؤوس مقام الثيران المجنحة التي توجد في مداخـل القصور والمعابد الآشورية(١).

-الأقنعة التي تظهر على جدران الإيوانين الكبيرين الجنوبي والشمالي مـن الأواوين المتصلة ما هي إلا اقتباس من العمارة الآشورية التـي كـانت المعابد فيها تزين بأقنعة.

- تشييد المباني بمداميك من ألواح الحجر وزخرفة هذه المباني بالأكانثوس والبيضة ورأس الرمح هي اقتباس من العمارة اليونانية والهللينستية.

- يتكون معبد الإله مرن المشيد داخل المعبد الكبير من غرفة واحدة مشيدة على مصطبة محاطة بصفين من الأعمدة وتعلو الغرفة مقصورة، وهـو هللينستي روماني الطراز، وقد مر بمرحلتين: الأولى تعود إليه كورنيـش المعبد والإفريز فهو على الطراز اليوناني الايوني. والثانية يرجح أنها من عهد للسادة حيث تعود الأعمدة الكبيرة الخارجية ذات التيجان المركبة من الطرازين الأيوني والكورنثي.

-معبد شحيرو داخل المعبد الكبير شيد على النمط الأتروسكي المكون مـن منصة ذات كورنيش بارز ومقدمة للمعبد مكونة من أربعة أعمدة، وهـو كذلك متأثر بمعابد الدفن الرومانية في شمال أفريقيا.(٢) وكذلك فهو يحمـل السمات اليونانية حيث كان مسقوفا بسقف جمالوني الشكل صنـع مـن الخشب.

---

(١) Oates, J., Babylon, Thames & Hudson, London, 1979, pp.152-156, Figs. 106-108.

(٢) Wheeler, M., Roman African Colour, Thames & Hudson, London, 1966, pp. 33- 35.

معابد مدينة الحضر

تعتبر معابد مدينة الحضر من أهم معالم المدينة وأفخمها من ناحية الشكل والاتساع، وهي تعبر بصورة حقيقية عن ملامح العمارة في العصرين اليوناني والروماني في هذه المنطقة التي نطلق عليها ما بين النهرين.

١- المعبد الكبير (معبد الشمس)

وهو من أبرز وأضخم بناء في مدينة الحضر (شكل ١٥٢) وهو مشيد بألواح من الحجر المنحوت والجص، ويقع المعبد في وسط المدينة ذات التخطيط الدائري، ويؤدي هذا المعبد إلى جميع الشوارع العريضة في المدينة وهو يتجه نحو الشرق حيث كان مخصصا لعبادة الشمس. وقد عرف هذا المعبد عند أهالي الحضر باسم "هيكلاربا" أي المعبد الكبير أو "بيت الها" أي بيت الإلهة.[١]

تخطيط المعبد

يتخذ المعبد الشكل المستطيل تقريبا وهو محاط بسور أبعاده من الداخل كالآتي:

الضلع الشمالي ٤٣٥م، الضلع الشرقي ٣٢١,٥م، الضلع الجنوبي ٤٣٨م، الضلع الغربي ٣١٠م، والمعبد له بوابة رئيسية في السور الشرقي وأحد عشر بابا في أضلاعه الأخرى. والمعبد مقسم بجدار به بوابتان رئيسيتان تؤديان إلى الحرم والصحن[٢].

(١) Hrouda, *op.cit.*,pp.294-295.

(٢) Ibidem, p.295.

حـــرم المعبـــد

يوجد في الحرم صف من أواوين تواجه الشرق وخلفها خلـــوة الشـــمس وهي حجرة مربعة محاطة بدهاليز وأمام صف الأواوين مصلى للربة شـحيرو ويقابله مصلى لإله مجهول. وفي الحرم يوجد بناءان آخـــران أحدهمـــا وراء مصلى شحيرو والآخر عند الزاوية الجنوبية الشرقية للحرم(١).

صحن المعبد

ويبرز في هذا الصحن معبد مرن، وهو السيد في التثليث عنـــد أهـــالي الحضر وهذا المعبد محاط بصفين من الأعمدة، ويوجد في الصحن كذلك مذبح كبير ومغسل ودار سقاية تقع جميعها عند الزاوية الجنوبية الغربية(٢).

سور المعبد

يوجد باستقامة الأسوار من الداخل في أماكن معينة بوائك كانت مســقوفة بالخشب وأعمدتها من الحجر، ويلاحظ على الأسوار من الخارج حجـــرات لا سيما على جانبي الأبواب، هذه الحجرات كانت مخصصة للحراســـة ولســكن خدم المعبد(٣).

مراحل بناء المعبد

مر معبد مرن بالعديد من مراحل البناء نستعرضها من الأقدم إلى الأحدث(٤):

- كان للمعبد سور ذو أبراج مستديرة يختلف عن سوره الحالي وقد وجـدت أساسات هذا السور عند الكشف عن السور الشرقي.

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٢٧.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 192.

(٣) Ibidem.

(٤) Ibidem, p. 195.

- معبد مرن وهو أقدم المباني في المعبد الكبير.
- مصلى معبد شحيرو والمصلى المقابل له.
- صف من الأواوين.
- خلوة الشمس أى المعبد المربع الذى أتم بناءه سنطروق الأول.
- في الأزمنة المتأخرة استحدثت لغرض الدفن فجوات في السور الشمالي، وفتحت فيه أبواب للدخول إلى حجرات أضيفت على الأسوار.

وفيما يلي نستعرض أجزاء هامة من معبد الشمس:

الأواوين: انظر التخطيط (ز)

وهي عبارة عن ثمانية أواوين[1] متجاورة ومصطفة في صف واحد تفتح كلها على الشرق وهي مشيدة بألواح من الحجر والجص وهي تقع في صدر حرم المعبد الكبير.

وهذه الأواوين تكون واجهة طولها ١١٥مترا وارتفاعها نحو٢٣ مترا، وهذه الواجهة مزينة بنمطين من زخرفة الجبهات أحدهما فوق الآخر، النمط السفلي عبارة عن فتحات أواوين صغيرة وكبيرة مع وجود زوج من الأواوين الصغيرة فوق بعضهما بارتفاع الإيوان الكبير. أما النمط الثاني فهو عبارة عن صف أعمدة طويلة تتناوب مع صفين من الأعمدة القصيرة (شكل ١٥٣). ومما يزيد بهاء هذه الجبهة وجود زخارف في تيجان الأعمدة وتماثيل نصفية بارزة على الأقواس في فتحات الأواوين وكذلك وجود تماثيل لكبار القوم من أهالي الحضر مقامة على رفوف من الفراغات المتيسرة بين الأواوين وعلى ارتفاعات مختلفة، وهذه الرفوف مزينة في أسفلها بصورة

(١) Schlumberger, D., Der Hellenisierte Orient, Kunst der Welt, Paris., (1969), pp.135-137.

الميدوسا. وفي داخل كل من الإيوانين الكبيرين وكذلك في بعض الأواوين الصغيرة يوجد مذبح كان مزينا برقائق من النحاس والذهب والفضة[١].

وكان الإيوانين الشمالي والجنوبي هما المصليان الرئيسيان في هذه المجموعة من الأواوين، وكان أحدهما للشمس باسم مرن والثاني لزوجته مرتن. وتتكون من هذه الأواوين والحجرات ثلاث وحدات بنائية وهي: الإيوان الجنوبي (رقم١٢) وعلى كل من جانبيه إيوان صغير وحجرتان، والوحدة الثانية الإيوان الشمالي (رقم١٣) وعلى كل من جانبيه كذلك إيوان صغير وحجرتان (رقم ٧-١١)، وتتكون الوحدة الثالثة من إيوانين متجاورين يؤديان إلى حجرة عرضية تقع وراءهما (١٤-١٦).

ويلاحظ أن الوحدتين الأولى والثانية يفصل بينهما جدار يمتد في الواجهة إلى معبد شحيرو، وفي هذا الجدار بابان أحدهما في جزئه الأمامي والثاني في جزئه الخلفي، ولعلهما كانا لتنظيم الطواف حول الأواوين.[٢] وهذا الجدار الفاصل يقسم حرم المعبد إلى قسمين يظن أن أحدهما للإله مرن (الشمس) والثاني لزوجته مرتن، أما برمرين وهو العنصر الثالث في التثليث فلا يعرف موضع عبادته، ولعله كان في الوحدة الثالثة من هذه الأواوين حيث وجدت تماثيل لعجول مما يرجح أن عبادة الإلهة ميثرا قد دخلت بشكل من الأشكال إلى منطقة الحضر. وجدير بالذكر أن أهالي الحضر قد وضعوا تماثيل قادتهم من عسكريين وكتبة وسدنه وكهان على جانبي الجدار الفاصل الذي يعزل الحرم عن الصحن.[٣]

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣٠.

(٢) Hrouda, *op.cit.*,p.295, Abb.98.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣١.

وعلى سقف الحجرة رقم ٦ وجد اسم المهندس برنني ابن يهبشي مما يرجح أنه أشرف على بناء وحدة الإيوان الجنوبي، كذلك اشترك في نحت الزخرفة والتماثيل أولاده الثلاثة أدى وزبيدو ويهبشي. وقد أشرف على بناء وحدة الإيوان الشمالي المهندس كفع – نني الذي وجد اسمه منقوشا على سقف الحجرتين ١٠،١١.

ويستدل من أسماء هؤلاء المهندسين أنهم كانوا من أبناء العراق أو من الحضر حيث أن أسماءهم سامية وبينها ما هو مركب من اسم الإلهة نني.

خلوة الشمس (المعبد المربع)

تقع هذه الخلوة[١] (انظر التخطيط ح) خلف الأواوين خاصة خلف الإيوان الجنوبي، وتتكون هذه الخلوة من حجرة مربعة الشكل ١١,٧٥×١١,٩٦م محاطة بدهليز من جميع الجوانب، وكانت مخصصة للإله شمش الذي وجدت صورته على عتب الباب المؤدي إلى الحجرة المربعة بوجه شاب حول رأسه أشعة (شكل ١٥٤). والحجرة مسقوفة بقبوة تعلو أكثر من قبوات الدهاليز التي حولها، إلا أن الجدران الخارجية لهذا البناء كانت عليها شرفات ترتفع بارتفاع سطح الحجرة. وهذا البناء فريد في شكله التكعيبي بالنسبة للعمارة في الحضر ويشكل كعبة من الكعبات المألوفة لدى عرب الجاهلية[٢].

ولم يعثر على أى لقى أثرية في هذه الحجرة في حين عثر على أربعة تماثيل كبيرة من الرخام (شكل ١٥٥ – ١٥٨) في الدهاليز

---

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 198.

(٢) Hrouda, *op.cit.*, p.295,Abb.98.

أحدهما للملك سنطروق الأول والثاني للملك سنطروق الثاني، أما التمثالان الآخران فمن المحتمل أن يكونا للكاهن الأعظم نصرو مريا وللملك عبد سميا.

أما خارج الخلوة فتوجد أنصاب للنار والبخور عليها أسماء من أهدوها للمعبد، ويدل وجودها بهذا الشكل على وجود نوع من الطواف حول البناء.[١]

وجدير بالذكر أنه توجد على الجدران من الخارج عيون وآذان محفورة قد تكون لأبعاد الشر من عيني الحسود وأذني النمام، وهذه ظاهرة لا نجدها في معابد الشرق، وهي خاصية تتفرد بها معابد الحضر.

ومن التأثيرات اليونانية أن هذه الخلوة مزينة من الخارج بشرفات تتكون من أعمدة ذات تيجان كورنثيه ومن دعائم واقعة في الأركان الأربعة وهي ذات تيجان كورنثيه أيضا.[٢]

معبد شحيرو

يعتبر معبد شحيرو[٣] (انظر التخطيط د) بالحضر من أكثر الأبنية تأثرا بالطراز الهللينستي والروماني حيث يتكون من مصلى مستطيل ١١,٥٨ × ٧,٦٢م تعلوه قبوة في مقدمتها قوس ارتفاعه ٥,٣٥م. وهذا

(١) فؤاد سفر،المرجع السابق، ص ٣٣٤.

(٢) Schlumberger, *op.cit.*, p.136.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣٧.

المصلى بشكل إيوان أمامه ظلة تقوم على ستة أعمدة مستديرة وعمودي أركان مربعين، وعلى الجانب الأيسر للمصلى قاعة مستطيلة ١٠,١٠×١٠,٥م تؤدي إلى غرفة صغيرة مربعة تحت أرضيتها سرداب مسقوف بألواح من الحجر ينزل إليه بدرج. ويظن أن هذا السرداب كان قبرا (شكل ١٥٩ - ١٦٣). ويلتصق في المعبد من الناحية اليمنى سقيفة ذات طابقين مقامة على الأعمدة، أما أعمدة الطابق السفلي فكبيرة وتيجانها أيونية، في حين أن أعمدة الطابق العلوى أصغر حجما وتيجانها كورنثيه.

ويصعد الزائر إلى المعبد عن طريق درجات طويلة تؤدي إلى ظله المعبد وهذه ظاهرة رومانية بحته. والمعبد في شكله العام يشبه إلى حد كبير تخطيط معبد الأرخثيون على أكروبول أثينا.
وقد وجد داخل هذا المعبد تمثالان لشخصين أسماهما مكى ويملك، وتدل الكتابة على أحدهما على احتمال أن البناء كان لإله أو إلهة اسمها شحيرو.

معبد سميا

يقع معبد سميا[1] (انظر التخطيط ج) إلى الجنوب من معبد شحيرو، ويتألف من إيوان كبير في الوسط على جانبيه إيوانان صغيران يفضيان إلى حجرتين مستطيلتين وراءهما، وهو موجه إلى الشمال. ويعتبر هذا المعبد من أقدم النماذج في الحضر بأسلوبه المعماري المكون من قلب وجناحين، ويوجد طابق ثاني فوق الإيوانين الصغيرين يرتفع سطحه بارتفاع الإيوان الكبير.

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٤٢.

وهناك بعض المظاهر الدالة على قدم هذا المعبد (شكل ١٦٤) واختلافه عن بقية الأواوين منها:

- أن قوس الإيوان ليس فيه منحوتات بارزة.
- أن الواجهة خالية من أنصاف الأعمدة المألوفة على جانبي الأواوين، فقد شيدت عوضا عنها دعائم قليلة البروز تنتهى بإفريز.

ويظهر في صدر الإيوان الكبير مذبح ترتفع أرضيته قرابة ٩٧سم، ويرقى إليها بدرجات من الأمام والجانب، وفوق المذبح وفي وسطه جدار ارتفاعه ١٠٩سم يكون ستارة لإخفاء ما وراءه. وتوجد دخلة في الجدار الخلفى عمقها ٥٥سم وعرضها ١م وارتفاعها ٢م وأرضيتها بمستوى الستارة ويعتقد أنها كانت مكانا لراية أو صنم. وعلى جانبي الإيوان تمثالان كبيران أحدهما لسنطروق الثانى والآخر لملك يظن أنه عبد سميا. وقد وجد على المذبح خلف الستارة رأس من الرخام (شكل ١٦٥) نعتقد أنه للإمبراطور الروماني تراجان (٩٨ ــ ١١٧م) حيث تدل كل العناصر الفنية في هذه الرأس علي ذلك ويحتمل أنه قطع من تمثال كامل له ووضع على الستارة تنكيلا به لفشله فى محاولته للاستيلاء على الحضر.

ولعل وجود هذه الرأس وكذلك اكتشاف أجراس راية سميا بين الأنقاض أمام هذا البناء يؤكدان نسبة هذا المعبد لسميا.[1]

معبد مرن

ينتمي معبد مرن[2] إلى الطراز اليونانى أو الهللينستى (انظر التخطيط هـ) فهو عبارة عن معبد ذات صفين من الأعمدة. وهو عبارة عن غرفة

---

(١) نفس المرجع.

(٢) نفس المرجع، ص ٣٤٤.

مستطيلة أبعادها ٩,٨م × ٦,٩م وهى مفتوحة إلى الشرق ومشيدة على مصطبة أبعادها ١٥,٢م × ١٠,٥م وهى محاطة بـــ ٢٤ عمودا مستديرا على الطـــراز الإيونى تقف على حافات المصطبة، وهى على مســـافات واحـــدة باســـتثناء العمودين اللذين يحددان باب الغرفة. أما صف الأعمـــدة الخـــارجّى فيحيـــط بالمبنى من الخارج ويقف على الأرض مباشرة وهو عبارة عـــن ٢٥ عمـــود ترتفع تيجانها إلى مستوى تيجان الأعمدة الصغيرة وهى ذات طراز مركب من الطرازين الكورنثى والإيونى. وأمام المعبد مدرج يرتقى إلى سطح المصطبـــة ويلاحظ أن الأعمدة الخارجية لا تستمر أمام المعبد إذ تترك مجالا للصعود إلى داخل المعبد.

والمعبد (شكل ١٦٦ - ١٧١) كان مســـقوفا بالخشـــب بطريقـــة أفقيـــة من جانبيه الشمالى والجنوبى بين الأعمـــدة الصغـــيرة والكبـــيرة، وبشـــكل جمالونى فى الوسط فوق الغرفة.وتحلـــى الســـقف المســـطح بيـــن الأعمـــدة على جانبى المعبد بلاطات مربعة مـــن الرخـــام مطعمـــة بأحجـــار ملونـــة وبمشاهد دينية مختلفة، وهذه البلاطات اســـتعملت كحشـــوات فـــى إطـــارات خشبية في الســـقف.

أما داخل الغرفة فكانت هناك منصة كان يقـــوم عليـــها صنـــم لمـــرن. وتوجد فى جدران الغرفة من الخارج تســـع كـــوات، نحتـــت فـــى جوانبـــها الثلاثة فيما بعد لتزيين المعبد بتمـــاثيل لآلهـــة أخـــرى (شـــكل ١٧٢-١٧٤) منها بوسيدون وكيوبيد وأبوللو وهرميـــــس. وكـــانت علـــى زوايـــا ســـطح المعبد أربعة تماثيل للإلهة نيكـــــى إلهـــة النصـــر والإلهـــة تيخـــى حاميـــة المدينة وهى من نوع الأكروتريون التى تزيـــــن أركـــان المعـــابد اليونانيـــة

والرومانية، وقد دلت الكتابات المنقوشة على بلاطات هذا المعبد على أنه كان مخصصا لعبادة مرن، الإله الأب في التثليث الحضري.[1]

ويبدو أن معبد الإله مرن من أقدم المباني في المعبد الكبير ويرجح أنه كان مشيدا على الطراز الإيوني بصف واحد من الأعمدة وبدون زخرفة، ثم أضيفت حوله الأعمدة الكبيرة في العصر البارثي[2].

معبد السقاية

يقع معبد السقاية[3] (انظر التخطيط ط) عند الزاوية الجنوبية الغربية من الصحن، ويصل الزائر إلى أرضيته على طريق ست درجات واقعة في مقدمته، وقد كان مسقوفا بالخشب بسقف جمالوني الشكل يرتكز من الجانبين على أعمدة من الحجر. وفي نهاية المعبد الجنوبية توجد دكة المذبح وعلى الثلاثة جوانب الأخرى توجد مصاطب للجلوس، وفي وسط هذه الحجرة حوض مستطيل الشكل من الحجر، وبجوار هذه الحجرة بئر كان مغطى بسقف.

البوابات

من بين الأبنية البارزة في المعبد الكبير ثلاث بوابات فخمة[4]، إحداها على السور الشرقي، وهي المدخل الرئيسي للمعبد الكبير، والبوابتان الأخرتان

---

(١) نفس المرجع.

(٢) Lenzen, H., Architecture der Partherzeit in Mesopotamien, in: FestschriftWeickert, Berlin, 1955, pp.39-42.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٤٨.

(٤) نفس المرجع.

تؤديان من الصحن إلى الحرم، ولكل من هذه البوابات ثلاث فتحات أو أبـواب الوسطى منها هى الكبيرة والأخريان صغيران وهما على الجانبين.
تتكون البوابة الرئيسية (ن) من أربعة أبراج مربعة مجوفة، داخل كـل منـها باستثناء البرج الجنوبى سلم من الحجر يؤدى إلى السطح، وتعلـو الأبـواب الثلاثة التى بين هذه الأبراج أقواس تقوم على دعائم ذات تيجان أيونية.

أما البوابتان اللتان تؤديان من الصحن إلى الحرم فالجنوبية منها (ك) يعلو فتحتها الوسطى قوس، ولكل من فتحتيها الجانبيتين سقف بدون قوس، وهـذه الفتحات الثلاث تحتضنها قبوة واسعة ترتكز على نصفـى عموديـن، وهـى مدعومة من الجانبين ببرجين مربعين فى أحدهما سلم يصعد إلى أعلى البوابة. أما البوابة الشمالية فهى أحدث عهدا من البوابة الجنوبية وتختلف عنـها فـى كون القبوة تغطى الباب الأوسط فقط (ل).

٢- المعبد الأول

يقع المعبد الأول[١] إلى الجنوب من المعبد الكبير ويفصل بينهما شـارع عريض. ويتألف هذا المعبد من مصلى ضيق (١٢,٧٠م ×٢,٢٠م) ينفتح فـى وسط أحد ضلعيه الطوليين على خلوة بشكل إيوان (٤,٣٠م × ٤,٧٠م) يقابلـها باب المعبد، وقد أضيف أمام المصلى فى وقت لاحق إيوان كبير(٦م ×٧,٣٠م) وغرف لسند قبو ذلك الإيوان من جانبيه.
ومن أبرز ما وجد فى هذا المعبد هو اللوح الـذى يصـور الإلـه نرجـول (شكل ١٧٥) مما يحملنا إلـى الظـن بـأن هـذا المعبـد كـان مخصصـا لعبادته، وقد وجد هذا اللـوح مبنيـا فـى جـدار الخلـوة قـرب الزاويـة الجنوبية الغربية وأمامه نصب للبخور. أمـا فـى الإيـوان المضـاف إلـى

(١) Hrouda, *op.cit.*,p.295.

هذا المعبد فقد وجد لوحان متجـاوران (شـكل ١٥١) مبنيـان فـي جـداره الجنوبي الأولى عليها نسر وراية بـالنحت البـارز والثانيـة للإلـه مـرن بهيئة رجل حول رأسه هالـه ذات عشـر شـعاعات، (شـكل ١٧٦،١٤٤) كما وجد أسد رابض عند ركنـه الشـرقي، ويرجـح أن هـذا الأسـد هـو ونظير له في الركن الثاني كانا يحرسان مدخل المعبـد.[١] وقـد شـيد هـذا المعبد على ارتفاع ٧٠سم فوق أساسات مـن الحجـر.

٣- المعبد الثاني

يلاحظ أن بناء هذا المعبد[٢] كـان محكمـا وزوايـاه قائمـة وجدرانـه مستقيمة مشيدة بألواح من الحجر، (شكل ١٧٧) ويظـن أنـه كـان مسـقوفا بقبو مشيد كذلك بألواح من الحجـر.

ويتألف هذا المعبـد مـن مصلـى بهيئـة قائمـة مسـتطيلة أبعادهـا ١٦,٢م ×٥,٩٠م ينفذ إليها من باب فـي وسـط ضلعـها الشـمالي المطـل على ساحة متصلة بشارع عريض يفصل هذا البنـاء عـن المعبـد الكبـير، وفي وسط الضلع الجنوبي للمصلـى مدخـل يـؤدي إلـى خلـوة مربعـة أبعادها ٥,١٥م ×٥م. ونلاحـظ أن أرضيـة الخلـوة مبلطـة بـألواح مـن الرخام فـي حيـن أن أرضيـة المصلـى كـانت مغطـاة بـالجص. وقـد استحدث بابان على الضلع الجنوبي يؤديـان إلـى غرفتيـن أضيفتـا إلـى المعبد.

(١) Homs- Fredericq, D., Hatra et ses sculptures parthes, Istanbul, 1963, p.25.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٥٢.

وقد عثر فى المصلى على تماثيل لآلهة من الحضر منها قرص من الرخام عليه ربه القمر (شكل ١٧٨) ونصب للبخور (شكل ١٧٩) وثلاث نسوة على لوح (شكل ١٨١) قد تمثل إلهة القمر مع سميا زوجة سنطروق الثانى، وإلهة نصف عارية بيدها كرة (شكل ١٨٠). ويستدل من هذه التماثيل أن المعبد الثانى كان مخصصا لإلهة لعلها الإلهة اترعتا التى تتواجد مع نرجول فى قصة زيارة عشتار لعالم ما تحت الأرض. ويجاور هذا المعبد مرافق لدار كبيرة ربما كانت جزءا من قصر ملكى لسنطروق الثانى أو لزوجته.

٤- المعبد الثالث والرابع (معبدا بعلشمين واترعتا)

يقع هذان المعبدان[1] على الشارع الموازى للمعبد الكبير من جهة الغرب، وهما متجاوران وملتصقان ببعضهما، الثالث مخصص لعبادة الإله بعلشمين سيد السماوات والرابع لزوجته اترعتا (شكل ١٨٢ – ١٨٣).

والمعبدان مشيدان بطراز واحد يتألف من مصلى مستطيل الشكل فى وسط ضلعه الطويل خلوة يرقى إليها بدرجات، وفى صدر كل خلوة دكة المذبح كان فوقها تمثال الإله أو الآلهة، وحول أرضية المصلى دكة قليلة الارتفاع مشيدة بالجص.

وجدار المعبد الثالث مشيد بالحجر المنتظم لارتفاع نحو مترين، ثم مبنى باللبن والملاط والجص إلى نهايته، والمصلى مسقوف بقبو ينقسم إلى ثلاثة أقسام بقوسين بارزين من الداخل لسنده وتدعيمه، أما الخلوة فهى مشيدة ومعقودة بألواح من الحجر الجيرى ومبلطة بألواح من الرخام. وأبعاد المصلى

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٥٤.

١٦,٥م × ٧,١٠م والخلوة ٢,٣٥م ×٤,٣٥م وللخلوة مدخل ذات قبـــو أبعـــاده ٢,٧٠م ×٢م.

أما المعبد الرابع (معبد اترعتا) فهو مشيد بـــألواح مـــن الحجـــر ذات الحجم الكبير منتظمة إلى حد ما ومغطى بالجص، وتبلغ أبعاد الخلوة ٣,٨٥م × ٣,٩٠م، والمصلى ١٤,٨٠م × ٥,٩٠م وهو مسقوف بنفس أســـلوب المعبـــد الثالث. وفي الزاوية الجنوبية الغربية من كل من المعبدين يوجد صندوق مشيد بالجص والحجارة يظن أنه كان للتخزين، ووجدت في المعبد الثالث كوتان عند الزاوية الجنوبية الشرقية بينهما دكة بارتفاع نحو ٧٠سم. وفى أرضيـــة هـــذا المعبد حوض مربع صغير من الحجر عند أول درجة للصعود إلـــى الخلـــوة. وقد وضعت أربعة تماثيل كبيرة فى مصلى هذا المعبد على رفوف، اثنان على جانبى الخلوة يقابلهما اثنان على جانبى باب المعبد.[1] التمثالان اللذان علـــى جانبى الخلوة أحدهما لملك اسمه أتلو (شكل ١٨٥) وهو فى اليســـار والثـــانى لملك مجهول (شكل ١٨٦) وهو فى اليمين. أما التمثالان الآخران فهما لنبيليـن أحدهما اسم عبد سميا بن ورد نب (شكل ١٨٧) والثانى مجهول الاسم (شـــكل ١٨٤)، وقد وجد فى هذا المعبد حصالتا نقود ونصبان للبخور مما قد يشير إلى أن هذا البناء لم يكن لبعلشمين بمفرده بل شاركته زوجته اترعتا، وقد يؤيد ذلك مشهد بعلشمين واقفا ومعه على اللوح ذاته ثلاث نسوة (شكل ١٨٨) ويحتمـــل أن تكون إلى جانبه الأيمن الإلهة اترعتا.

وقد وجدت في المعبد الرابع أربعة تماثيل كبـــيرة لفرســـان وتمثـــال لكاهن، وبجانبه تمثال لامرأة جالسة علـــى كرســـى اســـمها أبوبنـــت جبلـــو (شكل ١٨٩). وليس غريبا أن تكون معظم التماثيل الكبيرة لمحـــاربين إذ أن

(١) Homs- Fredericq, *op.cit.*, pp.42-44.

الإلهة اترعتا لها نفس صفات عشتار البابلية فهى إلهة الحرب والحب. وعلى جانبى مدخل المعبد تمثالا أسد.[1] وجدير بالذكر أنه قد أضيفت إلى المعبد جهة الشمال حجرة أبعادها (٦,٢٥م × ٤,٢٥م). مدخلها من الشارع، ويبدو أنها كانت مكانا لتخزين أثاث المعبد.[2]

٥- المعبد الخامس (معبد أشربل)

يتكون هذا المعبد[3] بالإضافة إلى المصلى والخلوة من فناء كبير على جانبه الشمالى صف من الأواوين وعلى جانبه الجنوبى مصلى صغير وخلفه مجموعة من الغرف (شكل ١٩٠).

ونجد أن المدخل الرئيسي لهذا المعبد ذو بابين متقابلين خارجى وداخلى، وهذا المدخل يفضى إلى الفناء عند زاويته الشمالية الشرقية من ساحة متصلة بشارع عريض يصل بين البوابة الشمالية للمدينة وبين المعبد الكبير. ومصلى معبد أشربل مستطيل الشكل أبعاده ٢١م ×٧,٩٠م وهو ذو خلوة مربعة ٥,٩٠م × ٥,٩٠م يرقى إليها بأربع درجات وهى تحتوى على منصة الإله أشربل، وأمامها دكة للبخور. ويدخل الزائر إلى المعبد من خلال ثلاثة أبواب أكبرها الذى فى الوسط، وعلى جانبى هذا الباب برجان بينهما ثلاث درجات تؤدى إلى المصلى، وتلاصق البرجان قاعدتين لأسدين يقومان بحراسة المعبد. ونلاحظ أن المصلى جدرانه مشيدة من الحجر المنتظم وسقفه قبو مبنى بكسر من الجص والحجر، وأرضيته مبلطة بألواح من الرخام

---

(١) Sarre, F. Parthian Art, London, 1938, pp.404-410.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٣٥.

(٣) نفس ٣٥٥. المرجع، ص ٣٥٦.

وحولها دكة ارتفاعها ١٦سم فقط. أما الخلوة فجدرانها وقبوتها مشيدة بـــألواح الحجر ومبلطة بألواح الرخام.

وقد اكتشف فى هذا المعبد إفريز مصور عليه بالنحت البارز مشهدا[١] فى وسطه الكاهن الأكبر نصرو الذى يعزى إليه بنـــاء هــذا المعبــد، وهــو مضطجع ومتكئ على وسائد وفى يده كأس وأمامه يقف شاب اســمه ولجــش (شكل ١٩١). وقد وجدت فى هذا المعبد تمثالان كبيران لمحـــارب وكــاهن، وكذلك تمثالان للأميرة دى شفرى وابنتها سمى (شـــكل ١٩٢) علـــى يســـار الخلوة، وتمثالان للكاهن بدا (شكل ١٩٣) ومحارب مجهول الاسم كانا علـــى يمين الخلوة (شكل ١٩٤). أما الجدار الشرقى للمصلى فقد وجد بجانبه تمثالان لمرتبو (شكل ١٩٥) وقيمى (شكل ١٩٦).

وهذا لم يعثر على أصنام لآلهة فى المصلى ولا فى الخلـــوة، ولكنـــها وجدت فى حجرة تقع فى الجانب الجنوبى للمعبد حيث وجدت لـــوح للإلهـــة اللات واقفة على ظهر أسد بين فتاتين (شكل ١٩٧). ويظن أن هـــذه الإلهـــة كانت تعرف فى هذا المعبد باسم أشربل أى "فرحة بل ". كذلك عثر على تمثال لإله مجهول الاسم محاط بنسرين وبالإلهة نيكى حارسة المدينة (شـــكل ١٩٨) وكذلك تمثال للإله نرجول فى هيئة هرقل[٢].

٦- المعبد السادس

يقع هذا المعبـــد[٣] فـــى شـــمال المدينـــة، وهـــو مســـتطيل الشـــكل ١٣م ×٢٥,٢٠م، ويختلف تصميمه (شكل ١٩٩) عن باقى المعابد الأخـــرى،

(١) Schlumberger, *op.cit.*, p. 66.

(٢) Will, E. Art parthe et Art grec. Paris, 1959, pp.39-42.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٥٨.

ويضم قاعة مستطيلة ١٠,٧م × ١٥م، تفضي من كل من جانبيها العرضيين إلى حجرتين. وللمعبد بوابة ضخمة فى وسط الضلع الشرقى تقوم أمامها سقف من أربعة أعمدة، ويصعد الزائر إلى المعبد على أربع درجات، وتقابل باب المصلى خلوة على شكل محراب، ويوجد فى مقدمة هذه الخلوة قاعدة لتمثالين جالسين لإله وإلهة مجهولين (شكل ٢٠٠- ٢٠١).

وقد وجد فى المصلى تمثالان كبيران من الرخام أحدهما لكاهن على الجانب الأيسر من الخلوة وأمامه حصالة نقود (شكل ٢٠٢) والثانى على يمين الداخل إلى المصلى ويظن أنه لصيرفى يده كيس للنقود(شكل ٢٠٣)، ومن المحتمل أن هذين الشخصين كانا هما المسئولان عن بناء المعبد. وأمام المعبد فناء واسع يصعد منه إلى السطح بسلم مشيد من الخارج ملتصق بالجدار الشمالى للمصلى، ومن هذا الفناء يدخل إلى الحجرة الواقعة فى جنوبى المعبد.

٧- **المعبد السابع** (معبد نرجول)

وهذا المعبد[1] عبارة عن مبنى مستطيل الشكل أبعاده ١٤,٢٥م ×٧,١٥م، (شكل ٢٠٤) والملاحظ أن جدار هذا المعبد سميك للغاية إذ يبلغ سمك الجدار ١,٧٥م. هذا ويحيط بالمصلى من الداخل مصطبة صغيرة تعلو عن الأرضية بنحو ١٢سم وعرضها ١,١٠م. وخلوة هذا المعبد صغيرة أرضيتها تعلو بمقدار ٩١سم عن أرضية المصلى، ويرقى إليها بسلم جانبى من ثلاث درجات وأمام الخلوة قاعدة لآلهة هذا المعبد، وفى وسط المصلى حوض صغير من الحجر مستطيل الشكل.

وللمعبد باب واحد له عضادتان مزخرفتان، وعلى جانبى الباب من الخارج برجان كبيران لكل منهما تاج وقاعدة منحوتة، ويوجد درج يؤدى إلى

---

(١) نفس المرجع، ص ٣٥٩.

السطح فى الزاوية الشمالية الغربية من الخارج. وقد شيدت جدران هذا المعبد بالحجر الغير منتظم والجص حتى ارتفاع ٢م فى حين أكملت جدرانه باللبن والجص عدا الباب والخلوة فهما مشيدان بالحجر.

وداخل هذا المعبد وجدت ثلاثة تماثيل لهراكليس (نرجول) واحد منها بالحجم الطبيعى (شكل ٢٠٥) وبالقرب منه تمثال لسيدة يظن أنها زوجته (شكل ٢٠٦). ومن المعتقد أن هذا المعبد كان مخصصا لعبادة هراكليس حيث وجد لوح (شكل ٢٠٧) عليه صورة هراكليس وأمامه شخص يقدم البخور، وكذلك وجدت حصالة نقود (شكل ٢٠٨) مزينة بثلاثة من بطولات هيراكليس وهى صراع هيراكليس مع الكنتاور ومساعدة الإلهة أثينا لهيراكليس فى هذا الصراع، وقضاء هيراكليس على أسد نيميا.[1]

٨- المعبد الثامن

ويتميز هذا المعبد[2] (شكل ٢٠٩) بوجود بيتان للآلهة أحدهما وهو القديم موجه إلى الشرق، وقد وجد على بابه إفريز عليه نقش يرجع إلى عام ٤٠٩ من التقويم الحضرى أى ٩٨ ميلادية، ويتكون هذا المعبد من مصلى مستطيل ١٣,٥م × ٥,٣٥م مشيد بالطوب اللبن والطين فوق أساس من الحجارة، وفى وسط ضلعه الغربي خلوة بشكل محراب صغير معقود بالحجر، وترتفع أرضيته بـ ٩٥ سم عن أرضية المصلى. وقد عثر فى هذا المعبد على وجهين من النحاس وعلى أجزاء من تمثال صغير لهيراكليس (شكل ٢١٠) وهو الإله نرجول الذى خصص له البناء القديم.

---

(١) Brommer, F., Herakles. Die zwölf Taten des Helden in Antiker Kunst und Literatur, Darmstadt, 1979, pp.7-11.

(٢) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٦٠.

أما بيت الآلهة الجديد فهو متجه إلى الشمال ويحتوى على مصلى فى كل من جانبيه حجرتان، وهو يشبه فى ذلك المعبد السادس. والمصلى مستطيل الشكل أبعاده ١٤ ×٩,٢٥م مسقوف ا بثلاث قبوات، وللمصلى باب متسع محاط ببرجان يحملان عقد، أما الخلوة فهى كبيرة نسبيا أبعادها ٣م ×٣م لها باب يرتقى إلى عتبته بثلاث درجات، وأرضيتها مبلطة من الرخام، وفوق باب الخلوة يوجد إفريز يعلوه قوس من قطع من الحجر مزينة بتماثيل نصفية بارزة (شكل ٢١١)، ويظهر فى وسطه نسر أمامه راية وعلى القطع التي في اليمين ملك وأمير وقائد وآمر للعلم واسمه عبد سميا، وعلى القطع إلى اليسار هيراكليس وثلاثة وجهاء من مدينة الحضر.

وعدا الباب والخلوة المشيدين بألواح من الحجر فإن جدران المعبد من فوق ارتفاع متر واحد مشيدة باللبن والجص وكذلك قبوات السقف، أما أرضية المصلى فهى مبلطة بالجص.

وقد وجد فى هذا المعبد الكثير من اللقى الأثرية ومنها سبعة تماثيل من الرخام الأبيض تمثل آلهة الكواكب السبعة التى خصص يوم من أيام الأسبوع لعبادة كل منها (شكل ١٥٠) ووجدت كذلك نماذج مصغرة لمعابد (شكل ٢١٢) ولوح عليه مجمع الآلهة وبما أن المعبد كان خاليا من تمثال كبير يمثل الإله الذى شيد من أجله، فإننا نقترح أن يكون هذا المعبد مخصصا للآلهة السبعة للكواكب.[1]

(١) ديلابورت، ل.، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٣٨.

٩- المعبد التاسع

يقع هذا المعبد[1] (شكل ٢١٣) على بعد نحو ٢٠٠م جنوب المعبد الكبير، وهو يتجه نحو الشرق وأمامه ساحة مستطيلة تفضي إليها شوارع من اتجاهات مختلفة.

والمعبد مستطيل الشكل مساحة مصلاه ١٩م × ٦,٧م وللمعبد ثلاثة أبواب، يقع الأوسط منهما بين برجين وله إفريز وكورنيش، وعلى كل منهما اسم مقيم شمش الذى يعزى إليه بناء المعبد. وتقع خلوة المعبد قبالة الباب الأوسط للمصلى وبها دكة على جدارها الغربي ترتفع ٥٥سم عن الأرضية وضع عليها لوح من الرخام منقوش بكتابة مؤرخة بعام ٤٧٦ بالتقويم الحضرى وتشير إلى تأسيس هذا المعبد عن طريق عبد مليك بن وهوبا هو وابنه عقوب شمش فى عام ١٦٥ ميلادية. وقد وجد فى هذا المعبد لوحان على أحدهما صورة عبد مليلك وزوجته جذوة (شكل ٢١٤) وعلى اللوح الثانى صورة لابنه عقوب شمش. وبعد ذلك بنحو ٢٢ عاما وضع ابن ثان لوهوبا واسمه عبد سميا لوحة عليها رايتان ونسر (شكل ٢١٥) وكتابة مؤرخة بعام ٤٩٨ حضرية أى عام ١٨٧ ميلادية.

ويلاحظ من مكتشفات هذا المعبد أنه قد مر بثلاث مراحل عبدت فيها آلهة مختلفة، فقد وجد تمثالان كبيران أحدهما للإله هيراكليس (شكل ٢١٦) والثانى للإله سول إله الشمس عند الرومان، وعثر كذلك على نصب للبخور، وكل هذه القطع الثلاث عليها كتابات باللغة اللاتينية، مما يؤكد أن هذا المعبد قد اتخذته للعبادة مجموعة من جنود الجيش الرومانى الذى عسكر فى مدينة الحضر فى عهد الإمبراطور جورديان (٢٣٨-٢٤٤م) وذلك لنجدة أهالى

---

(١) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٦٢.

الحضر من غزو الساسانيين للعراق وكذلك وجدت أربعة تماثيل أخرى للبطل هيراكليس. ويحتمل أن هذا البناء كان فى البداية مكرسا لعبادة الشمس[١] أقامه مقيم – شمش تيمنا بهذا الإله الذى يكون جزءا من اسمه، ثم وضعت فيه تماثيل لهيراكليس فى زمن التشييد الذى قام به مليك، وبعد ذلك وضع عبد سميا أخو عبد مليك لوحة الرايتين والنسر رمزا للإله الشمس، وأخيرا اتخذ الرومان هذا المعبد مكانا لعبادة الشمس وهيراكليس[٢].

١٠-**المعبد العاشر** (معبد نرجول)

يقع هذا المعبد[٣] (شكل ٢١٧) على نحو ٦٠٠ متر من المعبد الكبير ناحية الغرب، ويتجه هذا المعبد إلى الشرق، وأمام المعبد ساحة متسعة تتصل بشارع عريض يمتد من الشرق إلى الغرب. وتبلغ أبعاد المصلى فى هذا المعبد ٢٣,٦م × ٧م وهو مستطيل الشكل فى حين أن خلوة المعبد مربعة الشكل ٤ × ٤م. ولهذا المعبد ثلاثة أبواب الأوسط منها يقع بين برجين كبيرين كانا يحملان عقد ذات سقف أمام الباب، ويوجد سلم فى الجدار الغربي من الخارج يؤدى إلى سطح المعبد. وقاعة المصلى ذات سقف قبوى مقام على عقد، وللخلوة قبة صغيرة. وجدير بالذكر ان هناك حجرتان قد أضيفتا على الجدار الجنوبى وأخرى بجوار الخلوة من الجنوب. وداخل الخلوة مذبح يرتفع عن الأرضية ٣٣سم ومدخل الخلوة عرضه ١٢٠سم مقام على إفريز به كتابة تحدد بناء هذا المعبد فى عصر نصر مريا (١١٥-١٣٥م).

---

(١) ديلابورت، المرجع السابق، ص ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) Sourdel, D., Les cultes du Hauran A L'epoque romain, Paris, 1952, p.29.

(٣) فؤاد سفر، المرجع السابق، ص ٣٦٤.

ويستدل من الآثار التى اكتشفت فى المعبد أنه كـــان مخصصـــا لعبـــادة نرجول مصورا بهيئة هيراكليس (شكل ٢١٨- ٢١٩). وعلى جانبى مدخـــل الخلوة تمثالان كبيران أحدهما لسنطروق الأول (شكل ٢٢٠) والثانى لشـــاب يظن من ملبسه أنه كان ملكا.

١١-المعبد الحادى عشر

يقع هذا المعبد[١] (شكل ٢٢١) على بعد ٣٠٠م من الجـــانب الغربـــي للمعبد الكبير، وهو موجه نحو الجنوب وأمام المعبد ساحة واسعة واقعة فـــي حى سكنى ربما كان البعض من منازله مخصصة لكهنة وخدام المعبد. ولـــهذا المعبد باب واحد متسع على جانبيه برجان. ويتخذ كل من مصلى هذا المعبـــد والخلوة الشكل المستطيل إذ يبلغ أبعاد المصلى ١٧,٥م × ٦,٣٠م وأرضيتـــه مبلطة بالحصى تحيط بها مصطبة صغيرة عرضها ١١٠سم وارتفاعها ٤١سم، وأبعاد الخلوة تبلغ ٤,٢٦م × ٣م وهى مبلطة بالرخام وتعلو أرضيتها ٢٢ســـم عن أرضية المصلى.

وفى صدر الخلوة دخلة فى الجدار أمامها دكة واسعة يرقى إليها ثلاث درجات، وأمام هذه الدكة مذبح كبير ذو حافة مستديرة وفوق الدكـــة قـــاعدة لتمثال. وقد وجدت داخل الخلوة أجزاء من تمثال كبير لـــهيراكليس وأجـــزاء أخرى لربه جالسة على كرسى مما يرجح أن هذا المعبد كان مكرسا لعبـــادة الإله نرجول وزوجته.

وكذلك عثر فى المصلى على تمثالين كبيرين أحدهما للملك ســنطروق الثانى (شكل ٢٢٢) والآخر لمتعبد مجهول الهوية بيده سعف نخيل.

(١) نفس المرجع، ص ٣٦٦.

وعلى الجانب الشرقى لباب المصلى وجد تمثالان آخران من الرخام أحدهمـــا لكاهن اسمه دقفا (شكل ٢٢٣) والثانى لعبد عجيلو بن الكود.
أنظر مخططات المعابد وبعض مكتشفات مدينة الحضر فـــي الأشـــكال مـــن (٢٢٤-٢٣١).

الفصل الخامس

آثار منطقة الأردن

- الإطار الجغرافي
- مقدمة تاريخية
- مدينة عمان
- مدينة جرش
- مدينة البتراء



آثار منطقة الأردن

الإطـــار الجغـــرافي

يقع الأردن في قلب العالم العربي وتشترك حدوده مع ســـــورية مـــن الشمال والعراق من الشرق وفلسطين من الغرب والمملكة العربية الســـعودية من الشرق والجنوب، وهو مقسم جغرافياً إلى ثلاثة مناطق:

١- المنطقة الأخدودية ٢- الهضبة والجبال ٣- الصحراء

يمتد الأخدود الذي يبلغ طوله نحو ٤٢٨كم من بحـــيرة طبريـــا فـــي الشمال حتى خليج العقبة في الجنوب. ويتكون من وادي الأردن والبحر الميت ووادي عربه، ويمتد نهر الأردن من بحيرة طبريا حتى البحر الميت وهو أشد بقاع العالم انخفاضاً إذ ينخفض ٣٩٢متراً عن سطح البحـــر. أمـــا الهضبـــة والجبال فتمتد من سورية شمالاً حتى خليج العقبة جنوباً، ويتكون من صخـــور كلسية في الشمال ورملية في الجنوب وخاصة في البتراء ووادي رم. وتغطـــي الصحراء أكثر من ثلثي مساحة الأردن الكلية، وهي منطقة مستوية تنتشر فيها بعض التلال والواحات.

مقدمة تاريخية

كانت منطقة الأردن تخضع للحكم الفارسي منذ عام ٥٤٩ ق.م وحتـــى قدوم الإسكندر الأكبر حيث عين الفرس حاكماً عاماً للمناطق العربية التابعـــة لإمبراطوريتهم وألحقوا الأردن وفلسطين بإدارته.

استوطن الآدميون جنوب فلسطين حوالي عـــام ٥٠٠ ق.م اســتيطاناً تاماً حتى عرفت فيما بعد باسم بلاد آدوم Idumea.[١]

وقد مرت منطقة الأردن بعد ذلك بفترتين هامتين:

أ- الفترة الهللينستية

استولى الإسكندر الأكبر على منطقتي الأردن وفلسطين خلال حملتــه التي قادها إلى مصر في عام ٣٣٣ ق.م وبعد وفاته في عام ٣٢٣ ق.م آلـــت مصر وفلسطين والأردن وسورية الجنوبية إلى حكم بطلميـــوس أحـد قـادة الإسكندر الذي اتخذ من مصر مقراً لحكمه وجعل الإسكندرية العاصمة[٢].

في هذه الأثناء كان الأنباط قد وطـــدوا حكمـــهم فـــي آدوم وجعلـوا عاصمتهم البتراء، ونتيجة لدخولهم مضمار التجارة أصبح ثراءهم واضحاً مما دفع أنتيجونوس حاكم سورية إلى إرسال جيش لمهاجمتهم في عـــام ٣١١ ق.م حيث تمكن من الاستيلاء على العاصمة وانشغل جنوده في جمع الغنائم، إلا أن القائد اليوناني أهمل اختيار موضع مناسب يعسكر فيه، فهاجمه الأنباط وسحقوا الجيش اليوناني. وقد قام اليونانيون بمحاولة أخرى بعد ذلك ولكـــن الأنبـــاط تمكنوا من الاتفاق مع القائد ديمتروس وتقديم مبلغ من المال مقـــابل تحقيـــق السلام في هذه المنطقة[٣].

كان الجزء الشمالي من سوريا من نصيب سلوقس أحد قادة الإســكندر الأكبر، ولكن هذا القائد لم يقنع بنصيبه فاستولى على الأردن دون مقاومة، مما

---

(١) أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنـــى القديـــم، دار النهضـــة العربيـــة، بيروت، ١٩٨٩، ص ص ٥٠٢-٥٠٣.

(٢) Grant, M., Von Alexander bis Kleopatra. Die hellenistische Welt, Gladbach,1984, pp.58-60.

(٣) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ٥٤.

جعل بطلميوس الثاني في عام ٢٨٤ ق.م ينهض لكي يصحح الوضع فغزا عمون واستولى عليها إلا أنه لم يحاول أن يتعرض للأنباط.(١)

وجدير بالذكر أن الحضارة اليونانية قد قوبلت بترحيب بالغ في الشرق الأدنى لذا نرى كثيراً من المدن الجديدة التي أخذت تنشأ في منطقة الأردن وكذلك نرى تجديدات عدة في المدن القديمة لكي تشتمل على عناصر من الفنون وأساليب المعمار اليونانية، بل أن هذه الحضارة اليونانية امتدت إلى بلاد الأنباط وأثرت فيها لدرجة أننا نلمس في هذه الفترة تطوراً في فن العمارة عند الأنباط. ويتجلى هذا التأثر في ظهور القطع النقدية المسكوكة على الطراز اليوناني.(٢)

وقد أطلق على مدن كثيرة أسماء جديدة تكريماً لليونانيين الذين جددوا بناءها، كمدينة عمان التي صار اسمها فيلادلفيا نسبة إلى الملك البطلمي بطلميوس الثاني الملقب بفيلادلفوس، وجرش التي صار اسمها أنطاكية، وقد بلغت هذه المدن حداً كبيراً من الرخاء والمد الحضاري في خلال القرنين الثالث والرابع الميلادي إبان حكم الرومان لها.(٣)

ومما ساعد على استمرار المد الحضاري في المنطقة أن جميع أقطار الشرق الأدنى قد اتخذت اللغة اليونانية لغة رسمية لها فأصبحت هذه اللغة لغة الطبقة المتحضرة.(٤)

---

(١) نفس المرجع، ص ص ٦٢-٦٣.

(٢) Spijkerman, A., The Coins of the Decapolis and Province Arabia, Jerusalem, 1978, pp.96-99.

(٣) Harding, G.L., The Antiquities of Jordan, Lutterworth, 1974, p. 48.

(٤) Walbank, F.K., Die hellenistische Welt, Műnchen, 1983, p.54-56.

وقد تمكن الأنباط من توسيع مملكتهم إلــى الشــمال نتيجــة للعــداء المستحكم بين البطالمة في مصر و السلوقيين في ســورية. وكــان الأنبــاط يؤيدون السلوقيين ضد البطالمة. ومن خلال معاهدة عقــدت بيــن الســلوقيين والبطالمة في عام ١٩٧ ق.م احتفظ الملك أنتيجونوس الثالث بفلسطين وسوريا والأردن.[١]

وخلال حكم هذا الملك تمكن شخص يــهودي مــن فلســطين اســمه هركانوس Hyrcanus[٢] من إنشاء دولة صغيرة في أراضي عمــون جعــل مركزها في خربة (عراق الأمير) إلى الغرب من عمان، وقد سيطر هركانوس على المنطقة المجاورة حوالي اثني عشر عاما، مما اضطر أنتيوخوس الرابــع إلى إرسال حملة عسكرية للقضاء عليه. ونتيجة لهزيمة هركانوس فقد عمــد إلى الانتحار في عام ١٧٥ ق.م[٣].

على أن الأوامر التي أصدرها أنتيوخوس الرابع ضد اليهود – في هذه الأثنــاء – دفعــت هــؤلاء إلــى القيــام بثــورة قادهــا يــهودا المكــابي Judas Maccabeus الذي استطاع خلال سنوات متتاليــة ١٦٧–١٦٥ق م أن يلحق الهزيمة بأربعة جيوش أرسلها أنتيوخوس لسحق ثورتــه. وحــانت الفرصة ليهوذا حين توفى أنتيوخوس الرابع في عام ١٦٤ ق.م، حيث بدأ فــي توسيع دولته – فغزا أراضي عمون ولكن العمونيون قاوموا هذا الغزو بقيــادة زعيم يدعى تيموثيوس Timotheus ولكنهم هزموا وتراجعوا إلــى جلعــاد

(١) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ٩٠.

(٢) يحتمل أن يكون أحد أعضاء أسرة الطوبيين الذين حكموا عمون فترة طويلة من الزمن قبل دخول الإسكندر الأكبر للمنطقة

(٣) Joephus. Der Jüdische Krieg (übers. H Endrös). München. 1980. XII. 4. 3

لمواصلة القتال، ولكن يهوذا هاجمهم مرة أخرى وألحق بهم الهزيمة في أشتوث قرنايم Ashtoreth karnaim وسقط تيموثيوس قتيلاً في هذه المعركة.[١]

وفي عام ١٦٣ ق.م تقدم جيش سوري آخر فألحق الهزيمة باليهود، تبعه بعد ذلك في عام ١٦١ ق. م جيش آخر هزم اليهود هزيمة تامة بعد اعتصامهم في مدينة أربيلا (إربد الحالية).[٢]

وخلال كل هذه الأحداث فقد احتفظ الأنباط باستقلالهم ونجحوا في توسيع مناطق نفوذهم حتى دمشق، وظلوا يسيطرون على هذه المنطقة حتى عام ١٠٦ق.م، وكان أول من حكم هذه المملكة بعد توسعها الملك النبطي الحارث الثالث Aretas III (٨٧-٦٢ ق.م) الذي لقب بالمحب للهللينية ولكن يبدو أن الأنباط لم يسيطروا سيطرة مباشرة على الجزء الغربي من الأردن، ومع ذلك فإن أحجار البناء الضخمة التي عثر عليها في جرش منحوتة على طراز "خطوة الغراب" النبطية بالإضافة إلى الكتابات النبطية التي تشير إلى نفوذ وتأثير الأنباط في هذه المنطقة.[٣]

ب- الفترة الرومانية البيزنطية

في أثناء القرن الأول ق.م كان نفوذ وقوة روما يزداد تدريجياً، وقد توسعت الإمبراطورية الرومانية في الشرق حين فتح بومبيوس بلاد الشام (سوريا وفلسطين) في عام ٦٤ ق.م وفي شرقي الأردن ساعد بومبيوس على

---

(١) Scheck, F.R., Jordanien. Völker und Kulturen zwischen Jordan und Rotem Meer, Du Mont verlag, Köln, 1987, p.36.

(٢) Browning, I., Jerash and the Decapolis, Chatto & Windus, London, 1982, p. 27.

(٣) Harding, *op.cit.*, p. 49.

إعادة تعمير المدن اليونانية التي خربها اليهود ووضع أسس الحلف التجـــاري المعروف باسم الديكابوليس Decapolis (أي حلف المدن العشر). وكان هــذا الحلف في الأصل مؤلفا من سكاثيوبوليس (بيسان)، بيلا (طبقة فحل)، هبــوس (فيق)، دمشق، ديون (غير معروفة)، كاناثا (قنوات) جرش، فيلادلفيا (عمان). وقد أضيفت مدن أخرى فيما بعد إلى هذا الحلف هي أربيلا (إربد) كابيتوليـاس (بيت رأس) أدرعى (درعا) وبصرى.(١)

وقد احتفظت البلاد بالاستقلال التام، ولكنها كانت تدفع الضرائب إلـــى الخزانة الإمبراطورية، وقد دفع الأنباط مبلغا من المال حتى يستمر اســـتقلال مملكتهم، ولكن لم تظل هذه التنظيمات قائمة بعـــد رحيـــل القـــائد الرومـــاني بومبيوس.(٢)

وفي عام ٤٠ ق.م عين هيرودوس الأكبر ملكا على اليهود بمســـاندة ماركوس أنطونيوس، وكلن هذا التعيين يتضمن بعضا من الإشـــراف علـــى شرقي الأردن.

وحينما بدأت النزاعات تدب بين الأنباط وماركوس أنطونيوس هــاجم هيرودوس الأنباط وهزمهم وأخرجهم من الجزء الشمالي من مملكتهم. وعنـــد وفاة هيرودوس عام ٤ ق.م كان النفوذ الروماني قد غطى كل المنطقة حيـــث قسمت الأردن إلى ثلاث مناطق، ففي الشمال كان حلف الديكابوليس المســـتقل في شئونه الداخلية، وفي الوسط كانت مملكة بيريا (من الزرقاء إلى الأرنـــون

(١) Bietenhard, H., Die Dekapolis von Pompeius bis Trajan, Frankfurt, 1963, pp. 40 -50.

(٢) Harding, *op.cit.*, p. 50.

باستثناء عمان) وكانت خاضعة لمملكة اليهود الصغيرة في فلسطين، أما في الجنوب فكانت مملكة الأنباط المستقلة.(١)

وظلت البلاد تحت حكم الرومان فترة عاصرت فيها كثيراً من الهدوء في ظل حكم الرومان الحازم، حتى جاء عام ٦٤م (خلال حكم الإمبراطور نيرون) حين أرسل الملك النبطي مالك الثاني Malichus II جيشاً لمساعدة الرومان ضد اليهود، ولجأ كثير من اليهود إلى موقع يسمى ماخيروس ولكن الرومان هدموا الموقع وقتلوا أفراد الحامية.(٢) وأخيراً فقدت مملكة الأنباط استقلالها أيضاً عام ١٠٦ م في عهد الإمبراطور تراجان، وأصبحت شرقي الأردن كلها خاضعة للحكم الروماني، وألحقت جميع البلاد فيما عدا الديكابوليس - بمقاطعة جديدة أطلق عليها اسم البتراء العربية Arabia Patera وكانت عاصمة هذه المقاطعة مدينة البتراء(٣).

ومن أعظم الإنجازات التي قام بها الرومان في شرقي الأردن شق طريق تراجان العظيمة فيما بين ١١١-١١٤ م وكانت هذه الطريق تصل العقبة على البحر الأحمر ببصرى ودمشق في الشمال، وسميت "طريق تراجان الجديدة". وما تزال بعض التحصينات التي شيدها الرومان لحماية هذه الطريق وقوافلها قائمة حتى الآن في أذرح واللجون وكذلك أعمدة المسافات التي لا تزال في مكانها على طريق وادي الموجب.

واستمر مستوى الأمن العام والرخاء أفضل بكثير مما كان عليه في الأوقات الماضية، ولم يكن يعكر صفو الحياة على فترات متقاطعة سوى

---

(١) Browning, *op.cit.*,p.30

(٢) Harding, *op.cit.*, p.50.

(٣) Bietenhard, *op.cit.*,p.106.

الدسائس والاغتيالات بين أباطرة الرومان. وكذلك محاولات بعض حكام الأقاليم الصغيرة من أجل الحصول على الاستقلال.

وخلال القرنين الثاني والثالث أخذت القرى والمدن تؤسس وتنمو في جميع أنحاء البلاد وآرتفع مستوى الحضارة والفن المعماري إلى درجة عالية.[١]

وخلال كل هذه التطورات كانت قوة عظيمة وهي المسيحية تتغلغل في البلاد، وفي عهد الإمبراطورية البيزنطية التي أسسها الإمبراطور ثيودوسيوس عام ٣٩٥ م أنشئ في البلاد عدد كبير من الكنائس، ولكن تسببت الطوائف المسيحية المتنازعة في حدوث الكثير من التصدعات في الإمبراطورية، وكذلك المنازعات الطائفية.[٢]

وقد تحين الفرس هذه الفرصة وأخذوا يظهرون نشاطاً في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع، فهاجموا بعض المقاطعات الشرقية واستولوا عليها في عام ٦١٤م، ومن ضمنها جانب من شرقي الأردن، ونهض الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) لمحاربتهم وتغلب عليهم، ولكن الفتح الإسلامي توغل في الأردن واستولى عليها في ٢٠ أغسطس عام ٦٣٦م على يد القائد خالد ابن الوليد بعد انتصار القوات الإسلامية في معركة اليرموك[٣].

---

(١) Christ, K., Das römische Weltreich. Aufstieg und Zerfall einer antiken Grossmacht, Freiburg, 1973, pp. 202-204.

(٢) Harding, *op.cit.*, p.50.

(٣) Taeschner, F., Geschichte der arabischen Welt, Stuttgart, 1964, pp. 16 – 17.

مدينة عمــان Amman

مقــدمة تــاريخيــة

عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية الحالية، قد سُكنت في عصور ما قبل التاريخ في العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث. وتـــدل التنقيبات الأثرية التي أجريت حديثاً في موقع عين غزال شرقي عمان على أن تاريخ هذا الموقع يعود إلى العصر الحجري الحديث(١).

وقد أطلـــق الملـــك بطلميـــوس الثـــاني (٢٨٥-٢٤٦ ق.م) الملقـــب بفيلادلفوس اسم فيلادلفيا على مدينة عمان. وكانت فيلادلفيا تشكل جزءاً هامـــاً في مملكة الأنباط التي حكموها لفترة طويلة قبل خضوعها لحكم الرومـــان(٢). وأصبحت عمان في العصر الروماني في عام ٦٣ ق.م مدينة أساســـية فـــي الحلف التجاري المعروف بحلف المدن العشر "الديكـــابوليس"، (شـــكل ٢٣٢) وفي عام ١٠٦م انضمت إلى المقاطعة العربية الرومانية(٣).

كانت عمان مقراً للأسقف في العصر البيزنطي(٤)، ولا تزال إحـــدى الكنائس التي شيدت في هذه الفترة قائمة حتى الآن في قلعة عمان.

---

(١) نظمية رضا توفيق، الأردن، بلويجراف، إيطاليا، ١٩٨٨، ص ٦.

(٢) Strabo, Geographika XVI, 760.

(٣) Plinius, Historia Naturalis 5, 18.

(٤) Ammianus Marcellinus, Historia 17, 8; 14, 13.

آثـــار مـــدينة عمـــان

١ – الفوروم (السوق الرومانية)

استغل المهندس الروماني الاتساع الطبيعي للتل عند تصميمه للســـوق في عمان بحيث قام بتغطية مجرى النهر الصغير وقام بتوسعة المكان بحيث لا يطغى مستوى المياه عند الفيضان على الفوروم وعلى الشارع الطولـــي فـــي المدينة.(١)

والفوروم في شكله الحالي غير تقليدي ويتخذ شكل شـــبه المنحـــرف، ويحيط بهذه الساحة الكبيرة أروقة معمدة من ثلاث جهات، وتبلغ مساحة هـــذه السوق متضمنة مساحة المدخل في مدينة فيلادلفيا أكثر من ٧٦٠٠ متر مربـــع (ما يقرب من فدانين)، وهي بذلك تعتبر من أكبر وأضخم الأسواق الرومانيـــة المعروفة في العالم الروماني (شكل ٢٣٣).

ويبلغ طول الضلع الشرقي ٥٠ متراً، والغربي ٤٨ مـــتراً أمـــا فـــي الجنوب فيبلغ طول الضلع ما يقرب من مائة متر. ويسير هذا الضلع الجنوبـــي أمام البناء الضخم الخاص بخشبة المسرح، وأعمدة هذا الضلع على الطـــراز الكورنثي وما زال جزء من الأرشتراف واضحاً فوق هذه الأعمدة.(٢)

وجدير بالذكر أن شارع الأعمدة في العصر الهللينستي وكذلـــك فـــي العصر الروماني كان يمثل محور رئيسي للحياة التجارية في المدينة هذا إلـــى جانب وظيفته السياسية والفكرية والدينية. ومن المدهش أننا لا نجد في محيـــط السوق الرومانية في فيلادلفيا أية أبنية مدنية، مما يؤكد أن وظيفة هذه الســـوق

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p.93.

(٢) Seyrig, H., Tempels, cultes, souvenirs historiques de la Decapolis, Syria, 1959, p.55.

لم تكن تجارية بالدرجة الأولى بل كان هذا الموقع مخصصاً للأنشطة السياسية والرسمية. ويرجع بناء هذه السوق إلى نفس الفترة التي بنى فيها المسرح والأوديون – أي إلى القرن الثاني الميلادي.(١)

٢- مسرح عمان

يعتبر مسرح عمان (شكل ٢٣٤ – ٢٣٦) من أهم الآثار الرومانية في الأردن وهو من أحسن المسارح اليونانية الرومانية في العالم العربي ولكنه لم يكن أضخمها. وقد قام الفخراني بعمل حفائر في هذا المسرح في عامي ١٩٦٦-١٩٦٧، ومسرح عمان مكون من ثلاثة طوابق مبنية داخل التل وهو بذلك من أكبر المسارح في الأردن(٢).

ويؤرخ هذا المسرح في العصر الأنطونيني حسبما يقول النقش الموجود في واجهة خشبة المسرح. ويؤكد ذلك طراز الزخرفة المستخدم في المسرح حيث يرجع إلى منتصف القرن الثاني الميلادي(٣) فيما بين ١٣٨- ١٦١م.

ولا يدل شكل هذا المسرح على الطراز الروماني، ولكنه يحمل نفس السمات اليونانية خاصة في موقع البناء في بطن الجبل. ومن ناحية أخرى يتكون جسم المسرح من شكل نصف دائري إذ يبلغ قطره ١٠٢ متر(٤). ويوجد ممران أفقيان Diazoma يفصلان بين الثلاثة طوابق المكونة لأماكن الجلوس

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p. 95.

(٢) Harding, *op.cit.*, pp. 67-68.

(٣) Scheck, *op.cit.*, p.97.

(٤) El Fakharani, F., Das Theater von Amman in Jordaniens, in: Archäologischer Anzeiger (AA) 1975, Heft 3, pp. 378-379, Abb.1.

Auditorium التي تتكون من ٤٤ صفاً موزعة من أسفل إلى أعلى حيث يتكون كل من الطابقين الأول والثاني من ١٤ صف من المقاعد أما الطابق العلوي فيتكون من ١٦ صف من المقاعد. وفي أعلى الطابق الثالث العلوي يوجد ممر أفقي مبني من الحجر(١).

ويشبه مسرح عمان في ذلك مسرح مدينة بصرى في الشام الذي يتكون هو الآخر من ثلاثة طوابق. وكذلك فهو يشبه في طرازه الفريد مسرح دوجا Dougga في تونس ومسرح بومبي في روما(٢).

وجدير بالملاحظة أن درجة الميل في الطابق الأول والثاني من الأوديتوريوم تسير بنفس الزاوية في حين أن مدرجات الطابق الثالث العلوي تميل بدرجة أقل، وهذه خاصية هندسية كان الهدف منها تحسين الرؤية من الطابق الثالث وكذلك زيادة وضوح الصوت القادم من الأوركسترا وخشبة المسرح، ورغم حجم هذا المسرح الكبير إلا أن الصوت مسموع بوضوح في أي جزء منه(٣).

ويقسم مدرجات الطابق الأول والثاني ثمان ممرات رأسية Paradoi تسير كلها في نفس الاتجاه، في حين أن ممرات الطابق العلوي تأخذ اتجاهاً مختلفاً حيث يقع كل ممر من ممرات الطابق العلوي في منتصف مدرجات الطابقين الأول والثاني، وتقسم هذه الممرات أماكن الجلوس إلى مساحات مخروطية الشكل(٤)، وعلى ذلك كان هذا المسرح يتسع لحوالي ٦٠٠٠ مشاهد.

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 76 Abb, 50.

(٢) El Fakharani, *op.cit.*, p. 378.

(٣) Stierlin, *op.cit*, p. 76 Abb, 50.

(٤) Scheck, *op.cit.*, p.98.

ويتطابق اتجاه بناء مسرح عمان مع ما ورد عند فيتروفيوس من حيث أن اتجاه المسرح يجب ألا يكون ناحية الجنوب ولكن ناحية الشمال وعلى الأخص ناحية الشمال الغربي، وهو بذلك يتشابه مع مسرح مدينة هيركولانوم في إيطاليا.(١)

وتعتبر خشبة المسرح في عمان من أبرز المعالم في هذا المسرح حيث يبلغ طولها ٩٥ مترا وعرضها ١٦ مترا، أما بناء خلفية المسرح فيتكون من طابقين -ربما كانت في الأصل مكون من ثلاثة طوابق- ويبلغ ارتفاعه نحو ٢٥ متر. وترتفع أرضية خشبة المسرح بمقدار ١,٥م عن الأوركسترا، وهذه الأرضية تميل بشكل غير ملحوظ نحو المشاهدين مما يحسن من درجة الرؤية عند التمثيل(٢).

أما مساحة الأوركسترا فيبلغ نصف قطرها حوالي ١٣ مترا، وفي أرضية الأوركسترا يوجد نفق يؤدي إلى أسفل خشبة المسرح وهذا النفق كان مخصصا لظهور الممثلين وهذه الظاهرة نجدها في المسارح الهللينستية(٣).

ومن المنشآت الدينية في هذا المسرح وجود مذبح حجري داخل مساحة الأوركسترا، ففي العديد من المسارح اليونانية يوجد مثل هذا المذبح الذي يخدم طقوس خاصة بالإله ديونيسوس وهو يقوم دائما في منتصف ساحة الأوركسترا، ولكننا نجده في مسرح عمان يقترب من المدرجات(٤).

---

(١) El Fakharani, *op.cit.*, pp. 378-379.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 85 Abb. 62.

(٣) El Fakhrani, *op.cit.*, p. 388.

(٤) Rey Coquais, J.- P., Philadelphia in: The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton, 1976, p. 703.

ومن المنشآت الدينية الهامة في مسرح عمان المعبد الذي يوجد في نهاية الطابق الثالث للمدرجات في الوسط تماماً داخل السور المحيط بالمسرح من أعلى، وهذا المعبد محفور في الصخر وقد بنى هذا المعبد في العصر الروماني. وتتكون واجهة هذا المعبد من عمودين مربعين ذات تيجان كورنثية في الأركان الأمامية وبينهما في الوسط يوجد مدخل المعبد الذي يتكون من باب مستطيل الشكل يعلوه قوس روماني[١].

وبين الباب وكل من العمودين المربعين توجد حنية يعلوها زخرفة الصدفة الرومانية[٢]. وقد اكتشف في هذا المعبد تمثال للإلهة أثينا[٣] مثلما كان الحال في مسرح بومبيوس في روما الذي احتوى على تمثال للإلهة فينوس Genetrix وكذلك مسرح لبدة Leptis magana في ليبيا الذي احتوى على تمثال للإلهة سيريس[٤]. ومن المحتمل أن تمثال الإلهة أثينا في المعبد الخلص بمسرح عمان يشبه تمثال أثينا الذي صنعه الفنان ميرون في Eleutherai[٥]، ويعتبر تمثال الإلهة أثينا في مسرح عمان من أقدم المنحوتات في هذا المسرح. وتعكس منحوتات المسرح في عمان الطراز الأنطونيني في منتصف القرن الثاني الميلادي[٦].

---

(١) Scheck, *op.cit*., p. 98.

(٢) El Fakharani, *op.cit*., Abb.13.

(٣) Ibidem, p. 389, Abb. 25.

(٤) Ibidem, p. 388.

(٥) Ibidem.

(٦) Ibidem, pp. 398-400, Abb. 25-27.

ويحتوي مسرح عمان على العديد من المظاهر الفريدة التي لا نجدها في بقية المسارح اليونانية الرومانية في الشرق حسبما يعتقد الفخراني مثل:

الظاهرة الأولى: المخروط الأوسط في المدرجات في الطابق السفلي للمسرح يوجد في الوسط تماماً حيث كانت هذه المقاعد مخصصة للحاكم وله مقعد خاص وباقي أعضاء الهيئة الحاكمة في المدينة وطبقة الأرستقراطيين، ورجال الدين والكهنة وغيرهم من الشخصيات العامة.[١]

الظاهرة الثانية: نجد عند سلالم المدرجات في منتصف الطابق السفلي وبالتحديد عند الدرجة الثالثة فتحة في أرضيتها وكذلك فتحات أخرى في أرضية الممرات الأفقية Diazoma كانت كلها توصل إلى "ماسورة" نهايتها في عين ماء قريب من المسرح. وكانت هذه الفتحات تسد كلها عدا واحدة فتخرج المياه مندفعة منها بقوة وكان ذلك يحدث عادة قبل العرض المسرحي وذلك لكي يتم غسل المكان الذي سيجلس فيه الحاكم، وتتكرر هذه العملية مع كل فتحة من الفتحات حتى يتم غسيل المكان بالكامل. وبعد إتمام عملية التنظيف والغسل كانت هذه الفتحات تسد بسدادات. ويرى الفخراني أنه لتجنب زيادة ضغط المياه على هذه السدادات مما قد يؤدي إلى كسرها توجد فتحة أخرى عند خشبة المسرح تخرج منها المياه على شكل نافورات وذلك أثناء العرض لتضفي على المنظر العام شيئاً من الجمال. هذه المياه التي تخرج من النافورات كانت تصرف في بالوعات موجودة أمام خشبة المسرح، مما حدا بالفخراني أن يفسر وجود البئر بجوار خشبة المسرح حيث كانت تؤخذ منه المياه وتصب في النافورات أثناء العرض وذلك في حالة ضعف مياه العين[٢].

---

(١) Ibidem, p.383.

(٢) Ibidem, p. 395.

ويتميز مسرح عمان بوجود عدداً من المظاهر اليونانية والرومانية في بنائه وتصميمه:

المظاهر اليونانية:

١- وجود مخروط أوسط في الطابق السفلي وبه مصطبة مخصصة للحاكم أو لعلية القوم.

٢- تتخذ الأوركسترا شكلاً أكثر من نصف الدائرة .

٣- وجود فتحات في الدرجة الثالثة من أسفل تستخدم في غسل المسرح قبل العرض.

٤- المدرج منحوت في بطن الجبل وليس بناءاً مستقلاً.

المظاهر الرومانية

تمثلت هذه المظاهر الرومانية على شكل تعديلات منها:

١- وجود بعض الأمثلة الرومانية للمدرجات المنحوتة في الصخر.

٢- وجود معبد أعلى مدرج المسرح عند المنتصف وهو خاص بالإلهة مينرفا.

٣- وجود أنفاق على شكل أقواس Arches في الطابقين الثاني والثالث من المدرج تحمل المقاعد الحجرية.

المظاهر الفريدة في مسرح عمان طبقاً لرأي الفخراني

لفت انتباه الفخراني عند إجراء حفائر في هذا المسرح فيما بين عامي ٦٦-١٩٦٧ وجود المذبح أمام ذلك المخروط الأوسط وليس في وسط الأوركسترا كما هو معتاد، فمن المعروف أنه في مدينة Riene في تركيا يوجد المذبح على الجانب وليس في منتصف الأوركسترا. وخلال عمل

الفخراني[١] في مسرح عمان وجد بعض الترميمات التي قام بها خبير أثـــري آخر من قبل حيث وضع على خشبة المسرح بلاطات حجريـــة حديثـــة قـــام الفخراني بإزالتها حيث عثر على حفرة أو فتحة سفلى مبلطة وتؤدي إلى ممـــو يؤدي بدوره إلى فتحة في وسط الأوركسترا وهي نفس المكـــان المفـــروض وجود المذبح به، وعندئذ ظهرت مشكلة استخدام هذا الممر. ولكن الفخراني[٢] استطاع من خلال الأدب اليوناني أن يفسر هذه الظاهرة، حيـــث وجـــد فـــي مسرحية "الضفادع" للكاتب اليوناني اريستوفانيس فـــي عـــام ٤٠٥ ق.م[٣] أن الممثل أو بطل المسرحية كان ينزل من فتحة في وسط المسرح ثم يعود ثانيـــة على خشبة المسرح ومن هنا استطاع الفخراني تفسير هـــذه الظـــاهرة إذ أن الممثل يأتي في وسط الأوركسترا ويختفي أمام الجمهور ثم يعود للظهور على خشبة المسرح مرة ثانية، وهذه الخاصية موجودة في مسارح أريتريا، كورنثه، سيليكون، ماجنسيا، سيراكوز وسجستا.[٤]

وهناك أيضاً ظاهرة خاصة بـــالإخراج المســـرحي حيـــث اكتشـــف الفخراني مجرى رأسي في الحائط الذي يفصل خشـــبة المســـرح عـــن الـــ Skene وهذا المجرى منحوت من الناحيتين، وقد فسر الخبير الأثري الســـابق هذا المجرى على أنه خاص بالصرف. أما الفخراني[٥] فوجد أن هذا المجـــرى خاص برافعة كانت تركب وتثبت فيها عن طريق ذراع وذلك حتى تســـتطيع

---

(١) Ibidem. p. 390.
(٢) Ibidem, p. 391.
(٣) Irmscher, *op.cit.*, pp. 60-61.
(٤) El Fakharani, *op.cit.*. p.391.
(٥) Ibidem. p. 394.

هذه الرافعة حمل أحد الممثلين ـــ حسبما يقتضي المشهد فـــي المســـرحية ـــ وترفعه في الهواء حتى يظهر للمشاهدين وكأنه يطير في السماء[1]، ومن هنــا ربط الفخراني بين وجود هذه الظاهرة ومسرحية السحب التي تتحـــدث عـــن إعدام سقراط وهي أيضاً من تأليف الكاتب اليوناني اريستوفانيس في عام ٤٢٣ ق.م.[2]

الأوديـــــون

يوجد الأوديون (شكل ٢٣٧) في نهاية طريق الأعمدة فـــي الناحيـــة الشرقية وهو صغير الحجم، ويؤرخ عدنان الحديدي هذا البناء فـــي بدايـــة أو منتصف القرن الثاني الميلادي[3].

وقد صمم مكان الأدويون بحيث يلتقي في زاويته الجنوبية الغربية مـــع الزاوية الشرقية للمسرح من خلال بوابة رومانية تؤدى إلى ســـاحة صغـــيرة حتى يتم الربط بين البناءين. واقتراب المسرح من مبنى الأوديون ليس جديـداً في عمان (فيلادلفيا) ولكنه موجود في كل من كورنثه وكاتانيا وفـــي مدينـــة Anemurium في أسيا الصغرى.[4] ومن المعروف أن مبنى المسرح كــان يستخدم للعروض المسرحية الكبيرة بينما خصص مبنـــى الأوديـــون كقاعـــة

---

(١) مثل هذه المشاهد كان يستخدمها أيضاً الكاتب يوريبيديس في مسرحياته مثل مســرحية ميديا وكان يطلق عليها Deus ex machina.

راجع: El Fakharani, *op.cit.*, p. 394.

(٢) Irmscher, *op.cit.*, p. 60.

(٣) Northedge, A., Studies on Roman and Islamic Amman, Bd. I. History, Site and Architecture, 1992.

(٤) Scheck. *op.cit.*, p. 99.

لاستماع الموسيقى والإنشاد الغنائي والقراءات الأدبية والشعرية، لذا كان هـذا المبنى مسقوفا في العادة.

وتتكون قاعة الأوديون فى عمان من الأوركسترا في الوسط محاطـة بثمانية عشر صفا من المقاعد. وتتخذ القاعة شكل الصدفة الرومانية حيث يبلغ محيطها ثمانية وثلاثون مترا وهى في حالة سيئة الآن. أما المبنـى الخـاص بخشبه الأوديون فهو أحسن حالا حيث تظهر بعض الأفاريز والحنيات التـي كانت تزين هذا البناء ويؤدى هذا البناء إلى خشبة الأوديون من خلال ثلاثـة أبواب[١].

وفي داخل هذا البناء تم اكتشاف قطعة حجرية عام ١٩٧٢ وهى مـن الحجر الجيري مصورا عليها نحت بارز عبارة عن عيـن كبـيرة محاطـة بثعبانين واثنين من الجعران، وخنجر وسهم وقوس، وقد صور الفنـان هـذا المنظر في داخل الأوديون لكي يبعد الشرور عن مشاهدي هذا المكان. وهـذه القطعة تشبه إلى حد كبير قطعة الفسيفساء الموجودة في أنطاكية السورية[٢].

(١) Ibidem.

(٢) Ibidem, p. 100.

مــدينة جــرش Gerasa

مقــدمة تاريخيــة

اكتشفت في جرش كميات من الأدوات الصوانيه وبعـــض المعـــاول اليدوية الصغيرة الدقيقة الصنع مما يدل على أن جرش كانت مأهولة بالســكان في العصر النيوليثي حوالي ٦٠٠٠ ق.م[١]. وقد كان الموقع الذي يقــوم فيــه الآن خزان المياه في الشمال الشرقي من المدينة قرية تعـــود إلـــى العصـــر البرونزي الأول حيث اكتشفت أدوات تعود إلى ما يقرب مـــن ٢٥٠٠ ســـنة ق.م[٢].

وللأسف لا نستطيع الجزم تماما بالتاريخ الذي بـــدأت فيــه جــرش تتحول من قرية صغيرة إلى مدينة هللينيـــة هامـــة. وتـــدل الكتابـــات علـــى أن المدينة كانت تســـمى ســـابقا انطاكيـــة الواقعـــة علـــى النـــهر الذهبـــي Antioch on the Chrysorhoas. أمـــا الاســـم الآخـــر القديـــم للمدينـــة فـــهو جراســـا Gerasa، وربمـــا يوحـــي الاســـم الأول أن أحـــد الملـــوك السلوقيين الذي كان يحمل اسم أنطيوخوس هو الـــذي كـــان مســـئولا عـــن تحويلـــها وتطويرهـــا، ومـــن المحتمـــل أن يكـــون هـــذا الشـــخص هـــو أنطيوخـــوس الرابـــع فـــي أوائـــل القـــرن الثـــاني ق.م (٢١٥-١٦٣ ق.م الملقب بابيفانيس) المعروف عنه اهتمامـــه بشـــئون الأردن.[٣]

وتعزو بعض الروايات بناء المدينة إلى الإسكندر الأكبر أو برديكـــاس أحد قواد الإسكندر في القرن الرابع ق.م. وهناك رواية تقـــول أن بطلميـــوس

(١) نظمية توفيق، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) Harding, *op,cit.*, p. 82.

(٣) مفيد العابد، المرجع السابق، ص ١٢٥.

الثاني فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٦ ق.م) هو الذي فتح هذه البلاد وأخضعها لحكمه وهو الذي جدد بناء عمان وأطلق عليها اسم فيلادلفيا، ومن المحتمل أنه ساهم في بناء مدينة جرش.(١)

ولا يتعرض التاريخ لذكر جرش حتى نهاية القرن الثاني ق.م عندما يشير المؤرخ يوسيفوس إليها بأنها المكان الذي عمد ثيودوسيوس طاغية فيلادلفيا إلى نقل كنزه إليه لتأمينه في معبد زيوس بعد إخراجه من مدينة جدارا.

ومهما يكن الأمر فقد خسر ثيودوسيوس مدينة جرش إذ استولى عليها الإسكندر جانيوس حاكم اليهود وكاهنهم الأعلى (١٠٢ – ٧٦ ق.م)، ويبدو أن جرش بقيت في أيدي اليهود حتى قدوم بومبيوس القائد الروماني في عام ٦٣ ق.م واحتلاله للمنطقة ونتيجة لذلك ألحقت جرش والأراضي التابعة لها بالمقاطعة السورية.(٢)

وقد اتخذت المدينة من عام ٦٣ ق.م تقويما خاصا بها حيث سجلت جميع التواريخ بحسب تقويم عهد بومبيوس باعتبار أنها مركز أمامي للحضارة الغربية، وقد تمتعت جرش – مثلها في ذلك مثل بعض المدن – ببعض مزايا الحكم الذاتي.

وفى أوائل العصر الروماني بالمنطقة دخلت جرش حلف المدن المعروف باسم حلف المدن العشر (الديكابوليس) حيث شهدت فترة من الأمن

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 48.

(٢) Bietenhard, *op.cit.*, p. 60.

والازدهار والتبادل التجاري بينها وبين الأنباط مما أدى إلى انتعاش هذه المدينة اقتصاديا خلال القرن الأول ق.م والقرن الأول الميلادي(١).

ولم يستمر هذا النشاط خلال القرن الثاني فحسب بل أنه ازداد زيادة ملحوظة بعد أن مد الإمبّراطور تراجان رقعة الإمبراطورية الرومانية وأخضع مملكة الأنباط عام ١٠٦م وتم إنشاء سلسلة ممتازة من الطرق في جميع المقاطعات. ونتيجة لذلك ازدادت ثروة جرش حتى أن عددا من المباني العامة الكبيرة -التي كانت تعتبر من الطراز الأول في القرن السابق- جرى هدمها لكي تحل محلها منشآت أكثر فخامة وزخرفة وكانت البوابة الشمالية إحدى هذه المنشآت الجديدة، إذ أعيد بناؤها فى تصميم جديد لكي يمر بها طريق تراجان عام ١١٥م(٢).

وقد شهدت المدينة في هذا العصر عددا من الاحتفالات العامة في مواعيد سنوية محددة ومنها احتفالات المصارعة وألعاب القوى وغيرها.

ولما كانت الحمامات ظاهرة أساسية في حياة الرومان فقد تم إنشاء حمامين أحدهما واسع ضخم إلى الجانب الشرقي من جدول الماء والثاني أقل ضخامة إلى الجانب الغربي.

وهكذا يمكن القول أن القرن الثاني الميلادي كان العصر الذهبي لمدينة جرش حيث أن أكثر المباني العظيمة التي نراها اليوم قد شيدت في هذا العصر(٣).

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 84.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p.78.

(٣) Khouri, R.. Jerash. A frontier City of the Roman East, 1986.

ونتيجة لزيارة الإمبراطور هادريان لمدينة جرش في شتاء عام ١٢٩/١٣٠م بدأت حركة جديدة من النشاط العمراني حيث شيد قوس النصر تخليدا لهذه المناسبة الهامة في تاريخ جرش. وبدأ برنامج طموح للتوسع والبناء في المدينة حيث كان يشمل فيما يشمل زيادة عرض الشارع الرئيسي من ساحة الندوة (الفوروم) إلى معبد أرتميس، وكذلك استبدال الأعمدة ذات الطراز الأيونى بأعمدة أضخم على الطراز الكورنثى، وقد تم جلب أعمدة الرخام من أسيا الصغرى وأعمدة الجرانيت من أسوان، وأعيد بناء معبد الإلهة أرتميس حيث أنشئت للمعبد بوابة فخمة ومدخل طويل في عام ١٥٠م[١] .

أما معبد الإله زيوس فقد أعيد بناءه وتم افتتاحه عام ١٦٣م كذلك معبد حوريات المياه (النيمفايوم) في عام ١٩١م.[٢]

وقد بلغت مدينة جرش قمة تطورها وثرائها في أوائل القرن الثالث الميلادي عندما ارتفعت إلى مرتبة مستعمرة Colonia لكن سرعان ما بدأت المدينة في الانحدار التدريجي وكان هذا الانحدار وثيق الصلة بأفول نجم الإمبراطورية الرومانية[٣].

وكان من نتائج خراب تدمر في الشمال وتوسع مملكة الساسانيين في فارس أن توقفت تجارة جرش على نطاق واسع وأهملت طرق التجارة في الصحراء وتحولت طرق نقل البضائع إلى البحر. ونتيجة لاضطراب الأمن في هذه المنطقة فقد قام الإمبراطور دقلديانوس بحملة ضد الساسانيين وهزمهم حوالي ٣٠٠م، مما أدى إلى مباشرة بعض أعمال البناء في جرش خلال فترة

---

(١) Browning, *op.cit.*, p.49.

(٢) Harding, *op.cit.*, p. 86.

(٣) Browning, *op.cit.*, p. 51.

قصيرة من الزمن، ويعود إلى هذه الفترة إنشاء ساحة السوق المستديرة والدكاكين المحيطة بالترابيل الجنوبية ولكن نوعية البناء لم تكن من الطراز الرفيع الذي عهدناه من قبل في مباني جرش[1].

وفي منتصف القرن الرابع الميلادي تحولت جرش إلى المسيحية ونشأت بها طائفة من المسيحيين وتم بناء الكاتدرائية، وقد مثل المطران اكسرسيوس مسيحي جرش في مجمع سلوقية عام ٣٥٩م كما أن المطران بلاكوس مثلهم في مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١م، وقد شيدت كنيسة الأنبياء والرسل والشهداء أثناء عامي ٤٥٤-٤٥٥م وكنيسة القديس ثيودوروس أثناء الفترة من ٤٦٤-٤٦٦م[2].

وفي عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) ازدادت حركة الرخاء والانتعاش بالمدينة وأنشئ مالا يقل عن سبع كنائس ومبان عامة أخرى ولما كانت الكنائس في هذا العهد هي المحور الرئيسي للحياة، فإنها بطبيعة الحال تعكس طراز تلك الحياة. على أن كل هذه الأبنية بجمالها ورونقها جاء على حساب المباني القديمة وخاصة المعابد، ولابد أن حملة محمومة من حملات التخريب تناولت المعابد الوثنية.[3]

أما آخر كنيسة في جرش فترجع إلى عصر الإمبراطور هرقل حيث أنشأها المطران جانيسيوس عام ٦١١م ثم حدث الغزو الفارسي للمنطقة في عام ٦١٤م، وفي عام ٦٣٦م دخلت البلاد تحت الحكم الإسلامي[4].

---

(١) Harding, *op.cit.*, pp. 87 – 88.

(٢) Ammianus Marcellinus, Historia 14, 8; 14, 13.

(٣) Harding, *op.cit.*, p. 89.

(٤) Browning, *op.cit*, pp. 201 – 202.

الآثـــار في جـــرش

مخـــطط المـــدينة

تتخذ مدينة جرش الشكل الكمثرى (شكل ٢٣٨) حيث تكون القاعدة أي الجزء المنتفخ في الغرب والجزء الضيق يكون إلى الشرق في حين تتســـاوى الجهتان الشمالية والجنوبية. ومدينة جرش محاطة بالكامل بسور غير منتظـــم الأضلاع طوله حوالي ٣٥٠٠ متر، وما تزال بقايا هذا السور موجودة حتـــى الآن[١].

ويبدو أن إنشاء السور كله قد تم في حقبة واحدة ألا وهى أواخر القرن الأول الميلادي، حيث لا نجد تنوعا في طراز البناء. أما تصميم السور فقـــد كان يشتمل على أبراج مربعة منيعة أقيمت على أبعاد منتظمة طول كل منـــها حوالي ٥٠مترا، بينما أنشئ السور بالحجارة الضخمة المنحوتة نحتا جيدا على الواجهتين مع سد الفراغ بين الواجهتين بالدبش والتراب، بحيث بلغ عـــــرض السور مترين ونصف، ويبدو أن القصد من إنشاء السور هو رد الغـــزوات أو الهجمات الفجائية لا مقاومة حصار منظم لأن السور لم يكن محاطا بخندق[٢].

ويشق المدينة شارع طولى رئيسي Cardo Maximus[٣] من الشمال إلى الجنوب (شكل ٢٣٩ – ٢٤٠) يبلغ طوله ٧٠٠م يبدأ من بوابـــة الشـــمال وينتهي عند بوابة الجنوب وهى البوابة الرئيسة للمدينة ويتقـــاطع مـــع هـــذا الشارع شارعان عرضيان رئيسيان يتجهان من الشرق إلى الغرب، الشـــمالي منهما يتقاطع مع الشارع الرئيسي عند التترابيل الشمالية أي الأربعة أعمـــدة،

---

(١) Ibidem, p. 83 Map, 3.

(٢) Harding, *op.cit.*, p. 98.

(٣) Stierlin, *op.cit*, p. 96, 100.

في حين يتقاطع الشارع الجنوبى مع الشارع الرئيسي عند التترابيل الجنوبية وكل من هذين الشارعين العرضين يسمى Decumanus. ويقع الفورم في نهاية الشارع الرئيسي الممتد من الشمال إلى الجنوب حيث يكون ساحة مستديرة تربط الشارع الرئيسي بالبوابة الجنوبية الذي ينحرف في هذه المنطقة بسبب وجود معبد زيوس على نفس محور الشارع الرئيسي[١].

وتقع معظم المباني الأثرية على جانبي الشارع الرئيسي الذي يقطع المدينة إلى نصفين من الشمال إلى الجنوب ولكن تتركز معظم هذه المباني في المساحة بين الشارعين العرضين ناحية الغرب من الشارع الرئيسي مثل المسرح الشمالي ومعبد أرتميس ومعظم الكنائس التي سوف نتناولها بالتفصيل في حين يقع الفورم ومعبد زيوس والمسرح الجنوبى ناحية الجنوب بالقرب من أسوار المدينة الجنوبية. أما ساحة سباق الخيول (الهيبودروم) فتقع خارج أسوار المدينة إلى الجنوب[٢].

قوس النصر (قوس هادريان)

عندما يدخل الزائر إلى مدينة جرش يرى قوس النصر[٣] ذى الثلاث فتحات (شكل ٢٤١ - ٢٤٢) والتي ما تزال قائمة حتى منتصف ارتفاعها الأساسي تقريبا (١٢متر فقط). ويبلغ ارتفاع القوس الأوسط ١١ مترا وعرضه ستة أمتار وعمقه حوالي ٧,٣٠م بينما يبلغ عرض المبنى بالكامل حوالي ٢٥مترا. وكان قوس النصر بمثابة بوابة شرف تقوم على موازاة البوابة الجنوبية التي هي المدخل الرئيسي للمدينة، ولم يكن هذا القوس يفتح إلا لدخول

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p.170.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 88.

(٣) Browning, *op.cit.*, pp. 104 – 105. Figs. 43 – 45.

الشخصيات البارزة التي يرغب زعماء المدينة الترحيب بها ترحيبا خاصـــا. وتحمل قواعد الأعمدة البارزة في جدار الواجهة من الجـانبين نقوشـا تمثـل أكاليل من أوراق الغار، وهي ظاهرة غير معتادة نراها تتكرر فـي البوابـة الجنوبية.[١] ويحاط كل مدخل من المداخل الثلاثة للقوس بنصف عمودين على الطراز الكورنثي وفوق هذه الأعمدة هناك مسـاحة حجريـة خاليـة مـن الزخـارف وفي وسطهـا إطـار رومانـي Tabula ansata غير مكتـوب في الواجهة الجنوبية، بينما نجد نقشا في الواجهة الشمالية للقوس وهي أسـطر مهداة إلى الإمبراطور هادريان لذا يمكننا القول بأن هـذه البوابـة أو قـوس النصر قد أنشأ عند زيارة الإمبراطور هادريـان لجـرش فـي شـتاء عـام ١٢٩/١٣٠م[٢].

ويدل بناء هذا القوس على أنه لم يبن منفردا مثل قوس تيتـوس فـي روما ولكنه استخدم كمدخل جنوبي للمدينة[٣].

ملعب سباق الخيل (الهيبودروم)

منذ أن زار الرحالة الأمريكي Buckingham جرش في عام ١٩٢١ أعلن أنه رأى مكانا لسباق الزوارق أو المراكب وكان يقصـد بذلـك سـاحة الهيبودروم ولكن هذا الاعتقاد كان خاطئا لأن الحفائر التي أجريت فيما بيـن عامي ١٩٣١/١٩٣٣ أثبتت أن هذا البناء ما هو إلا ساحة أو ملعـب لسـباق الخيل. وحيث أن بوابة هادريان لم تبن على نفس محور بوابة المدينة الجنوبية ولكن على نفس محور الهيبودروم الذي يتجه من الشمال الغربي إلى الجنـوب

(١) Harding, *op.cit.*, p. 90.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 92, 96.

(٣) Scheck, *op.cit.*, pp.165-167.

الشرقي فإنه يمكننا القول أن هذا الهيبودروم (شكل ٢٤٣) أقدم في بنائه من بوابة هادريان، أي أنه يرجع إلى نهاية القرن الأول الميلادي[١].

وقد اختار المهندس الروماني هذه الساحة المنبسطة والتي تتجه إلى الجنوب حيث أقام هذا الملعب على شكل حرف U مغلق من الشمال ومفتوح من ناحية الجنوب[٢].

ويبلغ طول هذه الساحة نحو ٢٤٤ مترا واتساعها حوالي ٥٠ مترا وهى بهذه الأبعاد لا تضاهي الساحات الإمبراطورية في روما والقسطنطينية وكذلك لا تقترب من مساحة نفس المباني في المدن المجاورة مثل قيصرية Caesarea في فلسطين وانطاكية Antiochia في سوريا. ورغم ذلك فإن مساحة ساحة هذا البناء تحتوي على ١٦ أو ١٧ صف من المقاعد تسمح بجلوس ما يقرب من ١٥ ألف مشاهد[٣].

ويوجد لهذا الملعب سبع بوابات أو مداخل، ثلاثة في كل ضلع طولي أما المدخل السابع وهو المدخل الرئيسي فهو مقبب ويوجد في الناحية الجنوبية حيث يغلق هذه الساحة من الناحية المفتوحة. وهذا الضلع الجنوبي يحتوي على عشر مواقف لبدء السباق وهي محاطة ببرجين كما هو الحال في الملاعب الرومانية حيث نجد مثيلا لها في ملعب ماكسينتيوس في روما.

ويوضح نقشان على ختمين ساسانيين اكتشفا في وسط المدينة أن هذا الملعب قد اتخذته القوات الساسانية في عام ٦١٤ م مقرا لها.[٤]

---

(١) Browning, *op.cit.*, pp. 107-112, Figs. 46-48.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 92, 96.

(٣) Scheck, *op.cit*. p. 168.

(٤) Ibidem.

البوابة الجنوبية

يدخل الزائر إلى مدينة جرش من ناحية البوابة الجنوبية، (شكل ٢٤٤) وقد أجرى الأمريكي C. S. Fisher فيما بين عامي ١٩٣١-١٩٣٣ حفائر في هذه المنطقة. وكانت البوابة الجنوبية ذات ثلاثة أقواس، مثلها مثل قوس النصر ولكنها أصغر حجما بكثير[١].

وتحاط مداخل هذه البوابة بأنصاف أعمدة كورنثية الطراز تقف فوق دعامات مرتفعة وكل مدخل عبارة عن قوس يستند على أعمدة كورنثي مربعة الشكل ويكون سقفا مقببا يستند على جدار هذه الأقواس[٢]. وتتشابه البوابة الجنوبية مع قوس النصر في الزخرفة حيث تقف الأعمدة فوق دعامات أو قواعد مزينة بأوراق الأكانتوس، وهي خاصية تتفرد بها العمارة الهللينستية وتظهر في مدينة أفاميا في سورية وفي مصر البطلمية. ويبدو أن هذه الزخرفة الفريدة ارتبطت ارتباطا تاما بتأسيس هادريان لمدينة أنتينوبوليس حيث تسود هذه الزخرفة في هذه المدينة[٣].

الساحة البيضاوية (الفوروم)

تعتبر الساحة البيضاوية (الفوروم) في جرش من أكثر الأماكن فخامة وجمالا في العالم العربي القديم، وتسمى هذه الساحة ساحة الندوة أو السوق الرومانية[٤] Forum.

---

(١) Harding, *op. cit.*, p. 90.

(٢) Browning, *op.cit.*, pp. 112-113.

(٣) Scheck, *op.cit.*, p.169.

(٤) Stierlin, *op.cit*, p. 96, 134.

وهذه الساحة (شكل ٢٤٥ – ٢٤٧) مبلطة في أطرافها الخارجية بألواح كبيرة من الحجر مثلها في ذلك مثل الشارع الرئيسي. أما منطقة الوسط فمبلطة بألواح حجرية أصغر حجما. وتتخذ الساحة شكلا غريبا لا يتفق مع أي تخطيط هندسي معروف ولذا فهي تكتسب أهمية خاصة في عمارة العالم القديم.[١] ومن الواضح أنها أنشئت على هذا النسق الغريب لسبب لا نعلم عنه شيئا، مع أن الطريق إلى معبد زيوس لابد أن يكون إحدى الأسباب التي تركت أثرا في هذا التصميم. ويبلغ عمق جدار الأساس الذي تقف عليه الأعمدة الشرقية ما يزيد عن ١١ مترا في الطرف الجنوبي. وتتبع أعمدة هذه الساحة الطراز الأيوني بينما نجد أن أحد تيجان الأعمدة في الشارع الرئيسي من الطراز الكورنثي، ونجد الطراز الأيوني مرة أخرى في الشارع الرئيسي إلى الشمال من بوابة أرتميس[٢]. ويلاحظ أن العمودين القائمين في الطرف الشمالي من صف الأعمدة الشرقي أقرب إلى بعضهما البعض مما هي عليه الأعمدة الأخرى ويرجع السبب في ذلك انهما نقلا من مواضعهما الأساسية لإفساح المجال لإقامة قوس فوق مدخل الشارع الرئيسي عندما أجري تعريض هذا الشارع ويستدل من ذلك –بالإضافة إلى رؤوس الأعمدة الأيونية– أن ساحة الندوة أنشئت في تاريخ سابق لتاريخ إنشاء الشارع الرئيسي. وجدير بالملاحظة أن حجارة الأعمدة بها نتوءات بارزة كانت تستخدم لربط الحبال عند رفع هذه الحجارة إلى مكانها ويبلغ اتساع هذه الساحة نحو ٨٠ مترا ويرجع بناء الساحة إلى القرن الأول الميلادي[٣].

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 92.

(٢) Browning, *op.cit.*, pp. 131-134, Figs. 67-69.

(٣) Scheck, *op.cit.*, p. 171.

وقد عثر علي عدد من الكراسي الحجرية في وسط الساحة مبنية في جدار أنشئ في تاريخ متأخر، ويمكن أن نشاهد قرب الكراسي بقايا قاعدة مربعة ربما كانت في الأصل قاعدة تمثال. وأثناء العصر البيزنطي أنشئت منازل صغيرة فوق ارض ساحة الندوة لأنها لم تعد آنذاك تستعمل سوقا وندوة للاجتماعات العامة وقد نحتت علي بعض أعمدة الصف الشرقي أسماء مواطنين ربما قد أسهموا ببعض الأموال في بناء هذه الساحة(١).

معبد الإله زيوس

يبدو أن موقع هذا المعبد (شكل ٢٤٨) كان موقعا مقدسا في العصر الهللينستي، وكان يحتل هذا الموقع معبدا ربما كان أيضا للإله زيوس. ويوضح ذلك السبب في وجود معبد زيوس في هذا المكان الذي يعترضه امتداد الشارع الرئيسي بالمدينة Cardo في العصر الروماني ويرجع بناء هذا المعبد إلى الفترة الأنطونينية حيث بني فيما بين ١٦١-١٦٦م في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس(٢).

وقد أثبتت الحفائر التي قامت في هذا المكان في عام ١٩٣٨ أن هنالك نقشا يؤكد أن هذا المعبد قد بني في القرن الثاني علي أنقاض معبد سابق في القرن الأول كان يستخدم كمكان للجوء المضطهدين سياسيا. ويذكر يوسيفوس أن أحد الطغاة ثيودوروس من فيلادلفيا(عمان) في العصر الهللينستي المتأخر قد أودع ثروته في مكان مأمون غير خاص به ، لذا نعتقد أن المكان كان في مدينة جرش وبالذات في هذا المعبد لزيوس في القرن الأول ق.م(٣).

---

(١) B rowning, *op,cit.*, p.134.

(٢) Harding, *op.cit.*,., 93.

(٣) Scheck, *op.cit.*, p. 162.

ولدينا بعض المعلومات عن فترة البناء في العصر الروماني حيث تبرع مواطنان من جرش يدعا ديمتريوس واريستوناس بمبالغ كبيرة في سبيل بناء هذا المعبد، وقد أعدت ساحة المعبد Temenos في العام ١١٤ من التقويم البومبي أي في عام ٥٠/٥١م، ولكن هذا المعبد لم يتم بناؤه إلا فيما بين عامي ١٦١- ١٦٦م[١].

ويؤدي الطريق إلي ساحة مبلطة بالأحجار وهذه الساحة المستطيلة ٨٠×٢٥ متر محاطة بسورين بينهما ممرّ متسع. وقد زينت الحوائط الداخلية بأنصاف أعمدة تحمل إفريزا يتكون من الميتوب والترجليف، وفي شمال هذه الساحة من الداخل يوجد مذبح يؤكد الأهمية الدينية لهذا المعبد وهو تقليد شرقي في العصر الروماني المبكر وكذلك وجد هذا التقليد عند الأنباط في عمائرهم الدينية (شكل ٢٤٩-٢٥٠)[٢].

أما مبني المعبد نفسه (شكل ٢٥١ - ٢٥٢) فيرجع – كما سبق القول – إلي القرن الثاني الميلادي وكان هذا المعبد محاطا بأعمدة كورنثيه ويقف هذا المعبد فوق مصطبة Podium على الطريقة الرومانية والمعبد مستطيل الشكل ابعاده ٤١×٢٨م ، ولم يبق من الثمانية والثلاثين عمود إلا عمود واحد. أما سور المعبد (شكل ٢٥٣) فكان مزينا من الخارج بحنيات علي شكل الأقواس ومن الداخل بأعمدة مربعة ترتفع إلي اكثر من عشرة أمتار. ومن المظاهر السورية النبطية في هذا المعبد وجود سلم في الجانب الجنوبي

---

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 92, 96.

(٢) Browning, *op.cit*., pp. 114-116, Fig. 52.

الشرقي يؤدي إلي سطح المعبد. وداخل الـ Cella الخاصة بـالمعبد توجـد مصطبة في ناحية الغرب كانت مخصصة لوضع تمثال الإله زيوس[١].

المسرح الجنوبي

يعتبر المسرح الجنوبي (شكل ٢٥٤) من أهم الأبنية في جرش، وتكمن شهرة هذا المسرح في الرؤية التي يسمح بها من فوق صفوفه العليـا حيـث يستطيع المشاهد أن يري معظم المباني الأثرية من معبد أرتميس وحتى ساحة الندوة (الفوروم). ويقع هذا المسرح إلي الغرب من معبد زيوس، ويتجه هـذا المسرح نحو الشمال[٢] مع ميل بسيط نحو الغرب. ويتكون مدرج المسرح من ٣٢ صفا من المدرجات تتسع لنحو ٤٠٠٠-٥٠٠٠ مشاهد وينقسـم المـدرج بواسطة ممر أفقي Diazoma إلي طابقين، الطابق الأول مكـون مـن ١٤ درجة والثاني من ١٨ درجة ويستخدم مشاهدو الطابق الأول ممـرات مقببـة جانبية تؤدي إلي الأوركسترا للوصول إلي مكانهم، في حين يستخدم مشـاهدو الطابق الثاني أربعة ممرات مقببة توجد فـي الجـانب الخلفـي للمسـرح[٣] (شكل ٢٥٥).

وتحمل صفوف المقاعد السفلية (شكل ٢٥٦) أرقاما مما يدل علي أنها كانت مخصصة لشخصيات من كبار القوم وموظفي المدينة. أما خشبة المسرح فتحتوي علي ثلاثة أبواب تؤدي إلي خلفية الخشبة. وكل باب من هذه الأبـواب مزين بجمالون وعلي جانبيه تقف دعامات مربعة تحمل أبدان أعمـدة غـير مكتملة الآن وهي علي الطراز الكورنثي. وبين هذه القواعـد أو الدعامـات

(١) Scheck, *op.cit.*, P.173.

(٢) Harding, *op.cit.*, p-93.

(٣) Scheck, *op.cit.*, p. 174.

المربعة توجد حنايا في الحائط كانت تقف بها تماثيل، وترتفع خلفيـــة خشــبة المسرح إلي طابقين (شكل ٢٥٧ - ٢٥٨)(١).

أما عن تاريخ بناء المسرح فلدينا النقوش التي تساعدنا في تحديد هــذا التاريخ منها نقش باللغة اليونانية علي الجدار الموجود تحت الصف الســـفلي للمقاعد في الغرب، توضح أن أحد الضباط الذي خدم في الجيش النبطي أثنـاء الثورة اليهودية عام ٧٠م قد قدم تمثالا للنصر وكذلك نقش يرجح أن تـــاريخ بناء المعبد يعود إلي عهد الإمبراطور دوميتيانوس (٨١-٩٦م) وبالتحديد فـــي عامي ٩٠-٩٢م . وجدير بالذكر أن الهندسة الصوتية في هذا المسرح لا تزال شاهدا على تقدم الرومان فى هذا المجال(٢).

سوق المدينة (الفوروم)

يقع الفوروم أو ما يسمي ساحة الندوة إلي غرب الشـــارع الرئيســـي Cardo وإلي الجنوب من الشارع العرضي الجنوبي.

وقد أجريت حفائر في هذه الساحة في عام١٩٨٧ علي يـــد الأثرييـــن الأسبان E. Olavarri. وقد لوحظ أن أركان هذه الساحة العظيمـــة المبلطـــة بالأحجار تتسع لتكون مخارج في الشمال والجنوب يحدها عمودان من الخارج ، وكانت المساحة الوسطي من الساحة تكون مبني مثمن الأضـــلاع. ويـــرى Olavarri أن هذه الساحة ما هي إلا سوق للمدينة يمثل مركزا سياسيا فـــي مدينة جرش الرومانية، ويعود تاريخه إلي القرن الثاني الميلادي(٣).

(١) Bowning, *op.cit.*, p. 126, Figs. 62-63.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 96, Abb. 61.

(٣) Mac Donald, W.L., Gerasa, in: The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton, 1976, p. 348.

التترابيل الجنوبي

عند تقاطع الشارع الرئيسي Cardo مع الشارع العرضي الجنوبي Southern Decumanus أنشئت في منتصف القرن الثاني الميلادي مصلبتان أي تقاطع مكون في كل ركن من أركانه بأربعة أعمدة تكونان وحدة واحدة وكل وحدة تتكون من قواعد مربعة تحمل أربعة أعمدة كورنثية الطراز يعلوها كورنيش ينتهي بسقف هرمي الشكل، ويرجح أن تمثالا كان يرتفع فوق ذلك الهرم[١] وهذا البناء يسمى التترابيل (شكل ٢٥٩-٢٦٠). وقد أعيد بناء القاعدة الجنوبية الشرقية حتى بداية الأعمدة، ولكن الكتابة علي الواجهة الجنوبية هي كتابة بيزنطية مما يرجح أنها استخدمت حتى العصر البيزنطي.[٢] ويربط هذا التترابيل بين الشارع الرئيسي للمدينة والشارع المتقاطع العرضي الذي يسير غربا حتى يبلغ بوابة سور المدينة ويسير شرقا بانحدار حتى يصل إلي جسر كان يقوم في منتصف الوادي. وهذا التترابيل كان نقطة التقاء لشبكة المواصلات في المدينة القديمة. وقد اكتشفت أسفل أرضية التترابيل قنوات مياه رئيسية كانت تمد المدينة بالمياه اللازمة. ويبدو أن مثل هذا التترابيل كان منتشرا في مدن المقاطعات الشرقية عامة حيث نجدة في بالميرا وشهبا وفيليبوبوليس[٣].

النيمفايوم (نافورة حوريات المياه Nymphaeum)

تقع نافورة حوريات المياه (شكل ٢٦١ - ٢٦٣) في جرش بين الدرج المؤدي إلي الكاتدرائية وبين مدخل معبد أرتميس علي الجانب الشرقي من

(١) Browning, *op.cit.*, p. 138 figs. 73-74.

(٢) Harding, *op.cit.*, p. 94.

(٣) Scheck, *op.cit.*, p 176.

الشارع الرئيسي Cardo، ويعد هذا المبني من أفخم وأجمل المباني في مدينة جرش الرومانية وذلك من خلال زخارفه المنحوتة بالجص والمرمر. وطبقا لأحد النقوش فإن هذا المعبد يعود إلي عام ١٩١م[١].

ويبلغ عرض واجهه المبني حوالي ٢٢ متر وهي مكونة من طابقين، وفي وسط الواجهة يتراجع المبني إلي الخلف في شكل نصف دائرة أمام حوض كبير للمياه ويعلو هذا الجزء نصف قبة قطرها ١١ متر ويبدو من خلال هذا التصميم أن المبني استخدم كصالة نافورات ألحق بها صالتا أعمدة جانبيتين[٢].

وكانت واجهة المبني ذات الطابقين مزخرفة بسبع وتسع حنيات أو محاريب يحيطها أعمدة كورنثية الطراز وداخل هذه الحنيات كانت تنتصب تماثيل[٣].

وفي محاريب الطابق الأول كانت هذه التماثيل تحمل أو تمسك آنية لكي يتدفق الماء منها في الحوض الكبير الموجود تحتها، وتتدفق مياه الحوض الزائدة من رؤوس أسود إلي مجاري في رصيف المبنى، هذه المجاري كانت مزخرفة برسوم لأسماك الدرافيل، وهذه المجاري تصب بعد ذلك في مكان تجمع المياه الرئيسي Cloaca Maxima الموجودة تحت أرضية الشارع الرئيسي Cardo، ومن المحتمل أن كل هذه المياه تصب في النهاية في خزانات كبيرة تقع في شمال المدينة[٤].

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 95.

(٢) Scheck ,*op.cit.*, p. 184.

(٣) Stierlin, *op.cit*, p. 92, 96.

(٤) Browning, *op.cit.*, pp. 143-147 Figs. 78- 81.

معبد الإلهة أرتميس

يعتبر معبد الإلهة أرتميس (شكل ٢٦٤) من أضخم المباني في جـوش وأكثرها جلالا، وقد كانت الإلهة أرتميس الإلهة الراعية للمدينة لذلـك جـاء معبدها أكثر فخامة وأعظم مظهرا من سواه. ومعبد الإلهة أرتميس ليـس إلا بناء يتوسط مخططا عظيما من الباحات والبوابات التذكارية والممرات[١].

ويبدأ هذا المعبد بساحة متسعة (شكل ٢٦٥) هـي بمثابـة المدخـل Propylea للمنطقة المقدسة التى يقع المعبد داخل نطاقها. ويقع هذا المعبـد إلى الغرب من الشارع الرئيسي Cardo فى منتصف المسافة بيـن الشـارع العرضي الشمالى والجنوبى[٢].

تبدأ ساحة المعبد بالطريق المقدس Via Sacra الـذى يـؤدى مـن الشارع الرئيسى إلى بوابة المدخل ومنها إلى الصالة الأمامية التـى يتقدمـها أربعة أعمدة ضخمة تحمل فوقها مساحة مثلثـه Tympanon عليـها نقـش التكريس الذى يوضح أن هذه البوابة (شكل ٢٦٦) قد أنشئت فى عـام ١٥٠م. ومن المحتمل أن هذه البوابة قد قامت على أنقاض بوابة أخرى ترجع للقـرن الأول الميلادي مثلها فى ذلك مثل معبد الإلهة أرتميس الذى تم بنـاؤه فـوق أنقاض معبد سابق[٣].

ويتقدم ساحة المعبد الأمامية (شكل ٢٦٧) سبعة طبقات من الدرجـات في كل طبقة سبع سلالم تقود الزائر إلى الارتفاع الثاني للبوابة الرئيسية، ويبلغ عرض درجات السلم حوالي ١٩ مترا. وبعد اجتياز هذه السلالم يجد الزائـر

---

(١) Harding, *op.cit.*, p.95.

(٢) Scheck, *op.cit.*, p.186.

(٣) Browning, *op.cit.*, p.154, Figs. 92-93.

نفسه أمام مذبح في وسط ساحة كبيرة ويبدو أن هذه الساحة كانت محاطة بالأعمدة من جانبيها. وتدل مساحة هذه الساحة على الأهمية الدينية الكبرى لهذا الموقع حيث يستطيع مئات من المتعبدين التجمع فى هذه الساحة لتقديم القرابين إلى الإلهة[1].

وعند الوصول إلى المستوى التالى من المعبد نجد أن مقاييس وأبعاد المبانى تأخذ فى الضخامة والارتفاع، فيصعد الزائر إلى هذا المعبد عن طريق ثلاثة مستويات من درجات السلم التى يبلغ عرضها ١٢٠مترا وهى تؤدى إلى صالة عرضية محاطة بالأعمدة من ثلاث جهات، هذه الصالة العرضية (شكل ٢٦٨) تؤدى إلى الجدار الشرقى من المعبد عن طريق ثلاثة مداخل فى الجدار أحدهما فى الوسط وهو المدخل الرئيسى ومدخل أخر فى كل جانب[2]. ويحيط الساحة الداخلية الضخمة للمعبد صف أعمدة من الجهات الأربعة مكونة ممر حول هذه الساحة يفصل الجدران الخارجية عن المعبد، وجدير بالذكر أن الجهة الشمالية والجنوبية من الجدران الخارجية للمعبد تحتوى على عدد من الحجرات وتبلغ أبعاد الساحة الكبرى للمعبد ١٦٠×١٢٠متر وهى ساحة غير مسقوفة وتعتبر من أكبر ساحات المعابد الرومانية فى الشرق، ويقف فى وسطها مذبح ضخم يتقدم معبد الإلهة أرتميس[3].

والإلهة أرتميس هي إلهة الصيد وسيدة الحيوانات والطبيعة، وهى إلهة الخصوبة وبينما كانت فى مناطق أسيا الصغرى وسورية الإلهة الأم كانت فى

(١) Ibidem, pp. 157-159.

(٢) Scheck, *op.cit.*, p. 187.

(٣) Kraeling, C.H., Gerasa. City of the Decapolis, New Haven, 1938, pp. 115 – 117.

جرش هى الإلهة الحامية للمدينة(١). وكما كانت معابدها في أسيا الصغرى من الضخامة والفخامة كان أيضا معبدها في جرش وكان يمثل درة مدينة جرش.

ويقف معبد أرتميس في جرش فوق مصطبة Podium ارتفاعها حوالي أربعة أمتار (شكل ٢٦٩) يتقدمها سلم في الجانب الشرقى، ويبلغ اتساع هذه المصطبة ٢٣متر في حين يبلغ طولها ٤٠متر، والمعبد محاط بـ ٣٠ عمود منها ١١ عمود في كل من الجانبين الطوليين وستة أعمدة في كل من الجانبين العرضيين، والمعبد مبنى على طراز Peripteros يتقدمه صالة أمامية تتكون من ستة أعمدة في الواجهة يليها عمودان، ولم يبق من هذه الأعمدة الثلاثين إلا أحد عشر عمودا على الطراز الكورنثى وكل عمود مكون من جزئين ويبلغ ارتفاعه أكثر من ١٣مترا(٢).

أما الحجرة الرئيسية في المعبد فتبلغ أبعادها ٢٤متر طولا وحوالي ١٣,٥م عرضا وذات حوائط سميكة مكسوة من الداخل بألواح من الرخام. وفى الجانب الغربي منها توجد مصطبة كان يوضع عليها تمثال الإلهة أرتميس الذي كان يزيد في حجمه عن عدة أمتار وكان ملونا.(٣) ولا نعرف للأسف طراز هذا التمثال هل كان يمثل الإلهة أرتميس ذات النهود الكثيرة كإلهة للأمومة مثل تمثالها في إفسوس(٤) أم أنها صورت على الطراز اليوناني

---

(١) Irmscher, *op.cit.*, p. 64.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 92, 96.

(٣) Harding,. *op.cit.*, p. 97.

(٤) Bieber, M., The Sculpture of the Hellenistic age, New York, 1955, p. 28.

كإلهة للصيد تمسك بالقوس والرمح في يديها،[١] وكانت الحجرة الرئيسية في معبدها في جرش لا يدخلها إلا الكهنة القائمين على خدمة وعبادة هذه الإلهة بينما كان يتعين على المصلين والمتعبدين أن يقفوا خارجا في الفناء، وكان هناك سلم في الجدار الخارجي الغربي للمعبد كان يؤدى إلى سطح هذا المعبد.[٢]

وقد شهدت عبادة الإلهة أرتميس نهايتها في القرن الخامس الميلادي بعد القضاء على عبادة الأوثان حيث أخذ البيزنطيون ينشئون أفرانهم في ساحته، كما أخذوا ينتزعون من المعبد ألواح الرخام التي تم استخدامها في بناء الكنائس المختلفة في مدينة جرش وقد تحول المعبد إلى قلعة في القرن الثاني عشر على يد العرب.

ولا تزال بقايا معبد أرتميس في جرش تقف شاهدة على عصر ازدهار وتقدم وانتعاش عاشته المدينة في العصر الروماني.[٣]

المسرح الشمالي

وهو ثاني المسارح في مدينة جرش وهو أصغر حجما من المسرح الجنوبي ولا يضارعه في شهرته، وقد أجريت مؤخرا في عام ١٩٨٢ تنقيبات في هذا المسرح على يد فريق من البريطانيين والأمريكيين. ويحتمل أن هذا المسرح قد تم بناءه في القرن الثاني أو الثالث الميلادي[٤].

---

(١) Simon, E., Die Götter der Griechen, Darmstadt, 1985, p. 172. Fig. 158.

(٢) Harding, *op.cit.*, p. 97.

(٣) Scheck, *op.cit.*, p. 189.

(٤) Scheck, *op.cit.*, pp. 189 – 190.

ويتخذ المسرح شكل نصف الدائرة (شكل ٢٧٠) التي تتجـــه ناحيــة الشمال الشرقي، وقد عمد المهندس إلى توجيه هذا المسرح إلى ناحية الشـــمال حيث يرى المشاهد الأعمدة المرتفعة للشارع العرضـــي الشـــمالي. ويتكـــون المدرج من طابقين حيث تقسم الممرات الرأسية الطـــابق الأول إلـــى أربعـــة أجزاء في حين تقسم الطابق الثاني إلى ثمانية أجزاء من المقاعد. والمســـرح يحتوى على ٢٤ صفا من المقاعد تتســـع لجلـــوس مـــا بيـــن ١٥٠٠-٢٥٠٠ مشاهد[١]. ويطلق على هذا البناء فى بعض الأحيان مبنى الأوديـــون Odeon نظرا لصغر حجمه عن المسرح الجنوبي[٢].

التترابيل الشمالي

في الفترة ما بين ١٥٠ - ١٨٠م فكر مهندسوا المدينـــة فـــي توســـعه المساحة الوسطى من الشارع الرئيسي وإضافة طريق أعمدة كورنثية جديـــد، وفى نفس الوقت بقى الجزء الشمالى من الشارع الرئيسي بنفس اتساعه السابق وبنفس طريق الأعمدة الأيونية الطراز. ولذلك تم التفكير فى إنشاء تقاطع جديد فى شمال المدينـــة يســـمى North Tetrapylon التـــترابيل الشـــمالى أو المصلبة[٣]. وتتفرع من المصلبة الشمالية طريق تتجه غربا وهى محاطة مـــن الجانبين بصفين من الأعمدة ذات الطراز الأيونى. ويمكن مشـــاهدة أطـــراف ثلاثة منها بارزة بين الحقول. وهناك دروب تؤدى إلى ساحة ســـوق أنشـــئت

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 92.

(٢) Browning, *op.cit*., p. 175, Fig. 107.

(٣) Scheck, *op.cit*., p. 190.

على الطراز الكورنثى وفيها أعمدة ضخمة وفى محاذاة الطريق العرضي يقوم المدرج الشمالي (المسرح)(١).

ويبدو أن هذه التوسعة وإنشاء التترابيل قد أقيم في عهد الإمـــبراطور سبتيميوس سفيروس (١٩٣ - ٢١١م) وأهدى إلى زوجتـــه الثانيـــة ســـورية الأصل جوليا دومينا.(٢) ويختلف التترابيل الشمالية في تصميمه اختلافا كليـــا عن التترابيل الجنوبي وهو أقل من الناحية الفنية عن مثيلـــه فـــي الجنـــوب. ويتألف هذا التترابيل من أربع قواعد متصلة بأقواس، وترتفع فوقها كلها قبـــة تعطى شكلا يماثل شكل الغرفة المقببة للحمامات المجاورة لها(٣).

وهذه القواعد تكون ممرات من ٥,٥م اتساعا و٨,٥م ارتفاعا. وقد أقيم فى الواجهتين الشمالية والجنوبية عمودان منفصلان، نحت على قاعدة كل منها رأس أسد كان الماء يتدفق منه ويصب فى حوض تحته.

وقد تم ترميم هذا التترابيل الشمالى فى عام ١٩٨٥، وأعيد إلى هيئتـــه السابقة فى عام ١٩٨٦(٤).

الحمامات الغربية

أقيمت هذه الحمامات كما يرى هاردنج(٥) في القرن الثاني الميلادي وهى تبعد بضعة أمتار شرق التترابيل الشمالي. وتشتمل هذه الحمامات علـــى مثال من أقدم الأمثلة وهى الطراز المعروف فنيا بإسم القبة المعلقـــة أى قبـــة

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 97.

(٢) Ibidem.

(٣) Browning, *op.cit.*, p. 168, Figs. 100 – 101.

(٤) Scheck, *op.cit.*, p. 190.

(٥) Harding, *op.cit.*, p. 99.

مستديرة فوق غرفة مربعة. وكان هناك في الأصل ثلاث قباب كهذه، إحداها على الغرفة الكبيرة الغربية والقبوتان الأخرتان على الغرفتين الشمالية والجنوبية. والصالة الوسطى كانت مقسمة إلى ثلاثة أجزاء وكانت تتكون من الحمام البارد Frigidarium وبه حوض مياه كبير الحجم، على جانبيها حجرة البخار Tepidarium وحجرة الماء الساخن Caldarium، ويؤدى إلى هذه الحجرات فناء ذات أعمدة مازالت بعض أعمدته والأرشتراف فوقها موجودة حتى الآن[١].

ويبدو أن الماء المستخدم في هذه الحمامات كان يصل إليها من أحد الينابيع الذي يبعد ١٠٠م عن هذا المكان ويسمى نبع عين كرفان[٢].

البوابة الشمالية

أنشئت هذه البوابة في عام ١١٥م في عهد كلوديوس سفيروس مبعوث الإمبراطور تراجان إلى المقاطعة العربية وقد أنشأ هذا المبعوث طريقا جديدا يصل بين بيلا Pella وبين جرش ومدن التحالف العشر، لذا لم تعد البوابة الشمالية القديمة تفي بالغرض الجديد ولا تستطيع مواجهة مطالب شبكة الطرق الجديدة، لذا أعيد إنشاء هذه البوابة الشمالية ولكنها مع ذلك لم ترق إلى مستوى العمارة في البوابة الجنوبية التي أنشئت على عهد الإمبراطور هادريان[٣].

والغريب أن جدار البوابة من الناحية الغربية أكثر عرضا مما هو عليه في الناحية الشرقية والسبب في ذلك أن شارع الأعمدة الرئيسي يلتقي مع طريق بيلا على شكل زاوية منفرجة، فاتجهت رغبة المهندس إلى إقامة

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 92.
(٢) Scheck, *op.cit.*, p. 191.
(٣) Browning, *op.cit.*, pp. 170 – 172.

واجهتي البوابة قبالة كل من الطريقين على زاوية مستقيمة بدون انحـــراف[١]. وتبلغ الواجهة الجنوبية ٢٠م في حين تبلغ واجهة البوابة الشمالية حوالـــي ٢٢م أما اتساع مدخل هذه البوابة فيبلغ حوالي ٥,٤م، وقد زينت الواجهتان بـــالعديد من الحنيات وأنصاف الأعمدة. وما تزال بعض أثـــار عجـــلات المركبـــات محفورة في الأرضية التي تغطى هذه البوابة.[٢]

الحمامات الشرقية

لم تبق أية أثار ضخمة فى الجانب الشرقى من النهر الذهبى اللـــهم إلا الحمامات الشرقية (شكل ٢٧١) وهى فى حالة خراب شـــديد، وهـــى أقـــرب الأماكن إلى المدينة الحديثة. وهذا البناء كان ذى طابق واحد، ويبلغ عـــرض حوائط هذا البناء حوالى خمسة أمتار. ويبدو أن هذا الحمام كان حماما رئيسـيا فى المدينة نظرا لأثار مواسير المياه العديدة التى لا تزال واضحة حتـــى الآن. ويرى هاردنج[٣] أن هذه الحمامات لابد وأنها أنشئت فى وقت لا يتعدى القـــون الثانى الميلادى، فى حين ترى I. Browning [٤] أنها أنشئت فى بداية القرن الثالث الميلادى. وتسير حوائط هذا البناء بمحاذاة الشارع الرئيســـى Cardo والشارع العرضى الجنوبى Decumanus. وكانت هذه الحمامات مربوطـــة بالجانب الغربى من المدينة عن طريق كوبرى شمالى وكوبرى جنوبى[٥].

---

(١) Harding, *op.cit.*, p. 99.

(٢) Scheck, *op.cit.*, pp. 191 – 192.

(٣) Harding, *op.cit.*, p. 100.

(٤) Browning, *op.cit.*, pp. 208–209, Fig. 137.

(٥) Stierlin, *op.cit*, p. 96, 100.

الكنائس المسيحية فى جرش

تشتمل مدينة جرش على بقايا ثلاث عشرة كنيسة، ومن المرجح أن بقايا كنائس أخرى ما تزال مدفونة لأن مدنا أصغر من جرش بكثير كانت تضم عددا أكبر من الكنائس.

أما عن تاريخ إنشاء هذه الكنائس فهو متقارب، عدا كنيسة واحدة. لذلك فإن هذه الكنائس تمثل مادة ذات أهمية من الطراز الأول لدراسة فن البناء المعمارى عند المسيحيين الأوائل، خاصة لما يعرف عن تاريخ إنشائها ولأن تصاميمها الأصلية بقيت دون تغير أو تبديل. وقد كانت معظم الجدران الداخلية لهذه الكنائس مغطاة بالرخام أو بألواح من الحجر الملون أو مغطاة بالجص المدهون وأحيانا بفسيفساء من الزجاج ولم يبق لدينا الآن ما يدل على كيفية تزيين الجدران بالزخارف سوى ثقوب الأوتاد التى كانت تثبت بها الألواح، كما أن رداءة نوعية البناء كانت تختفي فى نفس الوقت خلف تلك الزخارف.

الكاتدرائية وكنيسة ثيودوروس

تعتبر الكنيسة الكاتدرائية (شكل ٢٧٢) من أول المباني المسيحية في مدينة جرش، ولابد أن هذه الكنيسة تعود إلى حوالي ٣٥٠-٣٧٥م، وهي في الواقع الكنيسة الوحيدة التي لا نستطيع تحديد تاريخها بدقة. ولكن هناك بعض الدلائل الثابتة التي لابد وأن نأخذها في الاعتبار منها تاريخ اشتراك مطران جرش في مجمع سلوقية عام ٣٥٩م، وكذلك ما ذكره إبيفانوس الذي حدثنا عام ٣٧٥م عن وجود نافورة ماء في جرش يحتفل فيها سنويا بأعجوبة تبديل الماء إلى خمر[١]. وهذه النافورة لا يمكن أن تكون سوى النافورة

(١) Harding, *op.cit*.,pp. 100-101.

الموجودة في الفناء غربي الكاتدرائية. وكذلك هناك دليل آخر على أن هذا الموقع للكنيسة كان يشغل من قبل موقع معبد وثني أقدم عهدا، هو هيكل الطفل ديونيسوس. ولا شك أن حادثة الخمر تمثل تحويل الاحتفالات بالشعائر الوثنية إلى احتفالات بشعائر الديانة المسيحية التي تغلبت على الوثنية(١).

وبمحاذاة الشارع الرئيسي توجد درجات من السلالم تؤدي إلى مدخل الكاتدرائية من جهة الشرق ويمكن الدخول أيضا إلى الكاتدرائية من الجانب الشمالي والجنوبي.

وتتبع هذه الكاتدرائية في تصميميها الطراز البازيليكي المعتاد إذ أنها تتألف من قاعة مستطيلة لها جناحان شمالي وجنوبي ومحراب يقوم فيه الهيكل، وهناك مذبح كبير يكتنفه حاجز من الرخام بينما يقوم منبر الواعظ في الزاوية الجنوبية الغربية من المذبح.

وقد نقلت الأعمدة وتيجانها ومعظم حجارة البناء من أبنية قديمة، ولا شك أن أكثر هذه الأعمدة قد جاء من معبد الإله ديونيسوس(٢). وجدير بالذكر أنه يوجد خندق محفور في وسط قاعة الكنيسة بداخله جانب من المصطبة الذي كان يقوم عليها معبد ديونيسوس الوثني. وتنقسم قاعة الكنيسة المستطيلة إلى ثلاثة أجزاء (شكل ٢٧٣ - ٢٧٥) عن طريق اثني عشر عمودا في كل من الجانبين الشمالي والجنوبي، حيث تقسم الكنيسة إلى قاعة رئيسية تقابلها في الشرق الحنية الرئيسية وجناحان أحدهما في الشمال والآخر في جنوب

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p. 179.

(٢) Browning, *op.cit.*,pp.188-189.

القاعة[١]. وأهم ما تبقى من هذه الكنيسة هو الحوض القائم في الناحية الغربية حيث كان هذا الحوض في الأصل يقوم في منتصف مساحة مربعة ويحيط به صف من الأعمدة. ولكن عندما أنشئت كنيسة القديس ثيودوروس في محاذاتها، اقتضى ذلك إقامة الجدار الشرقي والمحراب في ساحة الكاتدرائية بحيث أدى الأمر إلى خلع صفوف الأعمدة من جانب الساحة الغربي، وكذلك أعمدة الجانبين الشمالي والجنوبي. ولكن الحوض بقى في مكانه وما يزال في موضعه إلى الغرب[٢].

ويوجد في الجانب الشمالي من ساحة الهيكل ممر من الدرج يؤدي إلى المعبر الذي يطل على الطريق الممتد من سبيل الحوريات Nymphaeum إلى جانب ساحة معبد أرتميس وهناك غرفة على يمين هذه الدرجات كانت تستعمل في القرن السادس مصنعا لصناعة الفسيفساء الزجاجية. أما إلى الجانب الجنوبي فتقوم كنيسة صغيرة تذكر لنا كتابة من الفسيفساء أنها أنشئت "تذكارا لراحة نفوس أولئك الذين تبرعوا ببنائها للسيدة مريم العذراء"، ويرجح أن هذه الكنيسة الصغيرة أنشئت في القرن السادس الميلادى[٣].

وفي الجانب الغربي نجد ممر من الدرج يقود إلى كنيسة ثيودوروس التي أنشئت خلال السنوات ٤٩٤-٤٩٦م، وهناك نقشان يحملان هذه التواريخ، أحدهما فوق الباب الغربي الرئيسي والآخر فوق البوابة الخارجية للكنيسة، ويجدر بنا أن نذكر هنا نص الكتابة التي وردت فوق البوابة الخارجية:

---

(١) Restle, M., Gerasa, in: Reallexikon zur byzantinischen Kunst 2, 1970, pp. 734- 766.

(٢) Harding, *op.cit.*,p.101.

(٣) Browning, *op.cit.*,p.191.

"لقد صرت في غاية من الروعة والجمال مما يدهش جميع الذين يمرون بي. إذ انقشعت غيوم الخزي كلها، وبعد أن كنت قذى في العيون فقد أصبحت عناية الله تحوطني من كل جانب. وفي السابق كانت جثث الحيوانات تلقى في هذا الموضع وتنتشر روائحها الكريهة حتى كان الناس الذين يمرون من هنا يسدون أنوفهم ويكتمون أنفاسهم حتى لا يستنشقونها. أما الآن فالذين يعبرون هذا السهل المعطر فإنهم يضعون أيديهم اليمنى على جباههم لكي يرسموا إشارة الصليب المقدس. فإذا كنت تريد المعرفة فاعلم أن إينياس هو الذي منحني هذا الجمال الرائع، إينياس رئيس الكهنة ذو الحكمة والتقوى والورع".[1]

وقد كانت أرضية كنيسة ثيودوروس مغطاة بالحجارة الملونة والرخام ولكن لم يبق منها إلا القليل، وفي الجنوب الغربي من صحن الكنيسة يوجد جرن المعمودية، ويوجد في الجنوب الشرقي مصلى صغير أرضيته مزينة بالفسيفساء. أما المدخل الخارجي للكنيسة فقد كان يحتوي على ثلاثة صفوف من الأعمدة، بالإضافة إلى غرف صغيرة مختلفة زينت أرضيتها بالفسيفساء. وكانت الغرف الموجودة في الجهة الشمالية تستعمل منزلا لرجال الكهنوت، وهناك أيضا مصلى صغير في الجهة الجنوبية[2].

مجمع الكنائس الثلاثة

(القديس يوحنا، القديس كوسماس وداميانوس، القديس جورج)

يتكون هذا المجمع من ثلاث كنائس بأسماء القديسين يوحنا، كوسماس ودامیانوس، جورج. وقد أنشئت هذه الكنائس الثلاث خلال الفترة ٥٢٩-٥٣٣م

---

(١) Harding, *op.cit.*,p.102.

(٢) Scheck, *op.cit.*,p.182.

في عهد الإمبراطور جستنيان، وكانت هنالك تبرعـــات لإنشـــائها، حتـــى أن شخصا يدعى ثيودوروس وزوجته جورجيا تبرعـــا بمعظـــم نفقـــات كنيســـة كوسماس وداميانوس مما دعي الفنان إلى إظهار صورتيهما واسميهما علـــى الفسيفساء الذي يغطي أرضيتها(١).

إن ترتيب هذه الكنائس الثلاث إلى جانب بعضها البعض، بحيث تفتـــح كل منها على الأخرى كان ناشئا عن عادة الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية بـــأن لا تسمح بإجراء خدمة القداس على مذبح كنيسة ما أكثر من مرة واحدة فـــي اليوم(٢).

أما من ناحية التصميم فقد أنشئت الكنيسة الوسطى (كنيســـة القديـــس يوحنا) على هيئة دائرة داخل مربع، (شكل ٢٧٦) وفي وسط الدائـــرة أربعـــة أعمدة كورنثيه يحملون الجزء المربع، ويعتبر هذا المخطط صورة مصغـــرة من كاتدرائية بصرى في سورية التي أنشئت قبل ذلك ببضع ســـنوات. أمـــا الكنيستان الواقعتان على الجانبين فهما على الطراز البازيليكي المعتاد.(٣)

وتطل الكنائس الثلاث على ساحة عامة تحتوي على صف من الأعمدة المختلفة الطراز على امتداد جانب واحد هو الجانب الغربي. وكـــان الممـــر Narthex الواقع بين الأعمدة والكنائس مزينا في أرضيته بالفسيفساء، بينمـــا كانت بقية أرضية الساحة مرصوفة بالحجارة. ويبدو أن حوضا للماء المقـــدس كان يقوم أصلا خارج كل كنيسة.(٤)

---

(١) Harding, *op.cit.*,p.103.

(٢) Scheck, *op.cit.*,p.178.

(٣) Ibidem.

(٤) Browning, *op.cit.*,p.193 Fig.120.

أما فيما يتعلق بالغرف الواقعة في الطرف الشرقي من الكنائس، فقد كانت الغرفة الواقعة بين كنيستي كوسماس ويوحنا معبدا في الأصل ثم تحولت إلى غرفة معمودية، وقد نصب حوض المعمودية فوق زخارف الأرضية التي كانت على شكل صليب داخل دائرة.

ويوجد في باب الجدار الغربي المؤدي إلى كنيسة القديس يوحنا حجر كبير نحت فيه رأس أسد ونقوش أخرى. وليس هذا الحجر إلا قطعة من الكورنيش الخارجي الذي يزدان به معبد أرتميس، حيث كان الماء يتدفق من رأس الأسد. أما الغرف الأخرى فيبدو أنها كانت مساكن للشمامسة[1].

وقد كانت الكنيسة الجنوبية المكرسة باسم القديس جورج لا تزال مستخدمة حتى القرن الثامن الميلادي، وهي الوحيدة بين الكنائس الثلاث التي ما تزال مقاعد الكهنة قائمة في صدرها المجوف. ولا يزال فيها أيضا موضعان لحفظ الذخائر الكنسية وبقايا حاجزين، مما يدل على أن بعضا من أثاث الكنيسة كان قد نقل من إحدى الكنيستين المجاورتين حينما بطل استعمالهما. وربما يفسر ذلك سبب بقاء الفسيفساء سليمة في كنيسة القديس كوسماس وجانبا من فسيفساء كنيسة القديس يوحنا.

ذلك أن تدمير فسيفساء كنيسة القديس جورج لم يتبعه تدمير فسيفساء الكنيستين الأخرتين لأنهما كانتا قد تهدمتا من قبل. وفسيفساء كنيسة القديس يوحنا على قدر عظيم من الروعة وتشتمل على صور مدن مختلفة منها الإسكندرية وممفيس، كذلك رسوم لأشخاص وحيوانات[2].

---

(١) Harding, *op.cit.*,p.104.

(٢) Harding, *op.cit.*,p.103.

وتعتبر فسيفساء كنيسة كوسماس وداميانوس من أروع قطع الزخرفة في جرش بأكملها حيث تظهر صورتان لمؤسسي هذه الكنيسة وهما ثيودوروس وزوجته جورجيا (شكل ٢٧٧) في وضع تعبد وتتضمن الفسيفساء كتابة تعبر عن تكريس الكنيسة والتاريخ ٥٣٣م وكذلك تظهر صورتان: [١] إلى اليسار يوحنا بن استريكس وإلى اليمين كاليونستوس، وإلى جانب يوحنا أيقونة تتضمن كتابة عن القائد داجيستيوس (أحد قواد الإمبراطور جستنيان). أما بقية الأرضية (شكل ٢٧٨) فتمتلئ بلوحات على أشكال هندسية متعددة بينها رسوم هندسية متشابكة وصلبان معقوفة وطيور وحيوانات من جميع الأنواع.

كنيسة بروكوبيوس

تقع هذه الكنيسة (شكل ٢٧٩–٢٨٠) في أقصى شرق المدينة خلف المباني السكنية للمدينة الحديثة، وقد أنشئت هذه الكنيسة عامي ٥٢٦–٥٢٧م على نفقة ضابط يدعى بروكوبيوس وهي تتبع الطراز البازيليكي المعروف ولكنها ذات حنايا في الجهة الشرقية، الوسطى منهما أكبر حجما من الحنيتين الجانبيتين ولكن الحنايا الثلاث لهما نفس العمق تقريبا. وتنقسم الكنيسة إلى صحن كبير وجناحين عن طريق صفين من الأعمدة في كل صف ستة أعمدة[٢]. ويوجد المذبح في النهاية الشرقية لهذه الأعمدة، ويؤدي إلى هذه الكنيسة ثلاثة مداخل تقع على محاور الكنيسة الثلاثة[٣]. وتوجد كنيسة صغيرة في الناحية الشمالية يؤدي إليها بابان في الجدار الشمالي للكنيسة الكبرى ولها

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p.179, Abb. 22.

(٢) Restle, *op.cit.*, pp. 756 ff.

(٣) Scheck, *op.cit.*,p.192.

مدخل على نفس محور المداخل الثلاثة الأخرى. والمخطـــط العـــام لكنيســـة بروكوبيوس يشبه إلى حد كبير كنيسة القديس بطرس وبولس.(١)

كنيسة القديسين بطرس وبولس

تقع إلى الجنوب من كنيسة يوحنا وقد أنشئت حوالّي عام ٥٤٠م وتتخذ هذه الكنيسة (شكل ٢٨١ – ٢٨٢) موقعا منعزلا في المدينة حيث تبعد عن كل المباني الأثرية في المدينة فهي تقترب من سور المدينة في الناحية الجنوبيـــة الغربية. ويوجد نقش على أرضية الفسيفساء بها يوضح أن أحـــد الأشـــخاص الذي يدعى اناستاسيوس – ربما خليفة الأسقف بولس – قد قام بتأسيســـها(٢). ويبلغ طول هذه الكنيسة ٣٢ متر وتتكون من صالة أماميـــة Narthex فـــي الجانب الشمالي الغربي، يؤدي في نهايته إلى كنيسة صغيرة جانبيـــة ولكنـــها ذات حجرتين وبها باب في حائطها الجنوبي يؤدي إلى الكنيسة الكبرى. ومـــن خلال صفين من الأعمدة (٩ أعمدة في كل صف) تنقسم الكنيسة إلى صحـــن وجناحين وفي نهاية كل قسم توجد حنية في الناحية الشرقية حيث الكبرى هـــي الوسطى(٣). وتتميز الحنايا الجانبية في هذه الكنيسة بأنها تأخذ عمقا أكثر بقليل من الحنية الرئيسية الوسطى، في حين يحتل المذبح مساحة الحنايـــا الثـــلاث. وكما هي العادة في كنائس الأردن توجد بهذه الكنيسة أرضية من الفسيفســـاء عليها صور لفصول السنة الأربعة وكذلك صورا تجسد مـــدن الشـــرق مثـــل الإسكندرية وممفيس(٤).

(١) Browning, *op.cit.*,p.209, Figs.138-139.

(٢) Restle, *op.cit.*, pp. 760 ff.

(٣) Browning, *op.cit.*, p. 205, Figs.133-134.

(٤) Scheck, *op.cit.*,p.177.

كنيسة الموتى Mortuary Church

إلى الجنوب من كنيسة القديس بطرس وبولس تقع كنيسة الموتى على بعد حوالي ١٥ مترا فقط، وطراز هذه الكنيسة فريد في نوعه في كل كنائس جرش حيث ينتمي إلى النوع المعروف باسم كنائس الصالات.(١) وحسب النقش الموجود على أرضية الفسيفساء بهذه الكنيسة أن شخصا ما قد أنشأ هذه الكنيسة تخليدا لذكرى والديه في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي(٢).

كنيسة اليهود Synagogue Church

تقع كنيسة اليهود (شكل ٢٨٣ – ٢٨٤) إلى الغرب من معبد أرتميس، وكان هذا المكان في الأصل كنيسا لليهود في القرنين الرابع والخامس الميلادي وهو المبنى الديني الوحيد للأقلية اليهودية في جرش. وكان هذا المبنى يتجه ناحية الغرب أي ناحية أورشليم ومحاطا بالأعمدة(٣).

وفي عام ٥٣٠/٥٣١م أمر الأسقف بولس الذي كان يشغل وظيفة رئيس الكنيسة في جرش في هذا الوقت فوق هذا الكنيس ببناء كنيسة(٤). وقد اقتضى هذا التحويل تبديلا في المخطط، لأن الكنيس في شرق الأردن يتجه نحو الغرب بينما تتجه الكنائس دائما نحو الشرق. ولا يوجد من هذا الكنيس إلا الأعمدة فقط(٥).

---

(١) Ibidem.

(٢) Browning, *op.cit*.,p.207.

(٣) Harding, *op.cit*.,p.105.

(٤) Scheck, *op.cit*.,p.189.

(٥) Browning, *op.cit*.,pp.200,Figs.129-130.

وتتخذ الكنيسة الطراز البازيليكي المعتاد ذو الحنية الشرقية الواحدة. وتنقسم الكنيسة من خلال صفين من الأعمدة (كل صف ٨ أعمدة) إلى ثلاثة أقسام كما رأينا في الكنائس السابقة. وجدير بالذكر أن هذه الكنيسة تحتوي على ثلاثة مداخل، مدخلين حول الحنية الكبرى في الشرق ومدخل رئيسي في الحائط الغربي[١].

كنيسة المطران جانيسيوس Genesius Church

تعتبر كنيسة جانيسيوس (شكل ٢٨٥–٢٨٦) آخر الكنائس التي بنيت في مدينة جرش، وهي تقع إلى الغرب من كنيسة يوحنا[٢]. وقد اكتشفت في هذه الكنيسة أرضية من الفسيفساء عليها نقش يوضح أن المبنى يرجع إلى عام ٦١١م أي إلى ما قبل الاحتلال الفارسي للمدينة بثلاث سنوات، وإلى ما قبل الفتح الإسلامي بخمسة وعشرين عاما[٣].

وتتبع هذه الكنيسة الطراز البازيليكي المعروف ذات الثلاثة أروقة التي يفصلها عن بعضها صفان من الأعمدة (كل صف سبعة أعمدة)، وتتميز هذه الكنيسة بوجود حجرة مستطيلة عرضية قبل الوصول إلى الحنية الشرقية الواقعة جهة الشرق، وهناك كنيسة صغيرة في جنوب المبنى لها باب يؤدي إليها من الكنيسة الكبرى، وباب آخر من الخارج يقع على نفس محور الأبواب الثلاثة الرئيسية للكنيسة الكبرى[٤].

---

(١) Ibidem,p.201.

(٢) Harding, *op.cit.*,p.105.

(٣) Scheck, *op.cit.*, pp.177-178.

(٤) Browning,*op.cit.*, pp. 201-202, Figs.131-132.

مدينة البتراء Petra

تعتبر مدينة البتراء (شكل ٢٨٧) في الأردن من المنـــاطق الأثريـــة الفريدة في العالم أجمع، ولا نجد مثيلا لها في أي من حضارات العالم القديـم. وتمثل مبانيها المحفورة في الصخر تحفة معمارية نادرة الوجود، ففيما عـــدا اللون الأحمر الوردي فالحجر الرملي في اغلبه ذو لون أحمر غامق مائل إلـى الصفرة تتخلله في بعض المواقع عروق رائعة من الألوان الصفراء والرمادية والبيضاء.

وقد قام بالكشف عن هذه المدينة الفريدة أحـد الرحالـة الإنجلـيز ذو الأصل السويسري وهو يدعى جوان بركهارت في عام ١٨١٢م وذلك بتكليف من جمعية إنجليزية مهتمة بالمعرفة آنذاك[١].

تاريخ البتراء المبكر

رغم الحفائر العديدة التي تمت في الفترة الأخيرة في مدينة البـتراء إلا أن بعض الغموض يكتنف تاريخها. ولقد تم العثور على أدوات كان يستخدمها إنسان العصر الباليوليثي، وهذه الأدوات عبارة عن المعاول اليدوية المعتـــادة وعثر على كهف صخري يرجع عهده إلى الفترة الباليوليثية أي إلى حوالـــي عشرة آلاف عام ق.م وقد اكتشفت أيضا عدد من القرى التي تعـــود للعصـــر النيوليثي في الأماكن المجاورة مثل قرية البيضا التي تقع إلى الشـــمال مـــن البتراء[٢].

---

(١) Harding, *op.cit.*, p.139.

(٢) Hours, F., Die Vorgeschichte in Ŭberblick, in: Der Königsweg. 9000 Jahre Kunst und Kultur in Jordanien und Palästina, Köln, 1987, pp. 53-55.

هذا ولم يتم العثور حتى الآن على دلائل تشير إلى الحياة فـــي فـــترة العصر الخالكوليثى و العصر البرونزى، مما يجعلنا نجهل الكثير عن تـــاريخ البتراء حتى العصر الحديدي(١).

ويعتقد كثير من العلماء أن البتراء هي "سلع" التي ورد ذكرهـــا فـــي العهد القديم(٢)، وذلك لأن الاسم العبري"سلع" والاسم اليوناني "البتراء" Patera يدلان على نفس المعنى "الصخر" مع أن كلمة سلع في اللغة العربية تعنى بدقة الشق في الصخر، وهذا أكثر تطابقا مع طبيعة البتراء وموقعها(٣). وقد أطلـــق على البتراء اسم المدينة الوردية(٤).

كانت "سلع" مدينة ضمن مملكة أدوم القديمة التي كـــان ســـكانها يسمون الحوريون أو سكان الجبال، وهم الذين طردهـــم الأدوميـــون وحلـــوا محلهم، حتى جاء الأنباط فطردوا بدورهم الأدوميين واستولوا على بلادهـــم. وتحدثنا التوراة أن أمصيا Amaziah ملك يهوذا (٧٩٦-٧٨١ق.م) قد حارب الأدوميين في معركة كبيرة وألحق بهم الهزيمة وذبح عشر عائلات منهم وأخذ عشر عائلات أخرى معه إلى الصخرة (سلع) التي استولى عليـــها وطرحـــهم على رأس "سلع" فتكسروا أجمعين(٥).

---

(١) Dollfus, Das Chalkolithikum, in: Der Konigsweg, Köln, 1987, pp. 66- 67.

(٢) التوراة، أخبار الأيام الثاني ٢٥ :١٢.

(٣) Harding, *op. cit.*, p.119.

(٤) نظمية توفيق، المرجع، ص ٦٢.

(٥) Zayadine, F., Die Zeit der Königreiche Edom, Moab und Ammon 12.-6. Jahrhundert V.Chr., in: Der Königsweg, Köln, 1987, pp. 117-119.

وقد عثر فوق قمة أم البيارة -وهي أعلى القمم بين جبال البتراء غربي المعبد- على بعض الدلائل التي تشير إلى إقامة الإنسان أثناء العصر الحديدي حوالي القرن التاسع ق.م، ولكن يبدو أن البتراء كانت تستعمل كملجأ اكثر منها كمكان للإقامة الدائمة، ولابد أن الأسرى قذف بهم من أعلى هذه القمة[١].

الأنباط العرب في البتراء

يربط التاريخ بين الأنباط والبتراء ذلك لأن الأنباط هم أول من أقاموا في البتراء بصورة دائمة، وهم الذين ابتدعوا نماذج خاصة بهم من فنون البناء والنحت وصنع الفخار وزخرفة الحجارة[٢]. وكانت صناعة الفخار من أعظم إنجازات الأنباط حيث أن الفخار النبطي كان من الرقة ودقة الصنع بحيث لم يكن يقارنه في ذلك إلا أفضل أنواع الخزف الصيني (البورسلين) بل لقد وصل هذا الفخار النبطي إلى درجة فاقت في بعض الأحيان البورسلين وذلك يرجع إلى أن البورسلين كانت تتم صناعته من خلال قوالب بينما كان الفخار النبطى يشكل على العجلة الفخارية ثم يزخرف من الداخل بنقوش بالغة الدقة ومدهونة بدهان أسود أو بنى غامق.[٣] وتكمن روعة هذا الفخار سواء المزخرف منه أو غير المزخرف في الدقة المتناهية التي صنع بها على عجلة الفخار إذ يبلغ

---

(١) Harding, *op.cit.*, p.119.

(٢) Browning, I., Petra, Chatto & Windus, London, 1982, pp. 32-39.

(٣) Schmitt, K.- Korte, Die bemalte nabatäische Keramik: Verbreitung, Typologie und Chronologie, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Köln, 1970, pp. 174 -186.

سمك جدران هذه الأواني ملليمترات قليلة في معظم الأحيان، ويسمى هذا الفخار نظرا لفخامته ـ بالسيجيلاتا النبطية[١].

كتابات الأنباط

كان للأنباط حروفهم ولغتهم الخاصة بهم (شكل ٢٨٨)، وتتشابه الحروف نوعا ما مع الحروف العبرية ولكن تتميز بأنها متطاولة عموديا، وقد اعتاد الأنباط أن يعلقوا بعض الحروف بعضها ببعض ويكتبوها متلاصقة بسبب أشكالها المستطيلة مما يجعل قراءتها عسيرة. ومما يصعب مهمة الدارس لهذه الكتابات هي قلة هذه الكتابات المنقوشة على الصخور. أما أطول الكتابات النبطية المعروفة فقد وجدت على أوراق البردي النبطية التي اكتشفت على شاطئ البحر الميت شرقي بيت لحم، وأيضا توجد كتابة نبطية طويلة واحدة في البتراء على ضريح التركمانية[٢].

ويعتقد علماء اللغة أن الكتابة الكوفية ومن بعدها الكتابة العربية تعود في أصلها إلى حروف الأنباط، أما اللغة فيبدو أنها كانت إحدى اللهجات الآرامية التي تأثرت تأثرا قويا باللغة العربية، لذلك نلاحظ أن معظم أسماء الأشخاص عند الأنباط هي أسماء عربية[٣].

آلهة الأنباط

كان ذو الشرى واللات هما الآلهة الرئيسية عند الأنباط. أما ذو الشرى فكانوا دائما يجسدونه على هيئة كتلة من الصخر أو عمود، بينما كانوا

---

(١) Khairy, N., Die unbemalte nabatäische Gebrauchskeramik, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, pp. 142 - 144, pls. 78-84.

(٢) Harding *op.cit.*, p. 120.

(٣) Roschinki, H.P., Sprachen, Schriften und Inschriften in Nordwest-arabien, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, pp. 27-40.

كثيرا ما يقرنون اللات بالينابيع والماء. وكلمة دوشارا نابعة من الكلمة العربية ذو الشرى[١]. والشراه هي الجبال الواقعة قريبا من البتراء وهي مـــا تــزال محتفظة بهذا الاسم حتى اليوم. أما في التوراة فيطلق عليه اسم "سعير" وهـــي نفس كلمة الشراه[٢]، وتصف التوراة "يهوه" بأنه أشرق مـــن ســـعير أي أنـــه دوشارا نفسه.[٣]

وكان يهوه يقيم في بيت من الحجر، وكان يدعى أحيانا بيت ايـــل أي بيت الإله –وكانت معابده الكبرى تقوم في الأماكن المرتفعة مثله مثل دوشارا. هذا بالإضافة إلى العديد من الإلهات التي عبدت عند الأنبـــاط مثـــل الـــلات والعزى ومناه[٤] وهي آلهة عربية انتشرت عبادتها فـــي الجزيـــرة العربيـــة، وكذلك عبدت الإلهة إيزيس المصرية عند الأنبـــاط فـــي العصـــر اليونـــاني والروماني[٥].

شعـــب الأنبـــاط

يبدو أن الأنباط كانوا في الأصل قبيلة كبيرة احتلت الجـــزء الشـــمالي الغربي من جزيرة العرب وهو الجزء الذي كانت تمر فيه القوافـــل المحملـــة بالبخور والبهارات قادمة من حضرموت في الجنوب. ومن المحتمل أن رجال هذه القبيلة كانوا في بادئ الأمر يهاجمون القوافل وينهبونها، ولكـــن بعـــد أن

---

(١) Roschinski, H. P., Geschichte der Nabatäer, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, p.7.

(٢) سفر التكوين ١٤ :٦.

(٣) أشعيا ٤٠ : ٢٨.

(٤) Zayadine, F., Die Götter der Nabatäer, in: Petra und das Königreich der Nabatäer, Köln, 1970, pp. 114-116.

(٥) Ibidem, pp. 116-117.

تمكنوا وأصبحوا قوة لا يستهان بها،أخذوا يجبون من هذه القوافل نوعـا مـن الضريبة ضمانا لسلامتها وأمانها[١]. وقد ورد أول ذكر للأنباط كشـعب مـن الشعوب في قائمة أعداد أشور بانيبال ملك أشور في عام ٦٤٧ق.م حيث كانت البتراء وقتئذ في أيدي الأدوميين[٢].

ويحدثنا المؤرخ ديودوروس الصقلي[٣] عن البتراء حيث يصفها باسـم الصخرة فهي في غاية المناعة ولكنها بدون أسوار. ويسجل لنا ديـودوروس أنباء الحملة العسكرية التي قادها أنتيجونوس حاكم سورية لكي يخضع الأنباط، وفي هذه الحملة تمكن أنتيجونوس من احتلال الصخـرة لأن جميـع أهـالي الأنباط كانوا يحتفلون بمناسبة عظيمة في مكان غير بعيـد ولكـن الأنبـاط استطاعوا استعادة أراضيهم بعد هجومهم على معسكر أنتيجونوس.

ويصفهم استرابون[٤] على لسان شخص يدعى أثينودوروس الذي كان صديقا ومعلما للإمبراطور أوغسطس وكان قد ولد فـي البـتراء، ويصـف مدينتهم كما كانت في القرن الأول ق.م، فيتحدث عن مساكن الأنبـاط التـي كانت ضخمة ومن الحجر وأن مدينتهم غير محاطة بالأسوار بسبب حالة السلم والأمن السائدين في بلادهم، وأنهم يمجدون الشمس فيقيمون لها هيكـلا فـي منازلهم وعاصمتهم هي المسماة بتراء لأنها تقع على أرض مستوية ومنبسطة عموما ولكن تحميها الجبال الصخرية من جميع الجوانب.

---

(١) Harding, *op.cit.*, p.121.

(٢) Zayadine, Die Zeit, p. 120.

(٣) Diodoros, Bibliotheke, 19, 94, 4.

(٤) Strabo, Geographika XVI, 779, 783-784.

ملــوك الأنباط

يذكر التاريخ أول ملوك الأنباط الحارث الأول Aretas I في حوالـــي أواخر القرن الثاني ق.م (حوالي ١٦٩ ق.م) الذي لجأ إلى حماه جاسون كبـير كهنة اليهود في القدس بعد طرده من بلاده[(١)].

جاء بعده الملك الحارث الثاني Aretas II الذي حكم في الفترة ما بين ١٢٠/١١٠ -٩٦ق.م. وقــد تغلــب الملـــك عبــاده الأول Obodas I (٩٦-٨٧ ق.م) حوالي عام ٩٠ق.م على حاكم فلســطين اسـكندر جــانوس وهزمه في ميدان القتال، واسترد مؤاب وجلعاد اللتين كان الإسكندر جانوس قد استولى عليهما من قبل. ويبدو أن منطقة شرق الأردن كلها لابد أن تكون قــد خضعت لحكم الأنباط خلال عهد ذلك الملك[(٢)]. وجاء بعده الملـــك رب ايــل الأول حوالي عام ٨٧ق.م. وأثناء حكم الحارث الثالث بن عبـلده Aretas III (٨٧-٦٢ ق.م) اتسعت المملكة حتى بلغت دمشق، وقــد اهتـم هــذا الملــك بالأحداث السياسية في فلسطين اهتماما كبيرا، حتى أن القائد الرومـــاني قــد أرسل حملة عسكرية ضد البتراء بقيادة سكاوروس ولكنها فشلت. وجاء إلـــي الحكم بعد ذلك الملك عباده الثاني Obodas II (٦٢-٦٠ق.م)[(٣)].

وفي عهد الملك مــالك الأول Malichhus I (٦٠-٣٠ق.م) انحــاز الأنباط إلى الفرس عندما اشتبكوا في الحرب مع روما، وعندما لحقت الهزيمة بالفرس اضطر الأنباط إلى دفع الجزية إلى الرومان (حوالي عــام ٤٠ق.م)، وبعد ذلك قدم ماركوس أنطونيوس جزءا كبيرا من بلاد العرب - بمـــا فيــها

---

(١) Roschinski, Geschichte, p.14.

(٢) Scheck, *op.cit.*, p.340.

(٣) Harding, *op.cit.*, p. 123.

مملكة الأنباط – هدية إلى المملكة البطلمية كليوبترا فتحول دفع الجزية إلى مصر[١]. ونتيجة لتباطؤ مالك الأول في دفع الجزية إلى مصر تحالف هيرودوس الكبير مع كليوبترا وهاجم مالك الأول، ولكن الهزيمة لحقت بهيرودوس نتيجة أعمال الخيانة، غير أنه لم يلبث أن حقق نصرا كبيرا في عام ٣١ق.م واستولى على جانب كبير من بلاد الأنباط.[٢] وعند وفاة مالك الأول خلفه الملك عباده الثالث (٣٠-٩ق.م)[٣]، وفي عهده أعد الإمبراطور أوغسطس حملة عسكرية لمهاجمة بلاد العرب بقيادة اليوس جالوس وعرض ساليوس رئيس وزراء الملك عباده أن يكون دليلا للجيش في زحفه عبر الصحراء، ولكنه سار بالجيوش في أكثر الأماكن وعورة وأشدها جفافا مما أدى إلى موت عدد كبير من الجنود الرومان وباءت هذه الحملة بالفشل[٤].

أما الملك الحارث الرابع Aretas IV الذي تولى عرش الأنباط فيما بين ٩ق.م – ٤٠م وكان يسمى نفسه "المحب لشعبه"، وكان عهده عهد رخاء يسوده السلام على وجه العموم، وكانت الحرب الوحيدة التي خاضها ضد هيرودوس أنتيباس ابن هيرودوس الكبير.

وكان أنتيباس هذا قد تزوج ابنة الحارث، ولكنه أراد بعد ذلك أن يطلقها لكي يتزوج هيروديا زوجة أخيه، وقد رد الحارث على هذه الإهانة الموجهة إلى عائلته بالاشتباك مع أنتيباس في معركة وألحق به الهزيمة [٥].

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p.342.

(٢) Roschiski, *op.cit.*, p.19.

(٣) Scheck, *op.cit.*, p. 343.

(٤) M. Lindner, Die Geschichte der Nabatäer, in: Petra und das Königreich der Nabatäer, Nürnberg, 1970, pp. 68 - 69.

(٥) Roschinki, *op.cit.*, p.24.

على أن الرومان كانوا يساندون هيرودوس أنتيباس وبـدأوا يزحفـون نحـو البتراء لكي يأخذوا بالثأر. ولكن أثناء ذلـك مـات الإمـبراطور الرومـاني تيبريوس فارتد الجيش الزاحف عائدا[1].

وأثناء فترة حكم مالك الثـاني (٤٠-٧٠م) الـذي حكـم فـي فـترة الإمبراطور نيرون أرسل قوات لمساعدة الرومان ضد اليهود ومعلوماتنا عـن هذه الفترة قليلة،[2] حتى جاء آخر ملوك الأنباط رب ايل الثـاني (٧٠-١٠٦م) الذي توفى عام ١٠٦م وأصبحت البلاد بعد وفاته مقاطعـة رومانيـة، فلقـد استولى الرومان على مدينة البتراء وأعادوا تنظيمها على النسـق الرومـاني التقليدي، وشمل إنشاء شارع رئيسي تحيط الأعمدة بجانبيـه،[3] ومنـذ هـذا التاريخ أصبحت البتراء مقاطعة رومانية وأطلق عليها اسم المقاطعة العربيـة Provincia Arabia[4].

آثار مدينة البتراء

من الملفت للأنظار في مباني مدينة البتراء تلك الواجهات الصخريـة للمقابر المنحوتة داخل الصخر والتي تدل دلالة قاطعة على اعتقاد الأنباط فـي حياة ما بعد الموت، ويؤكد ذلك المكتشفات الثمينة والنقوش التي وجدت فـي هذه المقابر.

وقد برع الأنباط في زخرفة الحجارة وصقلـها إذ كـانوا يسـتعملون أزميلا ذا طرف واحد ويبدأون النحت على مقياس الدرجة ٤٥ مـن الزاويـة

(١) Scheck, *op.cit.*, p. 343.

(٢) Lindner, *op.cit.*, p.78.

(٣) Ibidem, pp. 80-86.

(٤) Will, E., Hellenistisch- römische Zeit. Von der Dekapolis zu Provinz Arabien, in: Der Königsweg, Köln, 1987, pp.251-253.

فوق وجه الحجر أو العمود أو وجه الصخر أو على أي شئ يريدون قطعه وتغيير شكله، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك في مدينة البتراء(١).

وقبل أن نبدأ الحديث عن أهم الآثار في مدينة البتراء(٢) يجدر بنا أن نستعرض أنواع واجهات المقابر في البتراء:

١- المقابر ذات الزخرفة المسننة(٣) (شكل ٢٨٩)

ويطلق عليها المقابر الآشورية نظرا لتأثرها الشديد بالعناصر الفنية الآشورية(٤) وهي ممثلة في البتراء بأعداد كبيرة (٥) حيث توجد ١٥٦ واجهة ذات صف واحد من السنون و ٨١ واجهة ذات صفين من السنون هذا بالإضافة إلى ١٩ مقبرة ذات زخرفة مسننة في مدينة الحجر في شمال غرب الجزيرة العربية.

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p. 354.

(٢) Khouri, R.; Petra. A Guide to the Capital of the Nabataeans, 1986;
Lindner, M. (Hrg.), Petra. Neue Ausgrabungen und Entdeckungen, 1986;
Mc Kenzie, J., The Architecture of Petra, 1990;
Weber, T.- Wenning, R. (Hrgg.), Petra. Antike Flesstadt zwischen arabischer Tradition und griechischer Norm. 1997.

(٣) A. Schmidt-Colinet, Nabatäische Felsarchitectur, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, pp. 69 – 72, Pls. 12, 14, 42.

(٤) Scheck, *op.cit.*, p.355.

(٥) Browning, Petra, pp. 83-85, Figs. 30-33.

٢- المقابر ذات زخرفة الدرجات[١]

وهذه الزخرفة عبارة عن درجات أو نصف درجات وتسمى مقابر الحجر (شكل ٢٩٠) وهي تعكس زخرفةً غنية حيث تظهر أنصاف أعمدة أو أعمدة مربعة ملتصقة بالجدار وتنتهي هذه المقابر من أعلى بما يشبه ربع الدائرة، وتبلغ عدد الدرجات التي تزخرف الواجهة خمسة درجات. ويمكن تكرار هذه الزخرفة على المقبرة الواحدة في إفريز علوي يحتوى على صف أو صفين من هذه الزخرفة.

وتسمى هذه الزخرفة خطوة الغراب وهى إما زخرفة منفردة أو زخرفة مزدوجة[٢]. وهذه الزخرفة معروفة في منطقة بلاد ما بين النهرين. أما الزخرفة ذات الربع دائرة فهي مصرية الأصل[٣].

٣- المقابر ذات الزخرفة الكلاسيكية[٤]

ويطلق على هذه الزخرفة الزخرفة المتأثرة بالهللينستية أو الزخرفة الكلاسيكية النبطية أو الزخرفة النبطية الرومانية وهي تظهر على المعابد والمقابر وهذه المقابر تتكون واجهتها من طابقين ينتهيان بما يشبه السقف الجمالونى أو السقف نصف الدائري[٥] (شكل ٢٩١ - ٢٩٤) وتظهر في هذه

---

(١) Schmidt- Colinet. *op.cit.*. pp 72-77. Pls. 13-16

(٢) Browning. Petra. pp 85 - 88. Figs 33 34

(٣) Scheck. *op.cit.*, p. 355, 357

(٤) Schmidt-Colinet, *op.cit* pp 77 81 Pls 20 21

(٥) Browning, *op.cit.*, pp. 90 – 97, Figs. 36 – 39.

المقابر الأعمدة الكاملة والأفاريز المكونة من التقسيمات (الترجليف والميتوب) في طراز هللينستي روماني[١].

ضريح المسلة Obelisk Tomb

وهى مقبرة فريدة في نوعها حيث يعلو واجهة هـــذه المقـــبرة أربـــع مسلات غير مزخرفة (شكل ٢٩٥ – ٢٩٧)، على هيئة أعمدة كانت تبلغ فـــي الأصل حوالي ٧متر إرتفاعا، هذه المسلات كـــانت بمثابـــة شـــواهد قبـــور للأشخاص الذين تم دفنهم في هذه المقبرة. وتوضح المقابر الخمسة في داخـــل هذا البناء أن المتوفي الخامس كان ممثلا بتمثال وضع بين الأعمدة الداخليـــة المدببة، ويحتمل أن يكون هذا المتوفى هو صاحب هذه المقبرة ويدعي مـــانكو Manku حيث يظهر هذا الاسم على نقش نبطي وأخر يوناني يقع قبالة هـــذه المقبرة حيث يقول النقش: "أن هذا الضريح أنشأه عبد مانكو لنفســـه، ولأولاده وأحفاده".[٢] ويتكون هذا الضريح من خمسة مقـــابر حفـــرت فـــي الصخـــر، الرئيسية في مواجهة المدخل ومقبرتان على كل جانب، ويبدو أن هذا الضريح قد ارتبط بشكل أو بأخر بالمبني الذي نحت أسفله في الصخر وهي ما يســـمي بمبنى الأرائك الثلاثة Triclinium. ويرى البعض في الأربعة مسلات فـــوق الضريح تقليدا لمعبد رمسيس الثانى في أبوسمبل مما يعكس التأثير المصـــرى في هذا الضريح،[٣] ويرجع إنشاء هذا الضريح إلي النصف الأول من القـــرن الأول الميلادي[٤].

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p. 357.

(٢) Ibidem, pp. 361 – 362.

(٣) Browning, Petra, pp. 106 – 107, Figs. 49 – 50.

(٤) A. Hadidi, Nabatäische Architektur in Petra, in: Die Nabatäer, Köln, 1981, pp. 111 – 112.

تركلينيوم باب السيق Bab EL Siq Triclinium

تقع مباشرة أسفل ضريـــح المســلة وهـــى تحمــل نفــس ملامـــح واجهات المقابر في البتراء حيث تتكــون الواجهـــة مـــن طـــابقين يعلوهمـــا جمالون (شكل ٢٩٨). ويتكون كـــل طـــابق مـــن عمـــوديّ أركـــان يـــأخذا الشكل المربع والنصف دائـــري، وإلـــى جـــوار كـــل عمـــود مربـــع نجـــد عمودان نصف دائريـــن يلتصقـــان بالواجهـــة يليـــهما المدخـــل الرئيســـي للبناء ويوجد مثيل لهذه الواجهـــة فـــي وادى فاراســـأ فـــي الأردن ويطلـــق علي هذه المقبرة مقبرة عصر النهضة. ويتفـــق طـــراز هـــذه المقـــبرة مـــع طراز المقابر الكورنثيه في بلاد اليونان وكذلك طـــراز قصـــر البنـــت فـــي البـــتراء(١).

وتتكون هذه المقبرة من حجرة رئيســـية بـــها ثلاثـــة أرائـــك علـــى نفس الشكل المعتاد للتركلينيوم وهي عبارة عـــن ثـــلاث مصـــاطب تلتصـــق بالحوائط الداخلية ويبلغ مســـاحة كـــل منـــهما بيـــن ٨،٧م. وعلـــي جـــانبي المقبرة من الخارج توجد حجرتـــان ربمـــا اســـتحدثتا فيمـــا بعـــد لغـــرض الدفن وهما محفورتا أيضا فـــي الصخـــر(٢).

وتؤرخ هذه المقبرة فيمـــا بيـــن نهايـــة القـــرن الأول ق.م وبدايـــة القرن الأول الميلادي أي أنها ترجع إلـــي عصـــر الإمـــبراطور أوغســـطس نظرا لتقارب طراز الزخرفة الجصيـــة فـــي هـــذا المبنـــي مـــع زخـــارف قصر البنـــت(٣).

---

(١) Browning, Petra, pp. 107 – 108, Fig. 51.

(٢) Scheck, *op.cit.*, p. 364.

(٣) Harding, *op.cit.*, p. 112.

خزنة فرعون Khazne Firaun

تعتبر الخزنة (شكل ٢٩٩-٣٠٠) من أجمل المباني في الواجهات الصخرية لمدينة البتراء علي الإطلاق، وهي بمثابة رمز للحضارة النبطية.

وتكمن أهمية هذه الخزنة في موقعها الفريد حين يتجول زائر البتراء في المضيق الملتوي الذي لا نهاية له يظهر له فجأة واجهة في غاية الروعة والجمال تزينها الأعمدة والتماثيل وهي أعظم المنشآت الأثرية في البتراء علي وجه العموم[(١)].

وقد ساعد موقع هذه الخزنة في حفظها من الرياح والأمطار حيث نحتت في الصخر وهي تمثل بناء من طابقين، الطابق العلوي عبارة عن كورنيش مشرشر من الجانبين وكشك مستدير في الوسط. وفوق هذا الكورنيش ترتفع جرة صماء كبيرة أحدثت فيها كسور عديدة نتيجة لإطلاق الأعيرة النارية عليها من سكان المنطقة نتيجة لما ترامي إلي أسماعهم زعما بأنها تحتوي في داخلها علي كنز عظيم من الذهب ومن هنا أطلقت عليها تسمية "الخزنة"[(٢)] والواقع أن هذه الجرة ما هي إلا قطعة منحوتة من الصخر الأصم مثلها مثل بقية البناء[(٣)].

ولم يتفق علماء الآثار حتى الآن عما إذا كانت الخزنة معبدا أو ضريحا، ولكن أكثر الأدلة تميل إلي تأييد القول بأنها أنشئت لتكون معبدا، ولقد

---

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 62, 72.

(٢) Harding, *op.cit.*, p.128.

(٣) Browning, Petra, p.119.

أصيبت التماثيل المنحوتة بتلف كبير حتى لم يعد بالإمكان التعرف عليها، مع أن بعض العلماء يرون في التمثال الأوسط مثالا للإلهة إيزيس[١].

ويطلق أهالي المنطقة على هذا البناء في بعض الأحيان مبني الجـرة، ويقع البناء في ساحة كبري طولها ٢٥٠م وعرضها ٧٠م، والبناء منحوت في صخر رملي يحتوي علي نسبة عالية من الحديد لذا فالمبني يتحول إلي اللون الأحمر مع سقوط أشعة الشمس عليه[٢].

ويبلغ ارتفاع هذا البناء حوالي ٤٠م أو أكثر في بعض أجـزاء من الواجهة، في حين يبلغ أتساع المبني ٢٥م، ويبلغ ارتفاع الجرة بمفردها حوالي ٣,٥م. ويرجع الفضل إلي قياس هذا المبنى لأول مرة إلي العـالم الألماني G. Dalman في عام ١٩١٠[٣].

ويتكون هذا البناء من طابقين (شكل ٣٠١)، الطابق السفلي يتقدمه ستة أعمدة ملساء ذات قواعد أتيكية وتيجان بالزخارف النباتيـة تشبه الطـراز الكورنثي ويقف عمودان فقط (أعمدة الوسط) بمفردها دون الالتصاق بالحـائط الصخري مثل الأعمدة الأربعة الباقية. وجدير بالملاحظة أن الجمالون السفلي للطابق الأول يستند علي أربعة أعمدة في الوسـط فقـط تاركـا العمودين الطرفيين. وقد زخرف هذا الجمالون بنوع من تماثيل الأركان Akroteria.[٤]

---

(١) Harding, *op.cit.*, p.128.

(٢) Scheck. *op.cit.*. p.368

(٣) Dalman. G.. Petra und seine Felsheiligtümer. Leipzig. 1908. pp.26-28

(٤) Zayadine. F . Photogrammetrische Arbeiten in Petra. in Die Nabatäer. Köln. 1981 p 112

أما الطابق العلوي من الواجهة فيحتوي أيضا علـــي ســتة أعمــدة، العمودان في كل طرف يقفان مباشرة فوق أعمدة الطابق السفلي، في حيــن أن عمودي الوسط يقفان بمفردهما ليشكلا جزء من مبني دائري في وسط الطــابق العلوي يعلوه سقف دائري فوقه جرة كبيرة يبلغ ارتفاعها حوالي ٣,٥م[1].

ويبلغ التخطيط الداخلي (شكل ٣٠٢-٣٠٣) للبناء غايــة الروعــة حيث تؤدي الأعمدة إلي صالة عرضية تؤدي إلي حجرة جانبية في الجـــانب الأيمن وأخري في الجانب الأيسر، ويتكون مدخــل هــاتين الحجرتيــن مــن عمودين مربعين يعلوهما تيجان كورنثيه الطــراز، وهــذه الأعمــدة تحمــل أرشيتراف مسنن يعلوه زخرفة نباتية رائعة. وفوق هذا الأرشــيتراف توجــد فتحة مستديرة لإضاءة هذه الحجرة الجانبية وهو طراز فريد في نوعه حيــث أن هذه الفتحات تكون مربعة أو مستطيلة في المقابر الهللينستية، (شكل ٣٠٤) ويوجد في الحجرة اليمني تابوت[2].

وفي وسط هذه الصالة العرضية يوجد سلم من خمس درجات يؤدي إلي الحجرة الرئيسية في المبني وهي مستطيلة الشكل وذات حنايا مســتطيلة، واحدة في كل جانب بالإضافة إلي حنية رئيسية فــي مواجهــة الســلم ومــن المحتمل أن هذه الحنايا كانت مخصصة لوضع توابيت للدفن أو تماثيل لإلهــة تعبد في هذا المبنى[3].

وإذا ما حاولنا تحليل التماثيل التي نحتت علي الواجهة نجد أنــها قــد أضيرت كثيرا وبلغت درجة عالية من التلف، ولكن من خلال تقارير الــدوق

---

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 65, 66.

(٢) Browning, Petra, p. 125, Fig. 68.

(٣) Zayadine, Die Götter, p. 115.

De Luynes الذي زار المنطقة في عام ١٨٦٤م نستطيع أن نتعرف علـــي التمثال الموجود في المبني الدائري في وسط الطابق العلوي من واجهة الخزنة حيث يمثل إلهة الأقدار تيخي Tyche. أما التماثيل التي توجد أسفل الجــزء المقطوع من الجمالون فهي تمثل الإلهة نيكي إلهة النصـــر. أمـا التمثـالان المنحوتان اللذان يظهران في المساحة الداخلية بين العمودين علي الأطـــراف منهما يمثلان الأمازونة وكذلك فهي مصورة علي جانبي المبني الدائري[١]. أما التمثال الذي يقف فوق جمالون الطابق السفلي فهو عبارة عن قرص الشـمس بين قرنين، وقد استند Domaszewski [٢]على هذه الرموز الخاصة بالإلهـة إيزيس واقترح أن يكون التمثال الذي يوجد في وسط المبني الدائـري معـبرا عن الإلهة إيزيس بدلا من الإلهة تيخي. أما G.Dalman[٣] فيري في الطابق العلوي ستة تماثيل لأمازونات تلتف حول الإلهة ديمتر-إيزيس، وعلي ذلـك يعتقد أن التمثالين في التجويف الداخلي ما هما إلا تمثالان للإلـهات البيـس Elpis ونمسيس Nemesis بدلا من الإلهة نيكي.

ويعتقد Dalman[٤] أيضا أن كل من التمثالين الجانبين في الطـابق السفلي من الواجهة يمثلان الديوسكوروي أبناء زيوس اللذان يرمـزان إلـي الحياة والموت. أما تماثيل الأركان Akroteria في الجمالون العلـوي فـهي أربعة نسور محاطة بأسد وفهد من الجانبين، بينما في الجمالون السفلي فـهي

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p.369.

(٢) Domazewski, A.V.- Brünnow, R.E., Provincia Arabia I, Strasburg, 1904, pp.20-25.

(٣) Dalman, *op.cit.*, p.27.

(٤) Ibidem.

مهشمه وتصور إما نسر أو رأس الجورجون (الميدوسا) أو رأس ديونيسوس الملتحي[1].

وبعد أن تناولنا هذا المبني العجيب هناك بعض الأسئلة المطروحة: هل هذا المبني نبطي أم روماني، هل هو معبد أو مقبرة، فجميع العلماء لا يستقرون علي أمر محدد بالنسبة لهذا المبني، رغم أنهم يميلون أكثر إلي اعتباره مقبرة.

أما عن تاريخ إنشاء هذا المبني فكل المقترحات تترواح بين منتصف القرن الأول الميلادي كما يرى كل من Dalman وDe Luynes، وبين منتصف القرن الثاني الميلادي كما يرى Robert وNegev.

وفي عام ١٩٨١ اقترح Schmidt–Colinet[2] أن هذا المبني "الخزنة" (شكل ٣٠٥ - ٣٠٦) يتبع تقاليد العمارة السكندرية المتأخرة وهي نظرية جديرة بالبحث حيث أننا لا نملك الكثير من العمارة البطلمية المتأخرة، رغم أن مثل هذه العناصر (الجمالون - المبني الدائري - أنصاف وأرباع الأعمدة) تظهر في رسومات بومبي الحائطية من الطراز الثاني خاصة في المنازل السكندرية ذات الطابقين ومنها مناظر في Villa of Oplontis و Casa di Labirinto و Villa Boscoreale.

مسرح البتراء

ظل هذا المسرح مهدما حتى عام ١٩٦١ وخاصة جزء من خشبة المسرح والأوركسترا حتى قام فيليب هاموند بترميمه في عام ١٩٦٢. ويتكون هذا المسرح (شكل ٣٠٧) من اربعين صفا تكون أماكن الجلوس

---

(١) Browning, *op.cit.*, p.123.

(٢) Schmidt- Colinet, *op.cit.*, pp 90-95 Pls 34-36

Auditorium وهي تتسع لحوالي ٧٠٠٠ - ٨٥٠٠ مشاهد. ويتفق مسرح البتراء في طرازه الفريد مع مسارح منطقة البحر المتوسط،[١] فيظهر الطراز النبطي واضحا ممثلا في البناء الحجري للـ Cavea حيث أن مقاعد الجلوس قد نحتت بأكملها في الصخر[٢]. أما الطراز اليوناني فيتجلى في موقع المسرح على منحدر في بطن الجبل. ويتمثل الطراز الروماني في شكل هذا المسرح فهو يتخذ الشكل النصف دائري طبقا لما جاء عند فيتروفيوس[٣].

وقد أسفرت الحفائر الحديثة في المنطقة[٤] عن تأريخ هذا المسرح بشكل أفضل، حيث كان المعتقد حتى عام ١٩٦٠ أن هذا المسرح يرجع إلى الفترة الرومانية ما بعد انضمام مملكة الأنباط إلى الحكم الروماني، ولكن الحقيقة أن هذا المسرح قد أنشأ في الفترة بين ٤ ق.م (تاريخ وفاة هيرودوس) وعام ٢٧م أي في فترة حكم الملك الحارث الرابع وظل مستخدما نصف قرون من الزمان وأعيد تجديده في عام ١٠٦م بعد انتصار الرومان حيث كان قريب الشبه من المسرح الروماني في صبراته بليبيا[٥].

أما نهاية المسرح فكانت بسبب الزلزال الذي حدث في ١٩ مايو ٣٦٥م.

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p. 371.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p. 66, 69.

(٣) Vitruvius, De architectura VII, VI, 1.

(٤) Khadija, M.M., 16 Jahre Feldarchäologie in Petra, in: Petra und das Königreich der Nabatäer, Nürnberg, 1970, p. 204.

(٥) Browning, Petra, pp. 130-132, Fig. 77.

ضريح التماثيل أو ضريح الجنود

وهي مقبرة (شكل ٣٠٨ - ٣١١) نحتت في الصخر وتتكون واجهة هذه المقبرة من عمودين مربعين في ركني الواجهة بينهما عمودان نصف دائريين وكل هذه الأعمدة ملتصقة بجدار الواجهة وكل هذه الأعمدة تحمل تيجان علي شكل القرون وترتفع حوالي ١٤م وتحمل فوقها أفريز يعلوه جمالون علي الطراز الأتيكي[١]. ويتخذ مدخل المقبرة نفس الطراز حيث نجد المدخل محاطا بعمودين مربعين علي نفس طراز أعمدة الواجهة ويعلو هذان العمودان أفريز مقسم إلي ميتوبس وترجليف. وداخل كل ميتوب نري زخرفة عبارة عن دائرة ملساء ويعلو الإفريز بالكامل جمالون صغير يغطي مساحة المدخل بالكامل[٢]. والواجهة مقسمة إلى ثلاثة أقسام من خلال الأعمدة الأربعة حيث يظهر محراب بين كل عمودين يقف بداخل كل محراب تمثال أكبر من الحجم الطبيعي والمحراب الأيمن والأيسر يعبر عن شخصية عسكرية أما تمثال الوسط فيظهر بداخله تمثال عسكري كامل التسليح علي الطراز الروماني[٣].

ومن خلال فتحتين في الواجهة تصل الإضاءة إلى القسم الداخلي من المقبرة، وهو عبارة عن صالة أبعادها ١٣×١٥م وفي جنوب هذه الصالة توجد حجرة مربعة طول ضلعها ٩متر، وتوجد بها محاريب في الحائط الشمالي والغربي كانت تحتوي على توابيت للدفن[٤].

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p.376.

(٢) Stierlin, *op.cit*, p.59.

(٣) Browning, Petra, pp. 197-199, Fig. 130.

(٤) Scheck, *op.cit.*, p.378.

ضـــريح الجــرة

يقع ضريح الجرة (شكل ٣١٢ – ٣١٤) في مستوى من الأرض أكـثر ارتفاعا من الآثار الأخرى، وهو أثر مهيب تنبسط أمامه ساحة كبرى وأعمـدة نحتت في الصخر. وكان الأنباط قد قاموا في الأصل بتوسيع الساحة وبنوهـــا على طراز متقن الصنعة من الأقبية وجعلوها ذات طابقين. وتقف مثل هـــذه الساحات الضخمة أمام الأضرحة النبطية الهامة مثل ضريح التماثيل ومقـــبرة أونايسو ومبنى الخان. وقد قام مسيحيوا البتراء بتوسعة هذه الساحة في القــون الخامس[١].

أما واجهة الضريح فرغم ضخامتها فهي بسيطة للغاية حيث تتكون من عمودين مربعين في الأركان يلتصق بهما ربع عمود، أما في الوسط فـــهناك عمودان ملتصقان بالواجهة وجميع هذه الأعمدة تقف على قاعدة وتحمل تاجـا مربعا على طراز القرون وتحمل هذه الأعمدة افريز مكون من ثلاث ســاحات مستطيلة مقسمة إلى أجزاء من خلال امتداد للأعمدة السفلى تنتهي هي الأخرى بتيجان أعمدة مربعة على طراز القرون ويرتفع فوق المبنى جمالون تحمـــل فوقه جرة ضخمة[٢].

ويشبه مدخل هذا الضريح مدخل ضريح الجنود مـــن حيـــث وجـــود عمودين مربعين يعلوهما أفريز مقسم إلى ميتوب وترجليف يعلـــوه جمـــالون صغير. وتوجد في الواجهة أربع فتحات عبارة عن نوافذ أو محاريب مغلقـــة، وتشكل هذه الفتحات ظاهرة غريبة في الفن النبطي حيـــث أضيفـــت النـــافذة الوسطى فوق المدخل في العصر البيزنطي إلى المبنى بينما كـــانت الفتحـــات

(١) Harding, *op.cit.*, p. 131.

(٢) Scheck, *op.cit.*, p.383.

الثلاث الواقعة بين الأعمدة على مستوى واحد تستخدم كأماكن خاصة بالمقبرة حيث كانت تحوى تماثيل نصفية[١]. من المحتمل أن الفتحة الوسطى الرئيسية كانت لتمثال نصفي للملك مالك الثاني، أما الفتحتان الجانبيتان فقد نهبت التماثيل التي بداخلها؛ وقد دلت الأبحاث الحديثة التي أجريت في البتراء أن كل فتحة أو نافذة من النافذتين الجانبيتين تؤدي إلى فتحة مستطيلة للدفن تسمى Loculi أو إلى ضريح[٢].

أما في داخل المبنى فتوجد حجرة الدفن بأبعادها ١٨,٥×١٧م ويوجد نقش يوناني في الركن الشمالي الشرقي منها يذكر الأسقف جاسون Jason وأحد الشمامسة الذي يدعى جوليان Julian. ويبدو أن هاتين الشخصيتين قد شيدا ضريح الجرة في عام ٤٤٦م ووهبوا هذا المبنى إلى كاتدرائية البتراء. وعلى ذلك فقد تم تحويل محاريب الدفن المتجهة إلى الشرق في الحائط الخلفي إلى حنيات للصلاة، ويؤكد ذلك وجود أربع فتحات في الأرضية أمام الحنية الرئيسية كانت تستخدم لتثبيت مذبح خاص بالصلاة في هذا المكان[٣].

ضريح سكستيوس فلورنتينوس

إلى أقصى شمال الحائط الملكي يقع ضريح سكستيوس فلورنتينوس Sextius Florentinus (شكل ٢٩٣) وهو حاكم المقاطعة العربية في عصر الإمبراطور هادريان.

ويظهر نقش لاتيني طويل داخل المساحة المقوسة فوق الأعمدة يذكر أن ابنه لوكيوس قد شيد هذا الضريح لوالده في عام ١٤٠م، ويقول النص "إلى

(١) Browning, Petra, p.216.

(٢) Ibidem.

(٣) Scheck, *op.cit.*, p.383.

لوكيوس... الصغير، ابن لوكيوس بابيريوس سكسكتيوس فلورنتينوس، أحد المسئولين الثلاثة عن سك النقود الفضية والذهبية، المحامي العسكرى لفيلق منيرفا الأول، المدعي العام لمقاطعة آسيا، محامي الشعب، قائد الفيلق الثامن في هسبانيا، القنصل الأول في مقاطعة ناربونتسيس، الوالي المعين من قبل أغسطس، حاكم مقاطعة بلاد العرب، الأب الذي يعرف واجباته جيدا، تمشيا مع وصية بعينها."

ويبدو أن هذا الضريح كان قائما في العصر النبطي وأعيد استخدامه في العصر الروماني مرة أخرى لدفن هذا الحاكم(١).

ويتفق هذا الضريح في زخرفته وطرازه مع معبد هادريان الصغير في إفسوس وكذلك أيضا في طراز القطع النحتية حيث يظهر فيها الاتجاه إلى تصوير الأبعاد الثلاثة(٢).

قصر البنت – أو قصر بنت فرعون Qasr el-Bint

يقع هذا الهيكل فوق سفح الشقيف الغربي ويستأثر هذا المبنى بالانتباه أكثر من أي مبنى آخر. إنه يدعى قصر البنت أو قصر بنت فرعون (شكل ٣١٥ – ٣١٨) وهذه التسمية ناشئة عن عادة قديمة عند العرب إذ يعزون إقامة جميع المنشآت الضخمة إلى ملوك مصر القدماء، لاعتقادهم أن أولئك الملوك كانوا ذوي قدرة عظيمة(٣).

وتتردد أسطورة شعبية في البتراء فيما يخص هذا القصر بأنه كان هناك فتاة تعيش في العصور القديمة في قصرها (قصر البنت) ووعدت من

(١) Harding, *op.cit.*, pp.132-133.
(٢) Scheck, *op.cit.*, p.401.
(٣) Harding, *op.cit.*, p.130.

يوصل المياه إلى قصرها الذي يقع وسط الصخور بالزواج، واستطاع أحد شباب المدينة بمساعدة الآلهة أن يوصل بئر عين قارون عبر الصخر إلى هذا القصر، وبذلك حاز إعجاب الفتاة وتزوجها[١].

ويأخذ الهيكل الشكل المستطيل القائم الزوايا على وجه التقريب، وقد أقيم في طرفه الجنوبي صفين من المقاعد أو دكتين كي يجلس عليها بعض المشاهدين في الاحتفالات الدينية، ويبدو أن الصف العلوي أضيف بعد إنشاء الصف الأدنى[٢].

ويبدو أن قصر البنت كان المعبد الرئيسي في البتراء وكان مخصصا للإله النبطي دوشارا وقد كشفت الحفائر تحت المعبد عن قطع أثرية تعود إلى عام ٢٥م وعلى ذلك يمكننا تحديد تاريخ إنشائه خلال الفترة (٥٠- ٧٥م)، أي أن المعبد يعود إلى عهد الأنباط وليس إلى عهد الرومان كما كان معتقدا من قبل[٣].

ويعتبر هذا الأثر الوحيد الباقي من بين الآثار المعمارية في البتراء، أي التي لم تنحت في صميم الجبال الصخرية.

ويوجد أمام ساحة هذا المعبد مذبح ضخم[٤] على قاعدة مربعة أبعادها ١٢×١٢م، وكان هذا المذبح مخصصا لتقديم القرابين قبل الدخول إلى المعبد. ويتقدم المعبد ستة أعمدة ارتفاعها ٩م اثنان منهما كأعمدة أركان ويؤدي سلم ضخم بعرض المبنى – إذ يبلغ عرضه

(١) Scheck, *op.cit.*, p.409.

(٢) Harding, *op.cit.*, p.130.

(٣) Parr, P.J., Decouvertes récentes au sanctuaire du Qasr á Petra, in: Syria 45, 1968, pp. 178 ff.

(٤) Stierlin, *op.cit*, p. 69.

٤٠مترا – إلى هذه الأعمدة التي تؤدي إلـــى صالـــة أماميـــة قبـــل الدخـــول إلى الحجرة الرئيسية للمعبد المقسمة إلى ثلاثة قطاعـــات، ويبـــدو مـــن هـــذا التقسيم أن القطاع الأوسط كان هو الحجرة الرئيسية فـــي المعبـــد أو قـــدس الأقداس الذي كان يحوي بالتأكيد تمثالا للإلـــه دوشـــارا.[1] أمـــا القطاعـــان الجانبيان فيبدو أنهما كانا يؤديان إلى طابق علوي بدليـــل وجـــود ســـلم فـــي كل منـــهما[2].

أما الجدار الخارجي للمعبد فكان يرتفـــع إلـــى ٢٣مـــترا. والواقـــع أن الجدار الخارجي نفسه قد أنشـــئ مزدوجـــا بحيـــث يبلـــغ الفـــراغ بيـــن جانبيه حوالي مترا. وهناك ظاهرة غريبة أخرى فـــي البنـــاء وهـــي وجـــود دعائم خشبية في الجدران، وربما كان القصد مـــن هـــذا الأمـــر أن تكـــون الدعائم وقاية ضد الهزات الأرضيـــة التـــي تتعـــرض لـــها المنطقـــة بيـــن الحين والآخر. والواقع أيضا أن هذه الدعائم كـــانت مـــن الأســـباب الهامـــة في تداعي البناء بعد أن أصابها التلف مع مـــرور الزمـــن[3].

وقد كان هذا المعبد كله مزخرفـــا – علـــى الأقـــل مـــن الخـــارج – بالجبس المنقوش Stucco والملاط، وما تـــزال بقايـــا هـــذا الـــ Stucco واضحة على ظهر الجدار الخلفي، كمـــا أن الألـــوان البراقـــة تبـــدو علـــى بعض كتل الحجارة الكبـــيرة[4].

---

(١) Browning, Petra, p.157.

(٢) Scheck. *op.cit.*, p.410.

(٣) Harding, *op.cit.*, pp.130-131.

(٤) Browning, Petra, pp. 162-163, Fig. 98.

ضريح التركماني Turkmaniye-Tomb

في وادي التركمانية يوجد ضريح ضخم (شكل ٣١٩) من طراز المقابر ذات الدرجات في واجهته[١]. وتتكون واجهة هذه المقبرة من عمودين مربعين يلتصق بهما مربع عمود، ونصف عمودين ملتصقين على واجهة المقبرة، وفي وسطهما مدخل المقبرة الذي يؤدي إلى حجرة مستطيلة أبعادها ٩م×٦م تنتهي بممر طويل يؤدي إلى حجرة مستطيلة داخلية أبعادها ٦×٣م وتحتوي هذه الحجرة على أحد الـ Loculus، ولا يوجد أي أثر للثلاثية أو مباني أخرى في المقبرة[٢]. وتكمن أهمية هذا الضريح في النقش الموجود على لوحة بين أنصاف الأعمدة الداخلية للواجهة الحجرية فوق المدخل الرئيسي، وهذا النقش من خمسة أسطر باللغة النبطية، هذا نصه:

"أن ابيتاف Epitaph قد أنشأ هذا الضريح والحجرات الكبيرة والصغيرة التي بداخله، والقبور المبنية على طراز المدافن الجانبية (Loculi) والساحة الواقعة أمام الضريح، والأروقة والمنازل التي بداخلها، والحدائق، والثلاثية، وآبار الماء، والشرفة والجدران وبقية العقارات والأمتعة الموجودة في جميع هذه الأماكن – قد كرست ونذرت ملكا مصونا لدوشارا إله ربنا، وعرشه المقدس، وجميع الآلهة حسب التعيين في الوثائق المتعلقة بالمواضع المنذورة حسب محتوياتها.

وحسبما يقضي أمر دوشارا وعرشه وجميع الآلهة بأن منطوق هذه الوثائق المتعلقة بالمواضع والأشياء المنذورة يجب أن يطبق وينفذ دون أي تحوير. كما يجب أن لا يجري أي تراجع أو نكوص عما تتضمنه تلك الوثائق،

---

(١) Scheck, *op.cit.*, p. 418.

(٢) Browning, Petra, p. 233, Fig. 170.

وأن لا يدفن أي إنسان في هذا الضريح عدا الشخص الذي يملك وثيقة خطية تمنحه حق الدفن حسب نصوص الوثائق المذكورة المتعلقة بالأشياء المذكورة إلى الأبد."

وجدير بالذكر أن الثلاثية Triclinium المشار إليها ليست إلا قاعة تعقد فيها الاحتفالات الجنائزية حيث تصف المقاعد المستطيلة على ثلاثة جوانب. وهناك نماذج عديدة منها في البتراء ومن المرجح أن تاريخ الضريح يعود إلى الفترة ما بين القرن الأول ق.م إلى القرن الأول الميلادي.(١)

الدير Ed-Deir

يعتبر مبنى الدير (شكل ٣٢٠ – ٣٢٣) من أروع المباني فخامة في مدينة البتراء وهو في الواقع من أضخم الأماكن الأثرية في البتراء إذ يبلغ عرضه ٥٠مترا ويبلغ ارتفاعه حتى قمة الجره ٤٥مترا أما باب المدخل فيبلغ طوله ٨م وعرضه ٤م، والمبنى محفور بالكامل في الصخر.(٢) ويقول دافيد روبرت أول من زار البتراء في مارس ١٨٣٩ أن هذا البناء أفخم من مبنى الخزنة وكذلك فهو أكثر تنظيما من مبنى الخزنة وكذلك فهو أوضح في تكويناته المعمارية رغم أنه قريب الشبه في تكوينه المعماري من مبنى الخزنة(٣).

وتحتوي الواجهة على خمس حنايا، اثنتان في الطابق السفلي ذات سقف مقوس ولابد أنهما كانتا تحتويان على تماثيل تقف بداخلهما، ولكن يبقى

---

(١) Harding, *op.cit.*, p.133.

(٢) Scheck, *op.cit.*, p. 423.

(٣) Rey Coquais, J.-P., Petra, in: The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton, 1976, p. 695.

السؤال: ما هي نوعية التماثيل المعروضة في هذه الحنايا، هل هي تماثيل لموتى أم لآلهة نبطية[١].

وللإجابة على هذا السؤال نستعرض أولا المبنى من الداخل حيث يتكون المبنى من صالة شبه مربعة أبعادها ١٢×١١م ولا يوجد في هذه الصالة أي توابيت للدفن أو حنايا تستخدم في دفن الموتى. أما في نهاية الحائط الخلفي فترتفع بعض درجات السلم وفوقها حنية مقوسة من أعلى كانت في الأصل بيت للإله. وعلى ذلك فهذا المبنى الحجري ليس ضريحا وإنما هو معبد ولكن يبقى السؤال هل هو معبد جنائزي أم معبد للعبادة[٢].

ومن الملاحظ وجود نقش في منطقة مجاورة للدير يذكر الملك عبادة الثالث الذي يوجد قبره في منطقة أفدات (نجف). وكذلك وجود هيكل صغير في وادي النمر يوضح أن الملك عبادة الثالث قد تم تأليهه في البتراء بعد مماته[٣]

وعلى ذلك يمكن القول أن مبنى الدير من الممكن أن يكون معبدا خاص بالملك عبادة الثالث بنى في نهاية القرن الأول ق.م وبداية القرن الأول الميلادي. في هذه الحالة فلابد أن تكون الحنية الرئيسية الوسطى في الطابق العلوي من الواجهة مخصصة لوضع تمثال للملك عبادة الثالث، في حين تكون الحنيتان الجانبيتان مخصصتين لآلهة

(١) Stierlin, *op.cit*, p. 62, 72.

(٢) Browning, Petra, pp.188-189.

(٣) Ibidem.

نبطية[١]. ورغم ذلك فيؤرخ فوزي زيـــادين هـــذا الديـــر فـــي فـــترة حكـــم الملك رب ايل الثـــــاني (٧٥-١٠٦م)[٢].

وتبلغ واجهة الدير درجة كبيرة من الفخامة حيث يتكون كل طابق من عمودين في الأركان وستة أنصاف أعمدة أخرى ملتصقـــة بجـــدار الواجهـــة وتحمل كل هذه الأعمدة تيجان على طراز القرون المنتشر في البتراء، كذلـــك يوجد نفس التاج فوق القبة المخروطية والتي تحمل فوقها جـــرة كبـــيرة مـــن الحجر[٣]. وتحمل الأعمدة في الطابق السفلي أفريز بسيط دون زخرفة يلتـــف حول المبنى في حين أن الأفريز الذي تحمله الأعمدة في الطابق العلوي مكونا من الميتوب ذات الزخرفة الدائرية والترجليف ويبلغ ارتفاع القبة فوق المبنـــى حوالي ٩متر[٤].

وجدير بالذكر أنه يوجد رسوم تمثل بعض الصلبان الصغيرة منحوتـــة في الجدار الصخري الخلفي مما يدل على أن الهيكل كان يستعمل للعبادة فـــي العصر المسيحي ومن هنا جاءت التسمية الدير[٥].

---

(١) Matz, K.-K., Petra, in: Antike Statten am Mittelmeer, Darmstadt, 1999, pp. 699 f.

(٢) Zayadine, *op.cit.*, p. 116. Pl. 56.

(٣) Stierlin, *op.cit*, p. 72.

(٤) Browning, Petra, p.189.

(٥) Harding, *op.cit.*, p. 135.



الفصل السادس

آثار منطقة الجزيرة العربية

- الإطار الجغرافي
- "قرية" الفاو
- الموقع والتسمية
- أهمية "قرية" الفاو
- آثار "قرية" الفاو
  - السوق (الأجورا)
  - المعبد
  - المقابر
- مدينة الحجر (مدائن صالح)
- أهم آثار الحجر (مدائن صالح)

آثار منطقة الجزيرة العربية

الإطـــار الجغــرافي

تمثل شبه الجزيرة العربية إقليماً جغرافياً[1] متميزاً حيث يشغل نحـــو ٢١% من جملة مساحة الوطن العربي بالإضافة إلى تميز خصائصها الطبيعية والبشرية وتمتد من سواحل الخليج العربي شرقاً إلى سواحل البحـــر الأحمـــر غرباً ويحدها جنوباً البحر العربي وخليج عدن ودولتي العراق والأردن شمالاً. ويطلق عليها أحياناً مصطلح الجزيرة العربية حيث يصنـــع نـــهري الفـــرات والعاصي إطاراً مائياً من جهة الشمال، وتضم منطقة الجزيرة العربيـــة ســـبع دول هي:

المملكة العربية السعودية واليمن وسلطنة عمـــان ودولـــة الإمـــارات والكويت وقطر والبحرين.

ويغلب على المنطقة الطابع الهضبي بصفة عامة إلا أن الشرق يغلـــب عليه الطابع السهلي ممثلة في سهول الدهناء، وتمتد الجبال في الغرب ممثلـــة في جبال الحجاز وعسير واليمن. وتزيد مساحة شبه الجزيرة العربية عن ثلاثة ملايين كيلو متر مربع.

---

(١) محمد صبري محسوب، فوزية محمود صادق وآخرون: جغرافية الوطـــن العربـــي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٢١.

"قــرية" الفـــاو

المــوقع والتسمـــية

تبعد "قرية الفاو" نحو ٧٠٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض ــ عاصمة المملكة العربية السعودية، ومائة كيلو متر إلى الجنوب الغربي من مدينة السليل، ومائة وخمسون كيلو متر إلى الجنوب الشرقي مـــن الخماســين عاصمة وادي الدواسر، ومائتان وثمانون كيلو متر إلى الشمال الشرقي مــــن مدينة نجران، في المنطقة التي يتداخل فيها وادي الدواسر ويتقاطع مع جبـــل طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى "الفاو" ومن هنا جاءت تسميتها حديثاً باسم الفاو، تمييزاً لها عن باقي القرى المجاورة، وتشرف "قريــــة" علـــى الحافــة الشمالية الغربية للربع الخالي(١).

أهمية "قرية" الفاو

تكمن أهمية قرية الفاو في أنها تقع على الطريق التجاري الذي يربــط بين جنوبي الجزيرة العربية وشمالها الشرقي حيث كانت القوافــل تبــدأ مـــن ممالك الجنوب: سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وحمير متجهة إلـــى نجـــران ومنها إلى قرية ومنها تتجه شرقاً إلى الخليج وشمالاً إلى بلاد الرافدين وبـــلاد الشام، وعلى ذلك فهي تعتبر مركزاً تجارياً واقتصادياً هاماً في وسط الجزيـــرة العربية(٢).

---

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصاري، "قرية" الفاو. صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨١، ص ١٦.

(٢) نفس المرجع، ص ١٦.

وتنحصر أهمية "قرية" في أنها تمثل عنق زجاجة أرضيته تسيطر على الطريق التجارى حيث يجب على كل قافلة أن تمر بها، كذلك فقد كانت عاصمة لدولة لها دور واضح في تاريخ الجزيرة العربية لمدة تزيد على خمسة قرون هي دولة كندة،" هذا فضلاً عن أنها تحتوى على عدد كبير من آبار المياه. ويكمن السبب في ازدهار هذه المدينة إلى عدة عوامل أهمها التجارة التي ساهمت في ثراء واضح انعكست آثاره فيما بنوه أهل المنطقة من قصور وأسواق ومقابر ومعابد وتماثيل، كما ظهر أثر ذلك في انتشار المعرفة بالكتابة، ولعل قمة التقدم الاقتصادى في "قرية" هو سكهم عملة خاصة بهم ضربوا عليها اسم إلههم كهل(١) واهتمامهم بأنواع مختلفة من الأختام.

كذلك اهتم سكان "قرية" بالزراعة وحفر الآبار وشق القنوات وزراعة النخيل والكروم وبعض أنواع اللبان والحبوب، كما اهتموا أيضاً بالثروة الحيوانية.

ولا شك أن هذا المجتمع الذي قام على التجارة فمن المؤكد أنه يمتلك قدرة كافية على الدفاع عن النفس والمال والعرض، لذلك فإن اختيار "كندة" موقع "قرية" كعاصمة لها كان اختياراً موفقاً إلى حد كبير، وذلك لأن المظاهر الجغرافية المحيطة بها تشكل حماية طبيعية لهم تحول دون تسلل العدو إليهم، فيمتد شرقاً جبل طويق المرتفع الذي يكشف أي هجوم قادم، كذلك بنى سكان قرية بوابات من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية وكذلك اهتموا ببناء

---

(١) نفس المرجع، ص ١٧، كان للمؤلف، عزت قادوس، شرف نشر هذه المجموعة بالكامل فى جامعة الملك سعود ولا تزال فى مرحلة الطبع حتى الآن.

أسوار داخلية وخاصة حول السوق إذ يبلغ سمك سور السوق ستة أمتار وارتفاعه ثمانية أمتار(١).

آثار "قرية" الفاو

كانت "قرية"من أكبر مدن القوافل المعاصرة لها سواء في الجزيرة العربية أو خارجها، إذ يبلغ طول المدينة من الشمال إلى الجنوب أكثر من كيلومترين وعرضها من الشرق إلى الغرب حوالي كيلو متر دون حساب المنطقة الزراعية المحيطة بها.

وقد استعمل سكان قرية في بناء مدينتهم الطوب اللبن المربع والمستطيل وكان حجم المربع منه ٣٨×٣٨×١٢ سم والمستطيل نصف ذلك في عرضه ٣٨×١٩×١٢ سم، كما استعملوا الحجر المنقور والمصقول في الأساسات وبناء المقابر واستخدموا الجص بعد خلطه ببعض المواد كالرمل والرماد وغيره في تمليط المباني من الداخل، كما زينوا منازلهم في الداخل بالكتابة والرسوم بألوان من الأحمر والأسود والأصفر(٢).

السوق (الأجورا)

يقع هذا السوق (شكل ٣٢٤ – ٣٢٥) على مقربة من الحافة الغربية للوادي الذي يفصل بين جبل طويق وبين حدود المدينة شرقي المنطقة السكنية، ويبلغ طول السوق ٣٠.٧٥م من الغرب إلى الشرق، ٢٥,٢٠م من الشمال إلى الجنوب. ويحيط بالسوق سور مكون من ثلاثة أسوار متتالية متلاصقة، أوسطها الحجر الجيري، أما الداخلي والخارجي فمن الطوب اللبن.

---

(١) نفس المرجع ص ١٠

(٢) نفس المرجع، ص ١٨

ويوجد باب واحد ضيق في النصف الجنوبي من الضلع الغربي، ويحيط بالسوق سبعة أبراج، الوسطى منها مربعة الشكل أما الجانبية فمستطيلة الشكل. أما أعلى الجهات ارتفاعاً وأقواها في السور فهما الناحيتان الشمالية والجنوبية.

وتوجد ساحة في وسط السوق يصطف على جانبيها محلات تجارية من الناحيتين الشمالية والجنوبية، ومحل واحد من الناحية الشرقية وآخر في الناحية الغربية، وواجهات هذه المحلات مبنية بالحجارة وأبوابها واسعة تنتهي بعتبة علوية نصف دائرية، وتفصل بين كل مجموعة وأخرى من المحلات ممرات تؤدي إلى مخازن خلفية، كما تؤدي إلى مدخل يشتمل على فسحة بها درج يؤدي إلى الأدوار العليا التي كانت تستخدم كمخازن لهذه المحلات، كما وجد في هذه السوق ثلاثة بيوت. ويبدو أن بناء هذا السوق قد صمم ليخدم غرضاً آخر هو استخدامه كقلعة دفاعية وقت تعرض المنطقة للخطر من الخارج حيث يؤكد ذلك حجم سور هذا السوق.

المعبد

يعتبر معبد قرية الفاو[1] أول معبد يكشف عنه داخل حدود المملكة العربية السعودية، وتكمن أهمية هذا المعبد بالنسبة لمنطقة الجزيرة العربية في المكتشفات من التماثيل البرنزية التي تعكس بعداً حضارياً مختلفاً عن معابد اليمن، هذا البعد يربط بين حضارة وسط الجزيرة العربية وبلاد الشام وحوض البحر المتوسط ووادي النيل.

والمعبد في تخطيطه مستطيل الشكل واجهته إلى الجنوب وهو يحتوى على الغرفة المقدسة، مصاطب توصع عليها الهدايا والقرابين، قواعد مربعة

(١) نفس المرجع، ص ٢٠.

مبنية من الحجر، ساحة خارجية للمعبد مبلطة بالحجارة. ويذكرنا تخطيط هـذا المعبد بالمعابد التي سادت في شمال سوريا من حيث عناصر المعبد والمدخـل الجنوبي وللساحة الخارجية المرصوفة بالحجارة، ويرجع معبـد الفـاو إلـى القرون الأولى للميلاد.

ويعكس هذا المعبد عناصر حضارية كانت سائدة بين شعوب غربـي آسيا تركزت في الجزيرة العربية نظراً لعزوف سكان منطقة الفاو عن التغيير المفاجئ وبعدها النسبي عن التفاعل السريع مع المتغيرات الحضارية، لذا فـهو ذو شخصية مميزة.

المقـــابر

تتنوع أشكال المقابر في قرية الفاو وهي تعكس الفترات الحضاريـة المختلفة التي مرت بها، فكون هذه المنطقة مركزاً حضارياً هامـاً وعاصمـة لدولة كان لها دور في الوضع السياسي والاقتصادى والاجتماعى والديني فـي وسط الجزيرة لأكثر من ستة قرون وهي دولة "كندة" يجعل منها مناخاً صالحاً لجذب العناصر المعمارية المختلفة ومزجها بالعناصر المحلية مما ينتج عنـه مزيج حضارى يتميز بمذاق خاص.
ويمكن تمييز ثلاثة فئات من المقابر:

مقـــابر الملوك

تتكون هذه المقابر[1] (شكل ٣٢٦) من مهبط بعرض متر وعلى عمق خمسة أمتار وطول ستة أمتار من الشمال إلى الجنوب، ويوجد في جدار هـذا المهبط حفر تشبه السلالم تؤدي إلى أسفل حيث يوجد أربعة أبواب في اتجـاه

(١) نفس المرجع، ص ٢٠.

الجهات الأصلية الأربع، وتقود ثلاثة من هذه الأبواب إلى أقبية منحوتة في الأرض بشكل شبه دائري، أما الباب الغربي فإنه يقود إلى غرفة مبنية مملطة بالجص الأبيض يعتقد أنها مدفن الملك، وتقع هذه الغرفة تحت الغرفة المبنية فوق المقبرة، وفي نهاية الغرفة السفلى نجد حفرة منخفضة غطت جدرانها بالملاط يبدو أنها كانت مخصصة لوضع بعض الأشياء الثمينة مع الموتى. أما عرض الغرفة الملكية ١,١٥م وطولها ٣,٥م وارتفاعها نحو ١٨٠سم.

مقابر النبلاء

توجد أبراج فوق هذه المقابر[١] وهي عادة معروفة وشائعة في حضارات الشرق الأدنى وخاصة في الحضر وتدمر وفلسطين وشمال أفريقيا. وتعلو المقبرة غرفة تبدو ظاهرة كانت مبنية بالحجر الجيري ويتوسطها مهبط يوجد به خمس درجات تؤدي إلى أرضيته وقد غطت جدرانه بالحجر الرملي. ويوجد في قاع المهبط ثلاثة أبواب أحدها شمالي والثاني غربي والثالث جنوبي، يؤدي كل باب منهما إلى قبو.وقد تم تفسير هذه الغرفة العليا بأنها كانت لإقامة بعض الطقوس المتعلقة بدفن الموتى والأعياد وهو أسلوب متبع في المناطق المتاخمة لقرية الفلو.

مقابر العامة

وهذه المقابر[٢] عبارة عن مهبط غير منتظم وغير مغطى بالجص تتراوح أعماقه ما بين متر وخمسة أمتار تنتهى بحجر يغلق حجرة الدفن التي

---

(١) نفس المرجع، ص ٢١.

(٢) نفس المرجع، ص ٢١.

وجد بها العديد من الأواني الفخارية التي دفنت مع المتوفي، وهي بسيطة جداً في طرازها.

الكتابات

كان الخط المسند[١] هو القلم الرّسمي الذي عبر به مواطنو "قرية" عن أفكارهم وخواطرهم حيث ينتمي سكان كندة إلى القبائل اليمنية، والخط المسند هو القلم الذي استعملته ممالك جنوب الجزيرة العربية سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وأوسان وحمير وهو الذي انتشر في الشمال فكتب به الديدانيون واللحيانيون في العلا وكتب به أرباب القوافل وسكان البادية.

وقد أخذ الخط المسند في قرية شكلاً مميزاً وأصبحت أشكال حروفه ذات خصائص تميزها عن حروف المسند، لهذا فهو في شكله يعتبر اتجاهاً ومدرسة خاصة في الكتابة بالمسند.

ومن خلال هذه الكتابات نستطيع التعرف على معبودات قرية حيث كان "كهل" هو إلههم الأعظم و"إل" و "اللات" و "عثر – أشرق" و "العزى" و "مناة" و "ود" و "شمس"، مما يجعلنا نعتقد أن مجتمع قرية كان مجتمعاً متنوع المعبودات فنجد فيه معبودات جنوبية وشمالية في أن واحد[٢].

---

(١) نفس المرجع، ص ٢٣.

(٢) من آلهة العرب الأخرى: يغوث – سواع – يعوق – نسراً.

هذا وقد بدأ الاهتمام بموقع قرية[1] منذ بداية الأربعينات من هذا القرن، وقد قام بزيارتها عبد الله فيلبى Philby[2] الرحالة المعروف مع كل من العالم البلجيكي ركمانز J. Ryckmans وليبنز Lippens عام ١٩٥٢ وأشاروا إلى مقابرها ثم قام العالم البلجيكي ألبرت جام Albert Jamme برحلة إليها في عام ١٩٦٩ وقام بدراسة نقوشها. ثم بدأ اهتمام جامعة الرياض بها منذ عام ١٩٧١ وبدأت أعمال التنقيب فيها في عام ١٩٧٢ على يد عالم الآثار السعودي عبد الرحمن الطيب الأنصارى (قسم الآثار والمتاحف - جامعة الملك سعود).

وما زالت أعمال الحفر مستمرة في هذه المنطقة حتى الآن، لذا سوف أورد حرفياً النتائج التي وردت عن لسان الأنصارى[3] نظراً لأن هذه المنطقة لم تنشر نتائج حفائرها بعد وسوف تظهر في القريب العاجل سبعة مجلدات تحمل في طياتها كل معالم وآثار ومكتشفات هذه المدينة التي كانت عاصمة لمملكة "كندة" في جنوب شبه الجزيرة العربية:

"إذا ما أردنا أن نتحدث عن الزمن الذي عاشت فيه "قرية" عاصمة "كندة" فإنه يمكننا أن نستعرض بعض النقاط لنصل منها إلى تاريخ مبدئي لهذه المدينة:

---

(١) نفس المرجع، ص ١٦.

(٢) فيلبى (سانت جونى) ١٨٨٥-١٩٦٠م، مستشرق إنجليزي أسلم وسمى نفسه عبد الله، اكتشف كتابات ثمود الحجرية القديمة، أول من توغل في رمال الربع الخالي من كتبه:- قلب البلاد العربية، الربع الخالى

(٣) نفس المرجع، ص ٣١.

١- إن الطراز المعماري الذي ظهر فيما كشف عنه "السوق، القصر، المعبد، المنطقة السكنية" يدل دلالة واضحة على أنه يمثل طرازاً عربياً فريداً، برزت فيه مراعاتهم لظروف البيئة واحتياجاتهم المختلفة. ومع ذلك فإن هذا الطراز لم يخل من تأثيرات معاصرة للطرز المعمارية في القرون الأولى للميلاد مما نشاهده في اليمن والبتراء والحضر وآسيا الصغرى (شكل ٣٢٧).

٢- إن الكتابات الجنوبية أفادتنا كثيراً في التعرف على اسم عاصمة دولة "كندة" وأن اسمها "قرية" ووصفتها بأنها "ذات كهل" وعن طريقها تعرفنا أيضاً لأول مرة في التاريخ العربي على عاصمة هذه الدولة التي لم تشر الكتب العربية إليها من قريب أو بعيد. كما لم تشر إلى معبودها الرسمي بشكل قاطع، وقد حدد العلماء الذين درسوا هذه الكتابات تاريخ هذه الكتابات بأنها تعود إلى الفترة ما بين القرنين الأول والخامس بعد الميلاد، وفي الوقت نفسه لا يمكننا أن نغفل نقش الملك "معاوية بن ربيعة" الذي وجد في مقبرته، إذ أن نقش هذا الملك يمكن مقارنته بمضمون نقش النمارة، ولذا يمكننا أن نحدد تاريخه بحوالي القرن الثالث الميلادي. وإلى جانب هذا كله فإننا يجب أن نأخذ في الاعتبار أسماء الأعلام التي ظهرت محزوزة على الفخار كإسم "شمريهرعش" ذلك الملك الحميري الذي يعود إلى الفترة التاريخية نفسها.

٣- إن الرسوم الفنية التي وجدناها في القصر تمثل قمة التطور الفني لهذه المدينة إذا ما قورنت بمثيلاتها في البلدان المتاخمة كـ "الحضر" مثلاً، بل يمكن أن نقول أنها تفوقها من حيث دقتها وتناسقها وقدرة الفنان الذي رسمها على التعبير عن تصوره الواضح ورؤيته الفاحصة إذا ما

أخذنا في الاعتبار ظروف البيئتين. ولعل التشابه بينها وبين ما وجد في "أفسوس" وغيرها من المناطق يجعلنا نميل إلى جعلها معاصرة لتاريخ مثيلاتها في تلك المناطق (شكل ٣٢٨).

٤- إن التماثيل الحجرية والمعدنية تمثل مزيجاً حضارياً يمتد منذ القرن الثاني قبل الميلاد في "اليمن" خاصة، بالنسبة للمنحوتات المرمرية، ثم يبرز التأثير الشمالي بما يحمله من أساطير وأفكار دينية كانت سائدة في العصور الهللينستية والرومانية والفرثية، ويبدو في التماثيل المعدنية وأجزائها حتى القرن الخامس للميلاد (شكل ٣٣٠ – ٣٣٦).

٥- إن المسكوكات التي وجدت سواء ما كان منها متأثراً بمسكوكات هللينستية أو رومانية أو فرثية أو ما كان منها قد ضرب محلياً مما وجدناه في الجزء الذي كشفنا عنه أو التقطناه يحملنا على الاعتقاد بأن المسكوكات التي وجدت في "قرية" تعود بتاريخها إلى ما بين القرن الأول وحتى مطلع القرن الرابع الميلادي (شكل ٣٢٩).

٦- أما بالنسبة للفخار فإنه علامة بارزة في تاريخ "قرية"، ويمكن مقارنته بفخار القرنين الثاني والأول قبل الميلاد في "هجر بن حميد" والفخار اليوناني والروماني والنبطي الفرثي وخاصة المزجج منه رغم يقيننا بأن معظم فخار قرية قد صنع محلياً (شكل ٣٣٧).

من كل هذه النقاط نعتقد أن مجتمع دولة كندة كان مجتمعاً متحضراً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فرغم بعده الجغرافي عن منابع الحضارات وروافدها إلا أن التجارة والثقل السياسي الذي تمثله دولة "كندة" استطاعتا أن تجذبا إلى "قرية" أجمل ميزات تلك الحضارات، وأن تتفاعل معها وتنتج حضارة خاصة بها متميزة بشكل واضح عمّا جاورها. وإذا ما أخذنا في

الاعتبار ما أدت إليه النتائج المخبرية لبعض العينات بواسطة "كربون ١٤" فإننا يمكن أن نحدد زمن قرية فيما بين القرن الثاني قبل الميلاد والخامس بعد الميلاد".

مدينة الحجر (مدائن صالح)

يعنى اسم الحجر ما حجرت عليه أي منعته من أن يوصل إليه وتقوله العرب عند الأمر الذي تنكره، وقد أطلق عليها هذا الاسم منذ أقدم العصور، والحجر هو اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام[١]، وهي تسمى الآن مدائن صالح وهو الاسم الذي أطلقه عليها أحد الرحالة الأندلسيين عام ١٣٣٦م نسبة إلى قصة صالح عليه السلام مع قومه الذين رفضوا دعوته وعقرهم الناقة التي أرسلها لهم الله آية[٢].

وتقع مدائن صالح في شمال غرب المملكة العربية السعودية، وهي تقع علي طريق التجارة القديم الذي يربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام[٣].

(١) عبد الرحمن الطيب الأنصارى، أحمد حسن غزال، جيفرى كنج، مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٤، ص ٨١.

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٨-٩.

(٣) عبد الله آدم نصيف، الرياض، العلا، دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي، الرياض، ١٩٩٥، ص ٥.

وقد سكن مدائن صالح في العهد القديم قوم ثمود[١] ثم سكنها بعد ذلك الأنباط واتخذوا من هذا المكان عاصمة جنوبية لدولتهم[٢]، وقد شجعهم على الاستقرار السكاني في الحجر موقعها على طريق التجارة، وفرة المياه، خصوبة الأرض، الحماية الطبيعية التي شكلتها لهم الطبيعة والمتمثلة في الكتل الصخرية المنتشرة في المكان والتي كانت تلجأ إليها المجتمعات القديمة هرباً من غارات القبائل على بعضها البعض.

أهم آثار الحجر (مدائن صالح)

تتمثل الآثار القديمة في الحجر في المقابر وأماكن العبادة والنقوش الصخرية التي تركها الأقوام المتعاقبة سواء الثموديون- اللحيانيون - الأنباط[٣].

وجدير بالذكر أن الحضارة النبطية قد سيطرت على هذا المكان فأصبحت مقابر هذه المنطقة تعرف باسم المقابر النبطية، والدليل على ذلك كتاباتهم المنقوشة على بعض واجهات المقابر باسم صاحب المقبرة وتاريخ الحاكم واسمه، وتتشابه الواجهات سواء النبطية أو السابقة على النبطية من

(١) ثمود قبيلة عربية بائدة ذكرتها نصوص آشورية في عهد سرجون الثامن في القرن الثامن (ق.م) آثارها في الحجر قرب مدائن صالح وأخضعها الأنباط لحكمهم، راجع: لطفي عبد الوهاب يحيى، العرب في العصور القديمة. مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، الإسكندرية ١٩٩٩، ص ص ١٤٧-١٤٨.

(٢) Strabo, Geographika, XVI, 4, 22-24.

(٣) نصيف، المرجع السابق، ص ٧.

حيث طريقة النحت وتكرار بعض العناصر الزخرفية في المقابر. أما مقـــابر الطبقة الفقيرة فهي عبارة عن حجرة دفن فقط بمدخل دون واجهة[١].

ويبلغ عدد المدافن في مدائن صالح مائة وواحد وثلاثون مدفناً، اثنـــان وثلاثون منها تحمل تواريخاً في الفترة من ١ق.م– ٧٢م، ومن أهم هذه المقابر مقابر قصر البنت، مقابر منطقة الخريمات، منطقة الديوان، قصـــر العجـــوز، قصر الفريد، قصر الصليمية. ولقد كان من الصعب تأريخ مدافن مدائن صالح على أساس الأساليب الزخرفية المستخدمة لأنها لا تتبع أي ترتيب زمنـــي أو تاريخي ولكن يمكن القول أن تطور الأنماط الرئيسية قد اكتمل في القرن الأول ق.م وأن هذه الأنماط تعكس المستوى الاجتماعي والمـــادي لأصحـــاب هـــذه المقابر[٢].

وعلى ذلك نستطيع تحديد الملامح الفنية في مقابر مدائن صالح:

اهتم أصحاب الحضارة النبطية وما قبل النبطية في مدائن صالح بشكل المقبرة من الخارج أكثر من اهتمامهم بها من الداخل، فلم تكن المقـــبرة مـــن الداخل أكثر من غرفة حفر في أرضيتها وجوانبـــها مدافـــن لدفـــن الموتـــى، فالمدافن الأرضية لا تتعدى مجرد مدفن محفور في أرضيـــــة المقـــبرة، أمـــا المدافن الجانبية فهي تختلف في تصميمها من مقبرة إلى أخرى وهي عبـــــارة عن ثلاثة أنواع[٣]:

النوع الأول: مدفن جدارى بمستوى واحد للدفن أبعاده ٩٠ / ١٠٠×٢٥٠ سم.

النوع الثاني: مدفن جدارى بمستويين للدفن.

---

(١) الأنصارى، المرجع السابق، ص ٢١.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٢.

(٣) Stierlin, *op.cit.*, p. 53.

النوع الثالث: تجويف جدارى صغير لدفن الأطفال أو لوضع مواد جنائزيـــة تخدم المتوفى وطوله حوالي ١٥٠ سم وعرضه ٤٠ سم وارتفاعه ٥٠ سم.

وكانت هذه المدافن تغطى بغطاء حجرى مكون مـــن مجوعـــة مـــن البلاطات الحجرية ترص بجوار بعضها وتثبت بالجص.

أما المقبرة من الخارج فقد اهتم بها سكان مدائن صالح اهتماما بالغـــا لأنها الدليل الظاهر والباقي على ثراء صاحبها وعظمته وقوته ومكانته بيـــن قومه فأظهر النحات القديم فيها فنا ودقة ومهارة فائقة لإخراجها بهذا الشـــكل وحرص في النهاية أن يذكر اسمه في نهاية لوحة المقبرة التي تعلو المدخـــل، وجميع هذه الواجهات في المقابر محفورة في الصخر وليست مبنية، لذا فـــإن واجهات المقابر تعطينا فكرة عن التأثيرات الفنية التي أتى بها ســـكان مدائـــن صالح من البلاد التي كانوا على علاقة تجارية بها.

ومن أهم هذه التأثيرات الفنية في مقابر مدائن صالح:[١] (شكل ٣٣٨-٣٤٢)

١- **الشرافات:** وهي التي تتوج قمة المقبرة وتسمى بزخرفـــة خطـــوة الغراب وهي نوعان: إما أن تنقش بسكل كامل متكرر، أو بشكل خطـــوة الغراب مقسمة إلى نصفين، وهي من التأثيرات الآشورية الوافدة من بـــلاد الرافدين.

٢- **الكورنيش المصري:** وهو العنصر الذي تركز عليه الشرفة وهـــو تأثير مصري قديم.

٣- **الكورنيش الكلاسيكي:** وهو الكورنيش المتدرج في بروزه من أســـفل إلى أعلى وهو عنصر ميز مقابر الأنباط في مدائن صالح عن غيرها مـــن المقابر وهو من التأثيرات اليونانية ولكن في قالب نبطي.

---

(١) الأنصاري، المرجع السابق، ص ص ٢١-٢٢.

٤- **التاج (الأباكوس):** وهو الذي يتوج العمودين البارزين على جـــانبي الواجهة ويتمثل في ظهور جانب واحد من القاعدة التي تعلو العمود، وهو تأثير قادم من الحضارة المصرية القديمة.

٥- **التاج الكلاسيكي (النبطي):** وهو الذي يتوج العمودين البارزين علـــى جانبي الواجهة والمدخل ويتمثل في شكل تجويف للداخل يتوسطه بـــروز حجري، وشكلت جوانب التجويف لتعطي شكل تجريدي لطـــائر النســر معبود الأنباط، ومن هنا جاء تسميته بالتاج النبطي، وهو من التـــأثيرات اليونانية في عمارة المقابر.

٦- **الواجهة المثلثة Pediment:** وهي تعلو مدخل المقبرة، وهي مزينـــة بالنحت البارز وينحت على زوايا المثلث قواعد لوضع الآنية وهي رمـــز المعبودة اللات، والنسر رمز معبود ذو الشرى، وفي بعض الواجهات كان ينحت وجه قبيح ذو لحية محاطاً بثعابين وهو كناية عن حمايته للمقـــبرة، وهو تأثير يوناني من الشكل المعروف عند اليونانيين باسم الميدوســا. ولا شك أن هذه الواجهة المثلثة تأثير يوناني.

٧- **الإفريز الدورى:** وهو إفريز مستطيل يوضع أسفل الواجهات المثلثـــة وينقش داخله وحدات متجاورة تسمى الترجليف وبين كل وحدتين توجـــد بلاطة ملساء تسمى الميتوب كانت تزخرف في بعض الأحيـــان، وهـــذا الإفريز إفريز يوناني الأصل.

٨- وهكذا نجد أن الفنان النبطي قد استقى العديد من التأثيرات الأجنبيـــة التي عاصرها واحتك بها وأخذ منها ما يتناسب وطبيعة الحضـــارة فـــي الجزيرة العربية[١].

---

(١) Stierlin. *op* cit. p. 178.

وإذا كان الفنان العربي النبطي في إبرازه لعمارة واجهات المقابر في مدائن صالح قد طبق بعض الاتجاهات الفنية التي سادت في منطقة حوض البحر المتوسط، سواء من الحضارة المصرية القديمة أو الحضارة الهللينستية فذلك يرجع إلى تذوقه لفنون العصر الذي كان يعيش فيه والذي استمر حتى أواخر القرن الثالث الميلادي[١] مع حفاظه على التقاليد والعناصر المحلية التى ميزت هذه المناطق فنياً.

(١) الأنصاري- المرجع السابق، ص ٤٤.



قائمة المصادر والمراجع

- المصادر العربية
- المراجع العربية
- المصادر القديمة
- المراجع الأجنبية

المصادر العربية

- القرآن الكريم.
- التوارة (العهد القديم).
- الإنجيل (العهد الجديد).

المراجع العربية

- إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجـــزء الأول، مكتبـــة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٦.
- أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديـــــم، دار النهضـــة العربية، بيروت، ١٩٨٩.
- أحمد عتمان، تاريخ قبرص، جزيرة الجمال والألم منذ القدم وإلى اليـــوم، القاهرة، ١٩٩٧.
- أحمد عطيه الله ، القاموس السياسي، القاهرة،١٩٨٠.
- أحمد فخرى، بين آثار العالم العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القـــاهرة، ١٩٥٨.
- بشير زهدي، مدينة بصرى، الحوليات الآثرية السورية، مجلد ٦، ١٩٥٦.
- جان بوتيرو، الديانة عند البابليين، ترجمة: وليد الجادر، جامعـــة بغـــداد، ١٩٧٩

-جان ــ ماري دنتز، ميشيل غافليكوفسكي، المعبد السوري، ترجمة: موسى ديب الخوري، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٦.
-جلانفيل داوني، انطاكية القديمة، ترجمة: إبراهيم نصحي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٧.
-جلانفيل دواني، انطاكية في عهد ثيودوسيوس، ترجمة: البرت بطرس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٨.
-جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٦.
-ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
-حسين الشيخ، العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، ١٩٩٣.
-خليل المقداد، مسرح بصرى الأثري- سوريا، دار عكرمة، دمشق، ٢٠٠١.
-سبتينيو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥٧.
-صموئيل نوح كريمر، السومريون، تاريخهم ــ حضارتهم ــ خصائصهم، ترجمة: فيصل الوائلي، جامعة الكويت.
-طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، ١٩٧٣.
-عبد الرحمن الطيب الأنصاري، "قرية" الفاو. صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٨٢.

- عبد الرحمن الطيب الأنصاري، أحمد حسن غزال، جيفري كنج، مواقـــع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، جامعـــة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٤.
- عبد الله آدم نصيف، الرياض، العلا، دراسة فـــي التـــراث الحضـــاري والاجتماعي، الرياض، ١٩٩٥.
- عزت قادوس، آثار الإسكندرية القديمة، الإسكندرية ٢٠٠١.
- على أبو عساف، الآثار في جبل حوران. محافظة السويداء، ألـــف-بـــاء الأديب، دمشق، ١٩٩٧.
- غستاف لوبون، الحضارات الأولى، تعريب: محمد صادق رســـتم، فـــؤاد سفر، محمد على مصطفى، الحضر. مدينة الشمس، بغداد، ١٩٧٤.
- ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين، ترجمة: محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.
- لطفي عبد الوهاب "الإسكندرية في العصر البطلمي" تاريخ الإســـكندرية منذ أقدم العصور، محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣.
- لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري فـــي تاريخ العرب قبل الإسلام، الإسكندرية، ١٩٩٩.
- لويس ممفورد، المدينة على مر العصور، أصلها وتطورهـــا ومســـتقبلها، ترجمة: إبراهيم نصحي، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القـــاهرة، ١٩٦٤.
- محمد صبري محسوب، فوزية محمود صادق وآخرون: جغرافية الوطـــن العربي، القاهرة، ٩٥-١٩٩٦.

-محمد عواد حسين، "تخطيط المدينة" : تـــاريخ الإســكندرية منــذ أقــدم العصور، محافظة الإسكندرية، ١٩٦٣.

-محمود الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، مطبعة جامعة الملك ســعود، الرياض، ١٩٨٧.

-مفيد رائف العابد، سورية في عصر الســـلوقيين. مـــن الإســـكندر إلـــى بومبيوس ٣٣٣ -٦٤ ق.م. دراسة سياسية حضارية، دار شمأل للنشــــر، دمشق ١٩٩٣.

-نظمية رضا توفيق، الأردن، بلويجراف، إيطاليا، ١٩٨٨.

-نقولا زيادة، "المدينة الكلاسيكية فى الغرب والشرق"، مجلة الفكر العربـــي (بيروت)، العدد ٢٩، ١٩٨٢.

-هزار عمران ـــ جورج دبورة، المبانى الآثرية، منشورات وزارة الثقافـة، دمشق، ١٩٩٧.

- هشام الصفدى، الوجيز في تاريخ حضـــارات آســـية الغربيـــة، دمشـــق، ١٩٨١-١٩٨٢.

-هورست كلينكل، آثار سورية القديمة. آثار ما قبل الإسلام في الجمهوريـــة العربية السورية، ترجمة: قاسم طوير، منشورات وزارة الثقافة، دمشـــق، ١٩٨٥.

المصادر القديمة

****

- Ammianus Marcellinus, Historia.
- Arrianos, Anabasis Alexandrou.
- Diodoros Sicilus, Bibliotheke.
- Josephus, Bellum Judicarum.
- Pausanias, Περιησις Της Ελλαδος.
- Philo, In Falccum.
- Plinius, Historia Naturalis.
- Strabo, Geographika.
- Vitruvius, De Architectura.

المـراجع الأجنبيـة

- Abdulhak, S., Le Theatre de Bosra et la Citadelle. AAS. 1964, Vol. XIV, pp. 5 - 22.
- Alexander, J. , The Oracle of Baal, Dumbarton Oaks, 1967.
- Arthur, H.J., Roman Theater, Temples. Princeton, Princeton University, Press. 1959.
- Balty, J.C., Guide d'Apamee, Brsüssel, 1981.
- Balty J. & Le Cadre CH., Topographique et Historique d'Apamee. Colloque Apamee de Syrie, Bruxelles, 1972.
- ______, Les Grandes Etapes de L'Urbanisme d'Apamee sur L'Orient, Ktema 2., Strasburg, 1977.
- Balty J.et J. Ch., Apamee de Syrie. Archeologique et Histoire. Aufstieg und Niedergang des Römischen Welt 11 Berlin, 1977.
- Balty, J.C. & Dewez, J. M., Die Ausgrabungen von Apameia am Orontos. Informationsdienst des Belgischen Aussenministeriums, Bericht No. 49,Brüssel, 1970.
- Barghouti, A., City Planning in Syria – Palestine in Hellenistic and Roman Times, Diss., Chigago, 1974.
- Bernard, A., Alexandrie la grande, Arthaud, Paris 1966.
- Bieber, M., The History of the Greek and Roma Theater, Princeton 1961.
- __________, The Sculpture of the Hellenistic age, New York, 1955.

- Bietenhard, H., Die Dekapolis von Pompeius bis Trajan, Frankfurt, 1963.
- Biscop & Sodini, Qal'at Semán et les chevets à colonnes de Syrie du Nord, in: Syria 1984.
- Blersch, H.G., Die Säule im Weltgeviert, 1978.
- Breve,H., Gruben G., Greek Temples, Theaters and Shrines, London,1977.
- Brommer, F., Herakles. Die zwölf Taten des Helden in Antiker Kunst und Literatur, Darmstadt, 1979.
- Browning, I., Jerash and the Decapolis, Chatto & Windus, London, 1982.
- Browning, I. Petra, Chatto & Windus, London, 1982.
- Christ, K., Das Römische Weltreich. Aufstieg und Zerfall einer aniken Grossmacht, Freiburg, 1973.
- Colledge, M.A.R., The Art Of Palmyra, London, 1976.
- Conpel, P., Frezouls ED., Le Theatre de Philippopolis en Arabe, Paris, 1956.
- Dajani, R., The Amman Theatre, Fragment ADAJ X1IV 1968. pp.66-67.
- Dalman, G., Petra und seine Felsheiligtümer, Leipzig, 1908.
- Dawney, G., TheWater Supply of Antioch on the Orontos in the Antiquity, in: AAAS, II, 1952.
- __________, A history of Antioch in Syria from Seleucus to the Arab Conquest, Princeton, 1961.
- Debevoise, N.C., A political History of Parthia, Chicago, 1938.

- ______________, The Origin of decorative Stucco, in: A J A, 45, 1941, pp,45f.
- De Coulages, F., La Cite Antique IV.
- Dentzre, J.M., Sondages Pres de l'Arc Nabateen de Bosra, in: Berytus 32,1984. pp.163sq.
- ________, Die Zeit der Köngreiche Edom, Moab und Ammon 12. – 6. Jahrhundert v. Chr., in: Der Kőnigsweg, Kőln 1987, pp. 117-119.
- Dohrn, T., Die Tyche von Antiochia, Berlin 1960.
- Dollfus, G., Das Chalkathikum, in: Der Königsweg, Köln, 1987.
- Domazewski, A.v.-Brűnnow, R.E., Provincia Arabia I, Strasburg, 1904.
- Douglas, R., Periode Style for the Theater, London 1980.
- Dussaud, R., Topographique Historique de la Syrie Antique et Medievale, Paris 1927.
- Eissfeldt, O., Temple und Kulte syrischer Städte in Hellenistisch Römischer Zeit, in: Der Alte Orient 40, 1941.
- El Fakharani, F., Das Theater von Amman in Jordaniens, in: Archäologischer Anzeiger (AA) 1975, Heft 3, pp. 378 ff.
- Fedden R. & Thomson, J., Kreuzfahrerburgen im Heiligen Land, Köln, 1959.
- Finsen, H., Le Leve du Theatre Romain a Bosra. Syrie,. Analecta Romanalnst. Danisi ,Suppl. Copenhagne 1972.
- Frezouls, E., les Annales Archeologiques de Syrie, II, 1952.

- __________, Observation sur l' urbanisme dans l' orient Syrien, Annales Archeologique Arabes Syriennes, Vol. XXI, Tome 1-2, 1971.
- Gawlikowsky, M., Monuments Funeraires de Palmyree, Warsaw, 1976.
- ______________ , Amer- DAM2, CH. 1995- 1997.
- Grant, M., Von Alexander bis Kleopatra. Die hellenistische Welt, Gladbach, 1984.
- Grossmann, H., Hadad und Baal, in: Zeitschrift für die Alttestamentliche Wissenschaft, Berlin. Beiheft 33, 1918, pp. 191 ff.
- Hadidi, A. Nabatäische Architektur in Petra, in: Die Nabatäer, Köln, 1981.
- Hammond, PH., C., The Nabataeans. Their History, Culture and Archeology, London, 1973.
- Harding, G.L., Baalbek, Beirut, 1963.
- Harding, G.L., The Antiquities of Jordan, Lutterworth, 1974.
- Heichelheim, F.H., Geschichte Syriens und Palästinas von der Eroberung durch KyrosΠ. Bis zur Besitznahme durch den Islam, in: Handbuch der Orientalistik Π 4.
- Heuss, A., Rõmische Geschichte, Westermann, Braunschweig, 1976.
- Homs- Fredericq, D., Hatra et ses sculptures parthes, Istanbul, 1963.
- Hours, F., Die Vorgeschichte in Überblick, in: Der Königsweg. 9000 Jahre Kunst und Kultur in: Jordanien und Palästina, Köln, 1987.

- Hrouda, B., Vorderasien I. Mesopotamien, Babylonien, Iran und Anatolien, Beck Verlag, München, 1971.
- Invernizzi, A., Les Chapiteaux de Temple de Bel de Palmyre et Les Chapiteaux a Elements. Rapports dans l'Asie Hellenstique, AAAS Vol. XLII. 1996. Pp. 355-361.
- Irmscher, J., Lexikon der Antike, Wilhelm Heyne Verlag, München, 1987.
- Jones, A.H.J., The Cities of the eastern Roman Provinces, Oxford, 1971.
- Kapelrud, S., Baal in the Ras Shamra Texts, 1952.
- Karnapp, W., Die Stadtmauer von Rusafa in Syrien, 1976.
- Khadlja, M.M., 16 Jahre Feldarchäologie in Petra, in: Petra und das Königreich, Nűrnberg, 1970.
- Khairy, N., Die unbemalte nabatäische Gebrauchskeramik, in: Die Nabatäer, kőln, 1981.
- Khouri, R., Petra. A Guide to the Capital of the Nabataeans, 1986.
- Klengel, H., Kulturgeschichte des alten Vorderasiens, 1989.
- ____________, Syria. 3000 to 300 B.C., London, 1992.
- Kraeling, C.H., Gerasa. City of the Decapolis, New Haven, 1938.
- Lassus, J., les Fouiles d'Antioche, Gazette des Beaux Arts, 1933.
- Laveden, T., Histoire de l'architecture arabaine, in: AAAS, 6, 1956.
- Lenzen, H., Architecture der Partherzeit in
- Mesopotamien, in: Festschrift Weickert, Berlin, 1955.

- Lepper, F.A., Trajan's parthian Wars, Oxford, 1984.
- Levi, D., Antioch Mosaic Pavements, Vol. I, Princeton, 1947.
- Lindner, M., Die Geschichte der Nabatäer, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Nűrnberg, 1970.
- Lloyd, S., Die Archäologie Mesopotmiens. Von der Altsteinzeit bis zur persischen Eroberung, Verlag C.H.Beck, München, 1981.
- Mackensen, M., Eine befestigte spätantike Anlage von den Stadtmauern von Resafa, 1984.
- Makowski., Chr., Le Nymphe de Bosra , Faite et Opinion Ktema 5, 1980. pp. 113-124.
- Maricq, A., Hatra, Trajan, Vologasis, in: Syria XXXII, 1955, pp.239-241.
- Michalowski, K., Palmyra, Seeman Buch- und Kunstverlag, Leipzig, 1968.
- Miller, S.D., Bostra in Arabia Nabatean and Roman City of Near- East, The Aspects of Graeco Roman Urbanisum, BAR International Series. 188, 1963, pp.110-137.
- Moortagat, A., Die Kunst des alten Mesopotamien. Die Klassische Kunst Vorderasiens, Verlag Du Mont, Köln, 1967.
- Mukdad, Kh., "Al Massareh" les Theatres en Sud de la Syrie AAAS V. XLI, 1977, pp.129-137.
- ___________, L'urbanisme de Bosra .a l'Epoque Romaine, These de Doctoral de 3 Cycle. Universite de Paris, 1. 1984.
- __________, L'Aprovisionnement Hydrique dela Ville de Bosra, XXXV Corso Di Cultura Sull Arte Ravennate e

- __________, "Dera" Madinah al decopolis en arabe , Damas, 1992. Dera Ville de decopolis.
- __________, "Hauran abr al Tarikh" en arabe dans 1996, Haurana Travers L,Histoire.
- Neger, A., The Nabatean and The Provincia Arabia ANRW 11/8 Berlin. New-york 1978.P. 550-686.
- Oates, J., Babylon, Thames & Hudson, London, 1979.
- Odenthal, J., Syrien. Hochkulturen zwischen Mittelmeer und Arabischer Wüste. 5000 Jahre Geschichte inspannungsfeld von Orient and Okzident, Du Mont Buchverlag, Köln, 1987.
- Ouechek, E., Bosra Guide Historique et Archeologique Damas 1954.
- Perkins, A., The Art of Dura-Europos, London, 1973.
- Peters, F. E., City Planning in Graeco-Roman Syria. Some new Considerations. Damaszener Mitteilungen Band I. 1983 pp.269-277.
- __________, The Nabatean in the Hauran. JAOS 1977, pp. 263-277.
- __________, Trois Etudes sur L'Arabie Romaine et Byzantine, Bruxelles 1982.
- Puchstein, O., Fűhrer der syrischen Ruinen, Berlin, 1905.
- Ragette, F., Baalbek, Noyes Press, New Jersey, 1980.
- Roschinski, H. P., Geschichte der Nabatäer, in: Die Nabatäer, Kőln, 1981.
- ______________, Sprachen, Schriften und Inschriften in Nordwestarabien, in: Die Nabatäer, Kőln, 1981.
- Rostovtzeff, M., Dura-Europos and its Art, 1938.

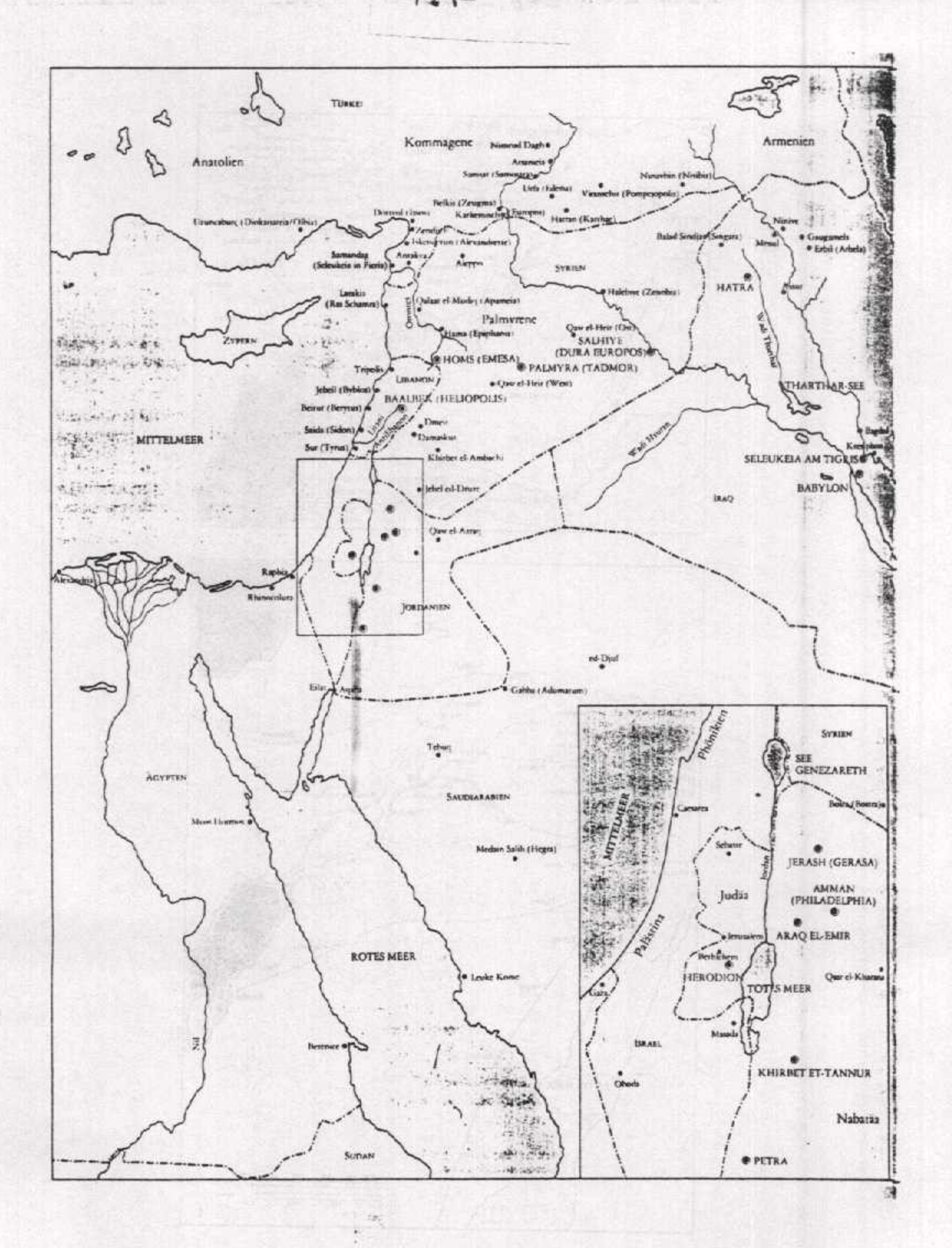
- Sarre, F., Parthian Art, London, 1938.
- Sartre, M., Bosra , Capitate de L'Arable Romaine , Archeologia 94,1976. pp.1-10.
- Sauvaget, J., "ALES" 1941, Paris, "Le plan antique de Damas", Syria, XXX1, 1949.
- __________, De plan de Laodicé sur mer, in: BEO 4 (1935).
- __________, Le Plan Antique de Damas, Syria T.XXVI. 1949. pp. 314-358.
- Scheck, F. R., Jordanien. Völker und Kulturen zwischen Jordan und Rotem Meer, Du Mont Verlag, Köln, 1987.
- Schlumberger, D., Der Hellenisierte Orient, Kunst der Welt, Köln, 1969.
- ______________, La Palmyréne du nord-ouest, Paris, 1951.
- ______________, Nachkommen der griechischen Kunst ausserhalb des Mittelmeerraumes, 1960, in: F. Altheim und J. Rehork, Der Hellenismus in Mittelasien, Köln, 1969.
- Schlumberger, D., L'Orient Hellenisee, Paris 1970.
- Schmidt-Colinet, A., Nabatäische Felsarchitectur, in: Die Nabatäer, Köln, 1981.
- Schmitt- Korte, K., Die bemalte nabatäische Keramik: Verbreitung, Typologie und Chronologie, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Köln, 1970.
- Seeden, H., "Busra 1983-1984. Second Archeological Report ".Damaszener Mitteilwgen, 3., 1988. Pp. 387-411.
- Seyrig, H. Tempels, cultes, souvenirs historiques de la Decapolis, Syria, 1959.

- Seyrig, H.- Amy R. ,& will, E., Le temple de Bel a Palmyre, Syria, 1975.
- Simon, E., Les Theatres Romains de Syrie AAS, 2, 1952. pp. 46-100.
- ________, "Recherches sur le Theatres de l'Orient Syrien, Syria, 36, 1959: pp.202-228. et Syria 38., 1961, pp.54-86.
- Simon .E. The Ancient Theater, London, 1982.
- Simon, E., Die Götter der Griechen, Darmstadt, 1985.
- Sourdel, D. Les cultes du Hauran a l'epoque Romain, Paris, 1952.
- Spijkerman, A., The Coins of the Decapolis and Province Arabia, Jerusalem, 1978.
- Stancky, R., Palmyre, Guide archeologique, without Date.
- Strube, C., Die Formgebung der Apsisdekoration in Qalbbze und Qalaat Saman, in" Jahrbuch für Antike und Christentum 1977.
- ______, Rusafa- Sergiupolis – Wallfahrtsort und Residenz, in: Katalog zur Ausstellung Land des Baal, 1982.
- ______, Hellenistisch- rőmische Zeit. Von der Dekapolis zu Provinz Arabien, in: Der Kőnigsweg, Kőln, 1987.
- ______, Seats of Bods, Altars and Shrines in Semitic Sanctuaries of Hellenistic and Roman Times, in: Petra and Caravan Cities, Symposium 23. – 28. / 9/ 1985.
- Taeschner, F. Geschichte der arabischen Welt, Stuttgart, 1964.
- Tarn, W.W, Hellenistic Civilisation, E.Arnold &Co., London, 1941.

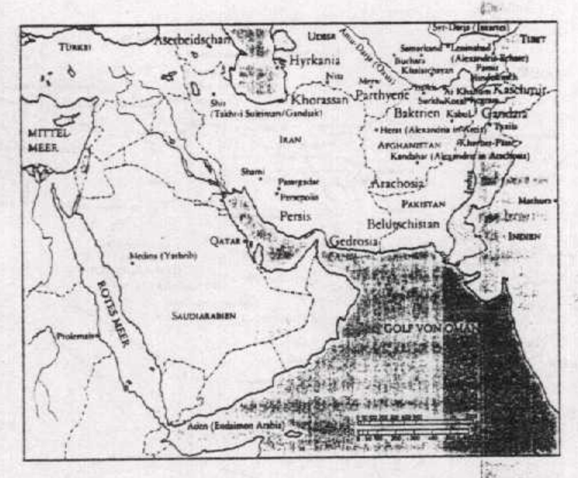
- Ulbert, T., Die Basilika des Heiligen Kreuzes, 1986.
- Walbank, F.K., Die hellenistische Welt, München, 1983.
- Walton, J., Greek Theater practice, London 1980.
- Wheeler, M., Roman African Colour, Thames & Hudson, London, 1966.
- ___________, Rome beyond the imperial Frontiers, London, 1954.
- Wiegand, Th., Baalbek, Leipzig 1973.
- ______ & Krencker, D., Palmyra, Band I, Leipzig, 1932.
- Will, E., Art parthe et art grec, Paris, 1959.
- Wolski, J. The Decay of the Iranian Empire of the Seleucids and the Chronology of parthian Beginnigs, in: Berytus XII, 1956 –7 pp. 35-36.
- Zayadine, F., Die Götter der Nabatäer, in: Petra und das Kőnigreich der Nabatäer, Kőln, 1970.
- ________, Photogrammetrische Arbeiten in Petra, in: Die Nabatäer, Köln, 1981.
- ________, Die Zeit der Königreich Edom, Moab und Ammon 12.-6. Jahrhundert V.Chr., in: Der Königsweg, Köln, 1987, pp. 117-119.

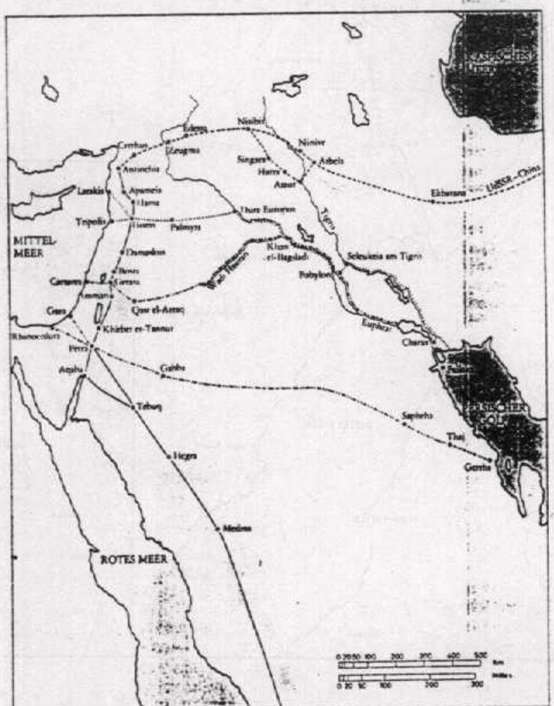
الأشكال




TÜRKEI
Kommagene
Anatolien
Armenien
Nimrud Dagh
Samsat (Samosata)
Urfa (Edessa)
Nisibin (Nisibis)
Belkis (Zeugma)
Karkemisch (Europos)
Harran (Karrhae)
Samandag (Seleukeia in Pieria)
Antakya
SYRIEN
Ninive
Mosul
Gaugamela
Erbil (Arbela)
HATRA
Lattakia (Ras Schamra)
Qalaat el-Mudiq (Apameia)
Palmyrene
Hama (Epiphaneia)
Qasr el-Heir (Ost)
SALHIYE
(DURA EUROPOS)
ZYPERN
HOMS (EMESA)
PALMYRA (TADMOR)
Tripolis
LIBANON
Qasr el-Heir (West)
Jebeil (Byblos)
BAALBEK (HELIOPOLIS)
Beirut (Berytus)
Saida (Sidon)
Damaskus
MITTELMEER
Sur (Tyrus)
Khirbet el-Ambachi
THARTHAR-SEE
Wadi Tharthar
Wadi Hauran
SELEUKEIA AM TIGRIS
BABYLON
IRAQ
Jebel ed-Druz
Qasr el-Azraq
Raphia
Rhinocolura
JORDANIEN
ed-Djuf
Gabba (Adumatum)
Eilat
Aqaba
Tebuq
ÄGYPTEN
SAUDIARABIEN
Medain Salih (Hegra)
ROTES MEER
Leuke Kome
Berenice
Nil
SUDAN
SYRIEN
SEE
GENEZARETH
Phönikien
MITTELMEER
Caesarea
Sebaste
Jordan
JERASH (GERASA)
Judäa
AMMAN
(PHILADELPHIA)
Palästina
Jerusalem
ARAQ EL-EMIR
Bethlehem
HERODION
TOTES MEER
Qasr el-Kharana
Gaza
Masada
ISRAEL
KHIRBET ET-TANNUR
Obeda
Nabataa
PETRA

شكل ١


Aserbeidschan
Hyrkania
Khorassan
Parthyene
Baktrien
Gandara
Kaschmir
TÜRKEI
MITTEL-
MEER
IRAN
AFGHANISTAN
Arachosia
PAKISTAN
Persis
Beludschistan
Gedrosia
QATAR
Medina (Yathrib)
ROTES MEER
SAUDIARABIEN
GOLF VON OMAN
INDIEN
TIBET
Ptolemais
Aden (Eudaimon Arabia)


Nisibis
Edessa
Ninive
Zeugma
Arbela
Singara
Assur
Ekbatana
UdSSR–China
Antiochia
Apameia
Tripolis
Palmyra
MITTEL-
MEER
Damaskus
Seleukeia am Tigris
Tigris
Babylon
Qasr el-Azraq
Amman
Gaza
Khirbet es-Tannur
Rhinocolura
Petra
Euphrat
Charax
Gabba
Aqaba
Tebuq
Sapiteho
Thaj
Gerrha
Hegra
Medina
ROTES MEER

شكل ٢

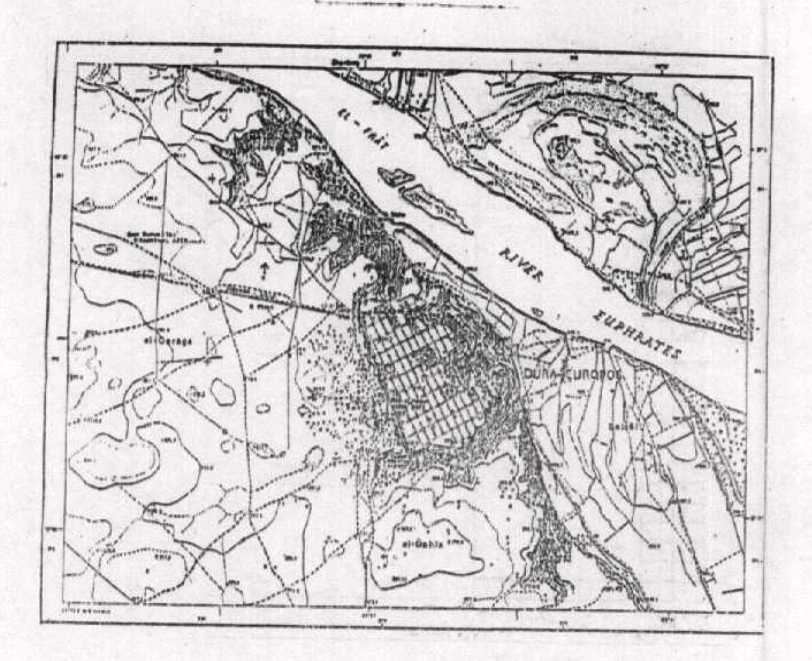
٣٧٠

شكل ٣

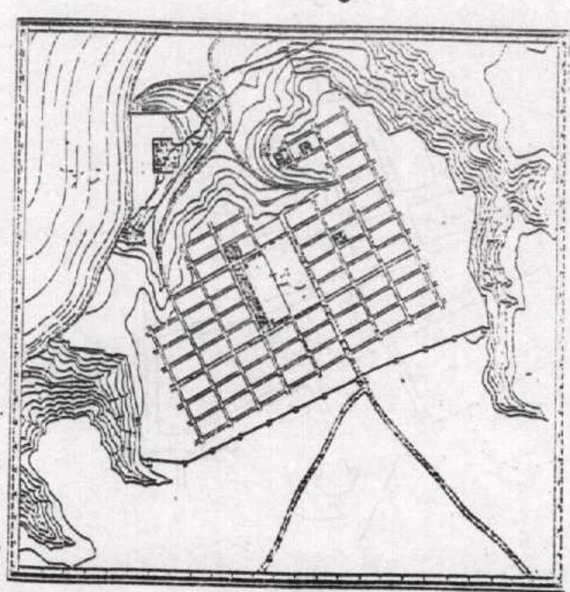
شكل ٤

شكل ٥

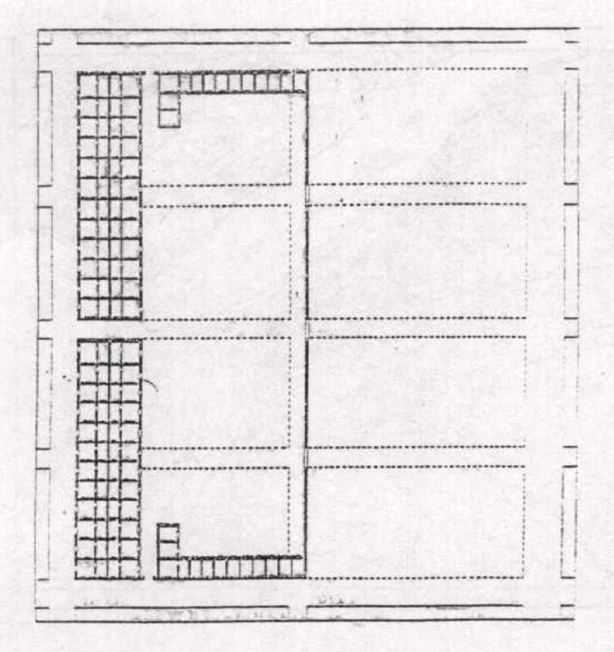
شكل ٦



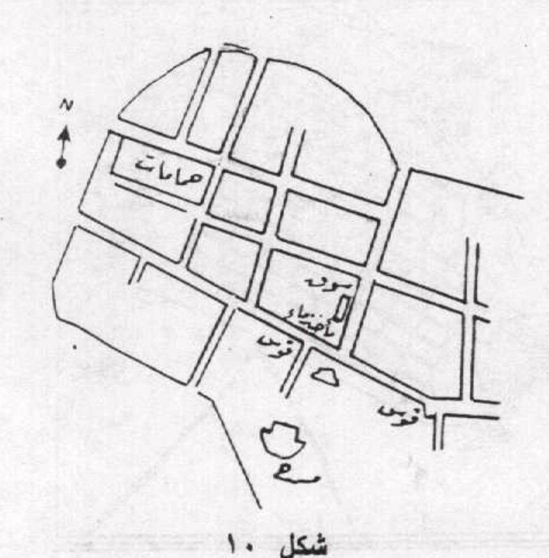
شكل ٧



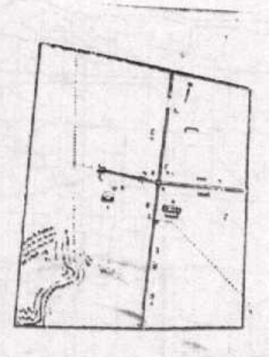
شكل ٨



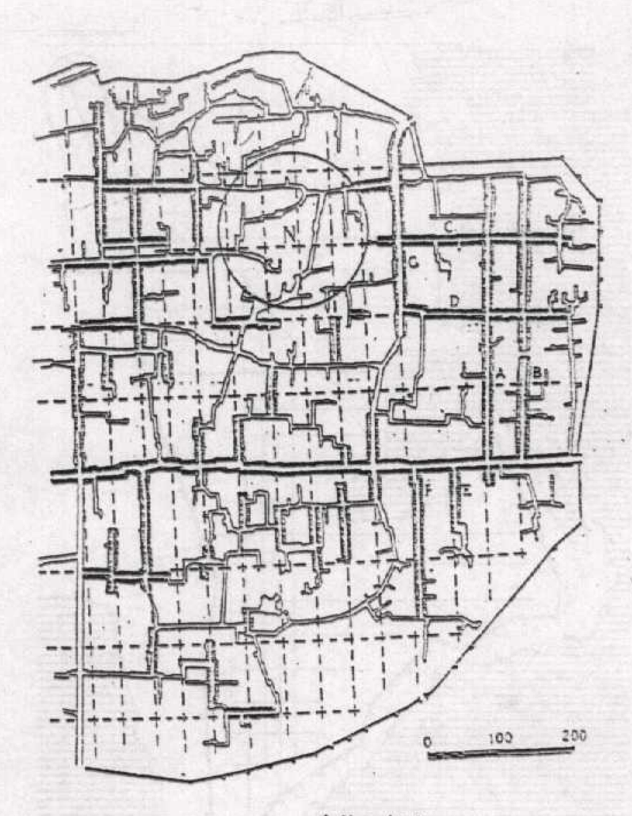
شكل ٩



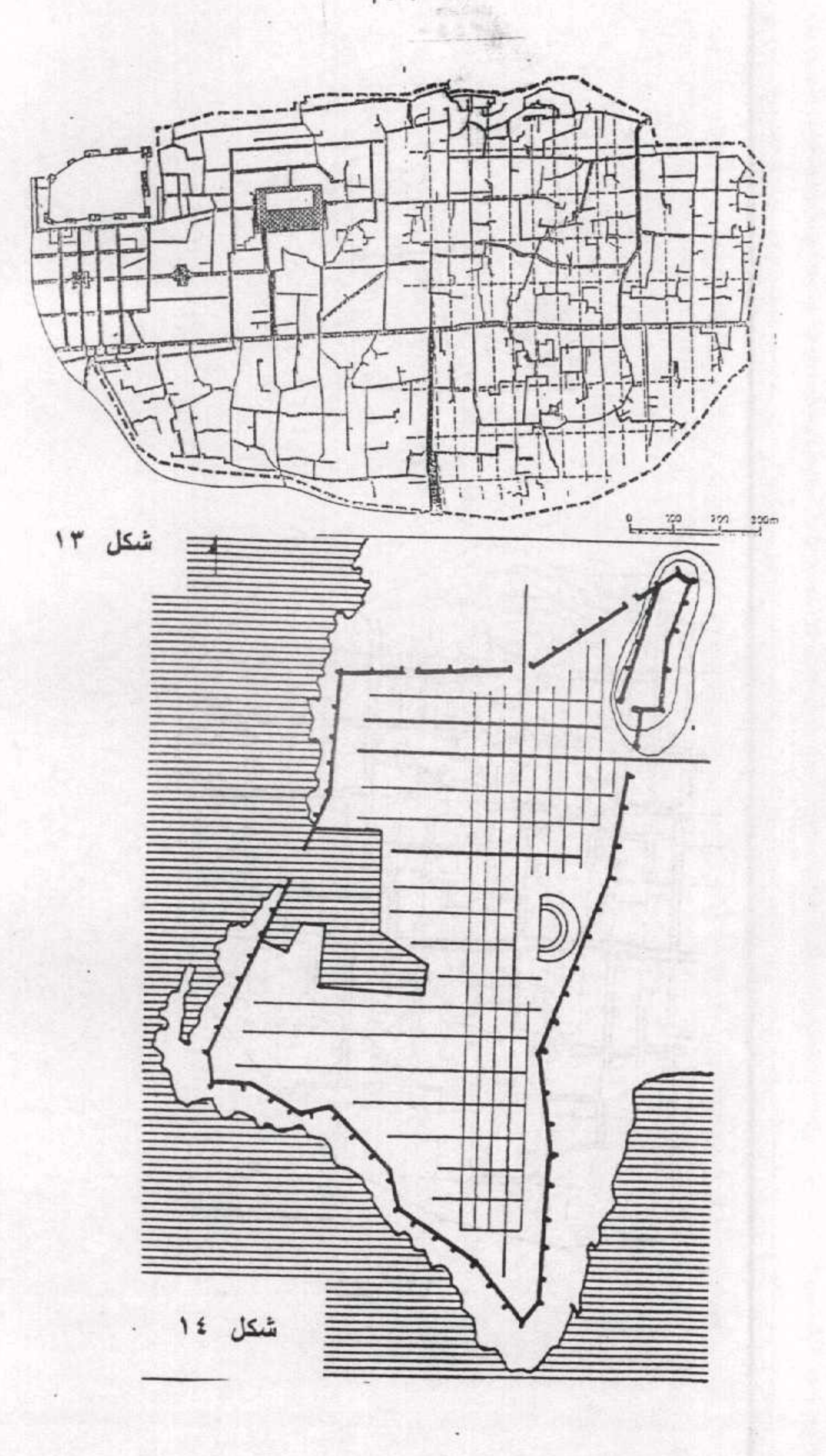
شكل ١٠



شكل ١١

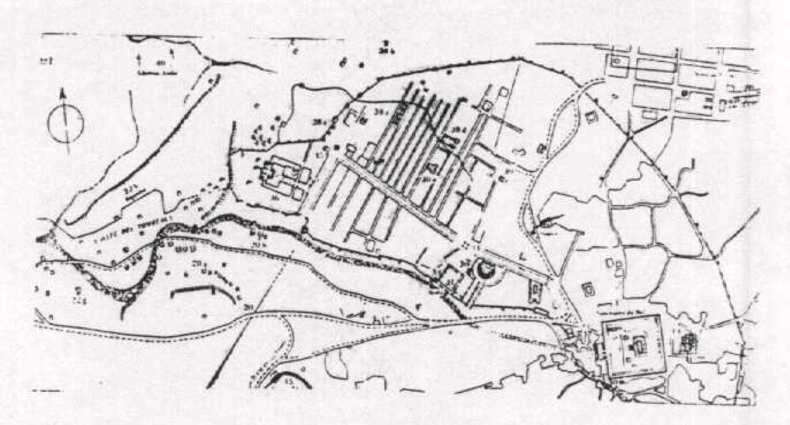


شكل ١٢

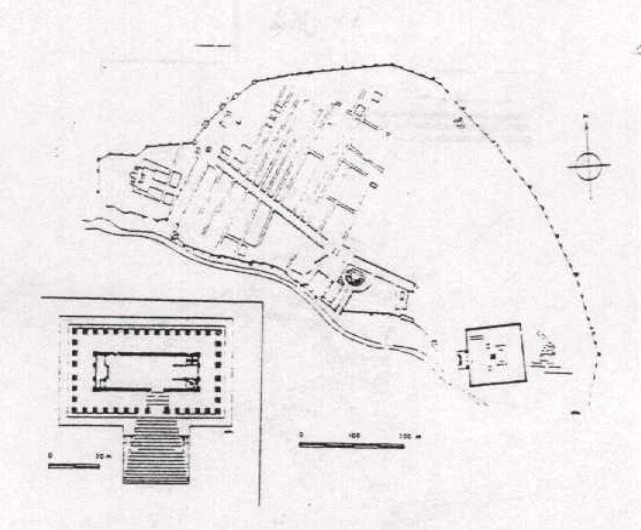


شكل ١٣

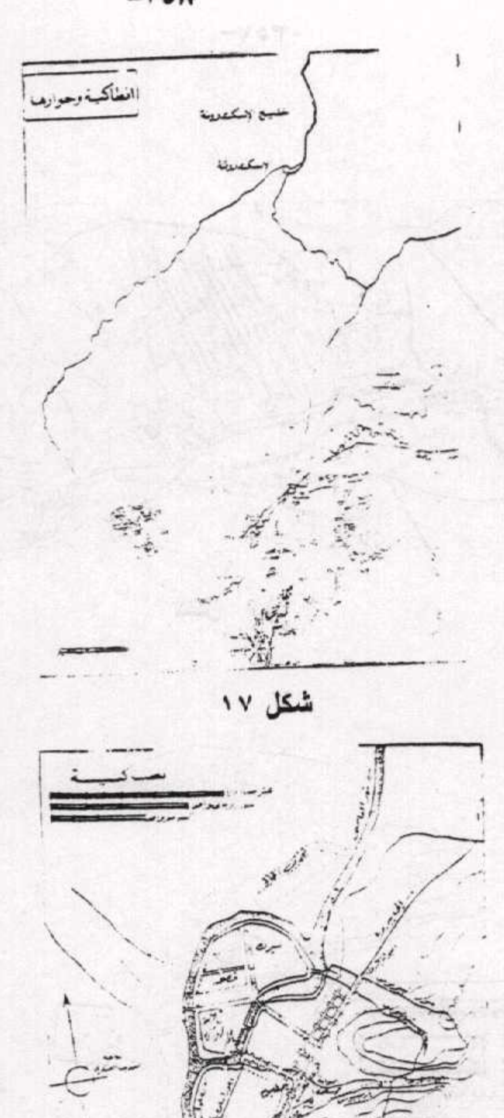
شكل ١٤



شكل ١٥

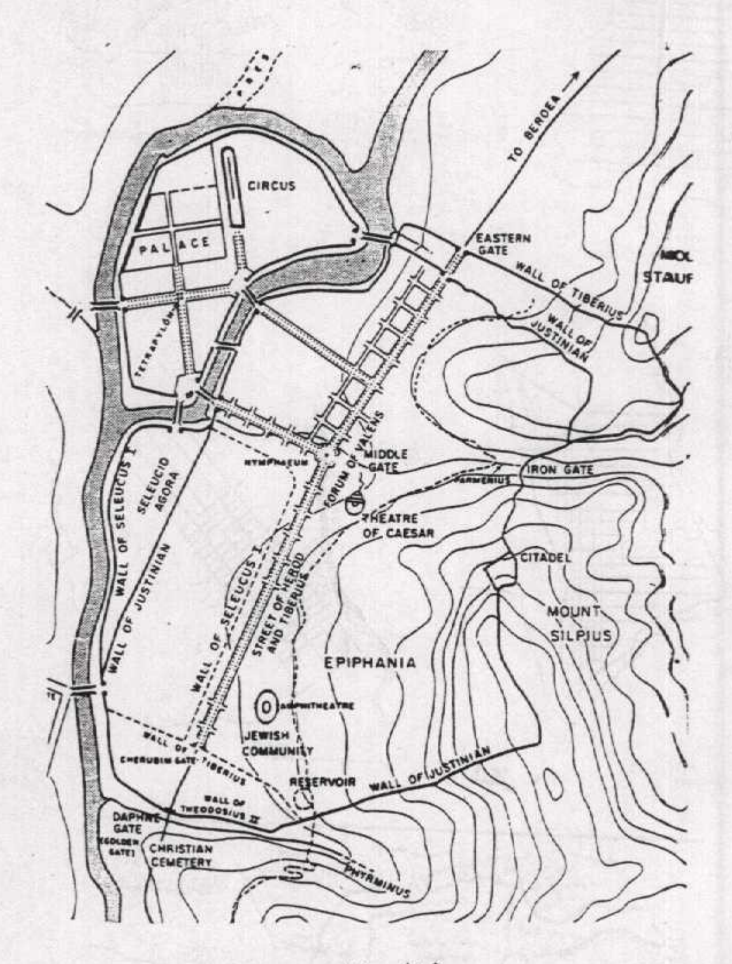


شكل ١٦

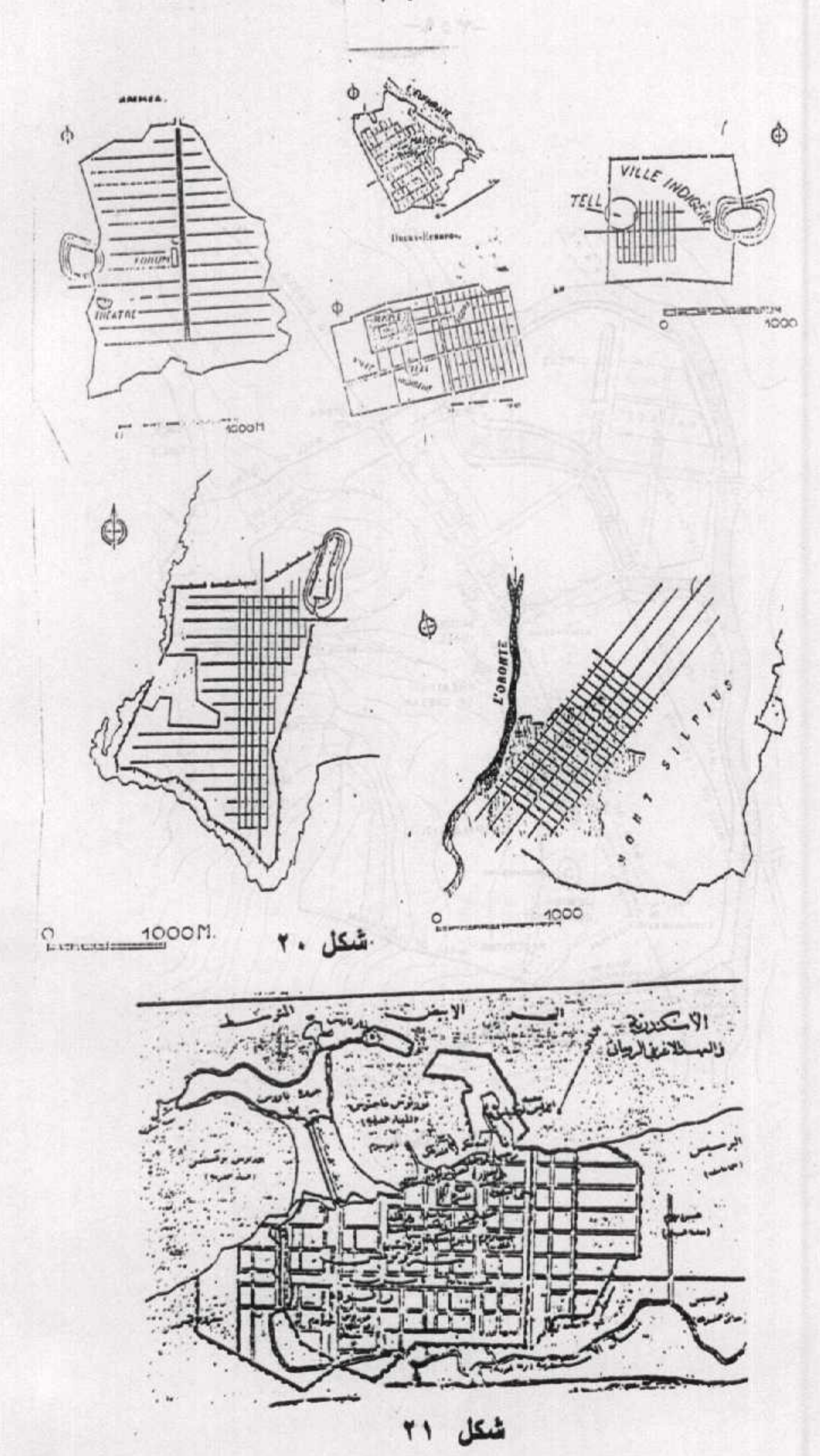


شكل ١٧

شكل ١٨

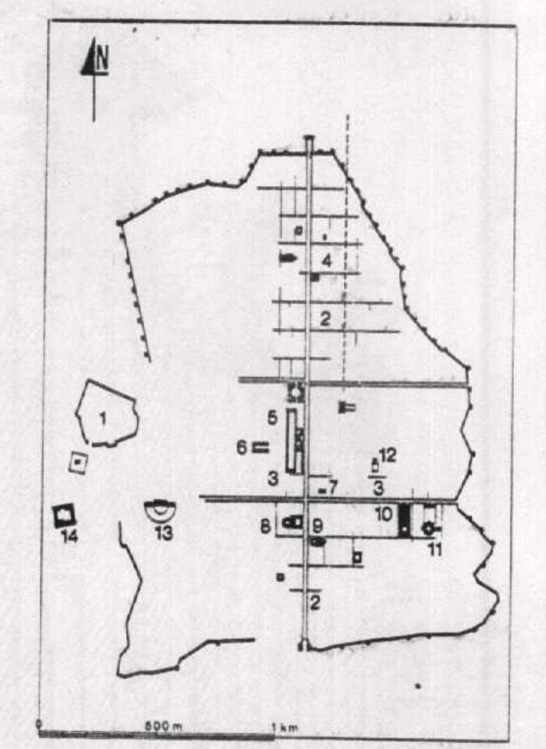

CIRCUS
PALACE
TETRAPYLON
TO BEROEA
EASTERN GATE
WALL OF TIBERIUS
STAUF
WALL OF JUSTINIAN
WALL OF SELEUCUS I
SELEUCID AGORA
NYMPHAEUM
FORUM OF VALENS
MIDDLE GATE
IRON GATE
THEATRE OF CAESAR
CITADEL
MOUNT SILPIUS
WALL OF SELEUCUS I
STREET OF HEROD AND TIBERIUS
EPIPHANIA
AMPHITHEATRE
JEWISH COMMUNITY
WALL OF TIBERIUS
CHERUBIM GATE
RESERVOIR
WALL OF JUSTINIAN
WALL OF THEODOSIUS II
DAPHNE GATE
CHRISTIAN CEMETERY
PHYRMINUS

شكل ١٩

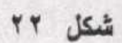

FORUM
THEATRE
1000M
VILLE INDIGÈNE
TELL
1000
L'ORONTE
MONT SILPIUS
1000M.
البحر الأبيض المتوسط

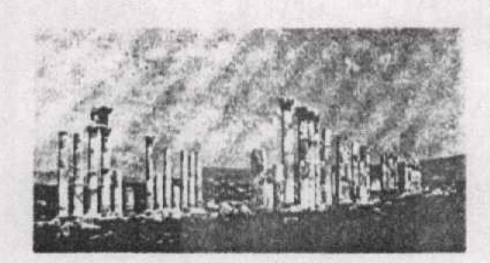
شكل ٢٠

شكل ٢١

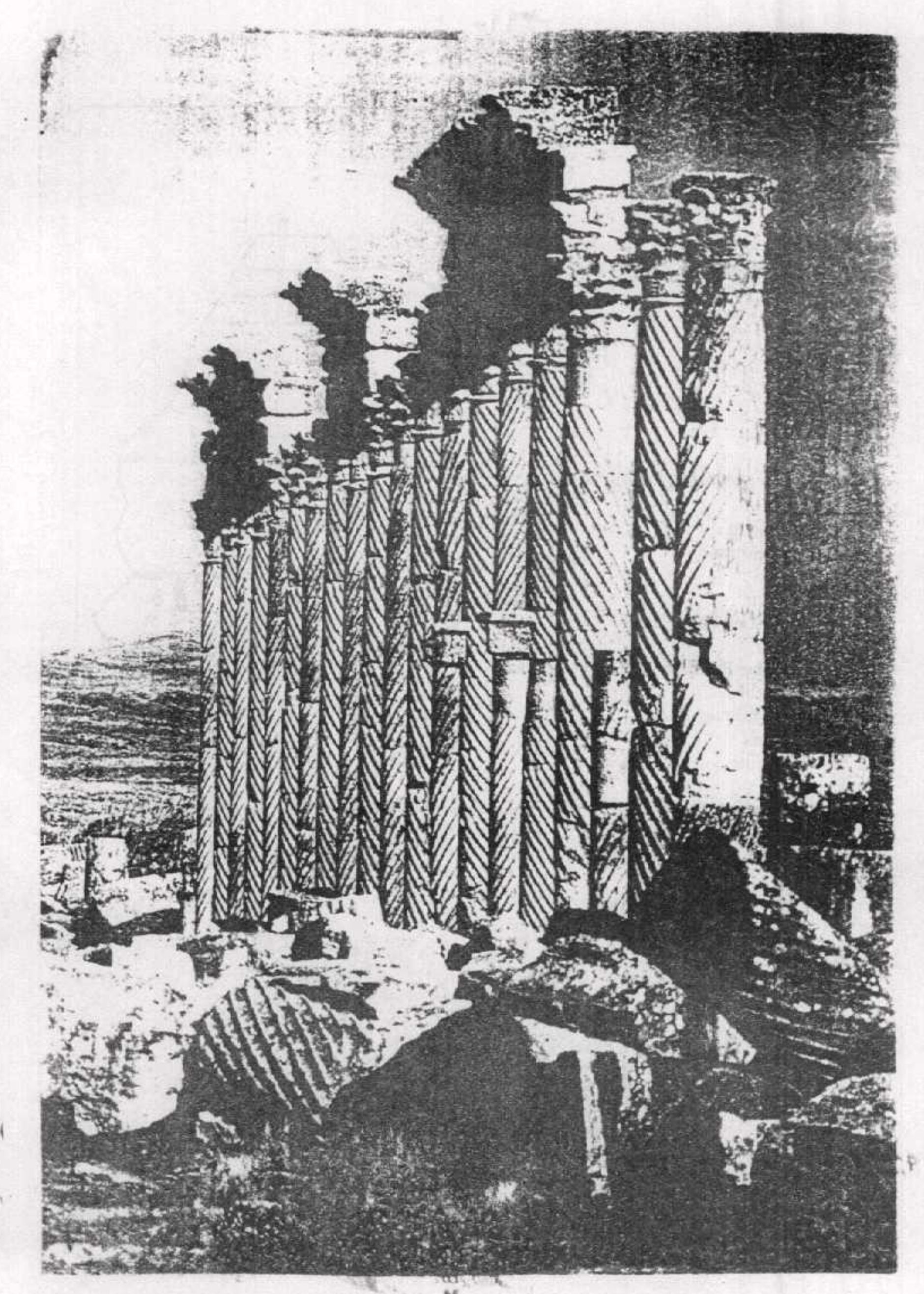


Plan des Ruinengeländes von Apameia
1 Zitadelle
2 Nord-Süd-Achse
3 Kleine Säulenstraße
4 Thermen
5 Agora/Forum
6 Tempel des Zeus Belos
7 Nymphäum
8 Justinianischer Rundbau
9 Atriumskirche
10 Triclinos-Gebäude
11 Ostkathedrale
12 Römische Villa
13 Theater
14 Khan/Museum

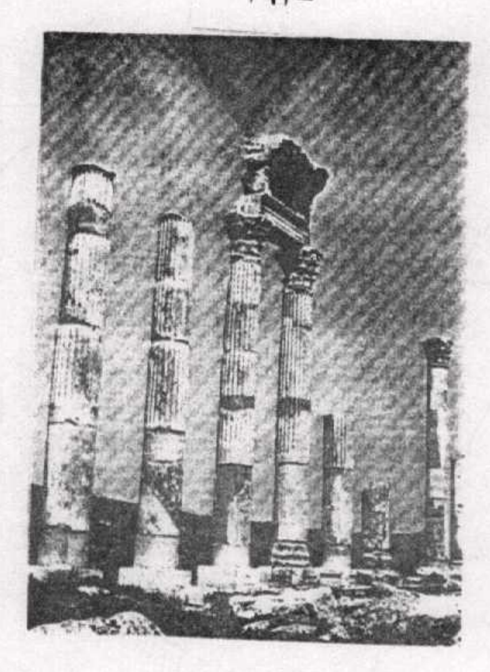

شكل ٢٢



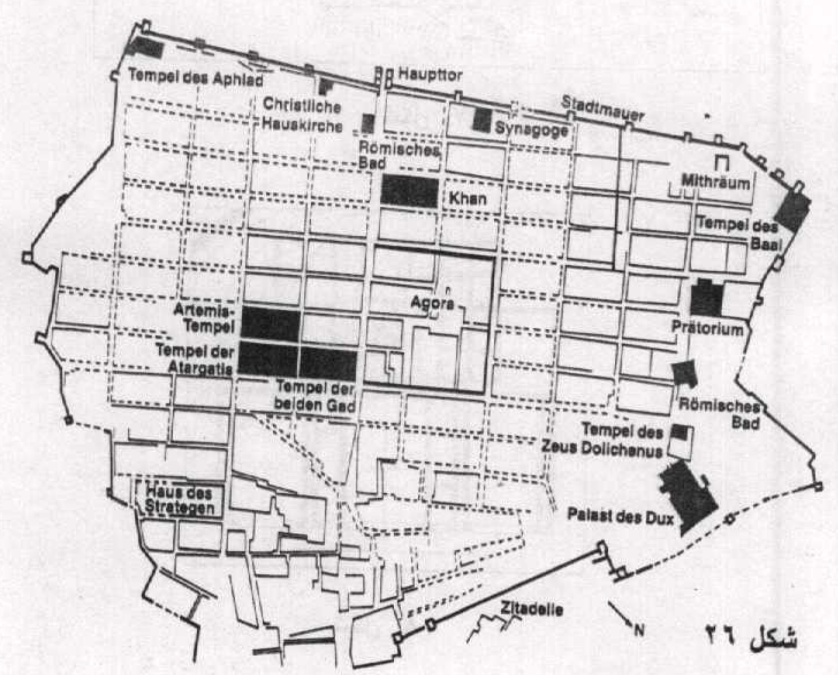
شكل ٢٣



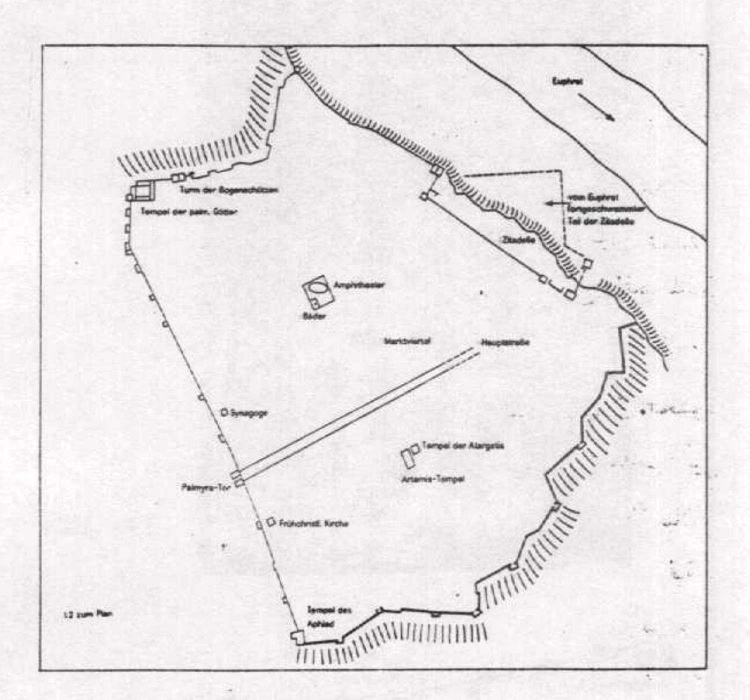
شكل ٢٤



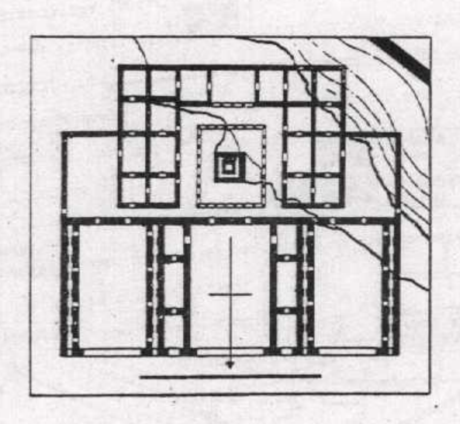
شكل ٢٥


Tempel des Aphlad
Haupttor
Christliche
Hauskirche
Stadtmauer
Synagoge
Römisches
Bad
Mithräum
Khan
Tempel des
Baal
Agora
Artemis-
Tempel
Prätorium
Tempel der
Atargatis
Tempel der
beiden Gad
Römisches
Bad
Tempel des
Zeus Dolichenus
Haus des
Strategen
Palast des Dux
Zitadelle
N

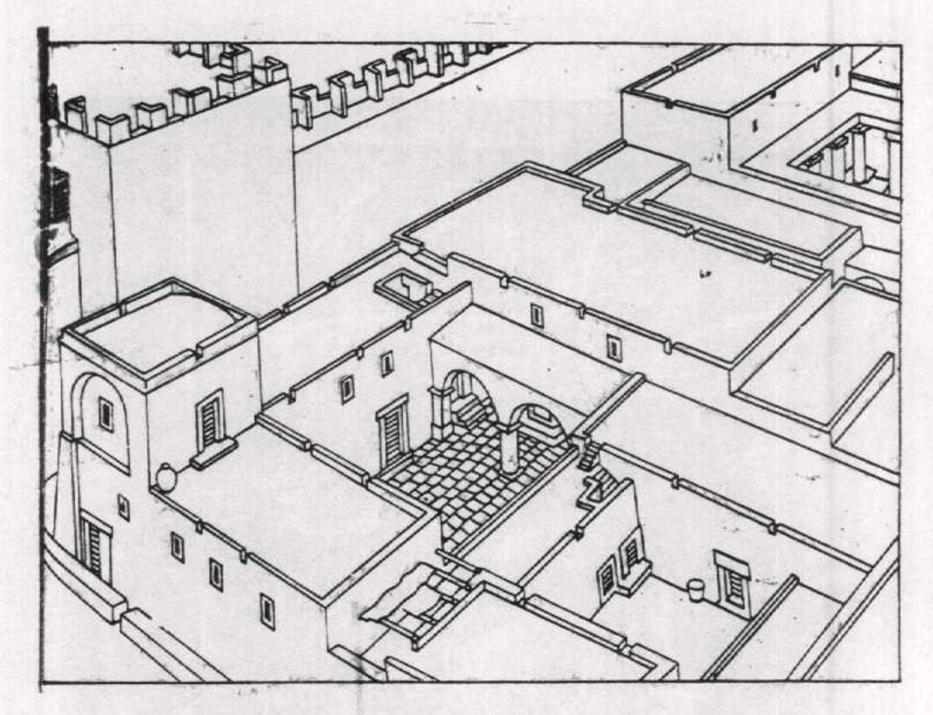
شكل ٢٦


Euphrat
Turm der Bogenschützen
Tempel der palm. Götter
vom Euphrat
Teil der Zitadelle
Zitadelle
Amphitheater
Bäder
Marktviertel
Hauptstraße
Synagoge
Tempel der Atargatis
Artemis-Tempel
Palmyra-Tor
Frühchristl. Kirche
Tempel des
Aphlad

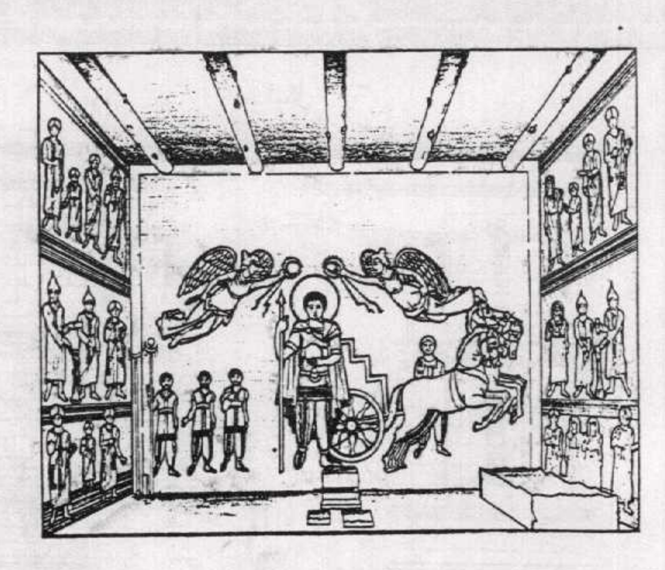
شكل ٢٧



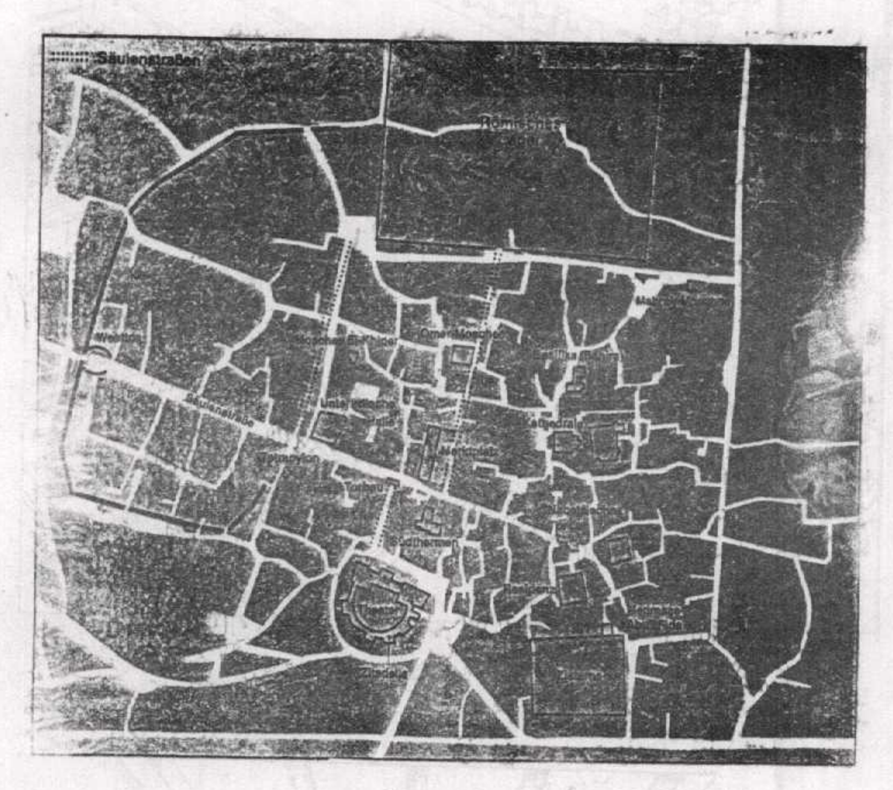
شكل ٢٨



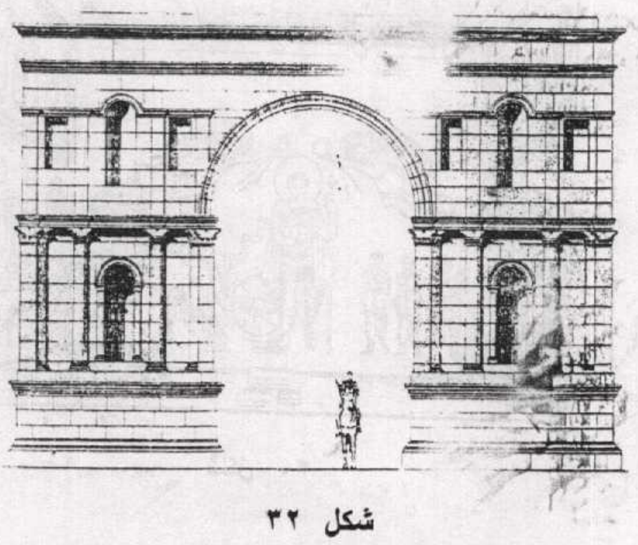
شكل ٢٩



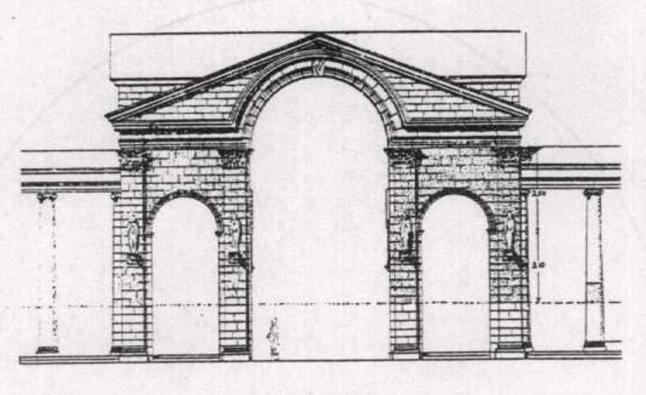
شكل ٣٠


Säulenstraßen
Omar-Moschee
Säulenstraße
Torbau
Südthermen

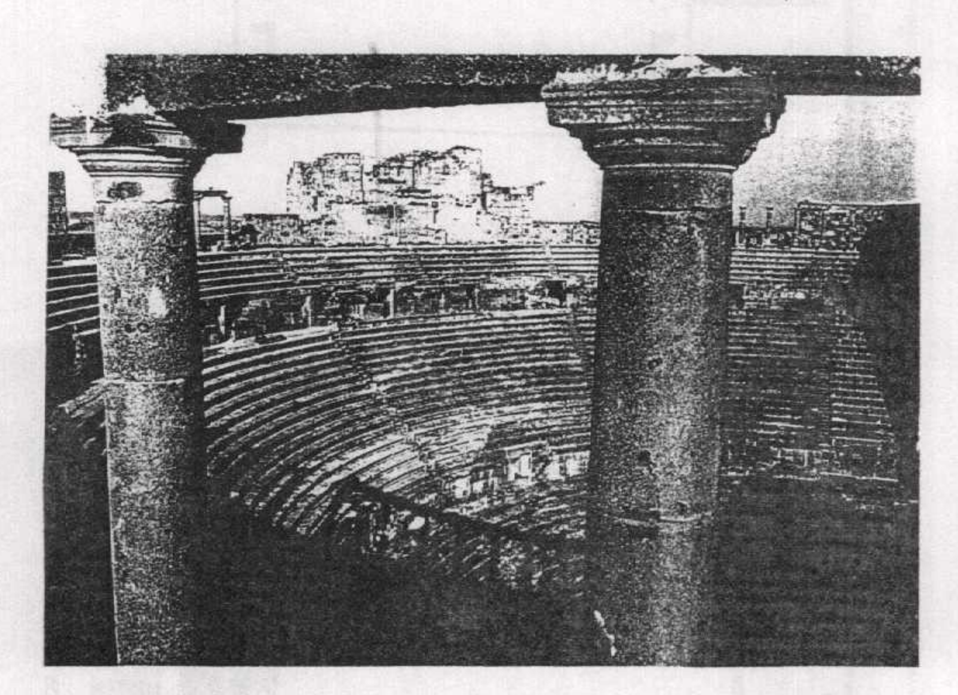
شكل ٣١



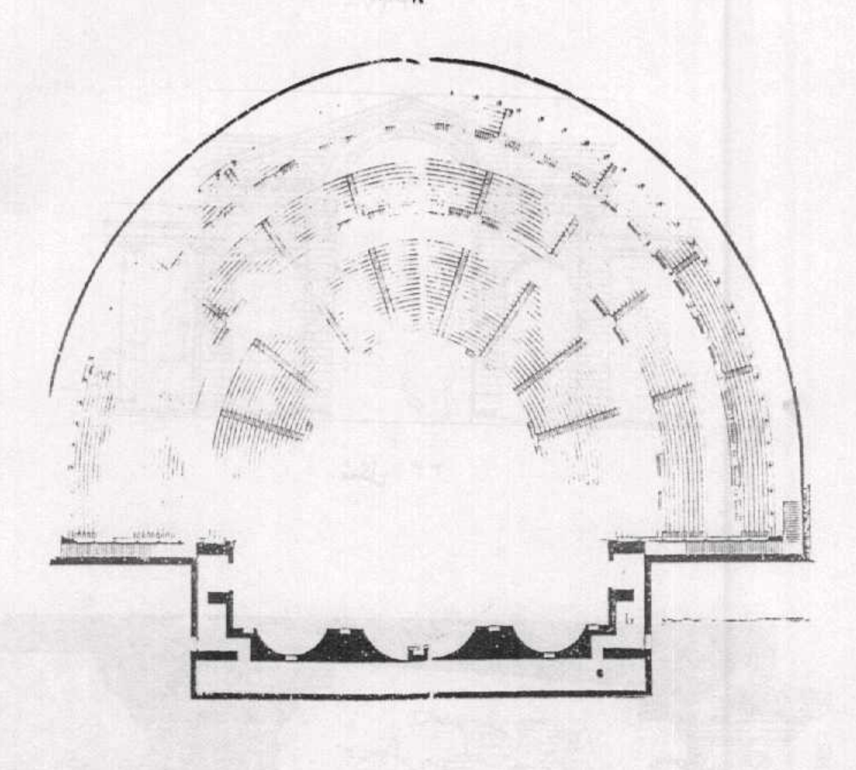
شكل ٣٢

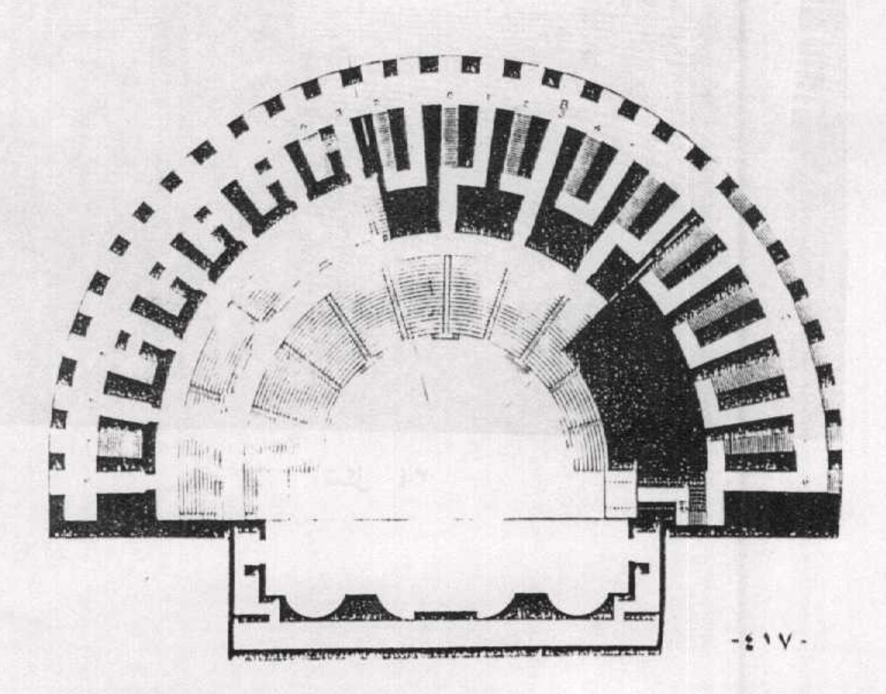


شكل ٣٣



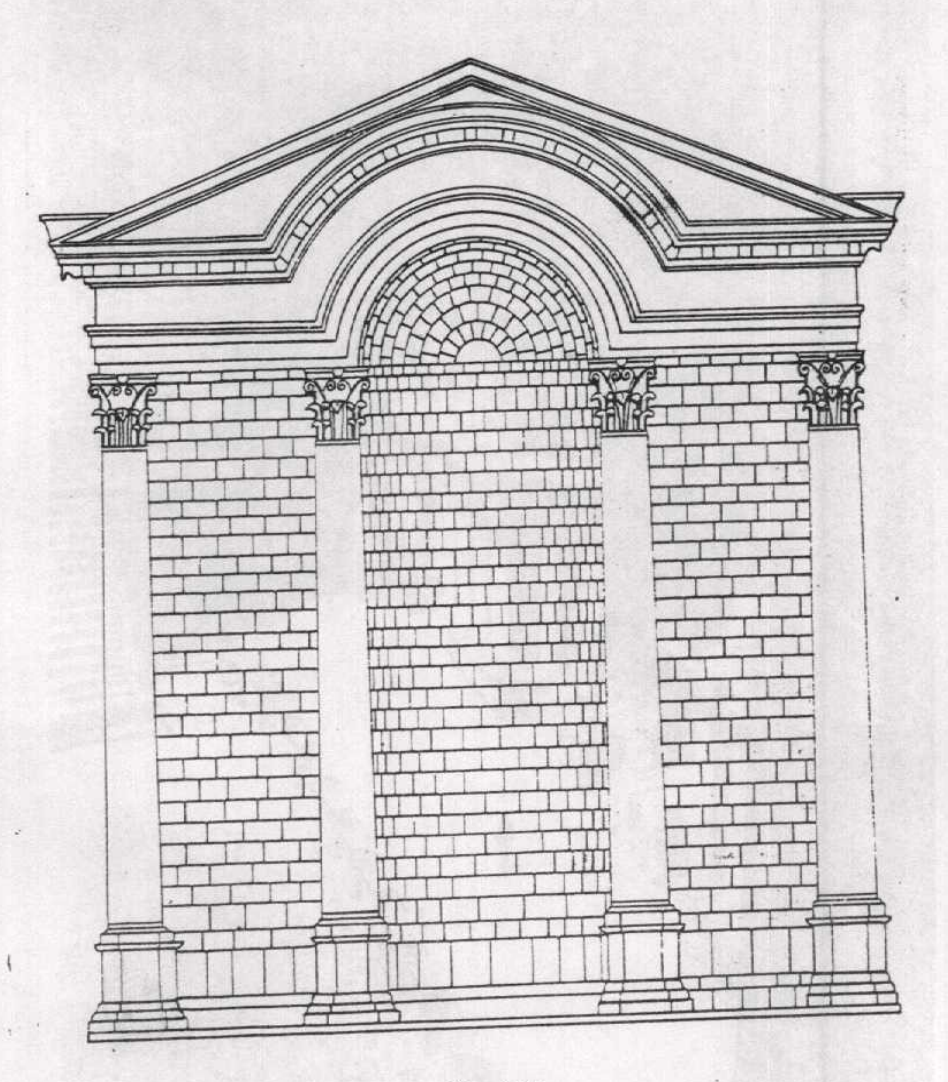
شكل ٣٤



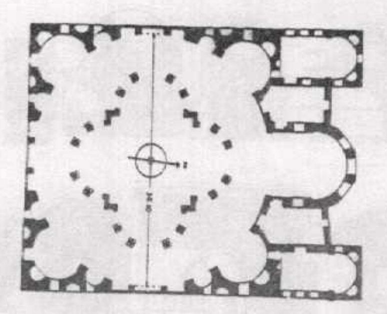




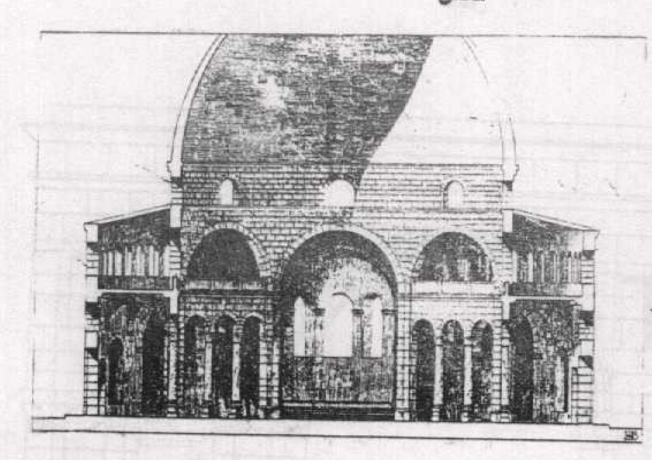
شكل ٣٥



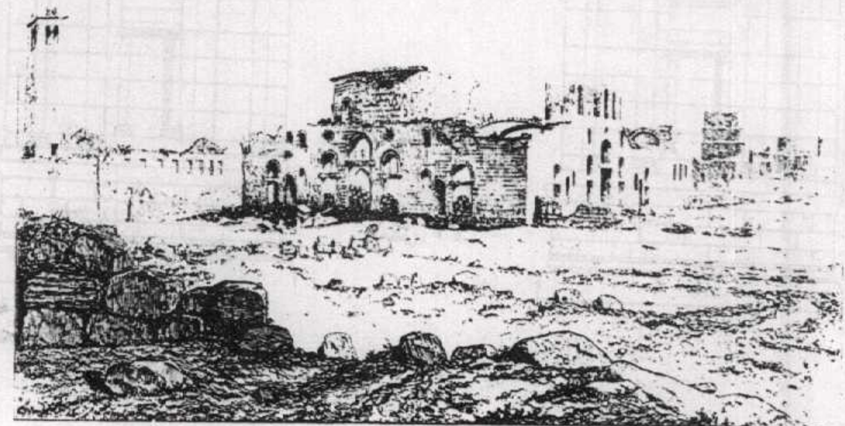
شكل ٣٦

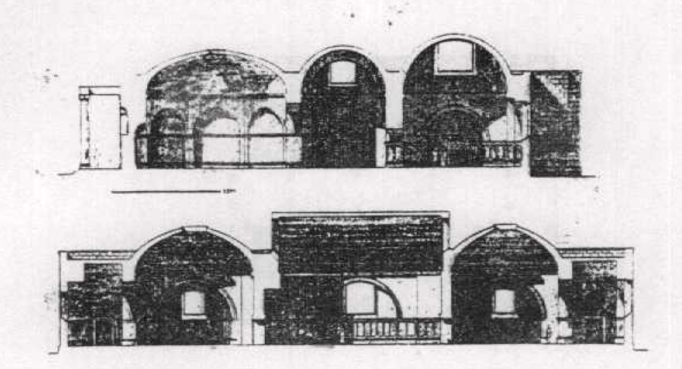


شكل ٣٧

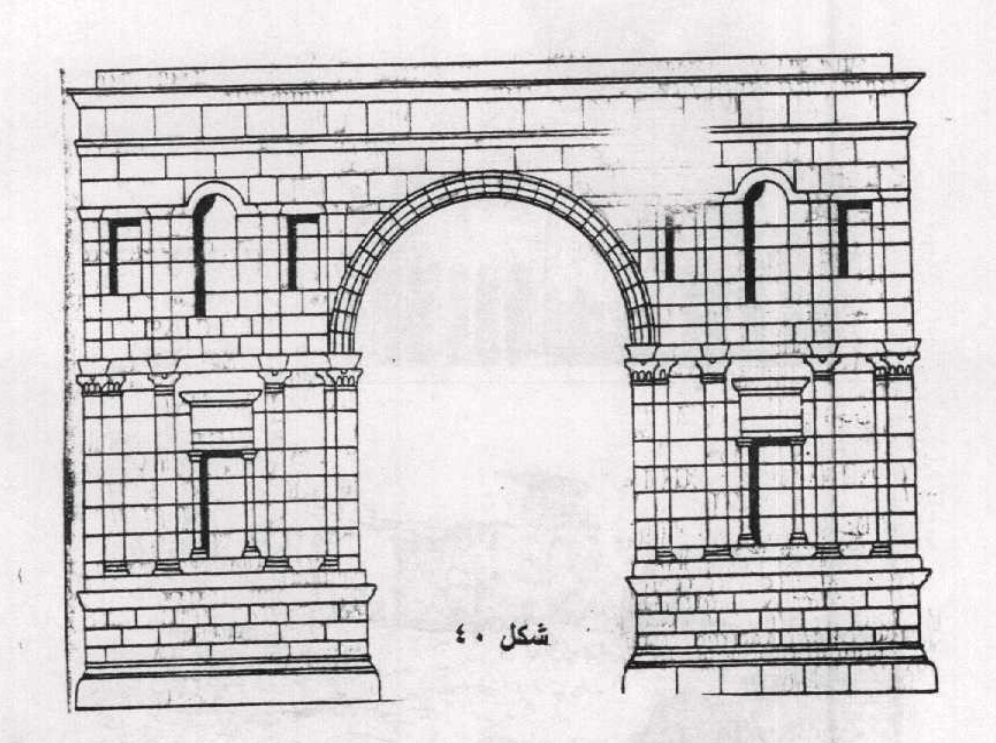


شكل ٣٨

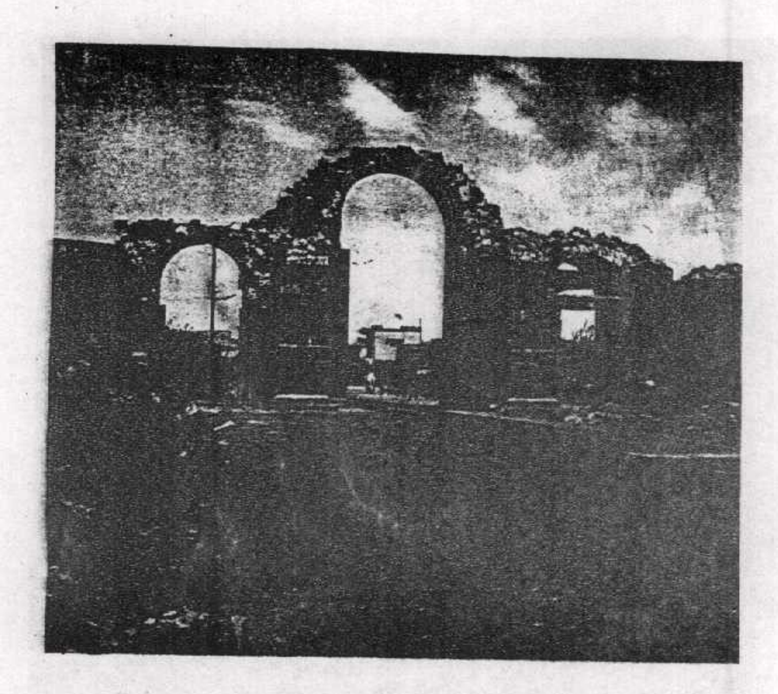




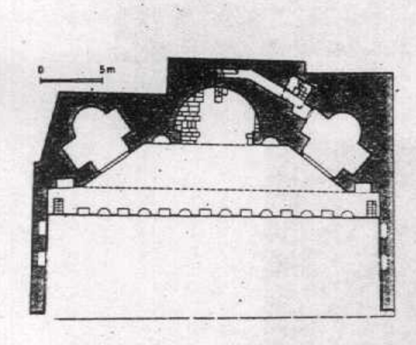
شكل ٣٩

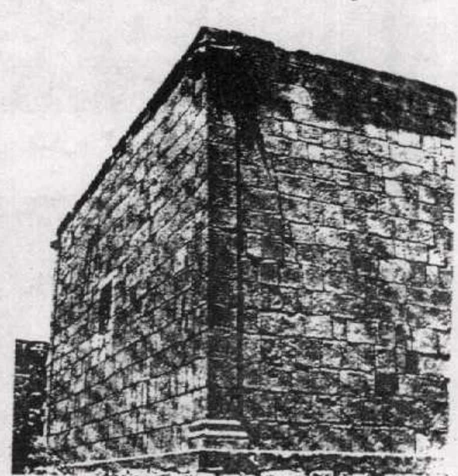


شكل ٤٠

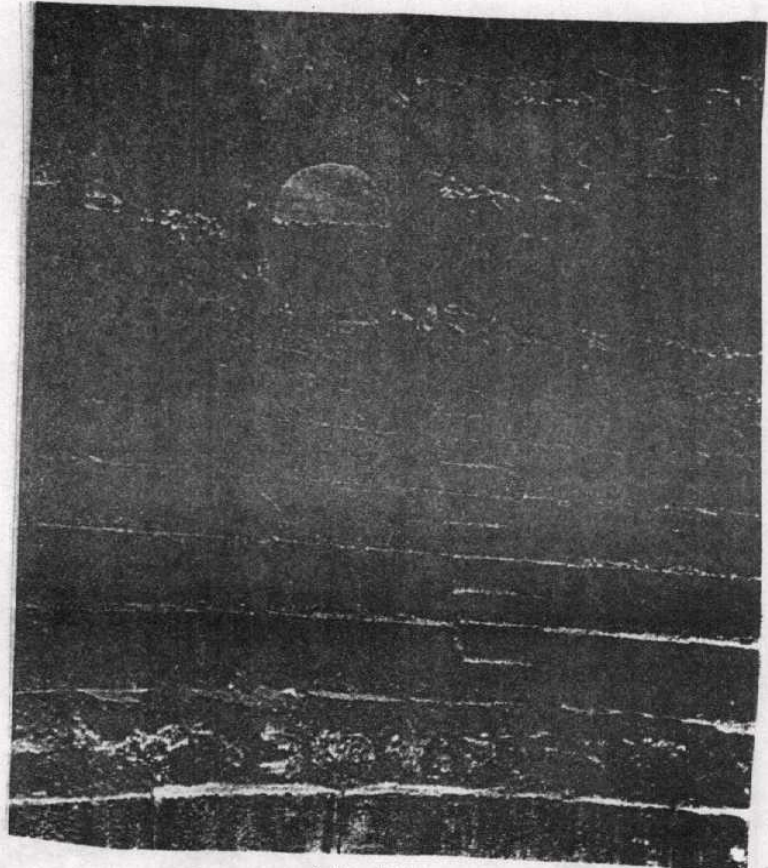


شكل ٤١

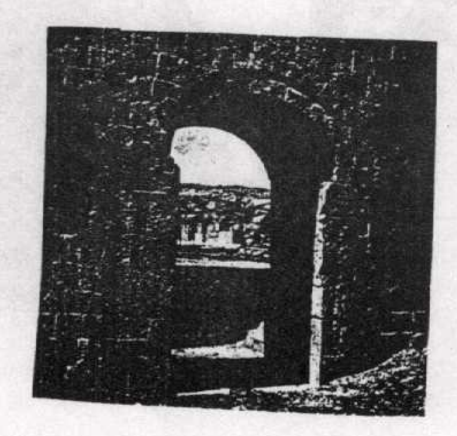




شكل ٤٢



شكل ٤٣



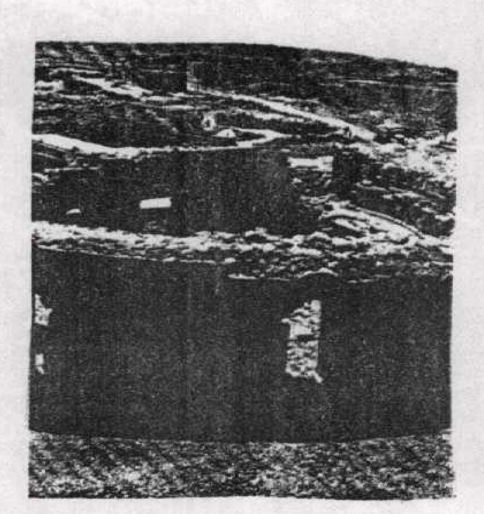
شكل ٤٤



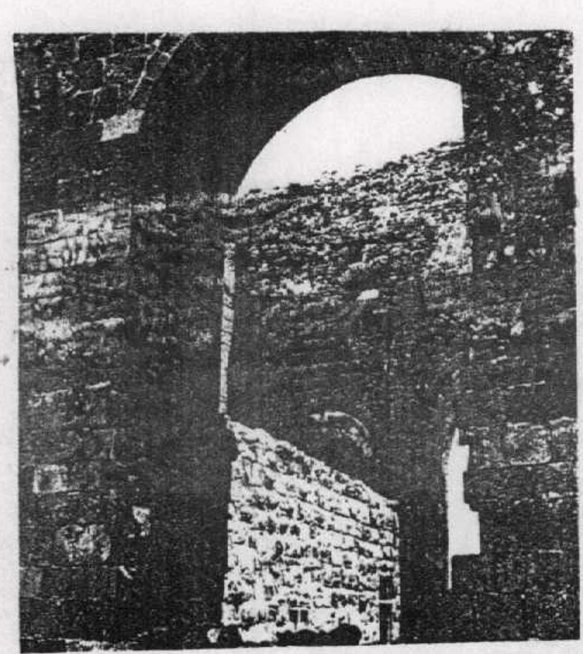
شكل ٤٥



شكل ٤٦



شكل ٤٧



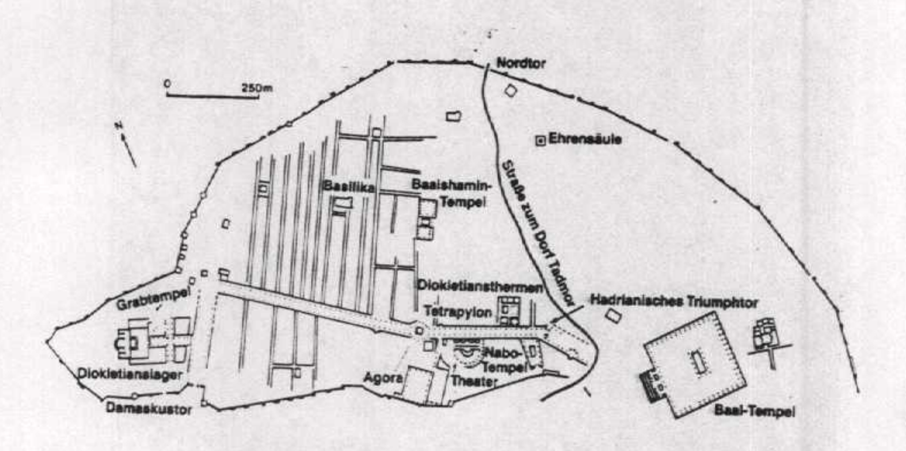
شكل ٤٨



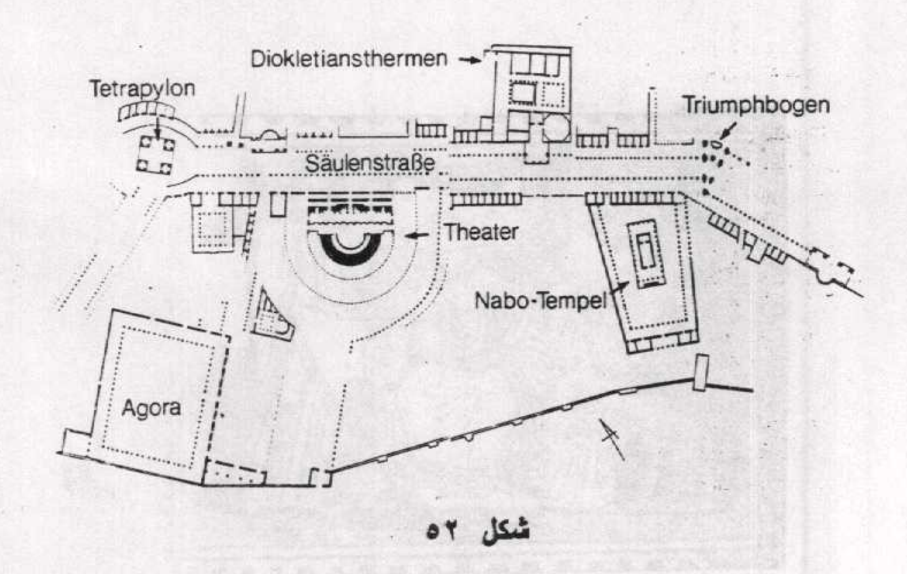
شكل ٤٩



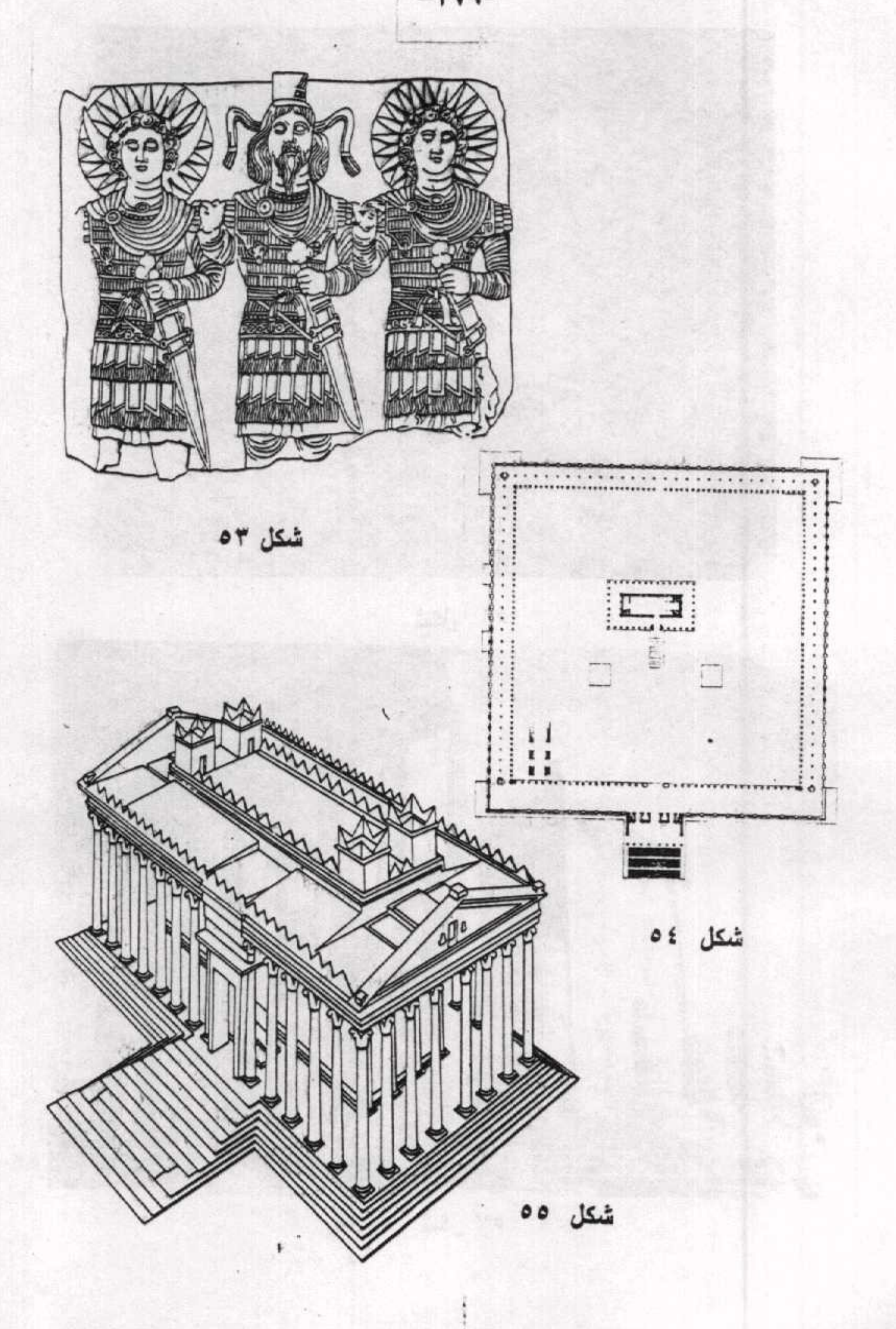
شكل ٥٠


Nordtor
250m
Ehrensäule
Basilika
Baalshamin-Tempel
Straße zum Dorf Tadmor
Diokletiansthermen
Hadrianisches Triumphtor
Grabtempel
Tetrapylon
Nabo-Tempel
Diokletianslager
Agora
Theater
Damaskustor
Baal-Tempel

شكل ٥١


Diokletiansthermen
Tetrapylon
Triumphbogen
Säulenstraße
Theater
Nabo-Tempel
Agora

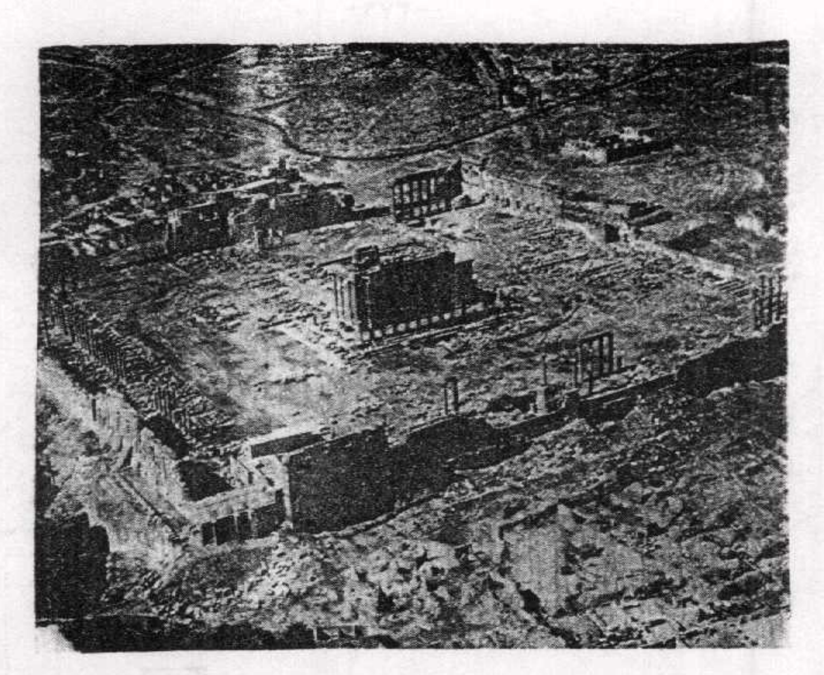
شكل ٥٢



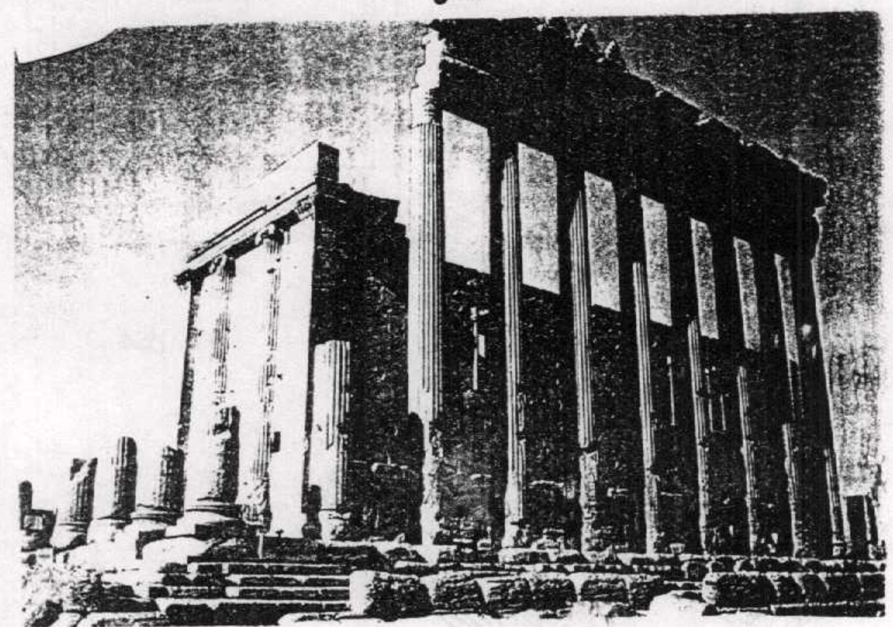
شكل ٥٣

شكل ٥٤

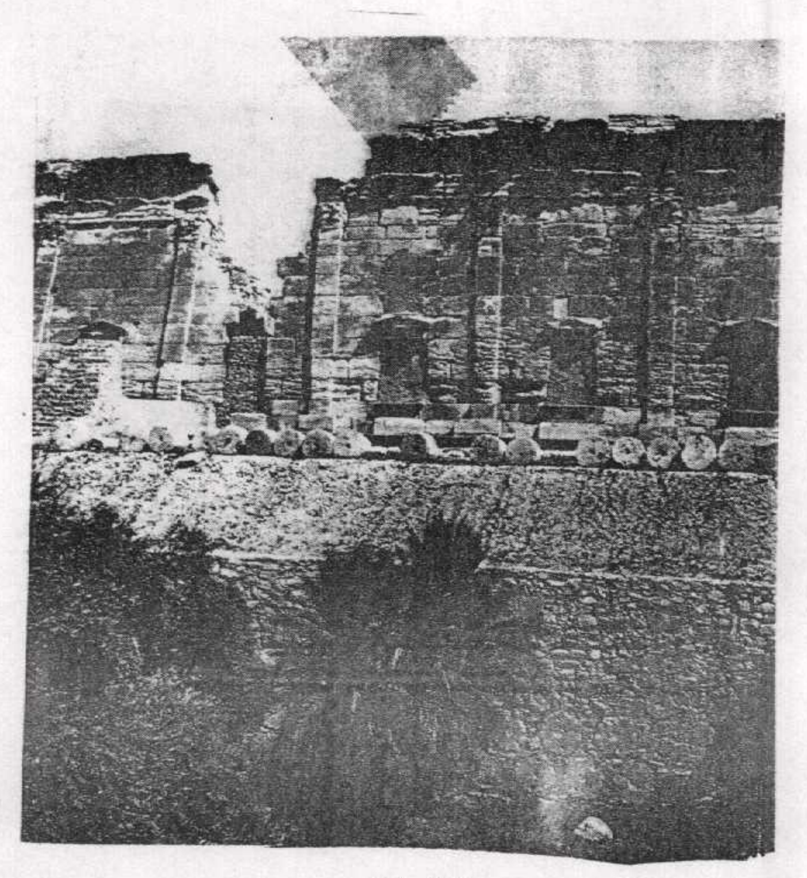
شكل ٥٥



شكل ٥٦



شكل ٥٧



شكل ٥٨



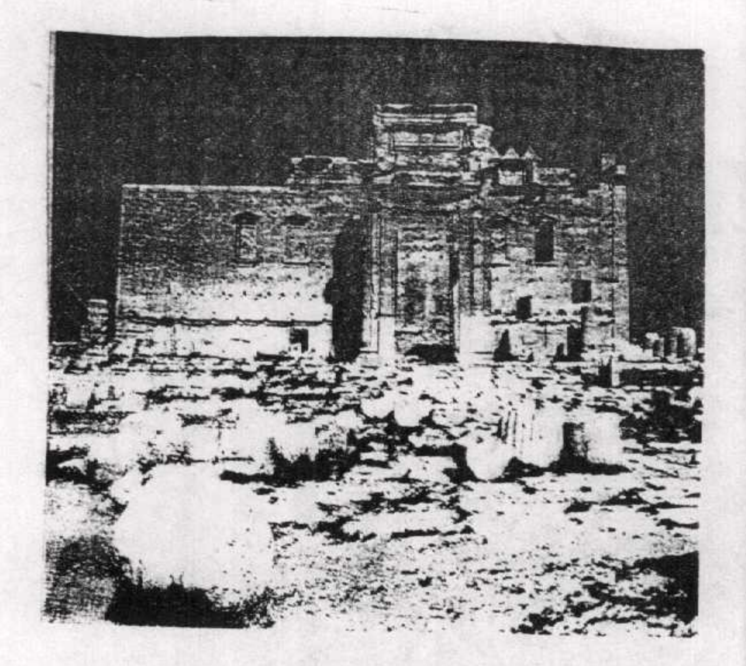
شكل ٥٩



شكل ٦٠



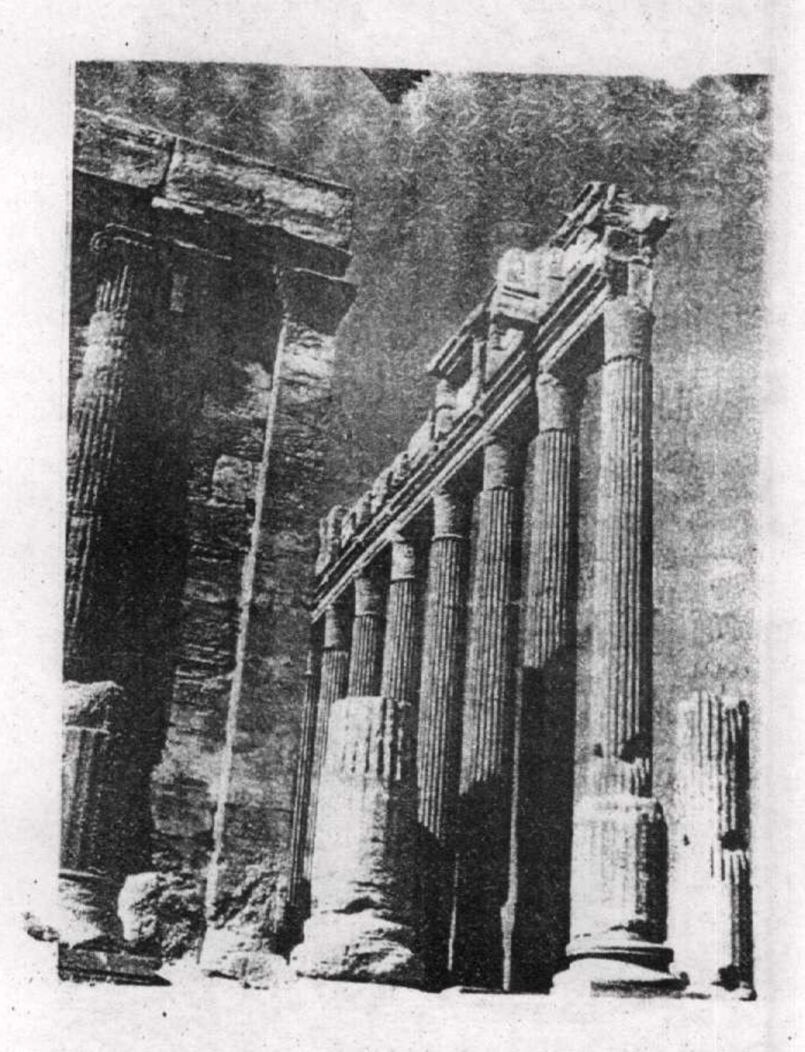
شكل ٦١



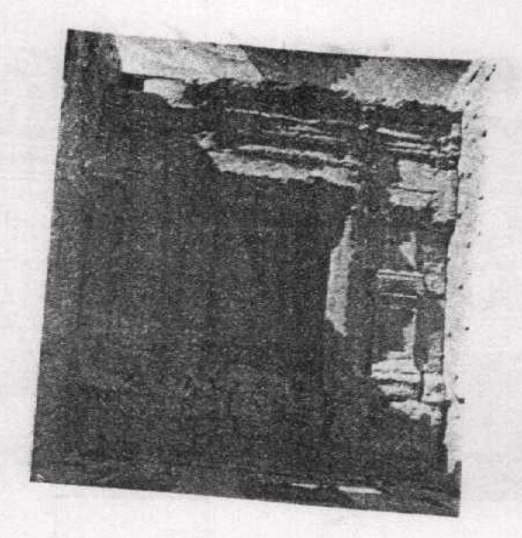
شكل ٦٢



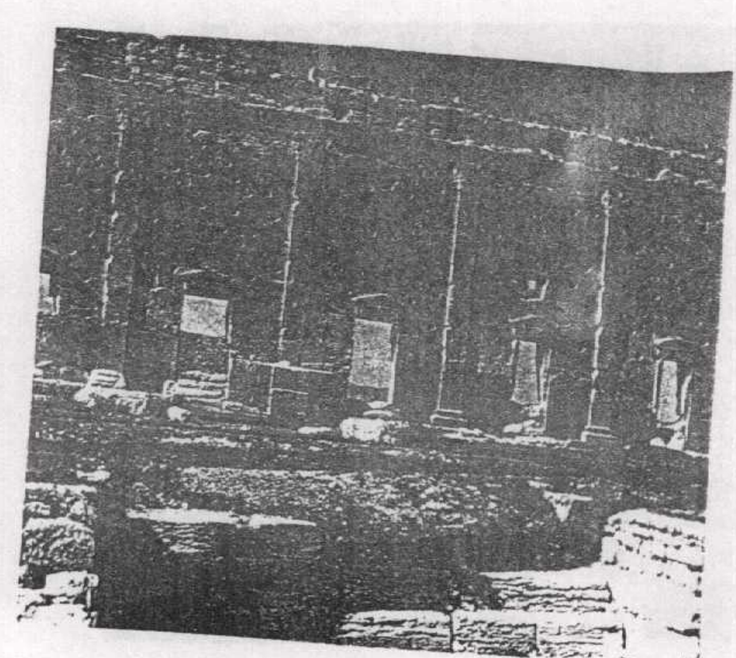
شكل ٦٣



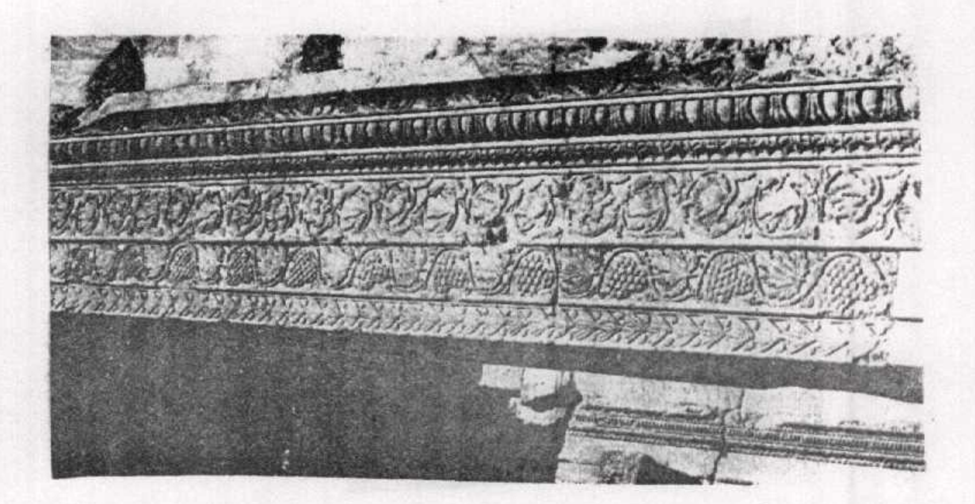
شكل ٦.٤



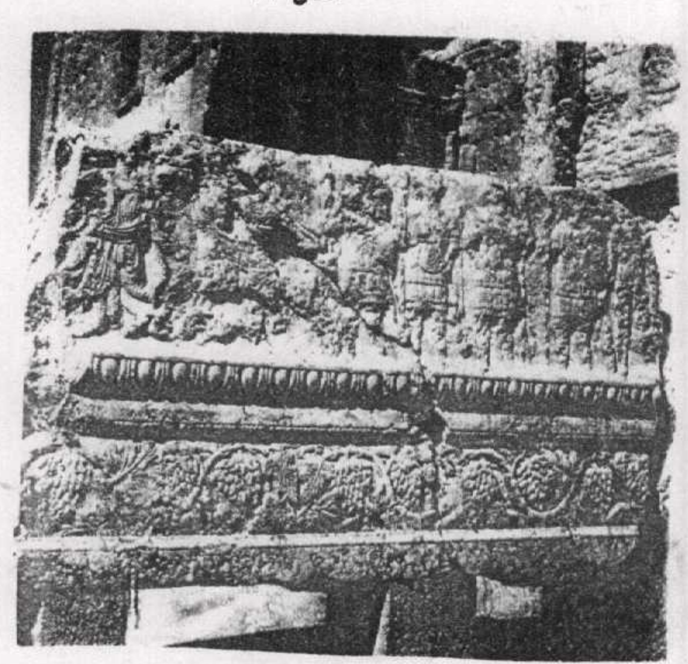
شكل ٦٥



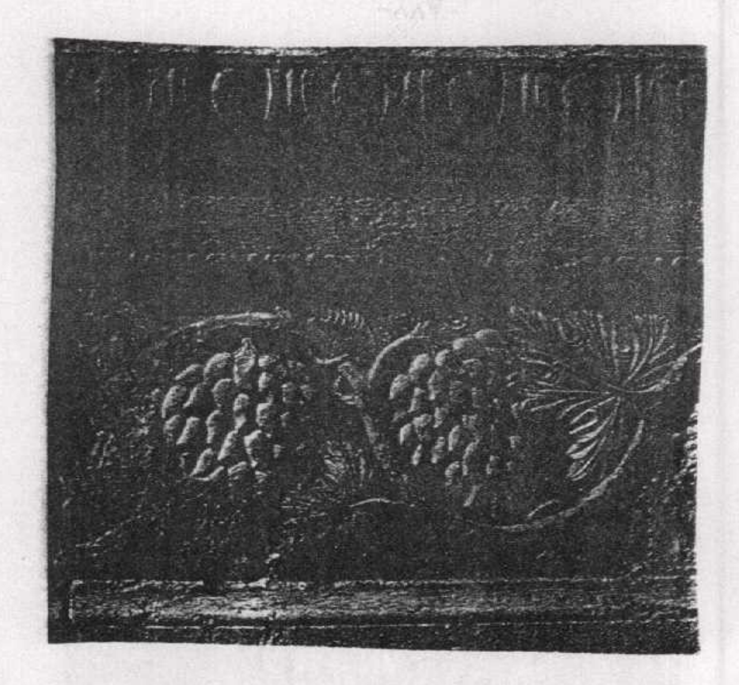
شكل ٦٦



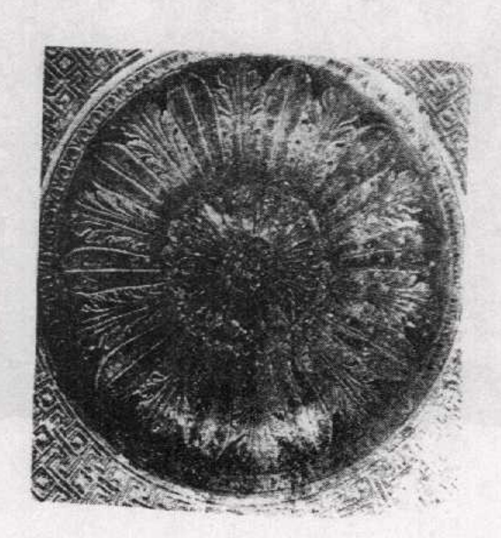
شكل ٦٧



شكل ٦٨



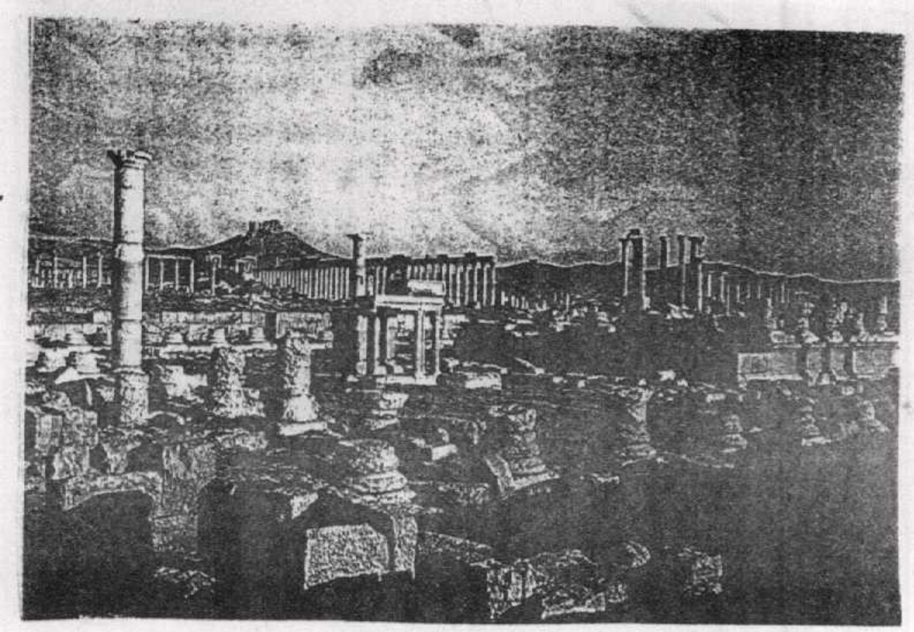
شكل ٦٩



شكل ٧٠



شكل ٧١



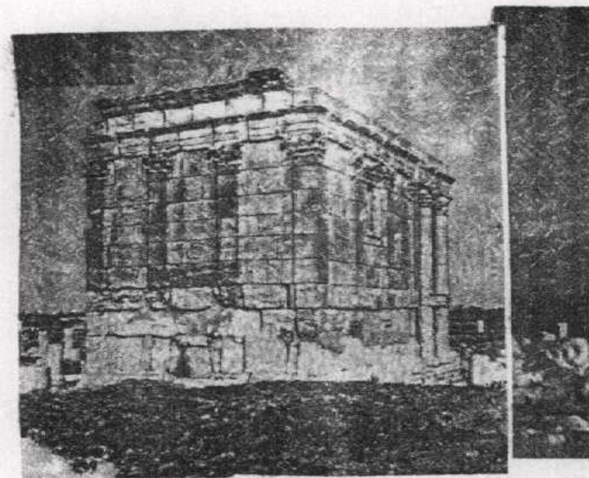
شكل ٧٢



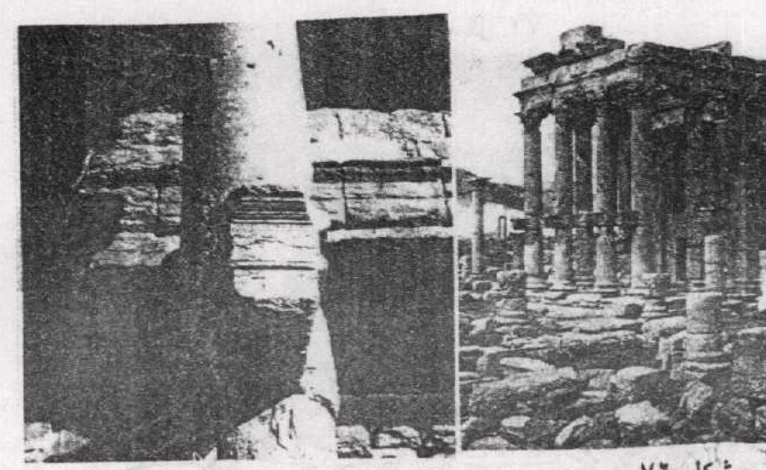
شكل ٧٣



شكل ٧٤



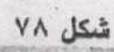
شكل ٧٥



شكل ٧٦

شكل ٧٧





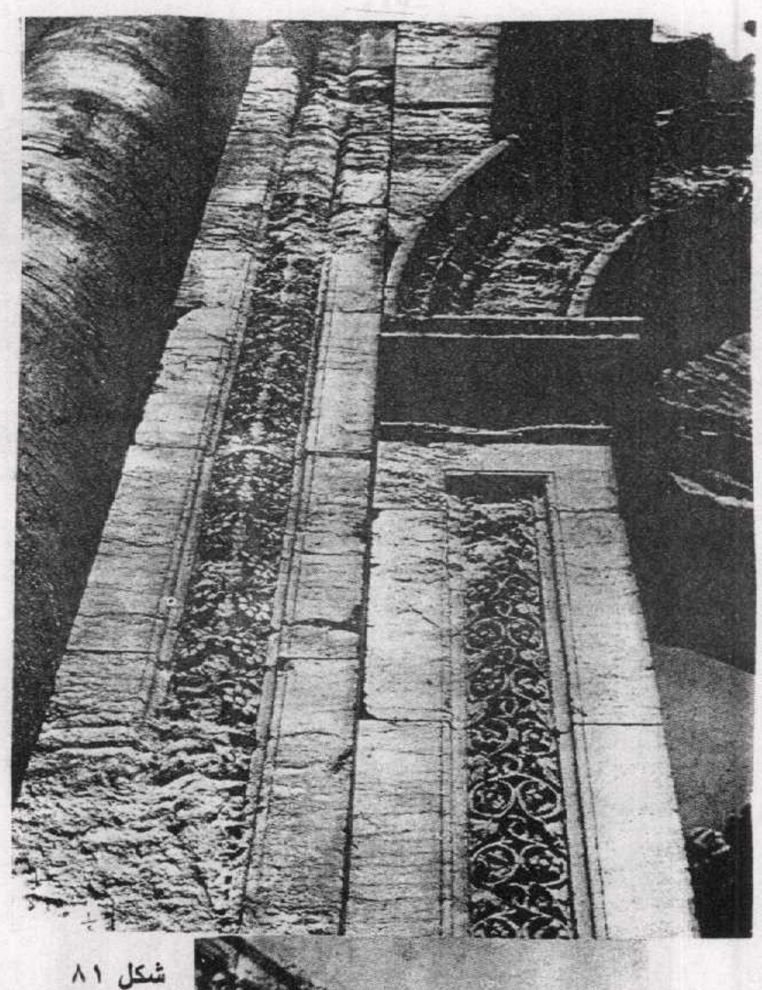
شكل ٧٨

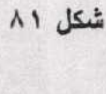


شكل ٧٩

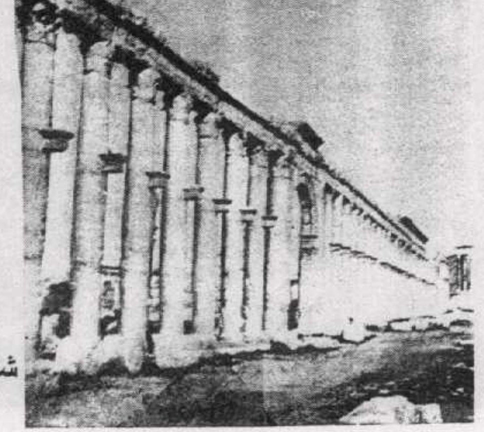


شكل ٨٠





شكل ٨١



شكل ٨٢



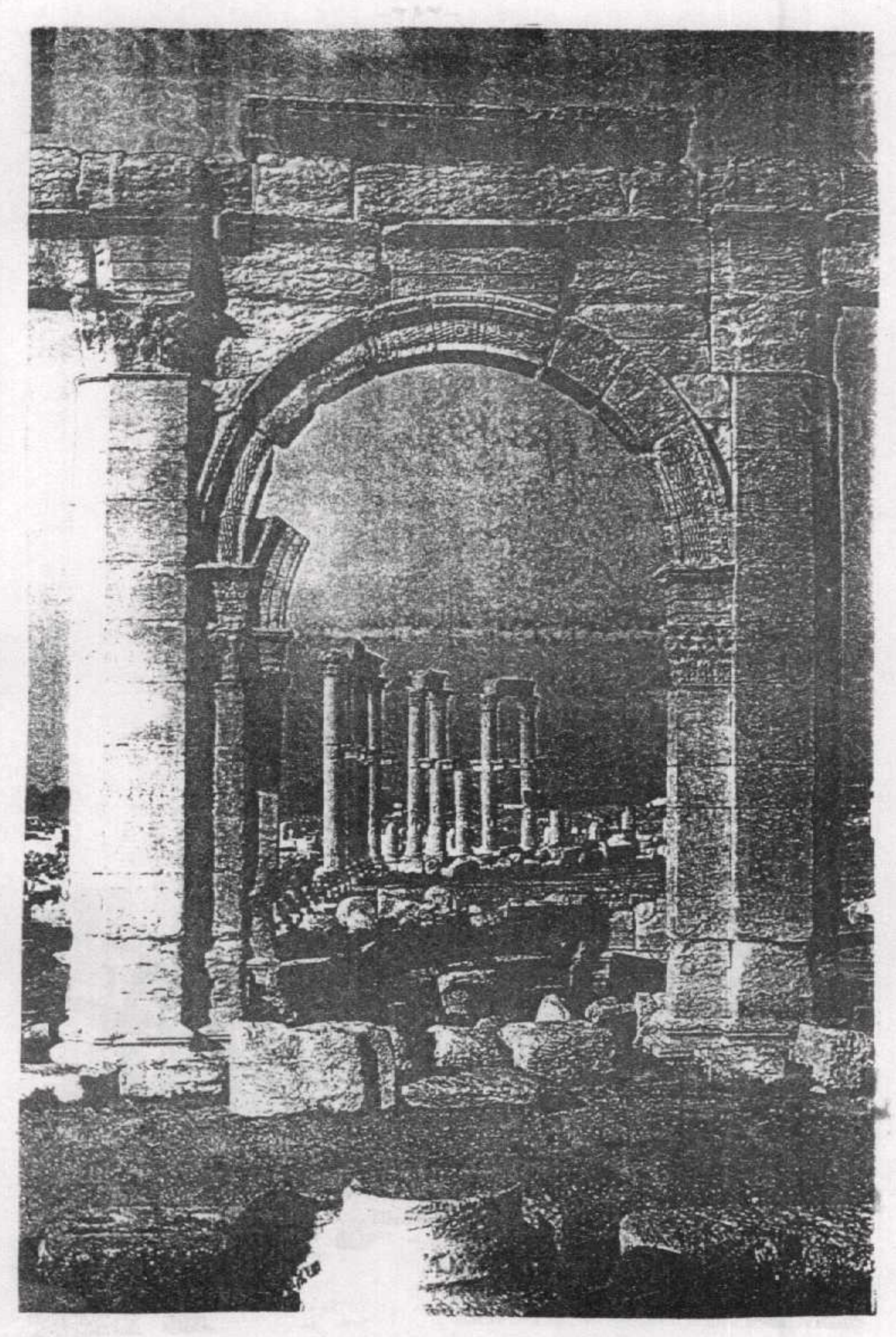
شكل ٨٣



شكل ٨٤



شكل ٨٥



شكل ٨٦



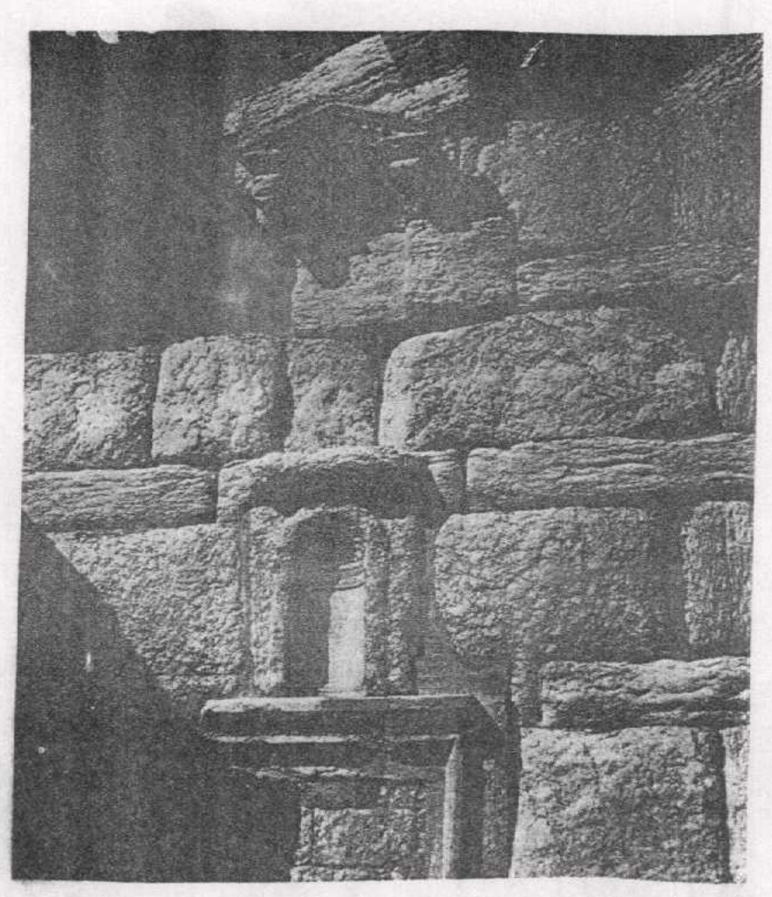
شكل ٨٧



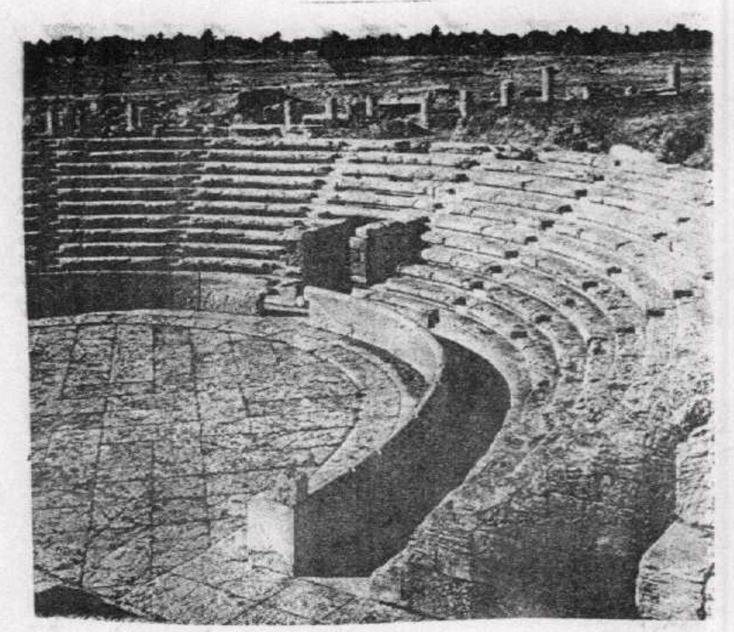
شكل ٨٨



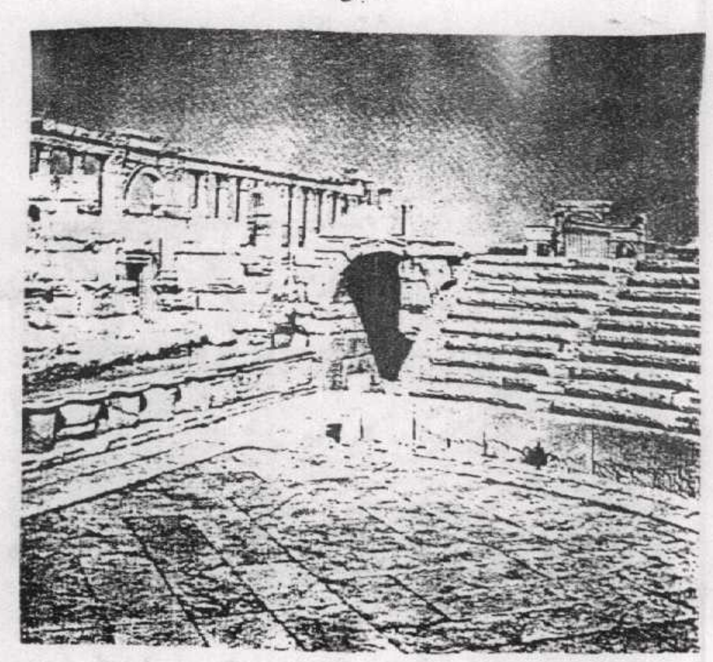
شكل ٨٩



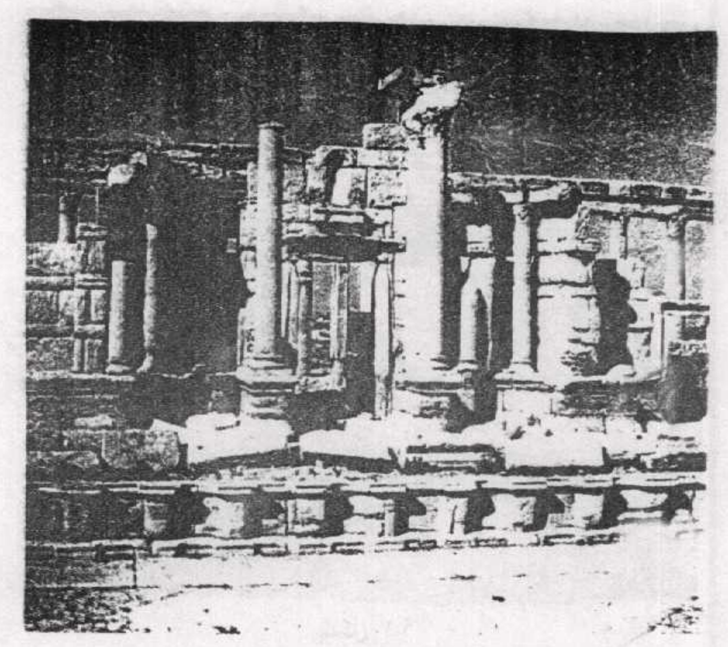
شكل ٩٠



شكل ٩١



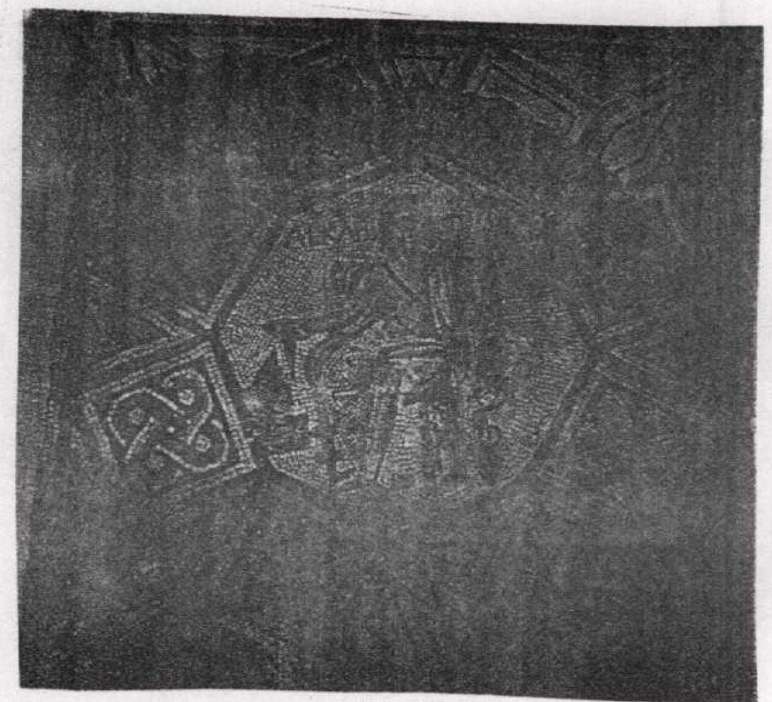
شكل ٩٢



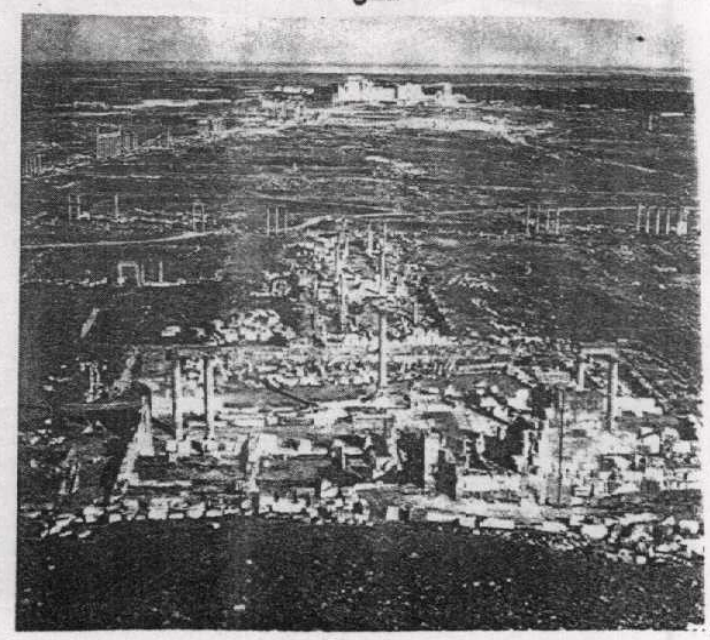
شكل ٩٣



شكل ٩٤



شكل ٩٥



شكل ٩٦



شكل ٩٧



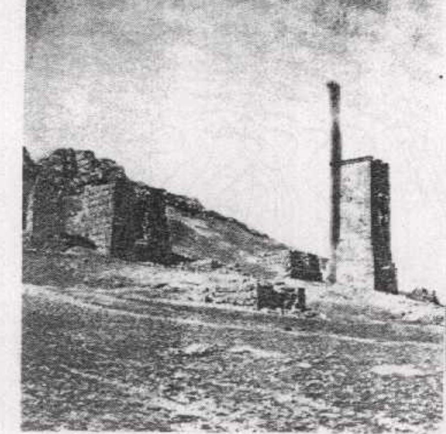
شكل ٩٨



شكل ٩٩



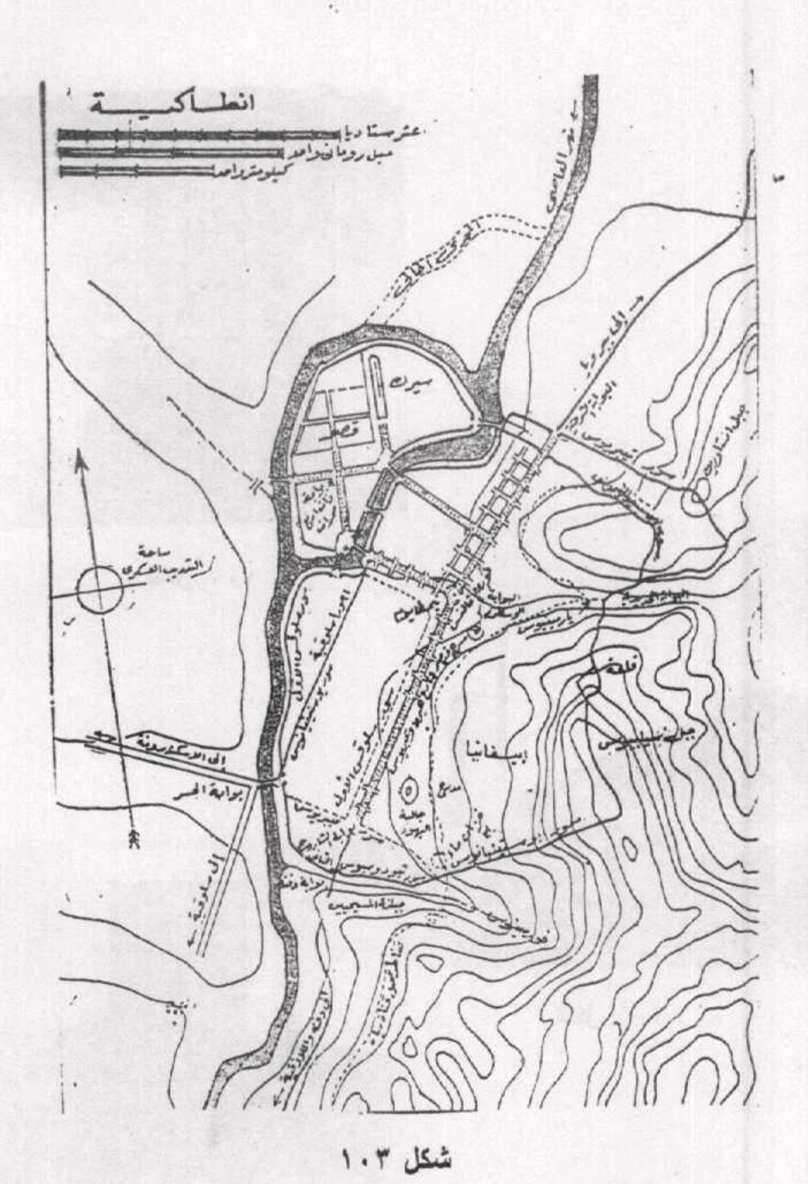
شكل ١٠٠



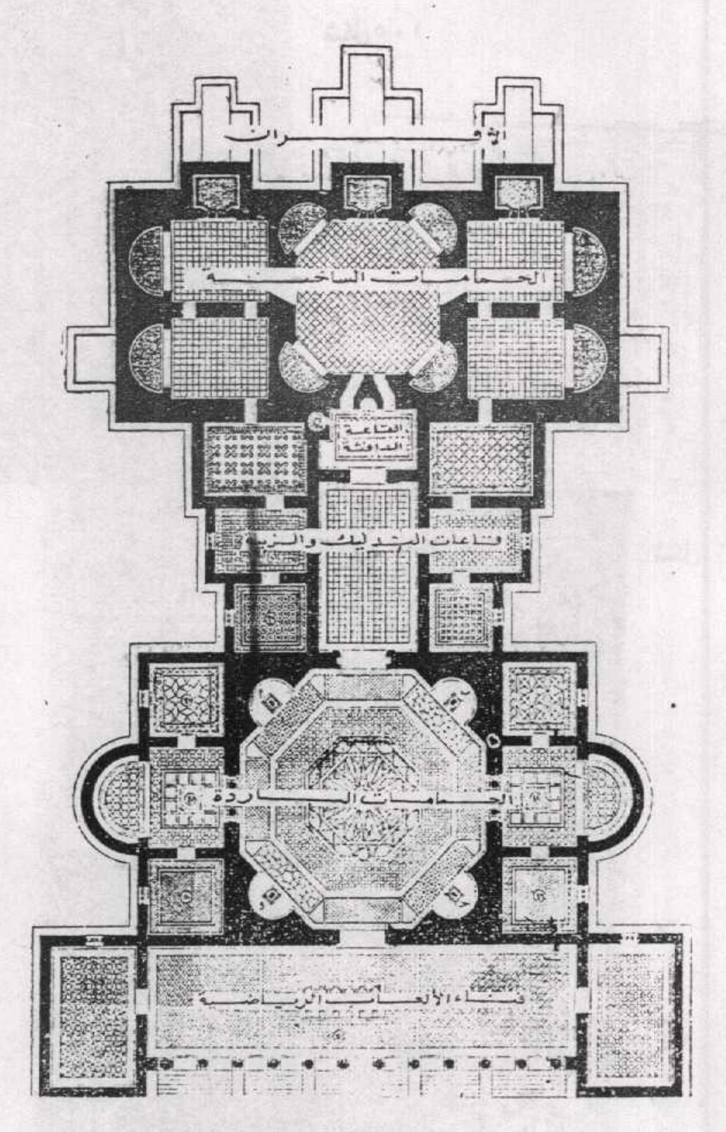
شكل ١٠١



شكل ١٠٢

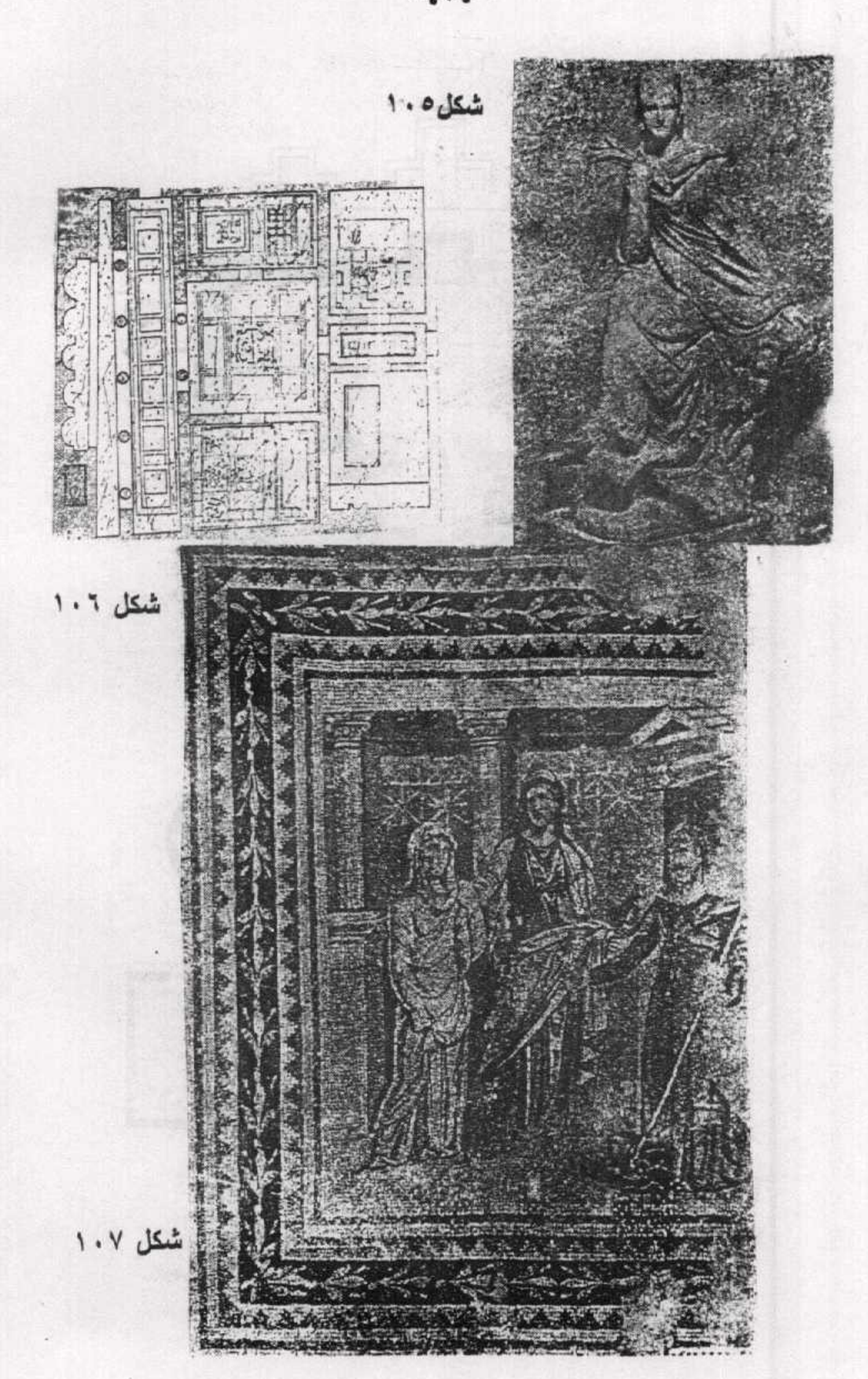

انطاكية
عشر ستاديا
ميل روماني واحد
كيلومتر واحد
نهر العاصي
سيرك
قصر
ساحة التدريب العسكري
بوابة الجسر
ابيفانيا
قلعة
جبل سيلبيوس

شكل ١٠٣


الأفران
الحمامات الساخنة
القاعة الدافئة
قاعات التدليك والزينة
الحمامات الباردة
فناء الألعاب الرياضية

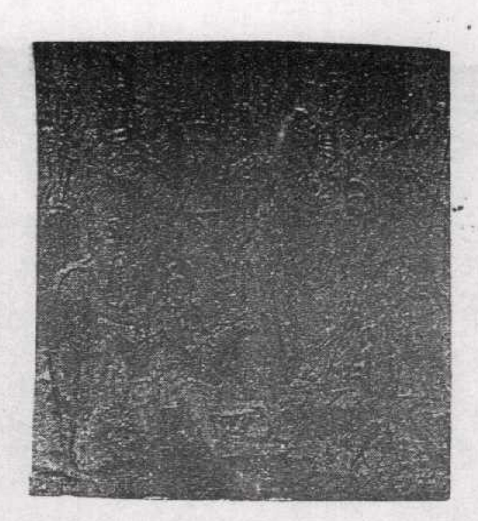
شكل ١٠٤

شكل ١٠٥



شكل ١٠٦

شكل ١٠٧



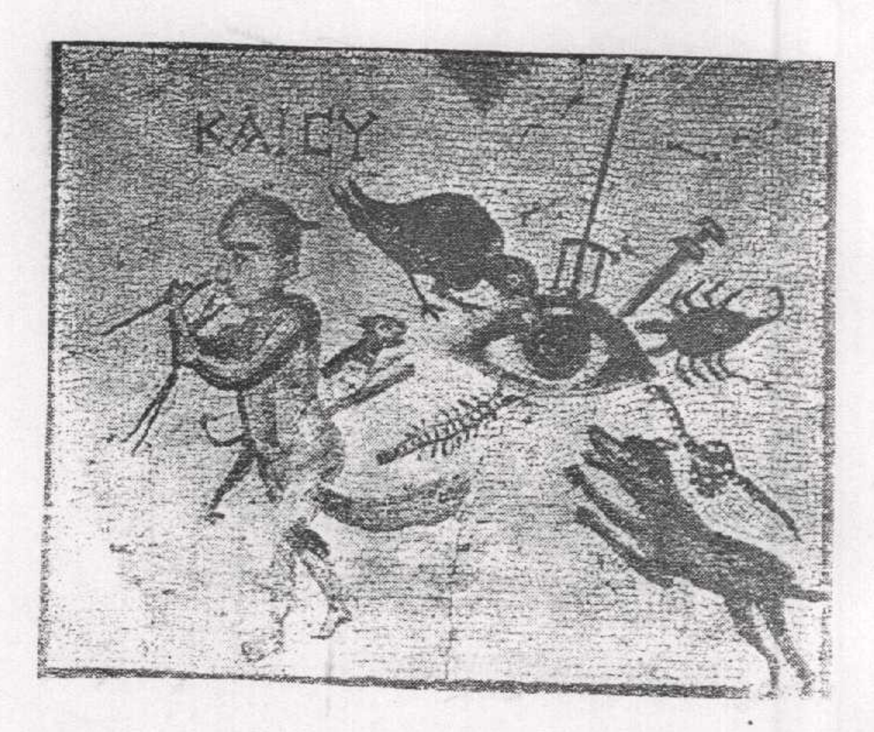
شكل ١٠٨



شكل ١٠٩



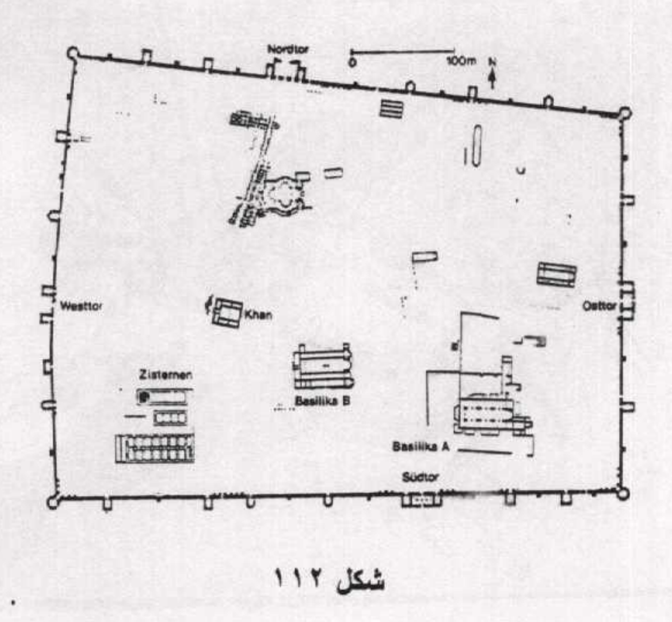
شكل ١١٠



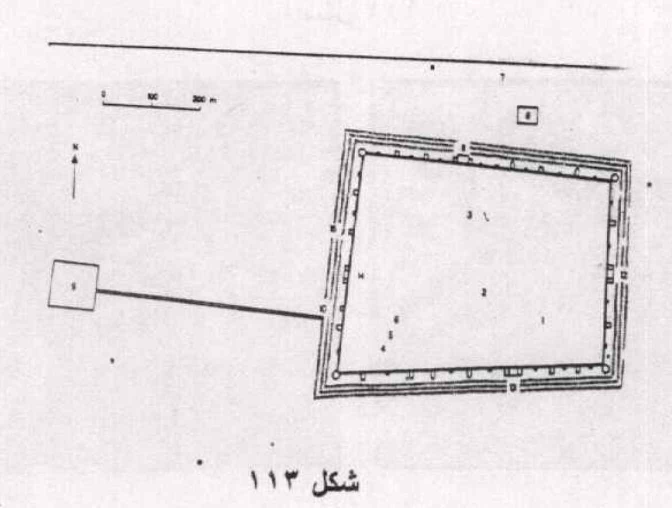
شكل ١١١



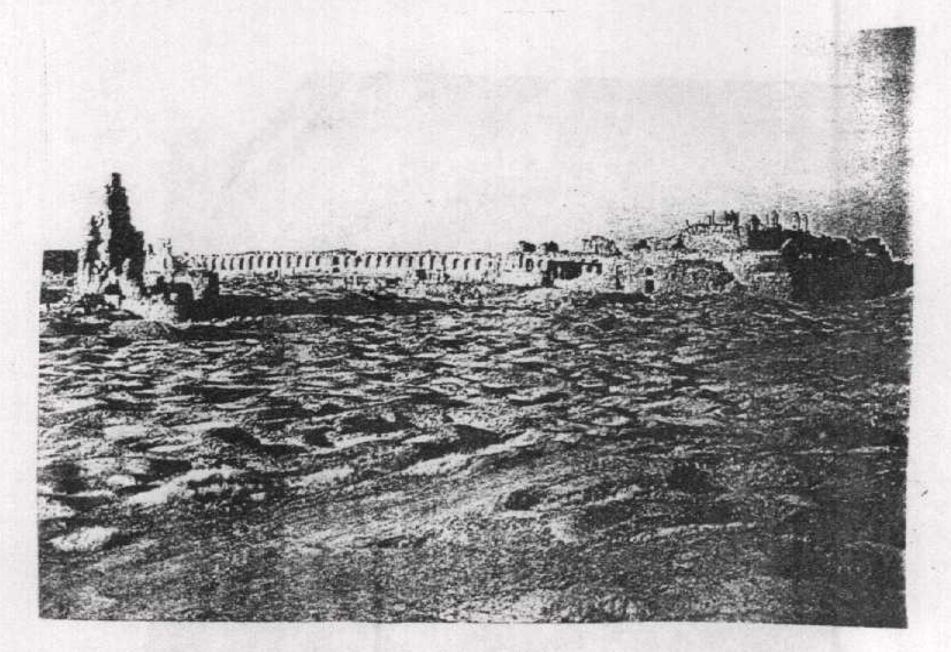




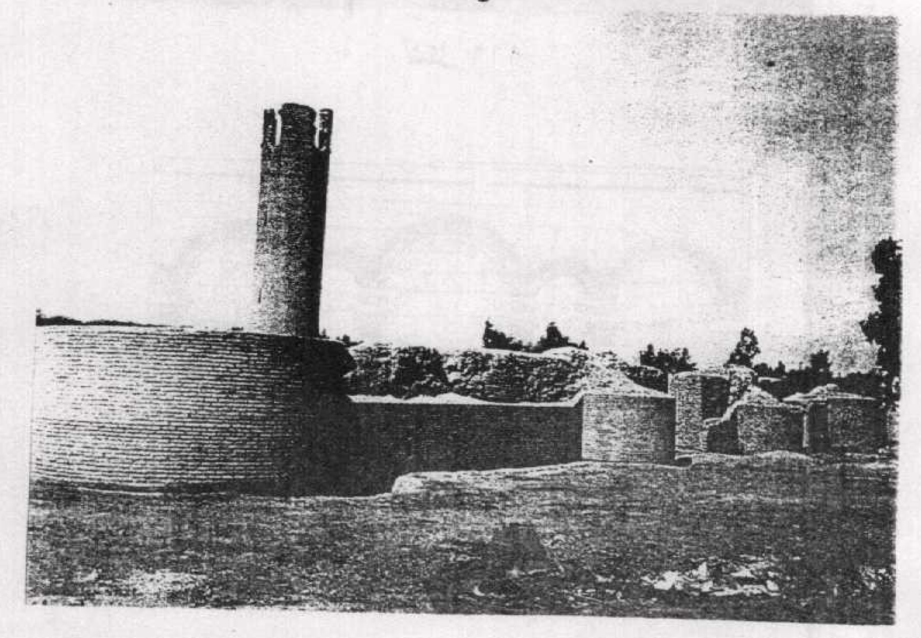
شكل ١١٢



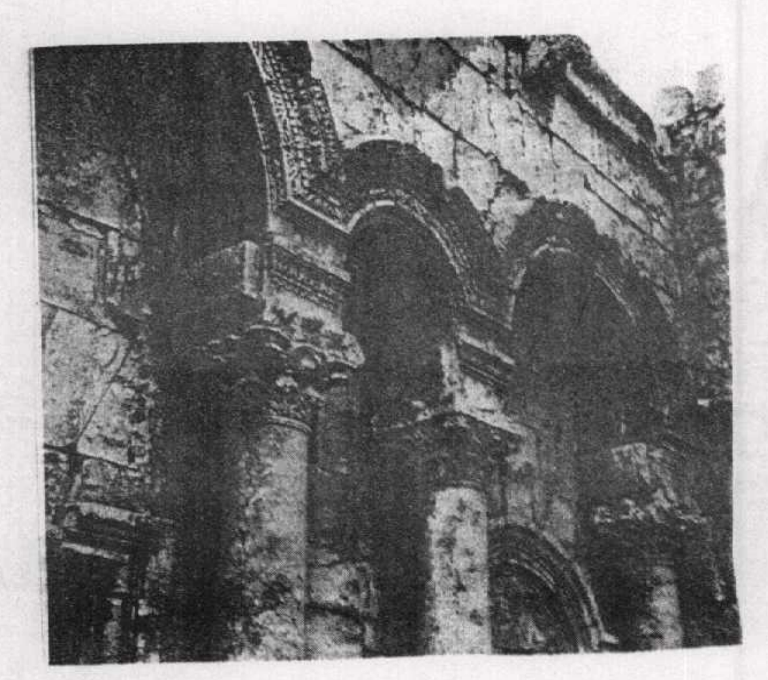
شكل ١١٣



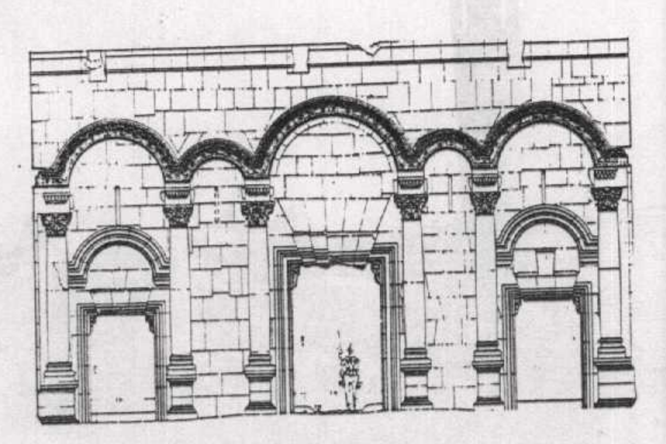
شكل ١١٤



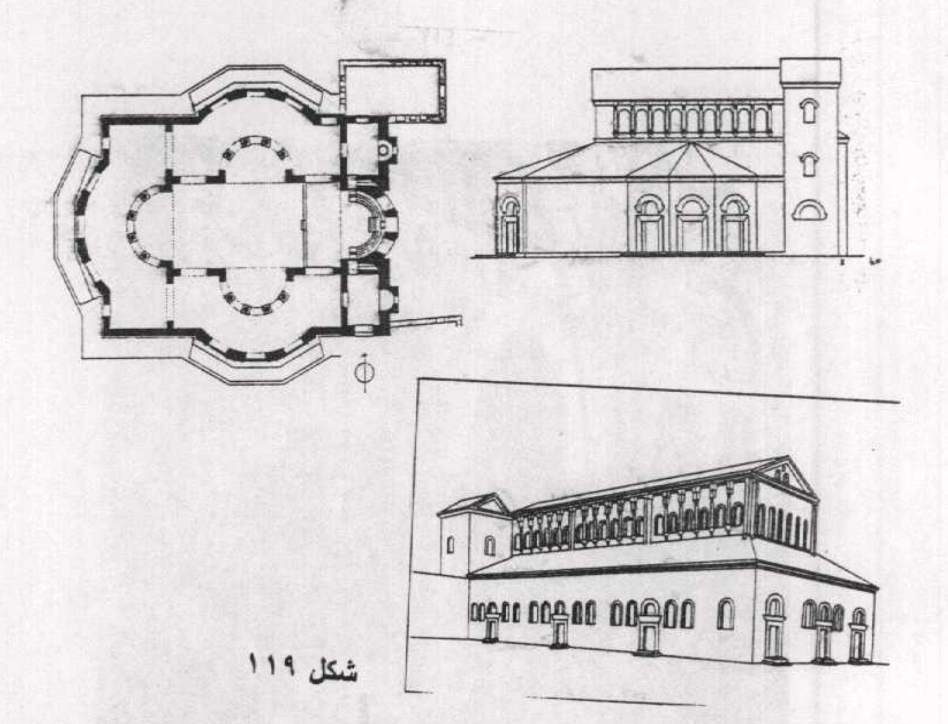
شكل ١١٥



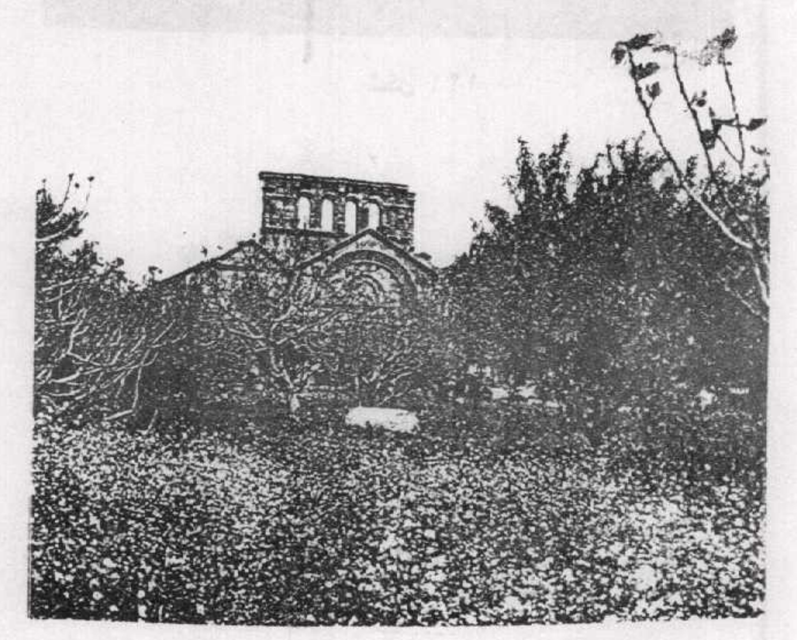
شكل ١١٦



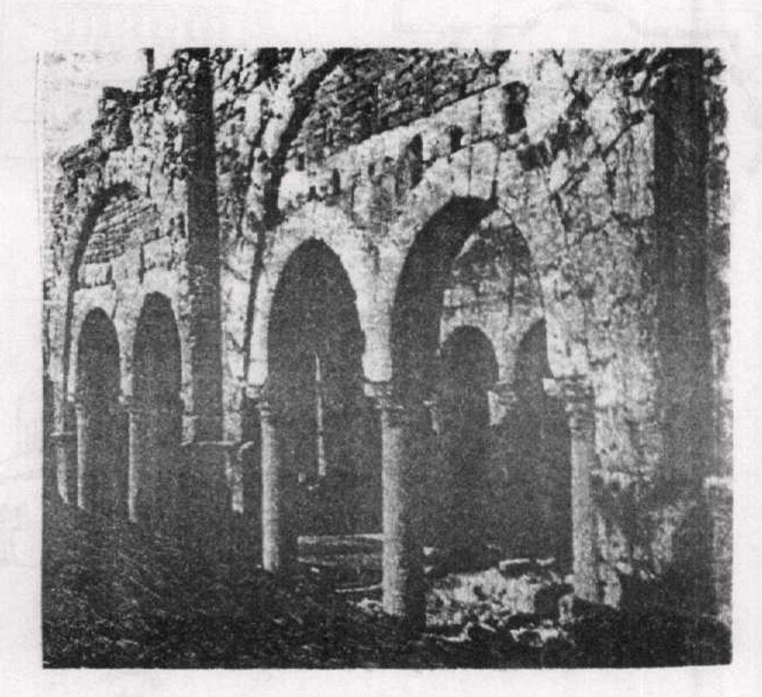
شكل ١١٧



شكل ١١٩



شكل ١٢٠



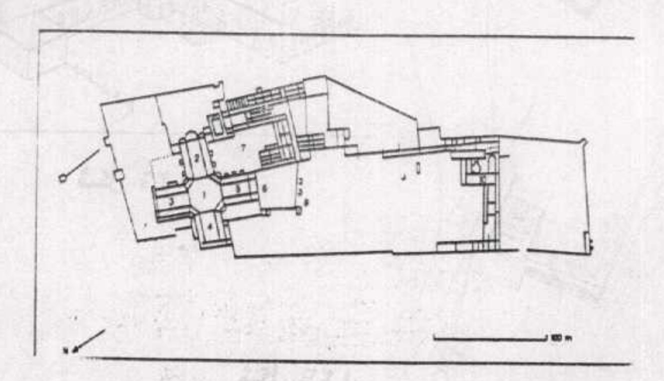
شكل ١٢١



شكل ١٢٢



شكل ١٢٣



شكل ١٢٤

N

H

K L

M

شكل ١٢٥

شكل ١٢٦

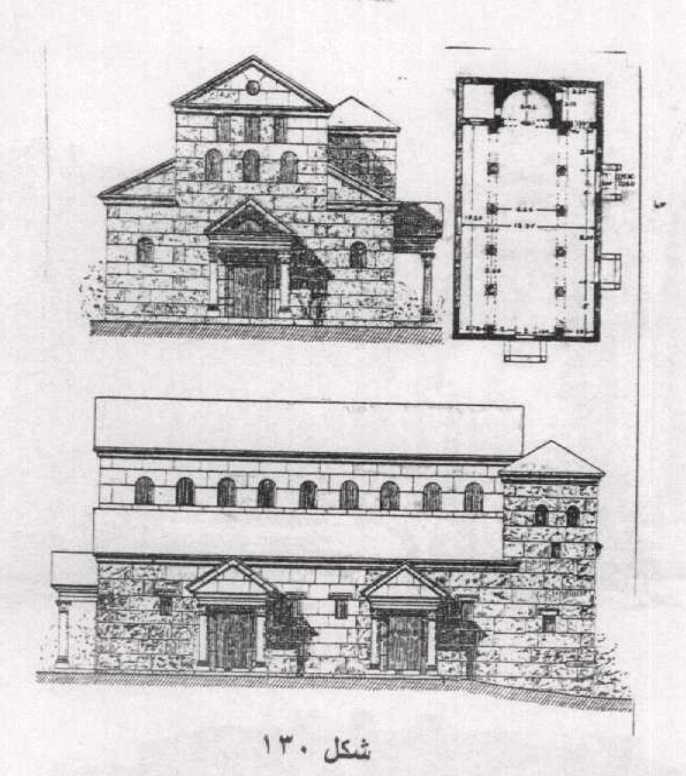
شكل ١٢٧



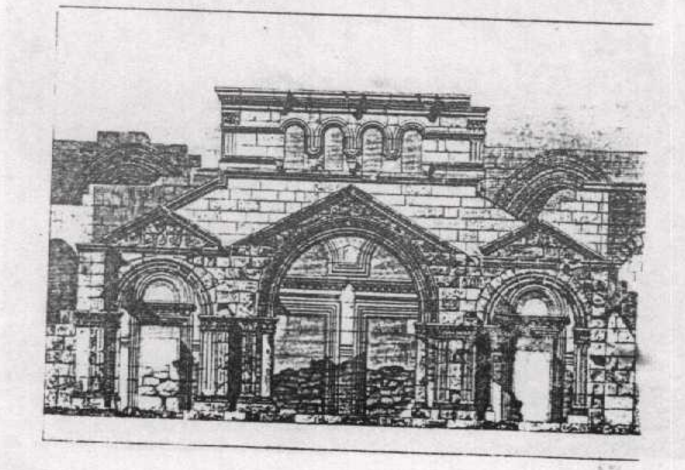
شكل ١٢٨



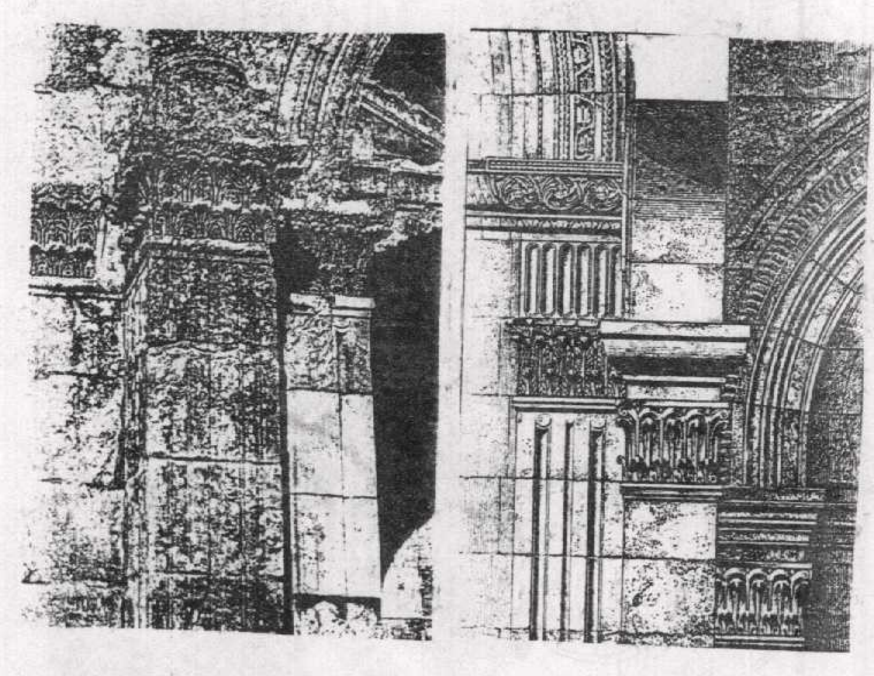
شكل ١٢٩



شكل ١٣٠

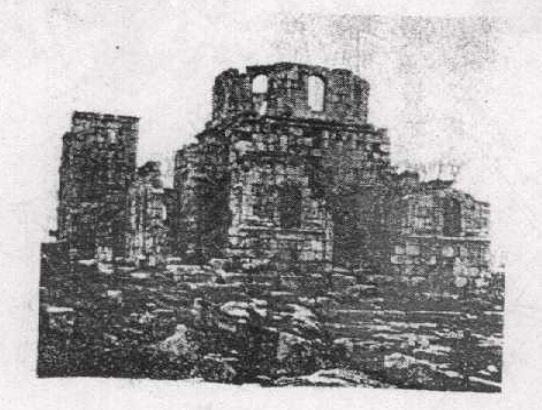


شكل ١٣١

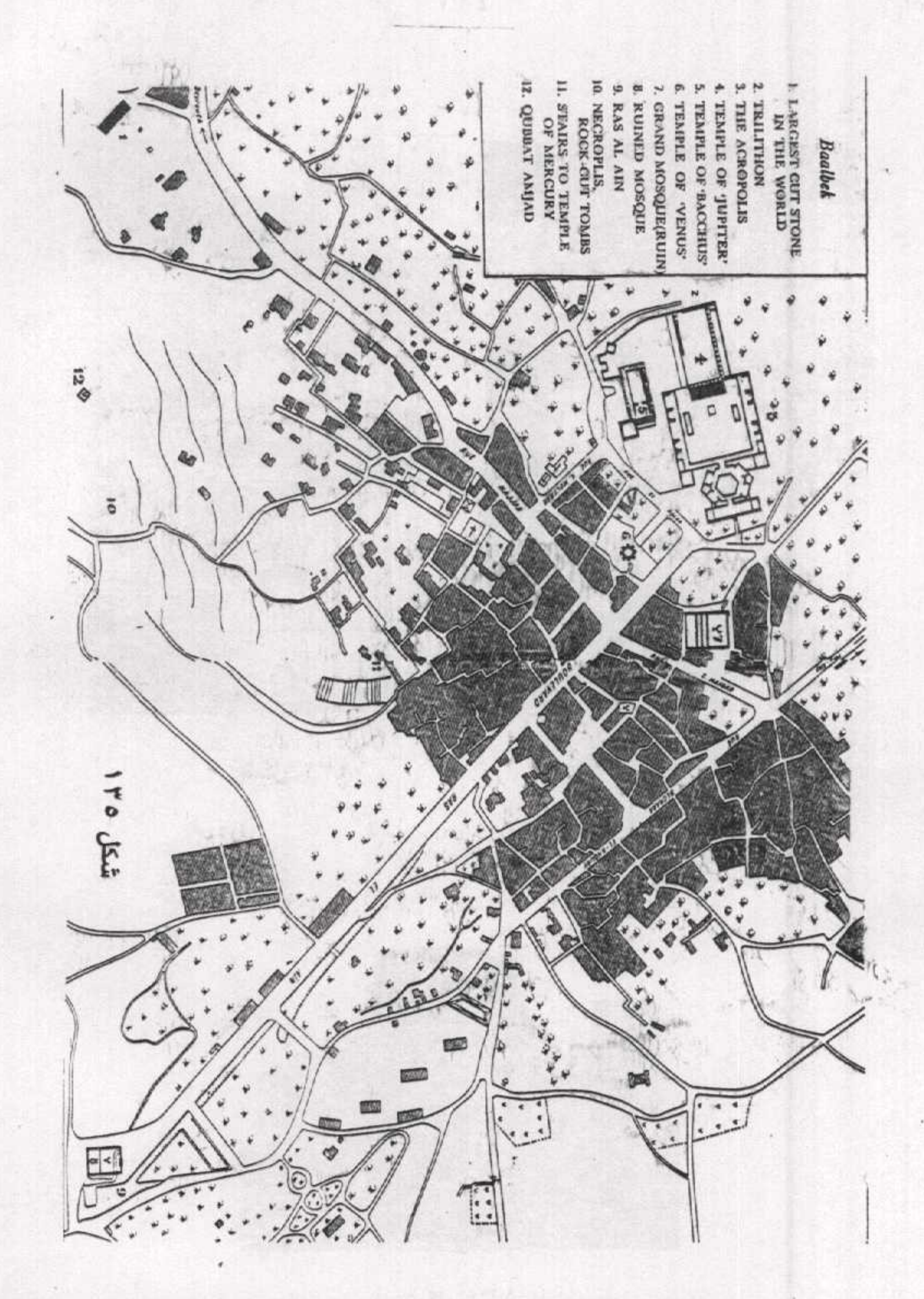


شكل ١٣٢

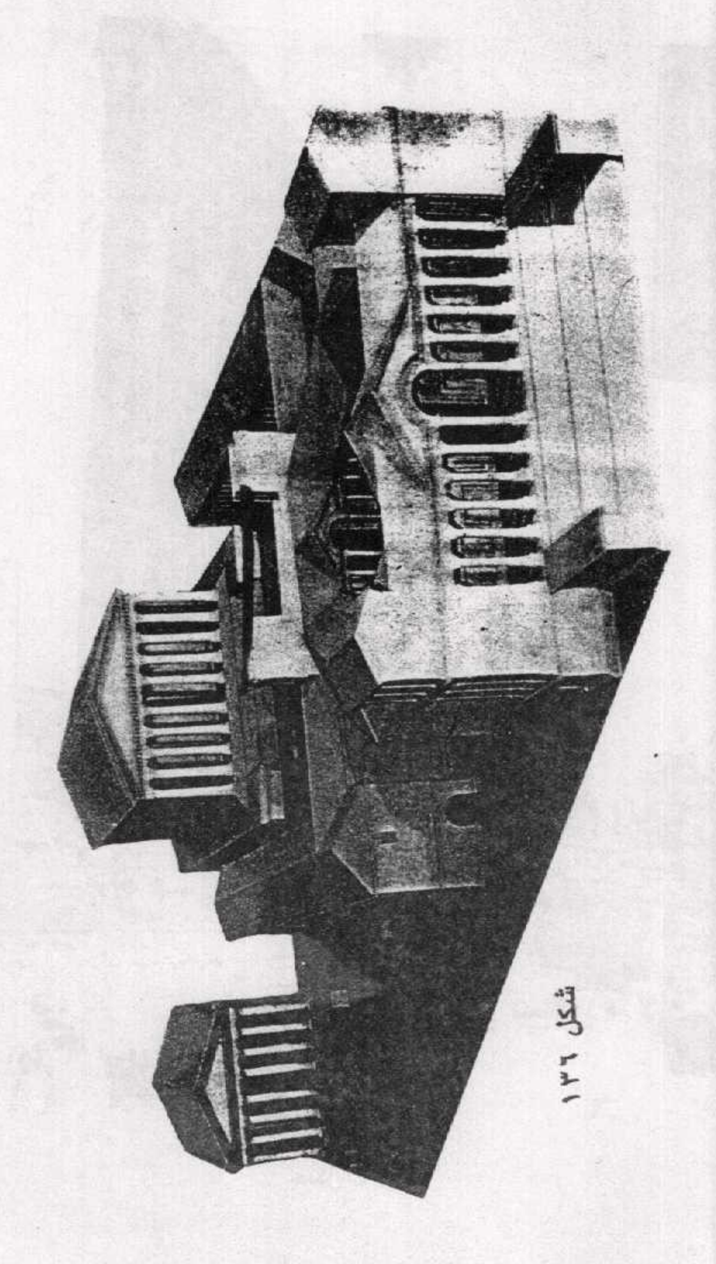
شكل ١٣٣



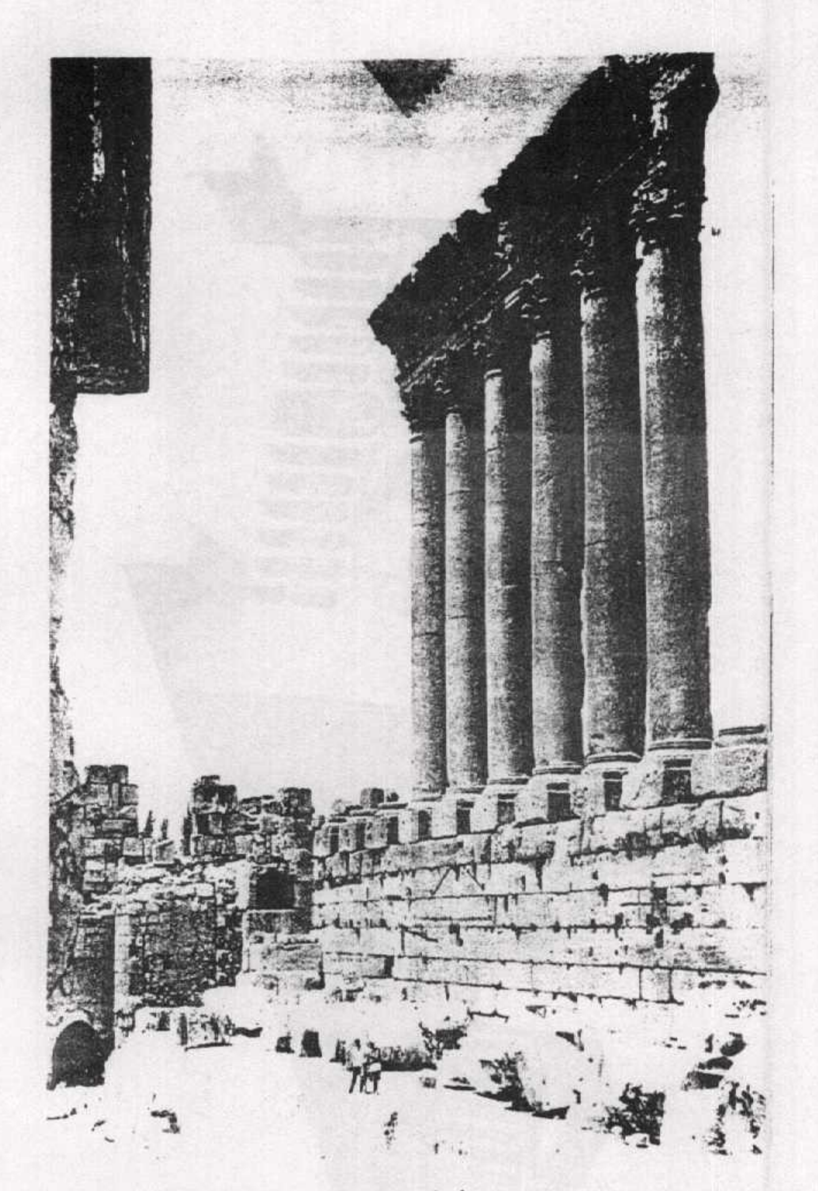
شكل ١٣٤


Baalbek
1. LARGEST CUT STONE IN THE WORLD
2. TRILITHON
3. THE ACROPOLIS
4. TEMPLE OF 'JUPITER'
5. TEMPLE OF 'BACCHUS'
6. TEMPLE OF 'VENUS'
7. GRAND MOSQUE(RUIN)
8. RUINED MOSQUE
9. RAS AL AIN
10. NECROPLIS, ROCK-CUT TOMBS
11. STAIRS TO TEMPLE OF MERCURY
12. QUBBAT AMJAD

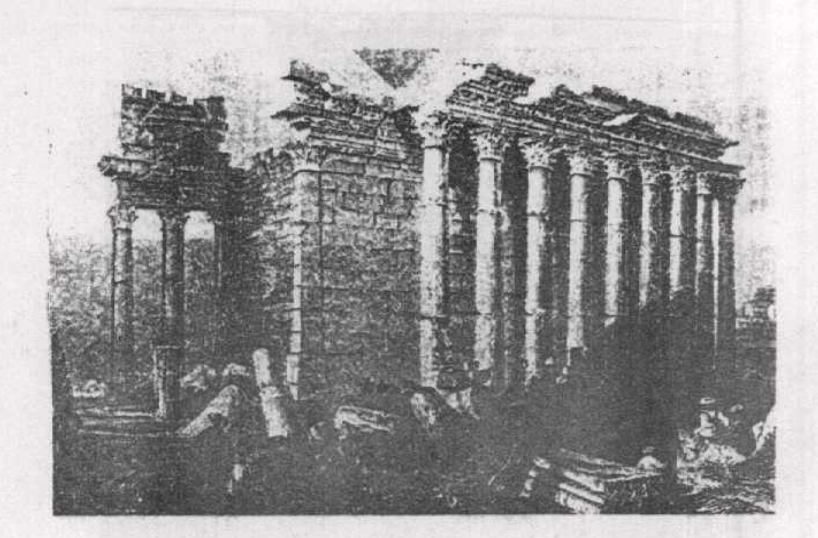
شكل ١٣٥



شكل ١٣٦



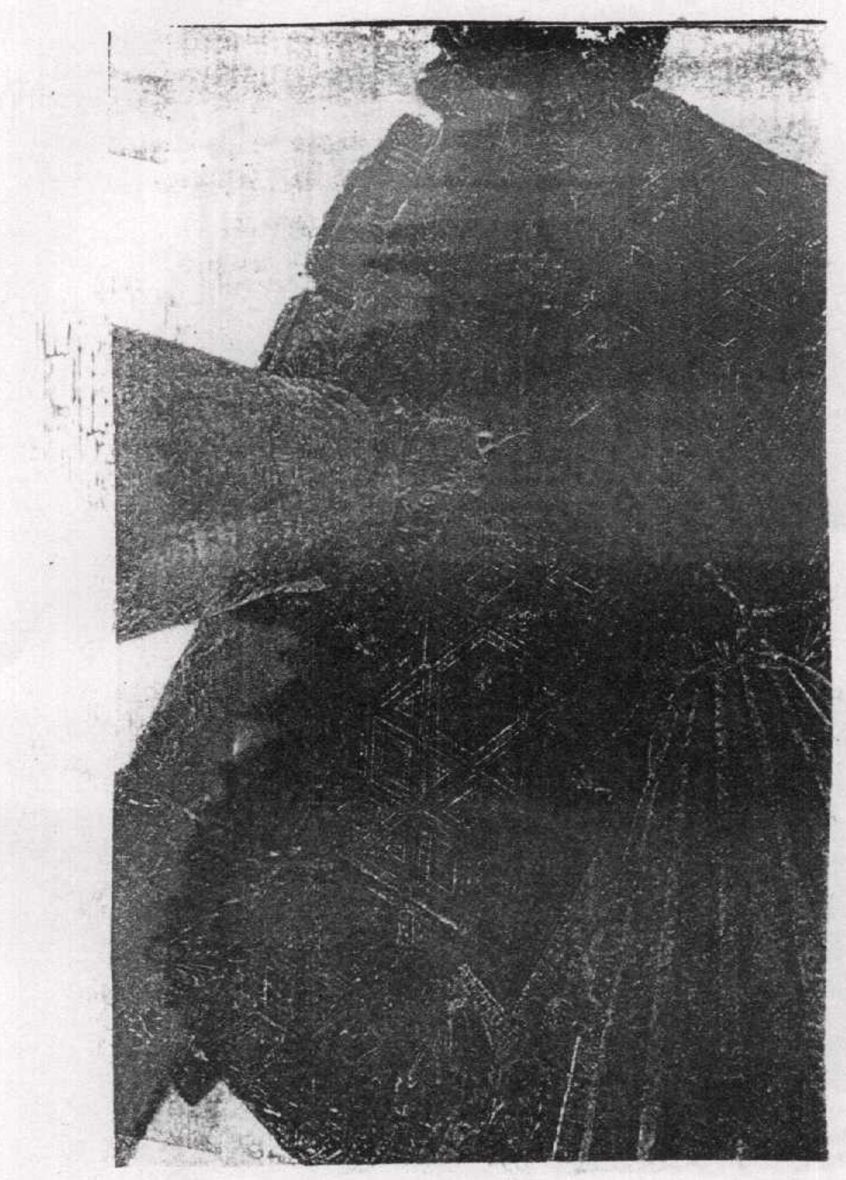
شكل ١٣٧



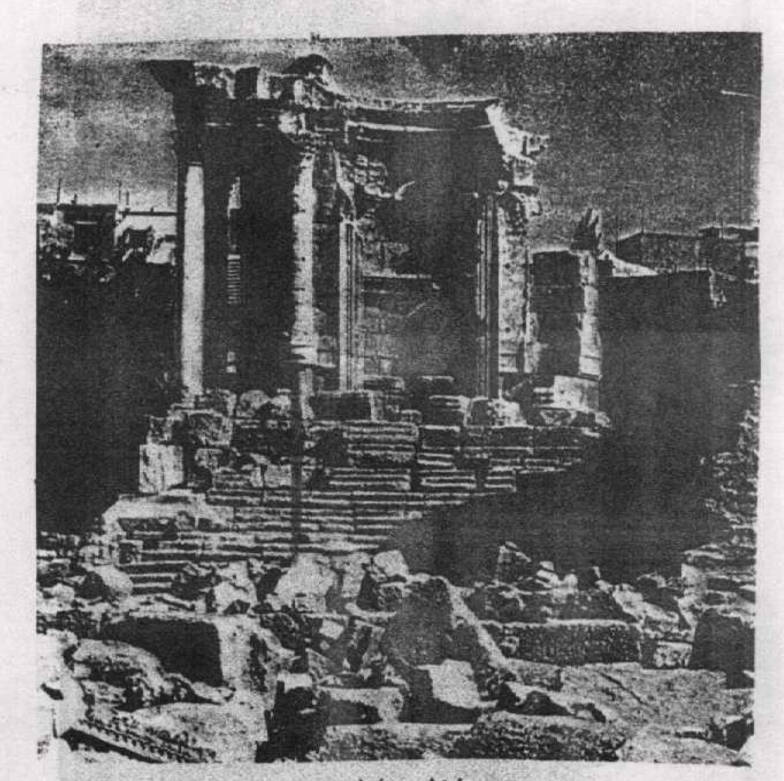


شكل ١٣٨



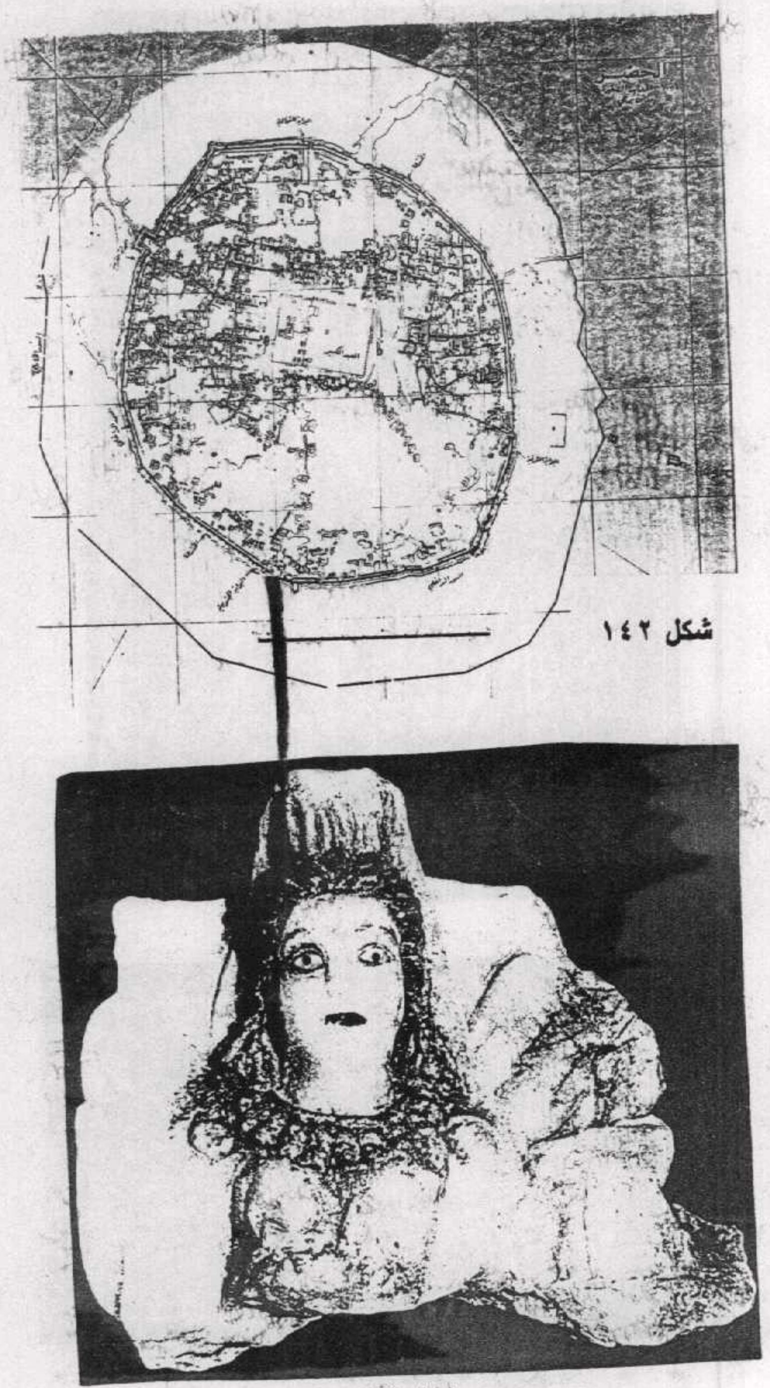


شكل ١٣٩



شكل ١٤٠

شكل ١٤١



شكل ١٤٢

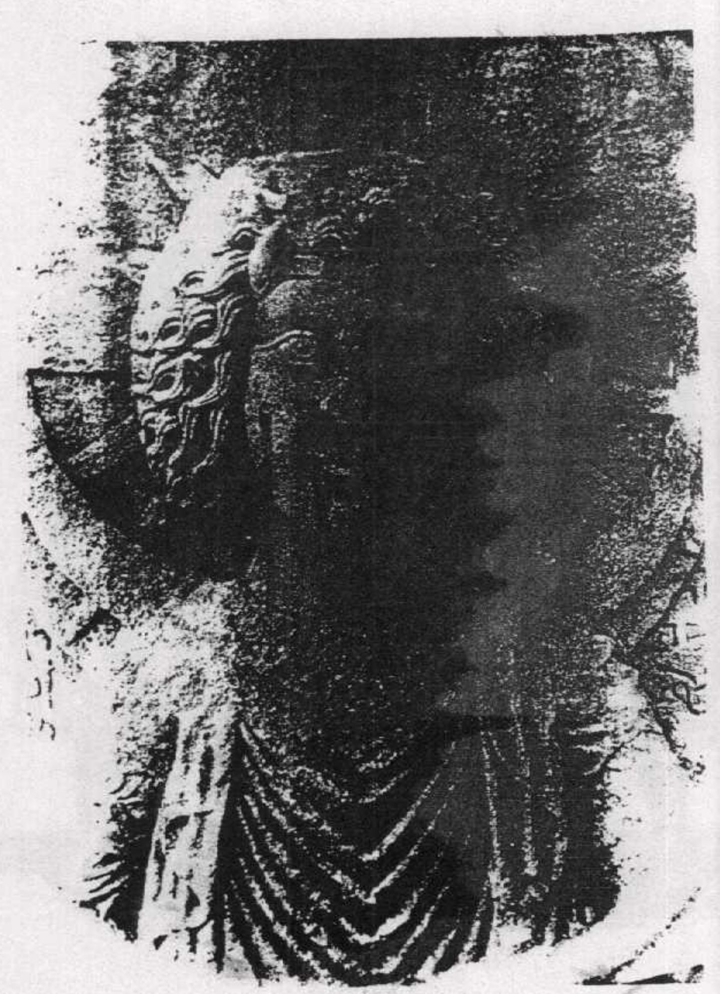
شكل ١٤٣



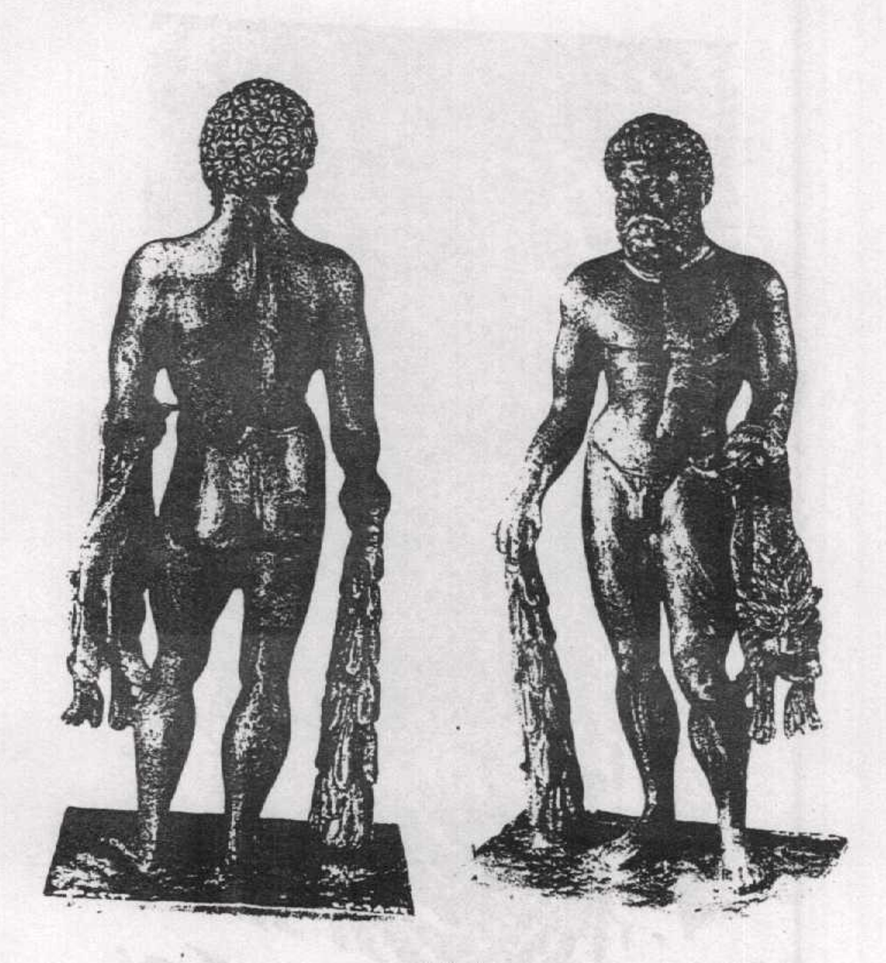
شكل ١٤٤



شكل ١٤٥



شكل ١٤٦



شكل ١٤٧



شكل ١٤٨



شكل ١٤٩

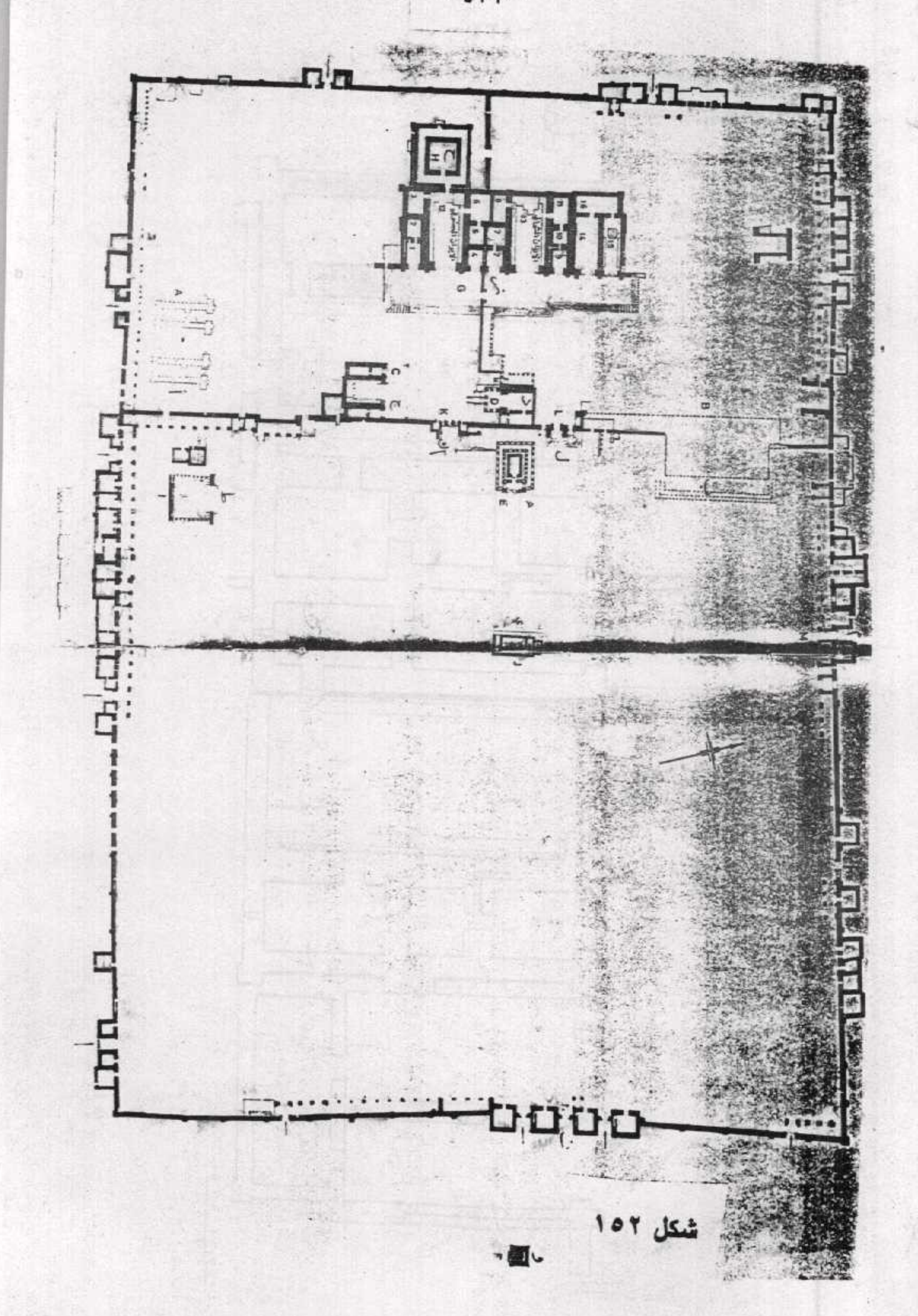


شكل ١٥٠

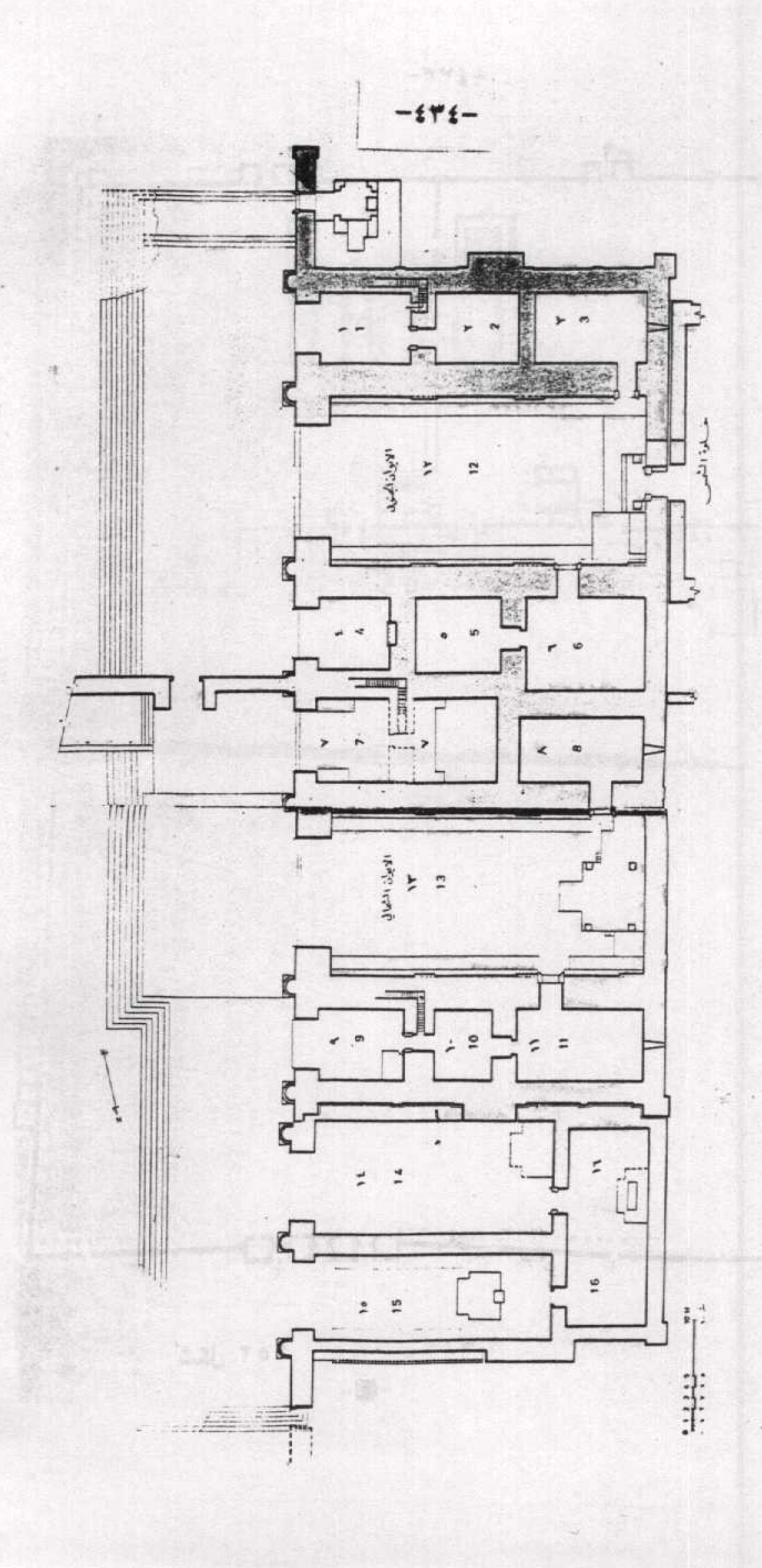


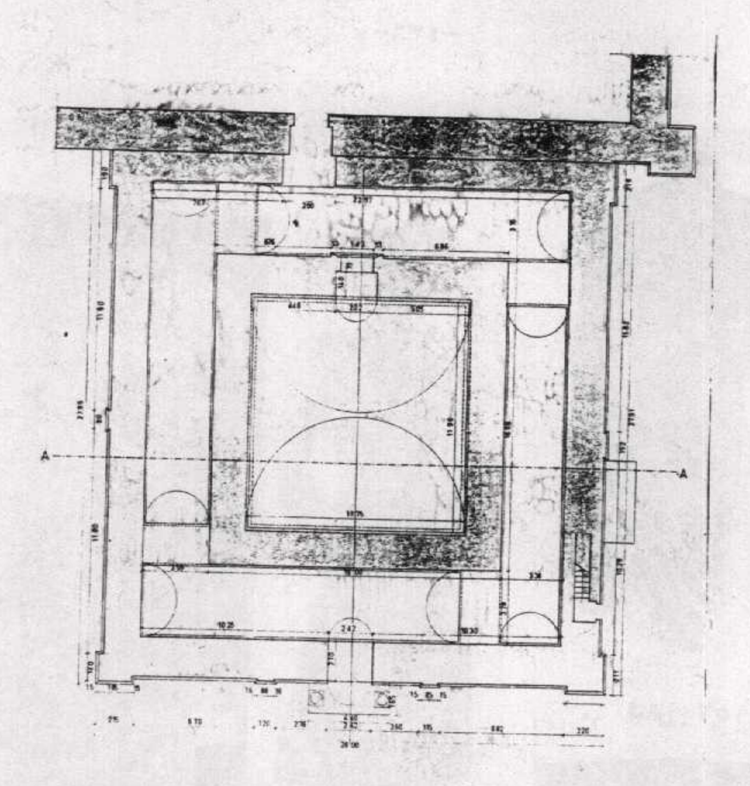


شكل ١٥١

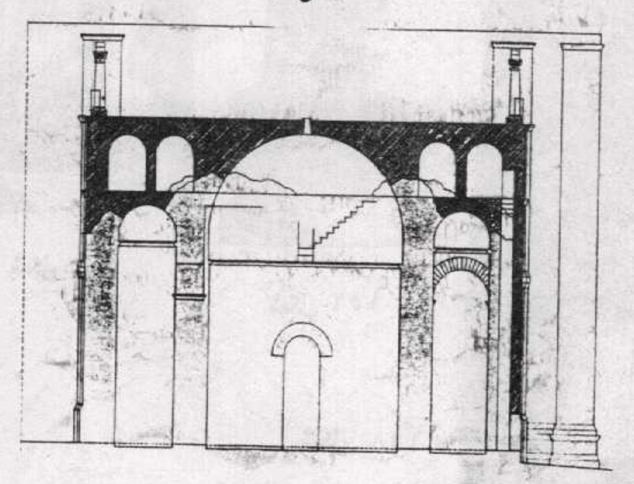


شكل ١٥٢





شكل ١٥٤



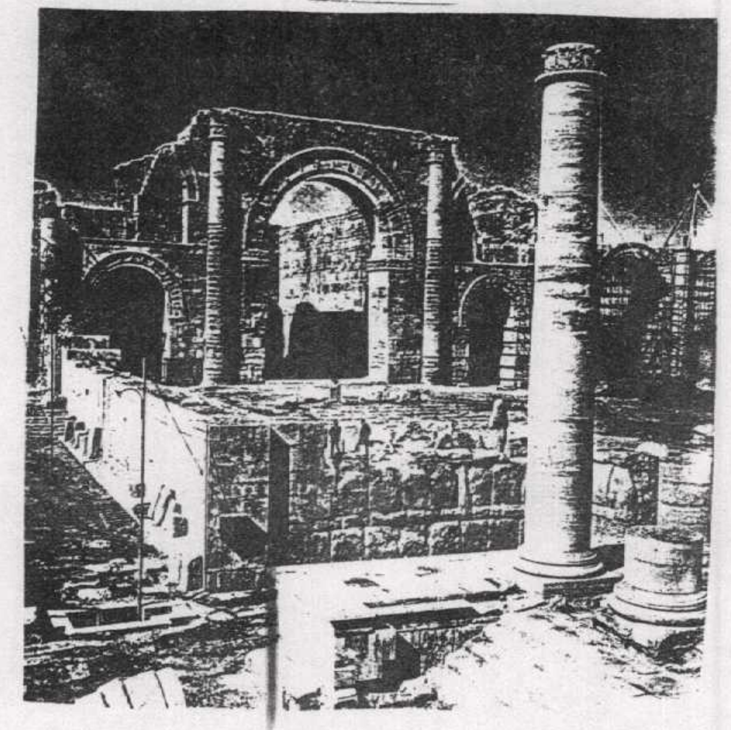


شكل ١٥٧

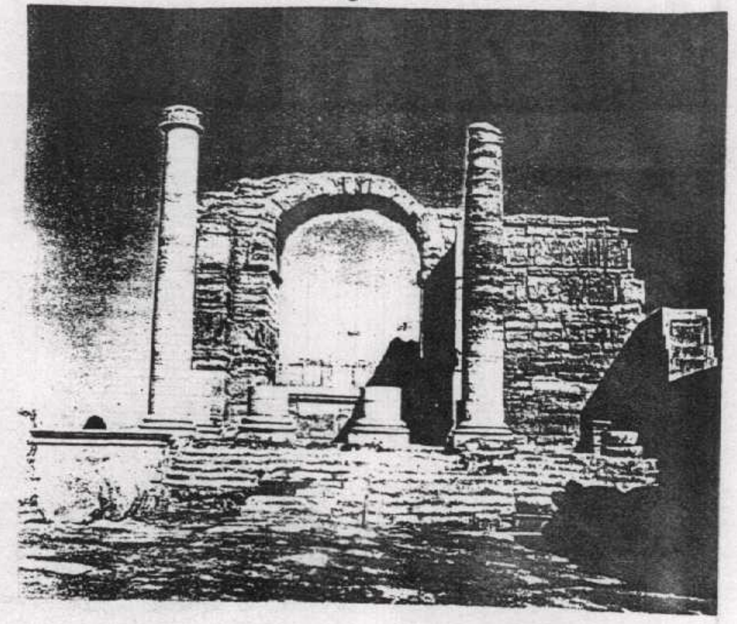
شكل ١٥٦

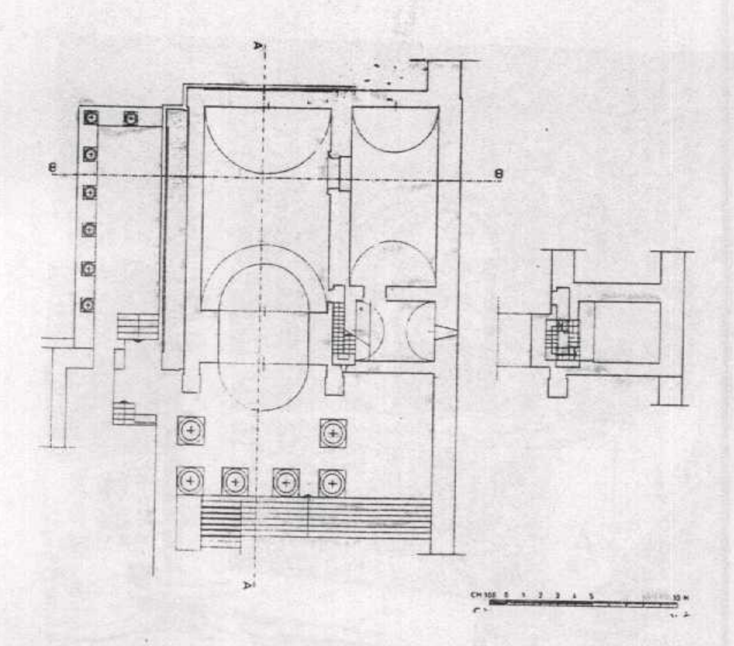
شكل ١٥٥

شكل ١٥٨

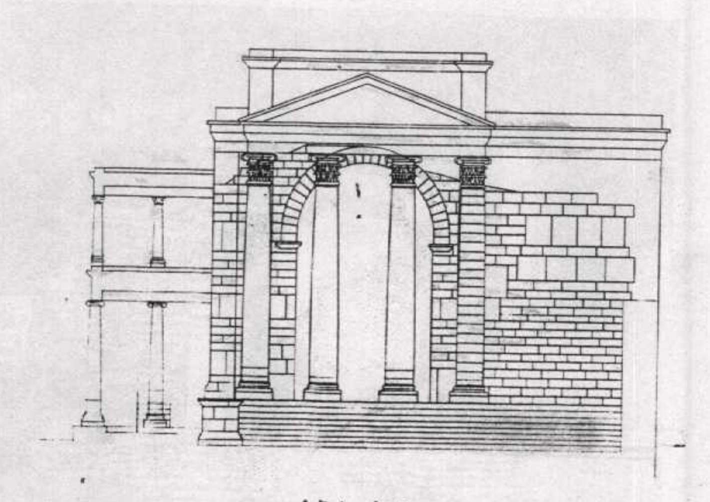


شكل ١٥٩

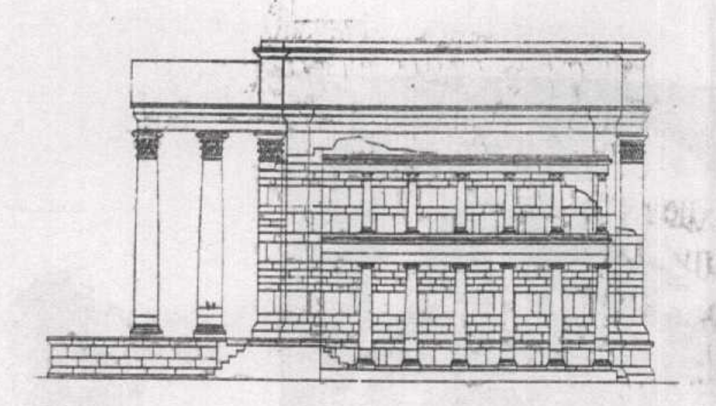




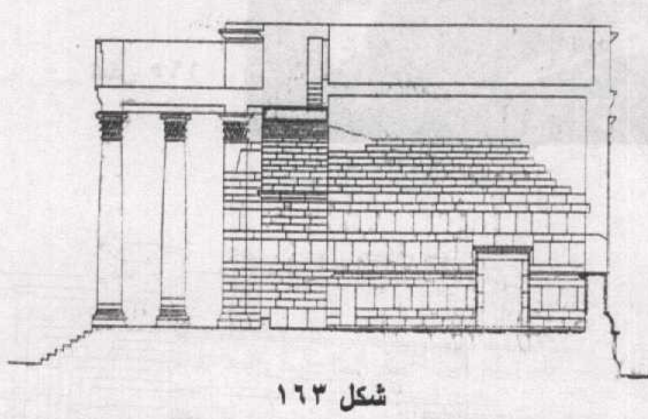
شكل ١٦٠



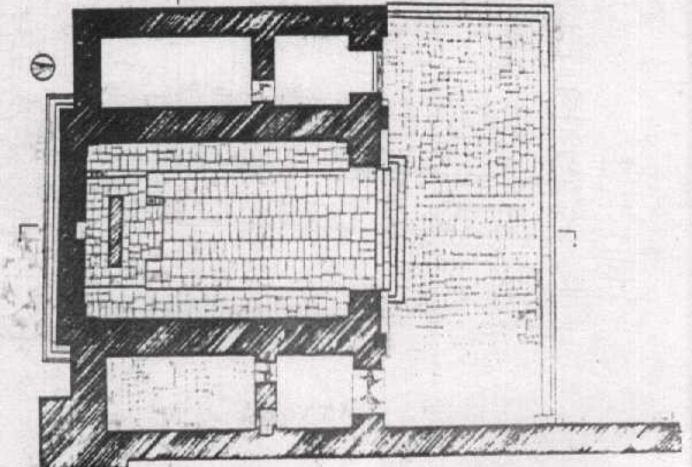
شكل ١٦١



شكل ١٦٢



شكل ١٦٣

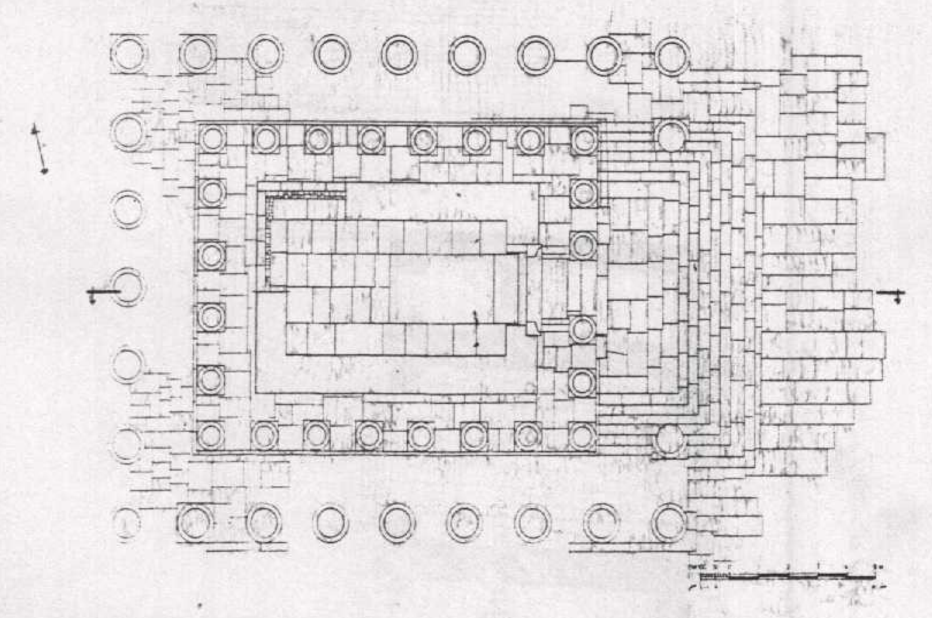


شكل ١٦٤

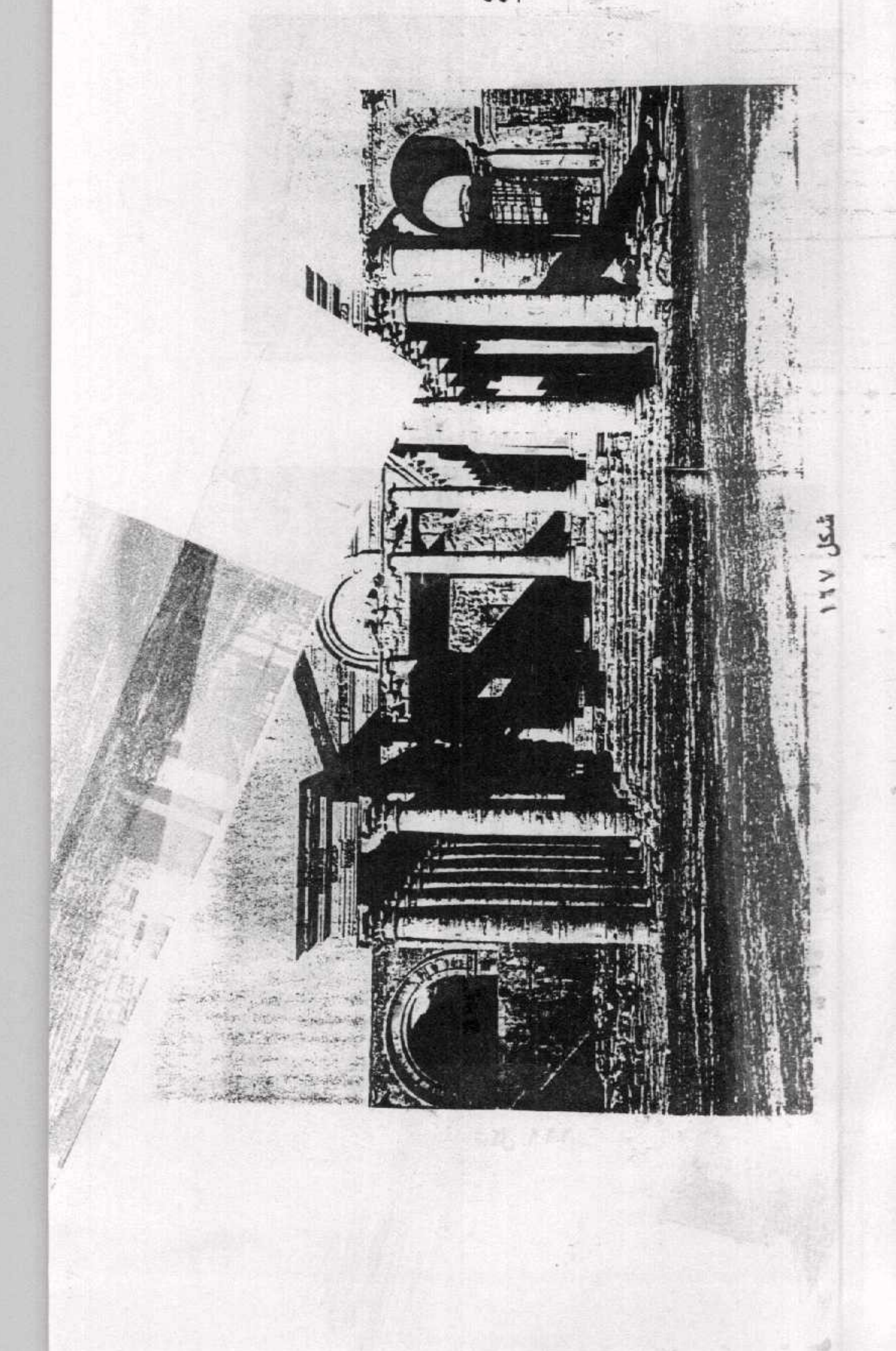




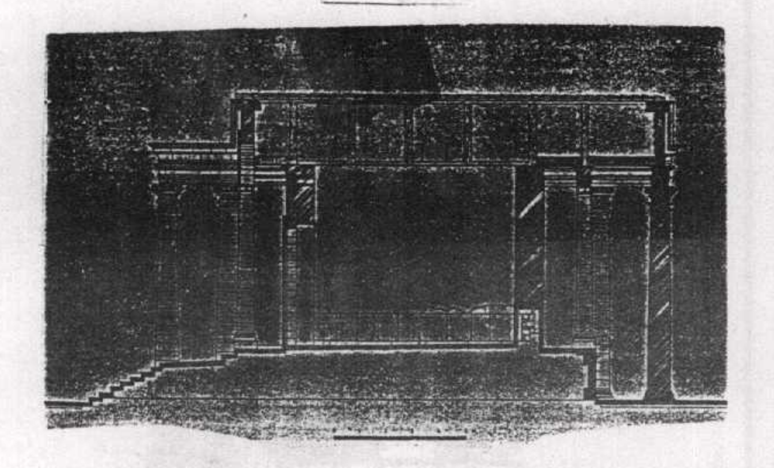
شكل ١٦٥



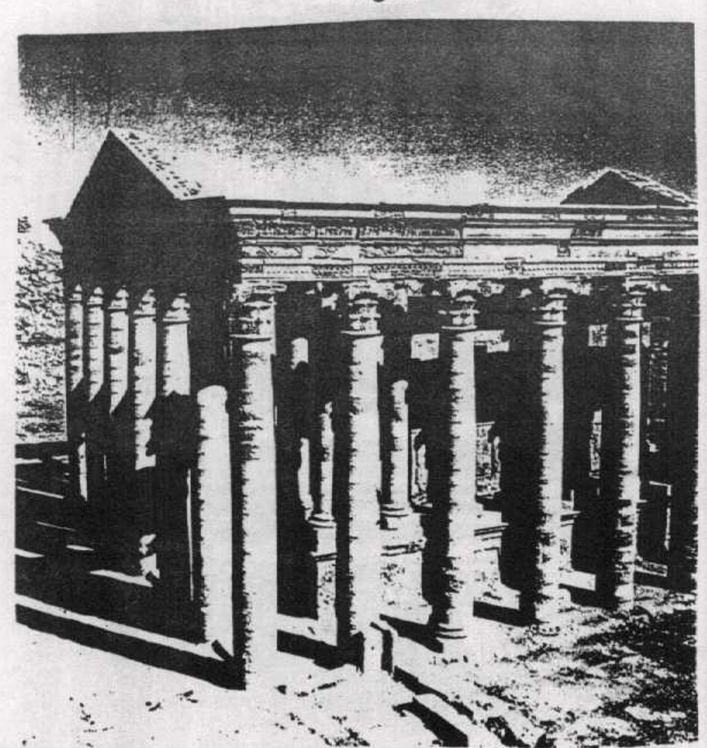
شكل ١٦٦



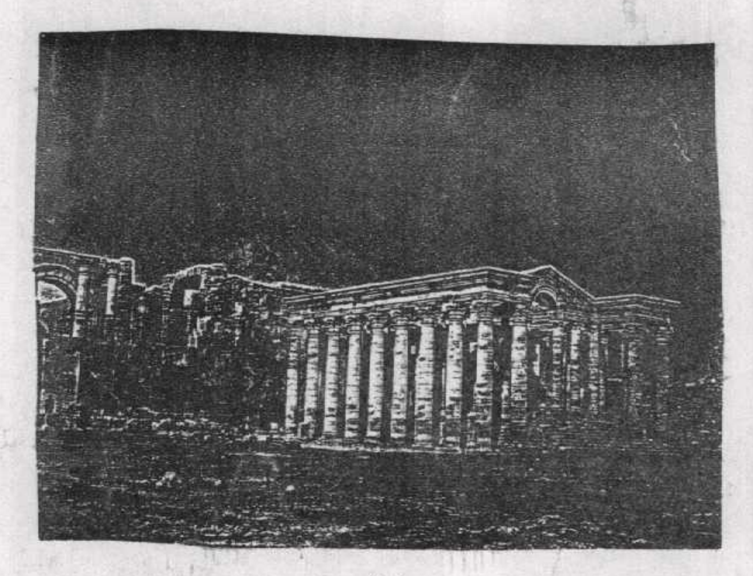
شكل ١٦٧



شكل ١٦٨



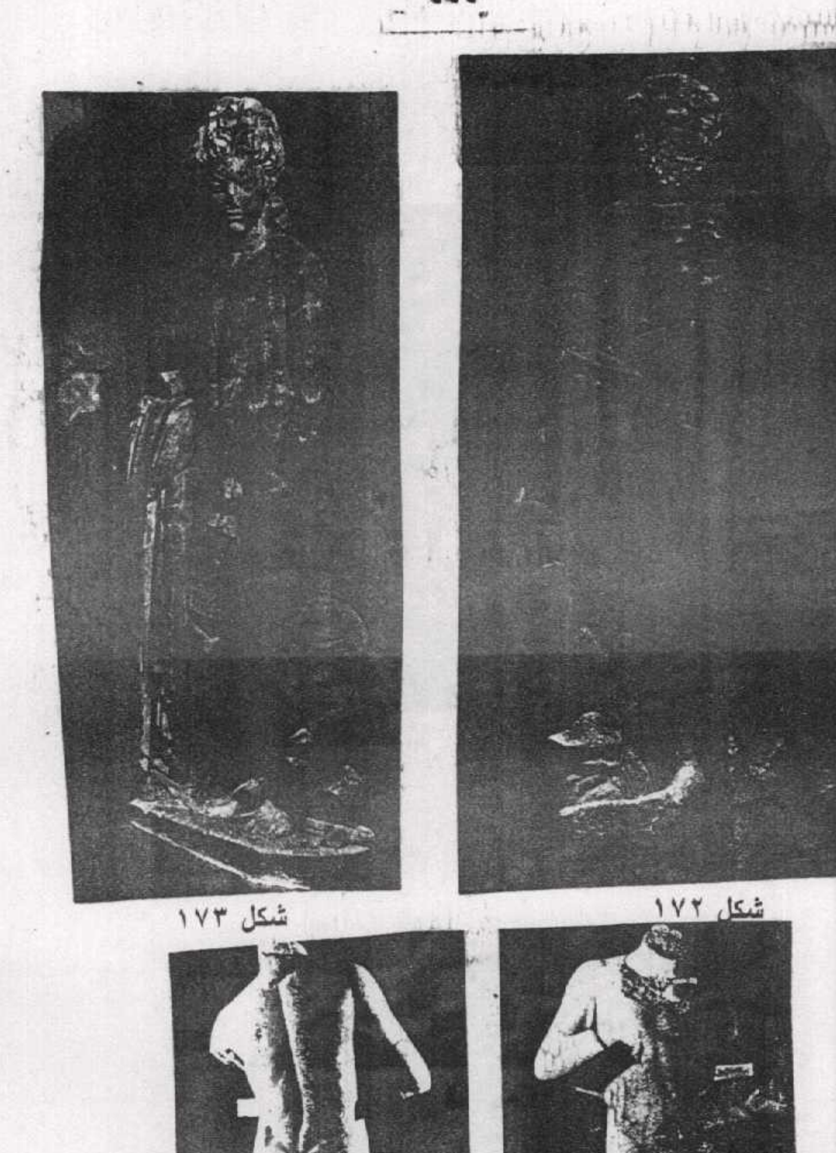
شكل ١٦٩



شكل ١٧٠

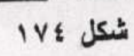


شكل ١٧١

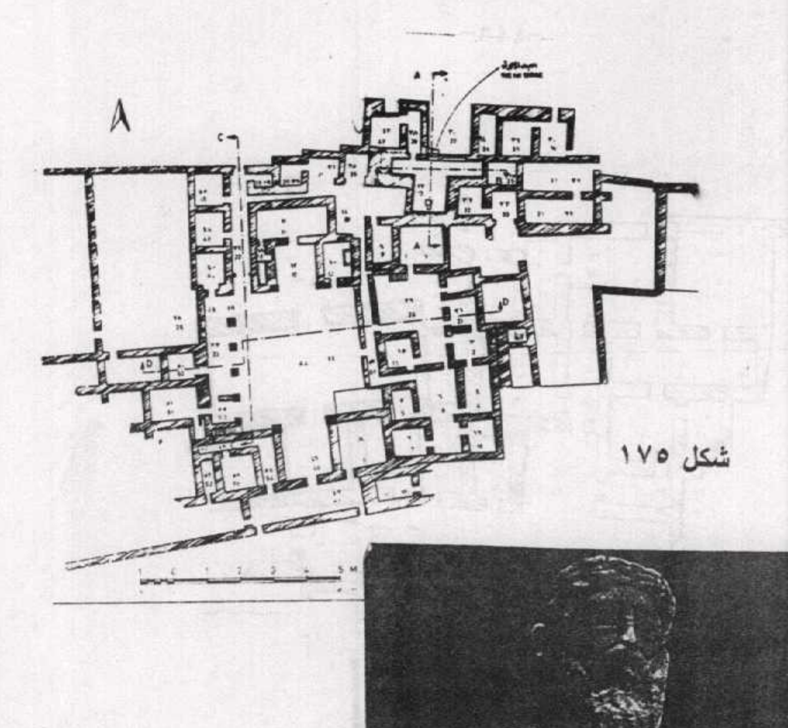


شكل ١٧٢

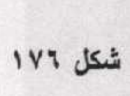
شكل ١٧٣



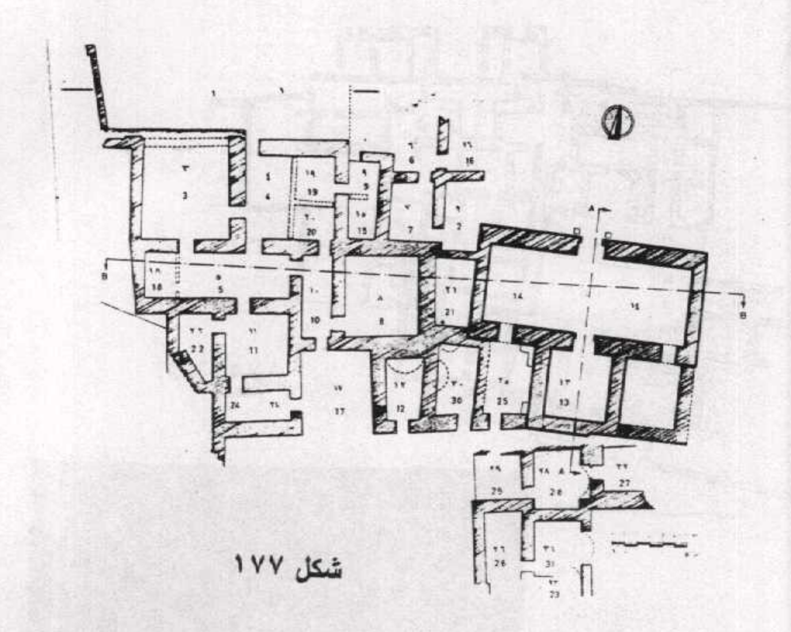
شكل ١٧٤



شكل ١٧٥



شكل ١٧٦



شكل ١٧٧



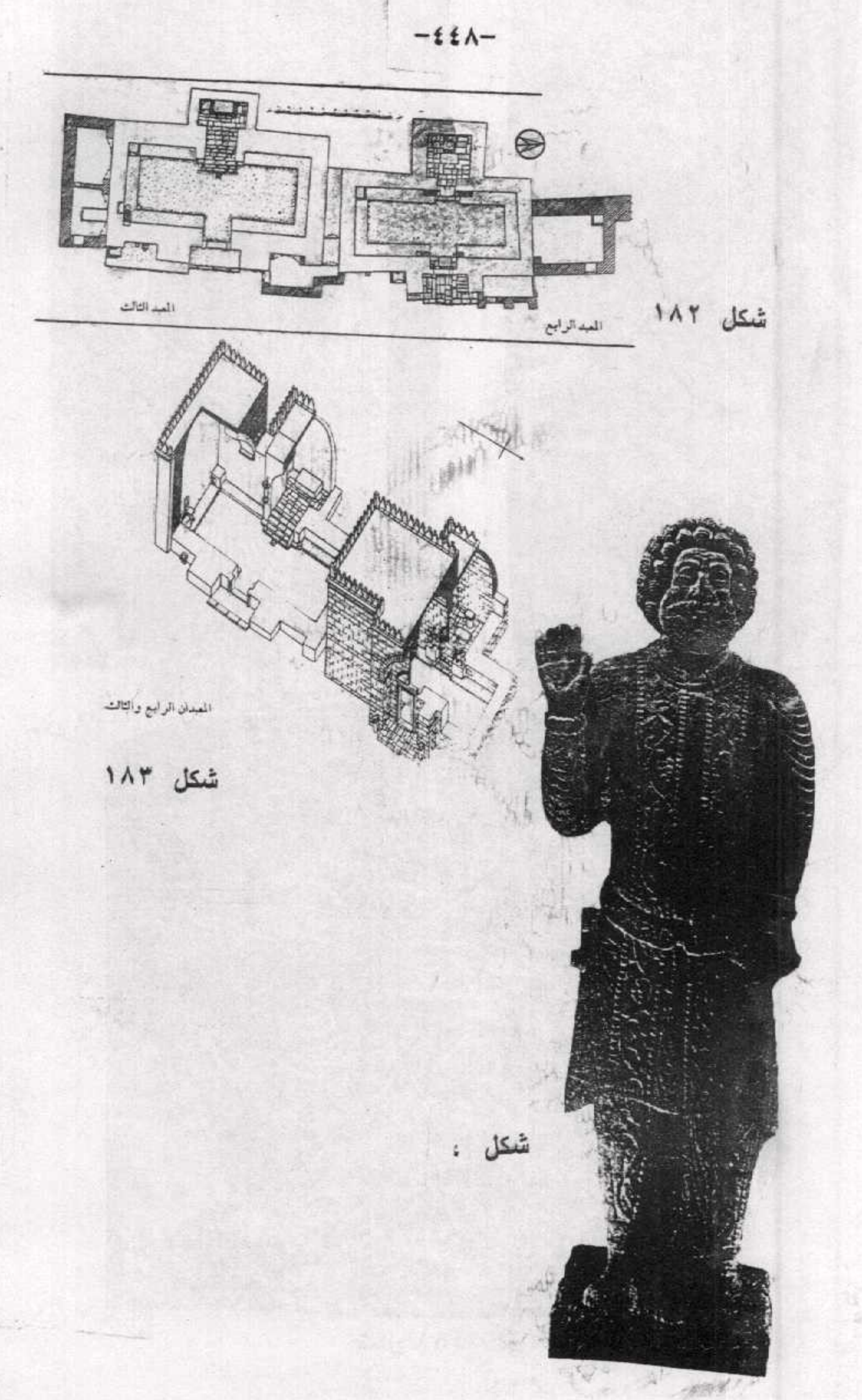
شكل ١٧٨



شكل ١٨٠

شكل ١٧٩

شكل ١٨١



شكل ١٨٢

شكل ١٨٣

شكل :



شكل ١٨٥

شكل ١٨٦

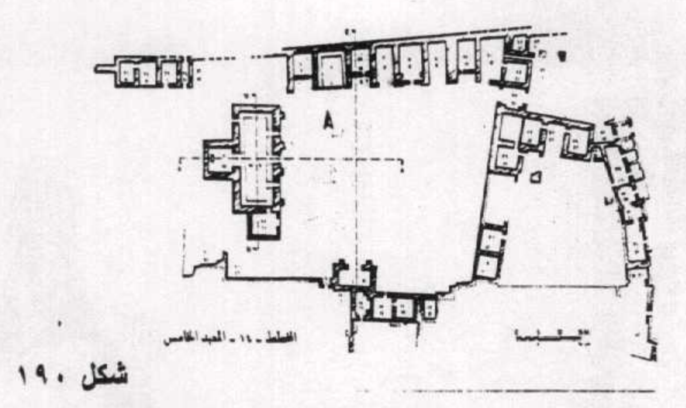
شكل ١٨٧



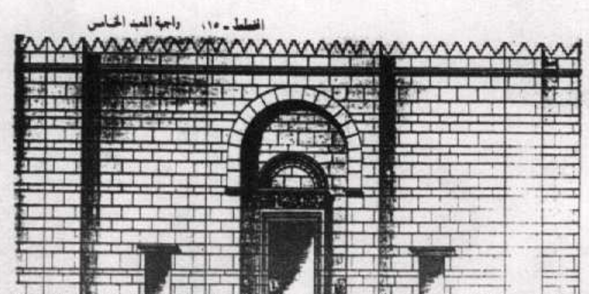
شكل ١٨٨



شكل ١٨٩



شكل ١٩٠





شكل ١٩١





شكل ١٩٥

شكل ١٩٢

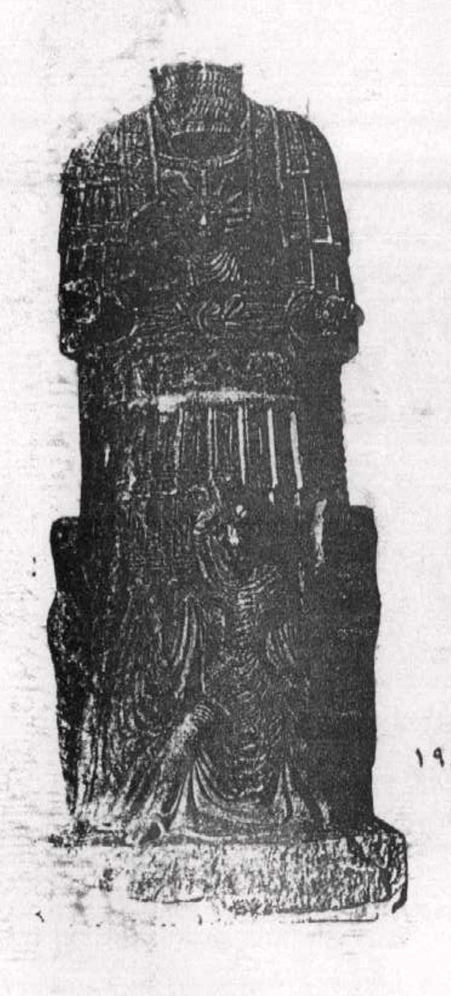
شكل ١٩٣

شكل ١٩٤

شكل ١٩٦

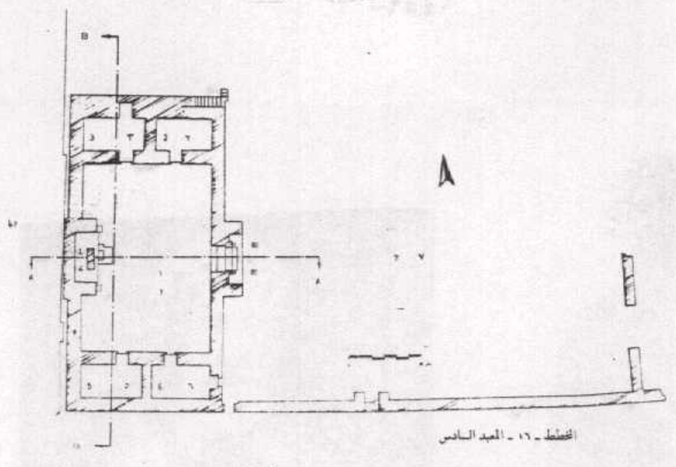


شكل ١٩٧



شكل ١٩٨





شكل ١٩٩



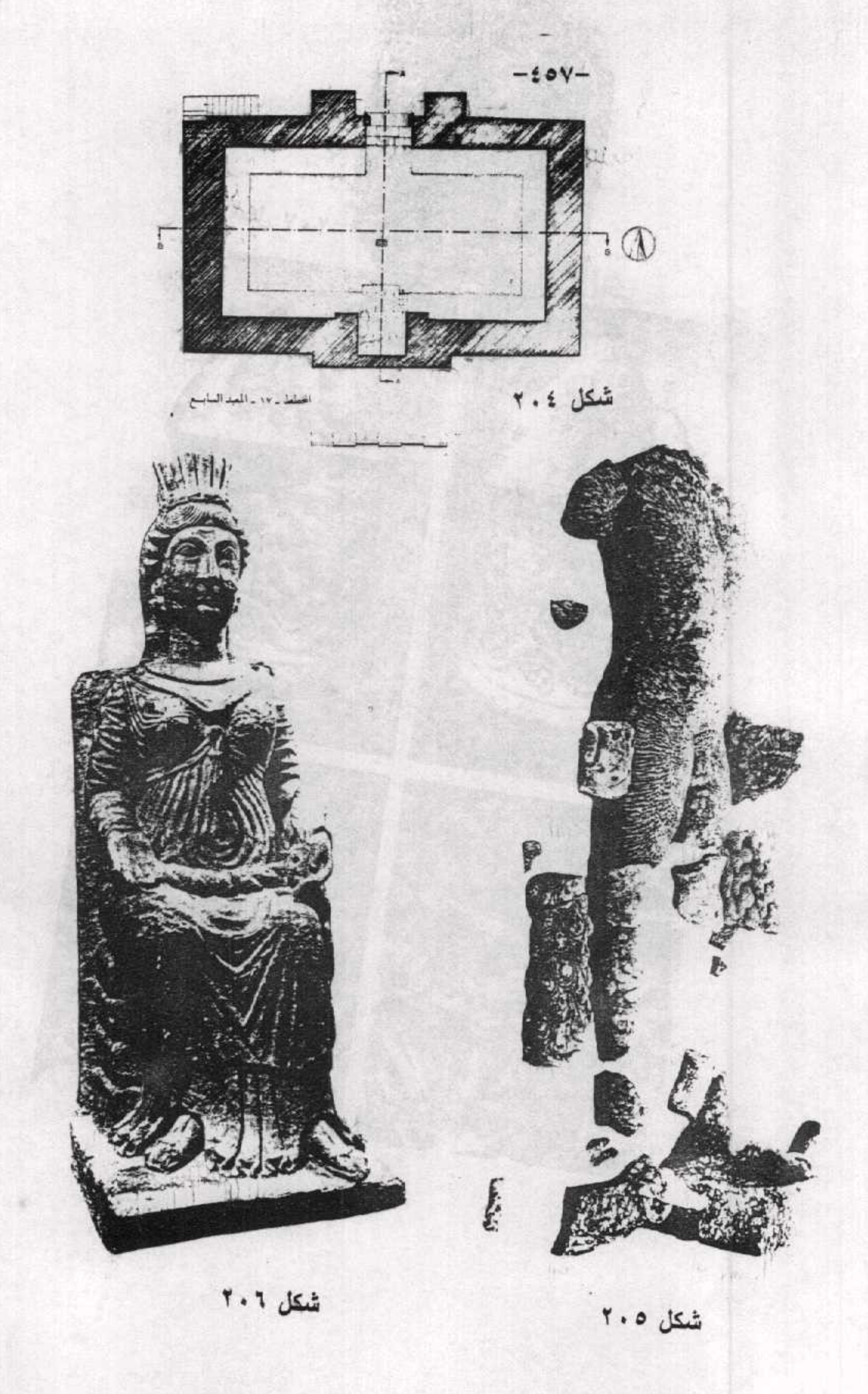
شكل ٢٠١ شكل ٢٠٠



شكل ٢٠٢



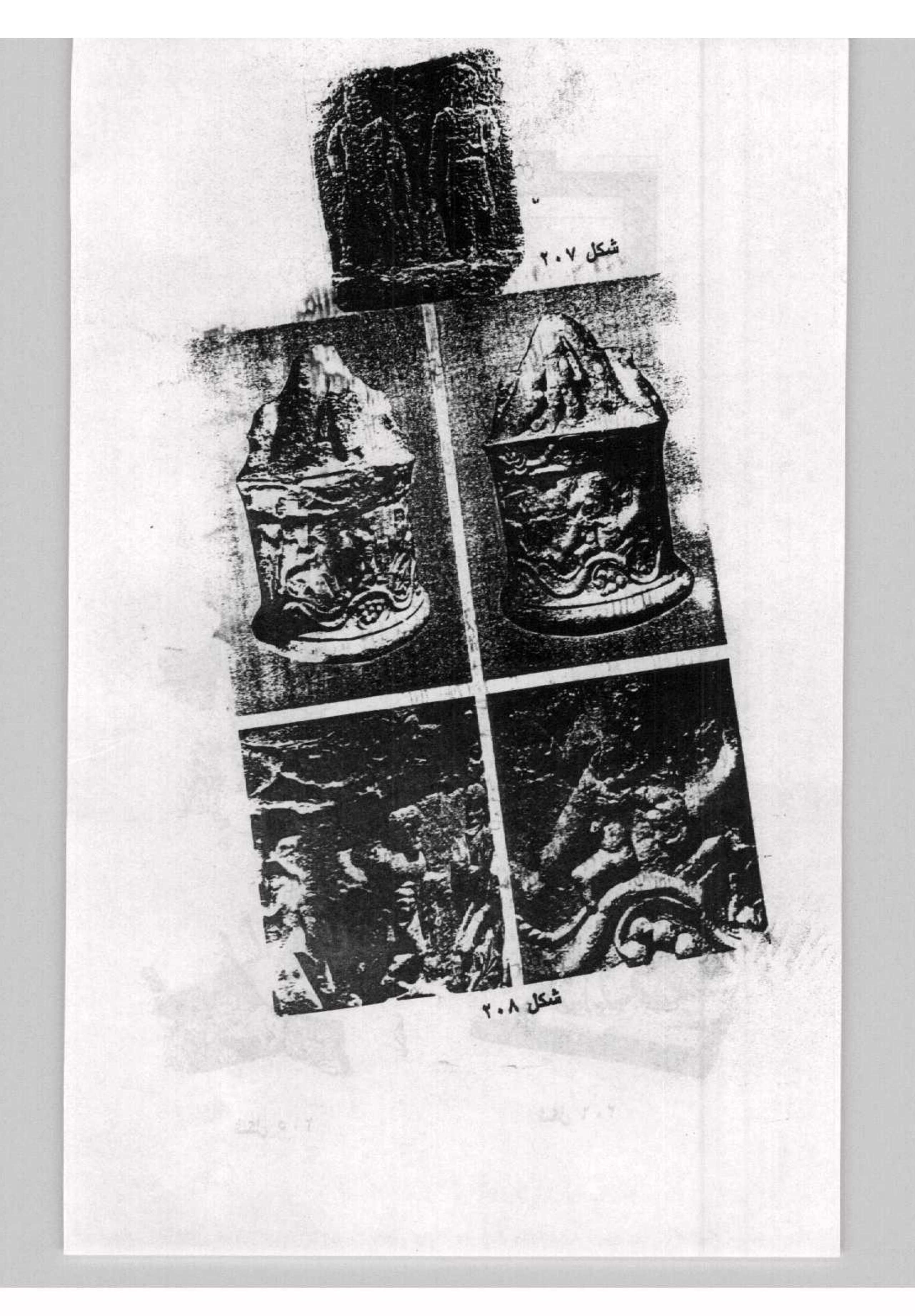
شكل ٢٠٣



شكل ٢٠٤

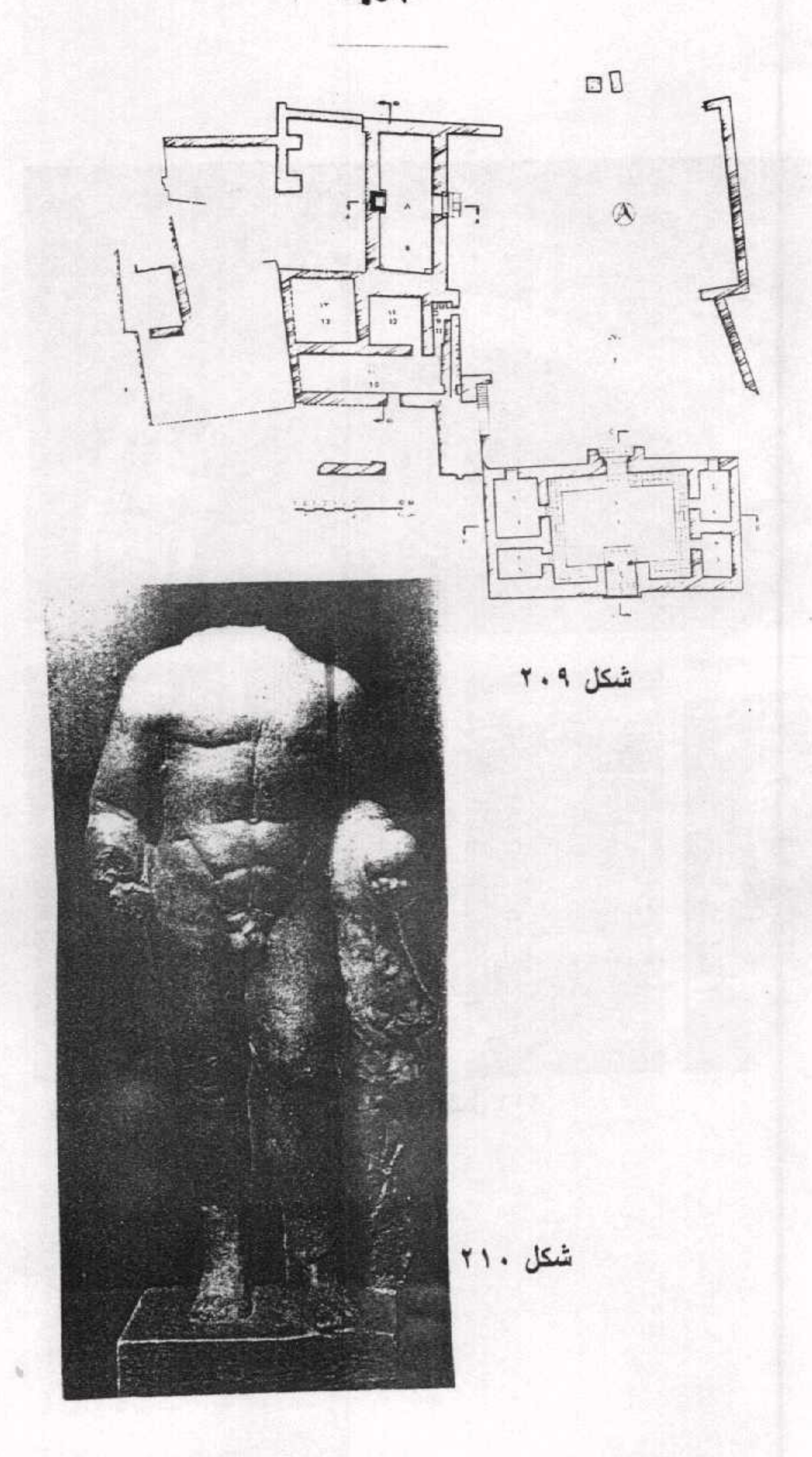
شكل ٢٠٦

شكل ٢٠٥



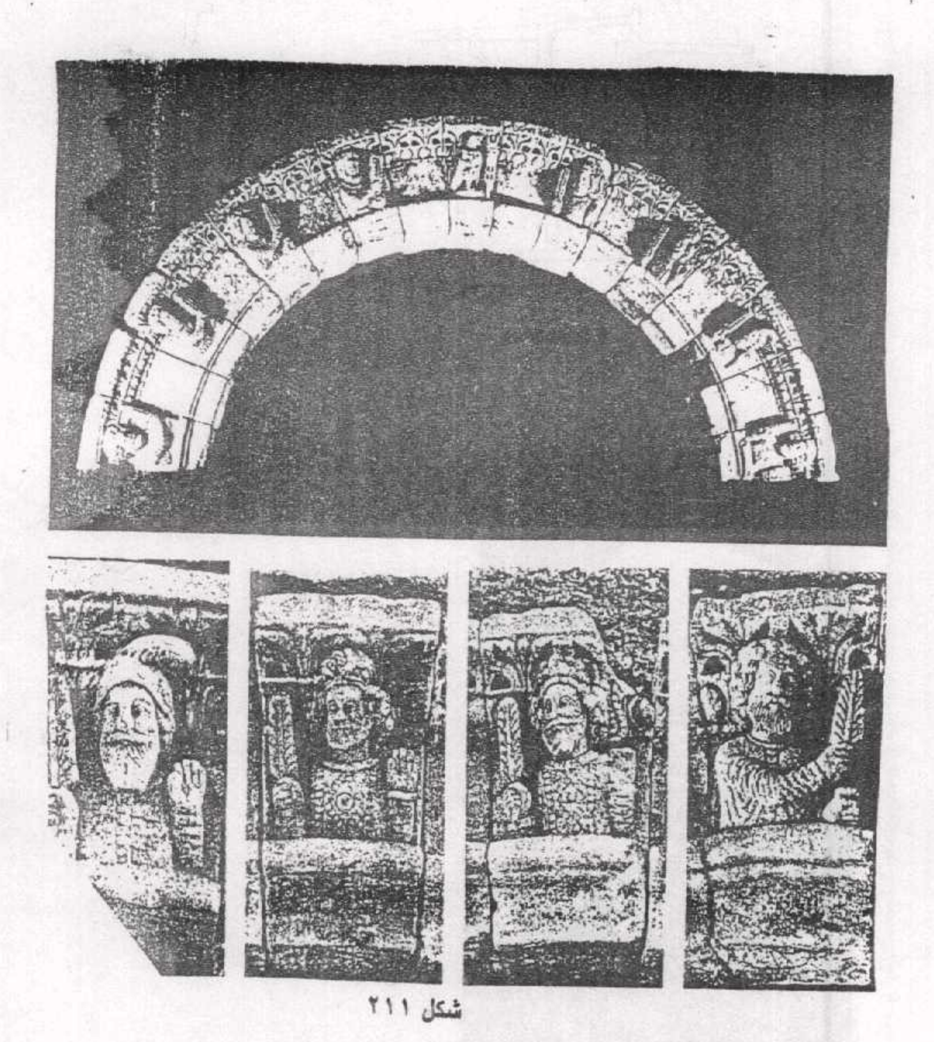
شكل ٢٠٧

شكل ٢٠٨



شكل ٢٠٩

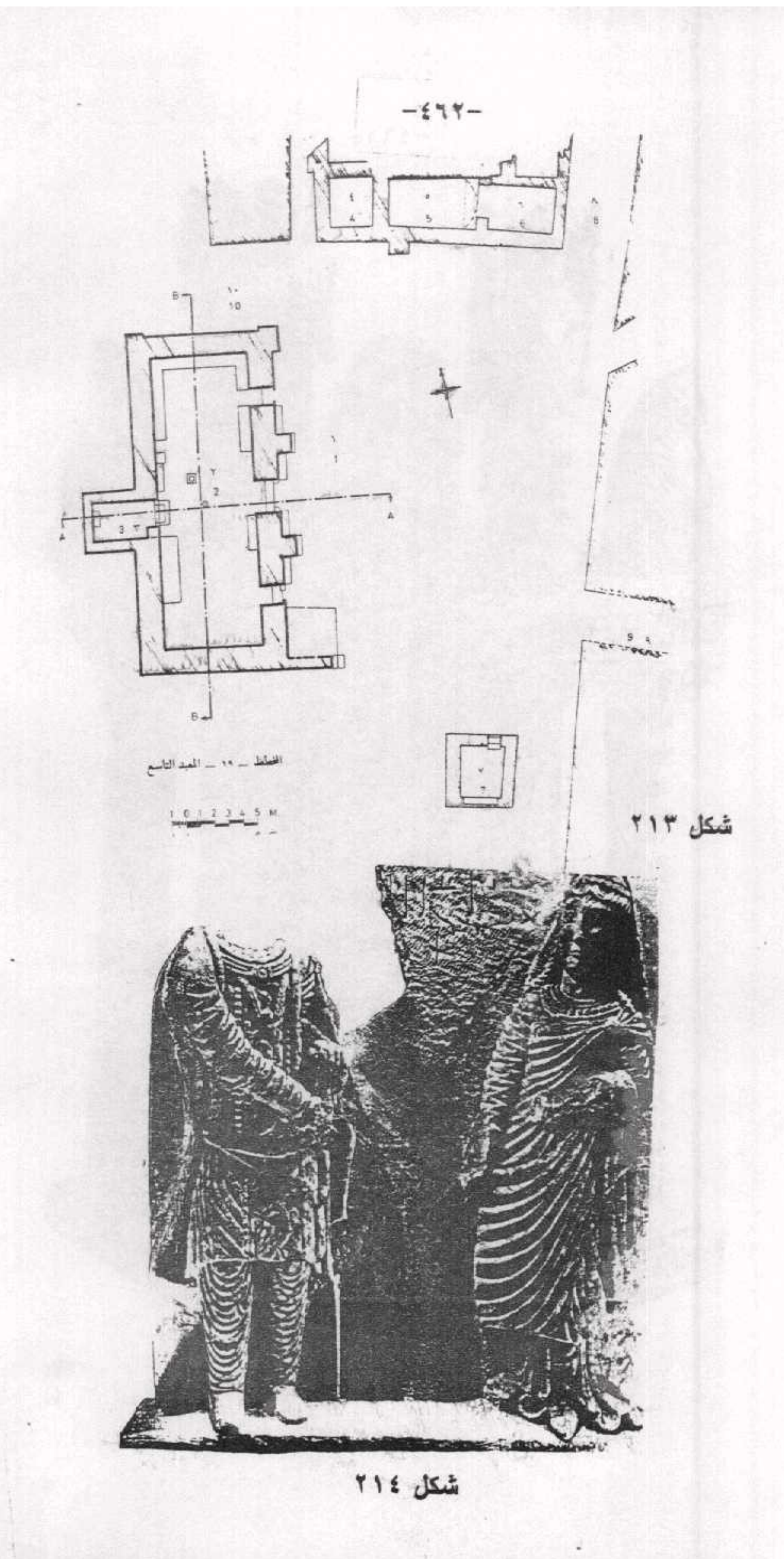
شكل ٢١٠



شكل ٢١١

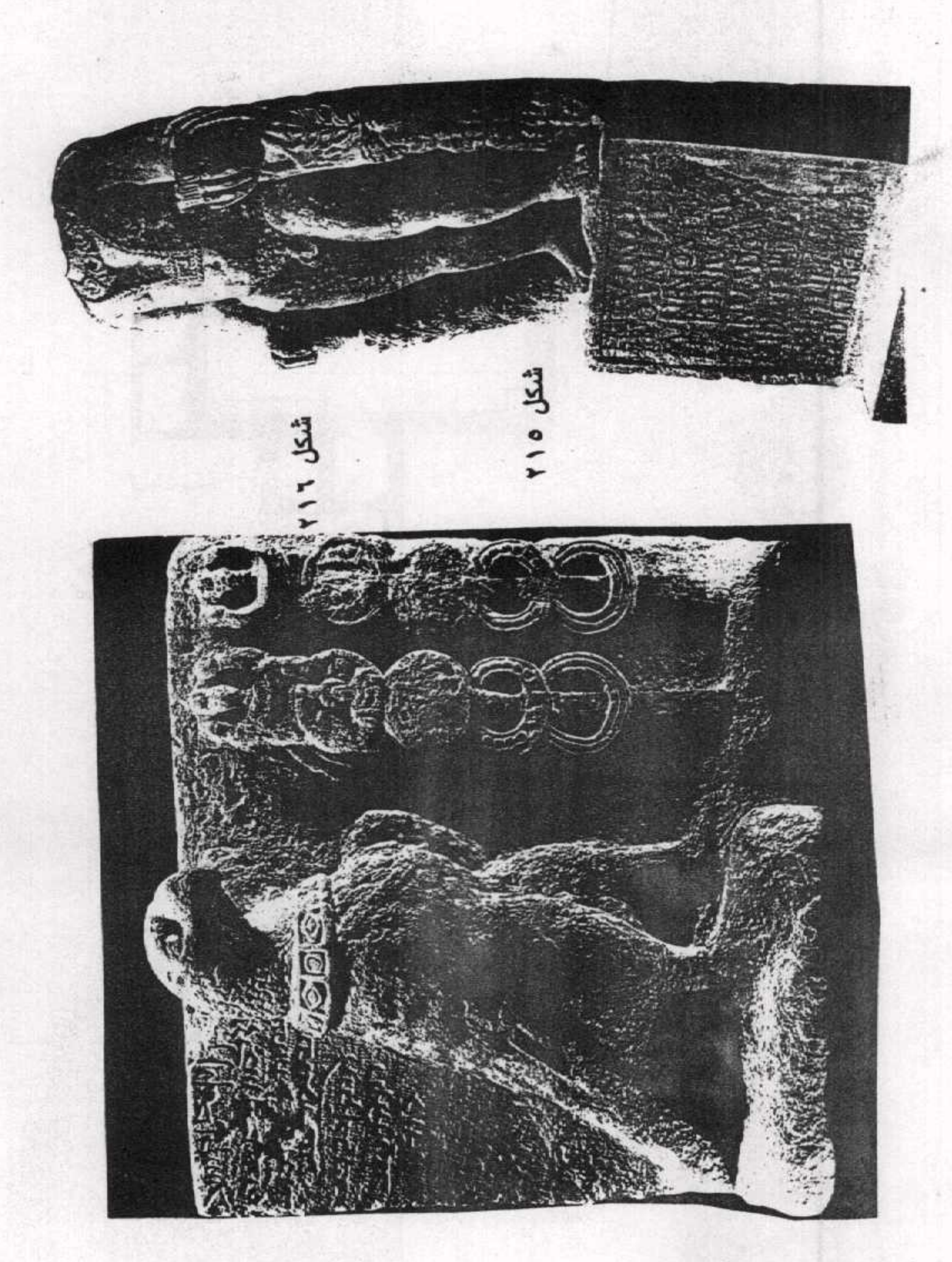


شكل ٢١٢



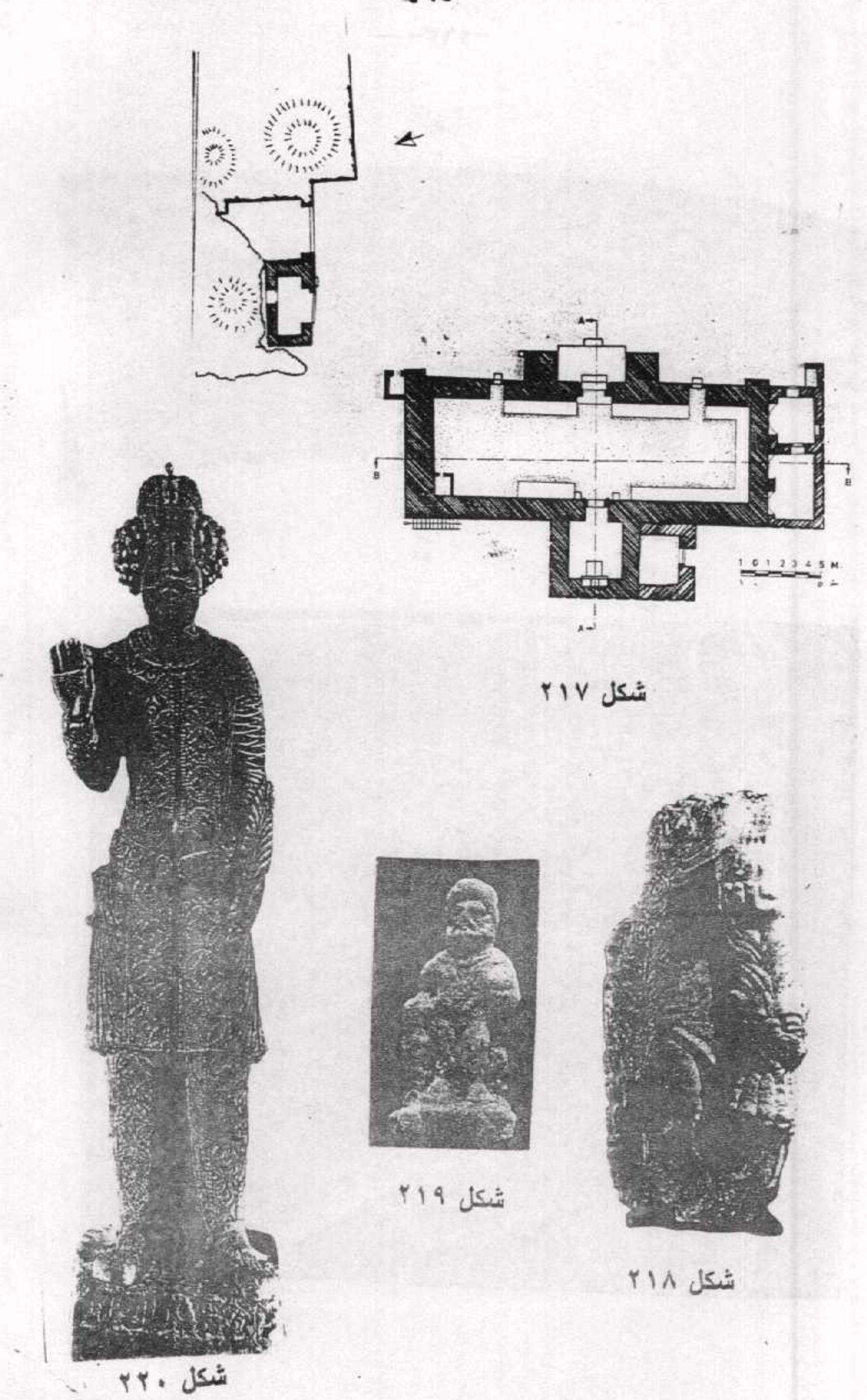
شكل ٢١٣

شكل ٢١٤



شكل ٢١٦

شكل ٢١٥

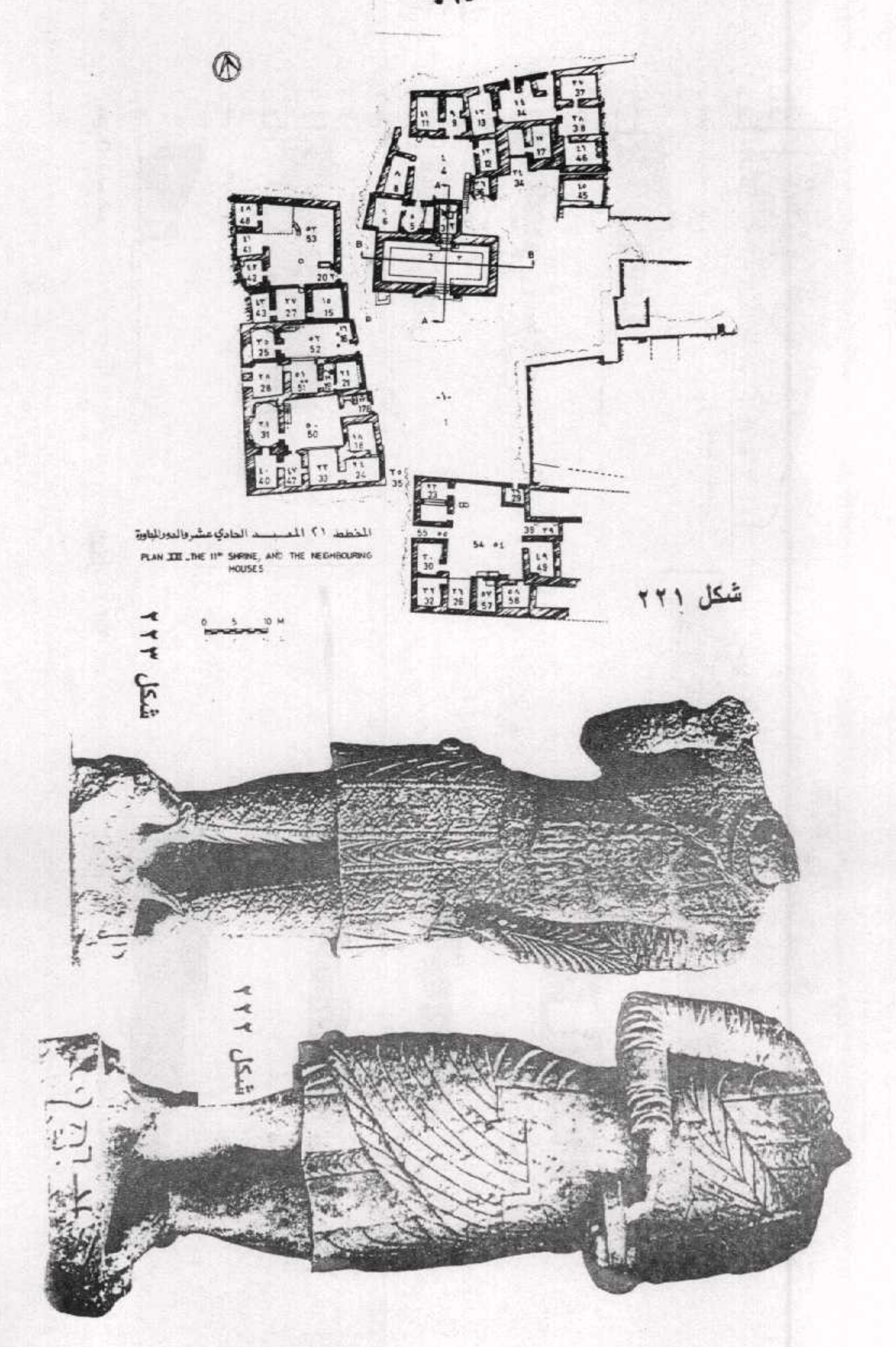


شكل ٢١٧

شكل ٢١٨

شكل ٢١٩

شكل ٢٢٠



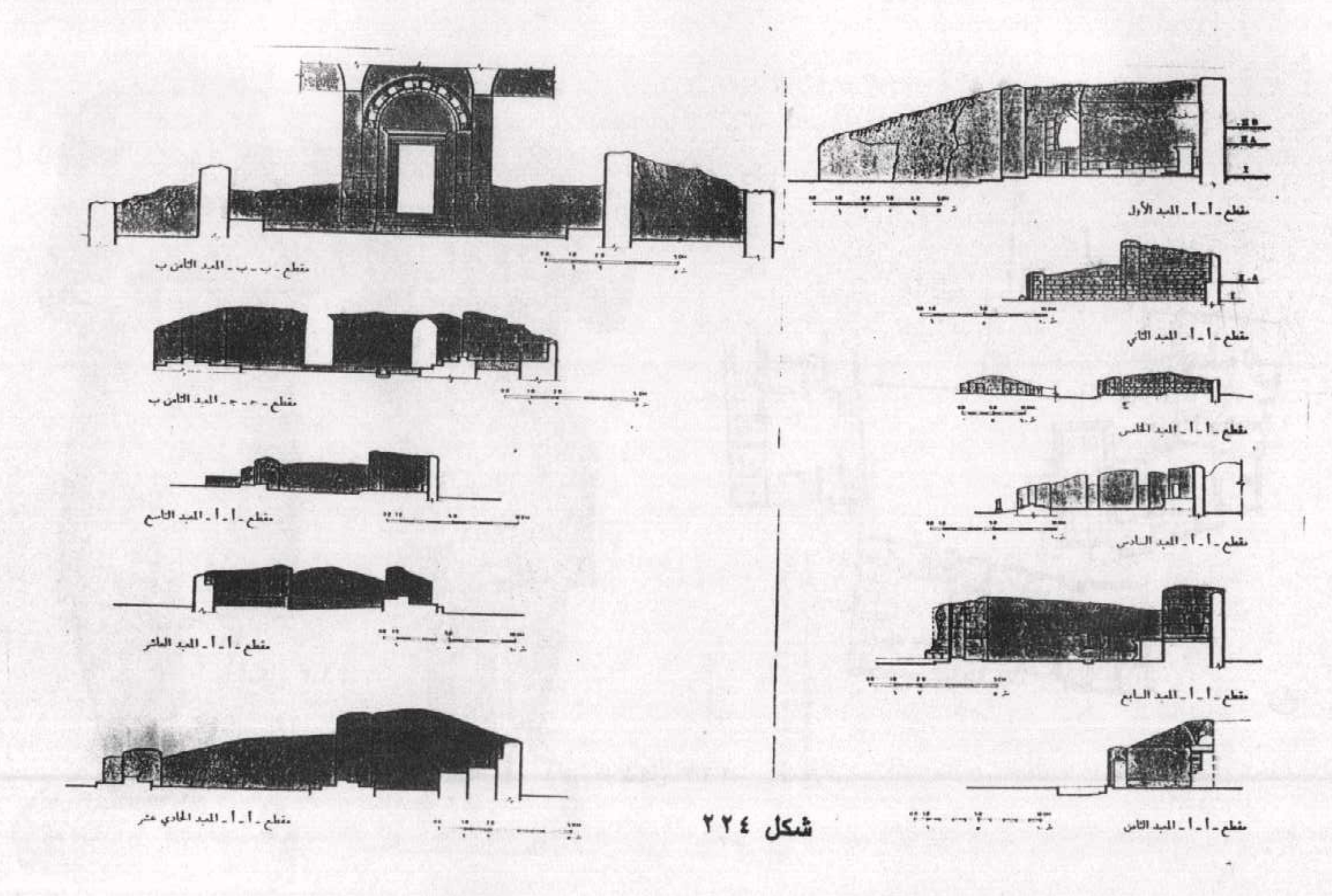
المخطط ٢١ المعبد الحادي عشر والدور المجاورة

PLAN XII _THE 11th SHRINE, AND THE NEIGHBOURING HOUSES

شكل ٢٢١

شكل ٢٢٢

شكل ٢٢٣


مقطع - أ - أ - المعبد الأول
مقطع - أ - أ - المعبد الثاني
مقطع - أ - أ - المعبد الخامس
مقطع - أ - أ - المعبد السادس
مقطع - أ - أ - المعبد السابع
مقطع - أ - أ - المعبد الثامن
مقطع - ب - ب - المعبد الثامن ب
مقطع - ج - ج - المعبد الثامن ب
مقطع - أ - أ - المعبد التاسع
مقطع - أ - أ - المعبد العاشر
مقطع - أ - أ - المعبد الحادي عشر

شكل ٢٢٤



شكل ٢٢٥



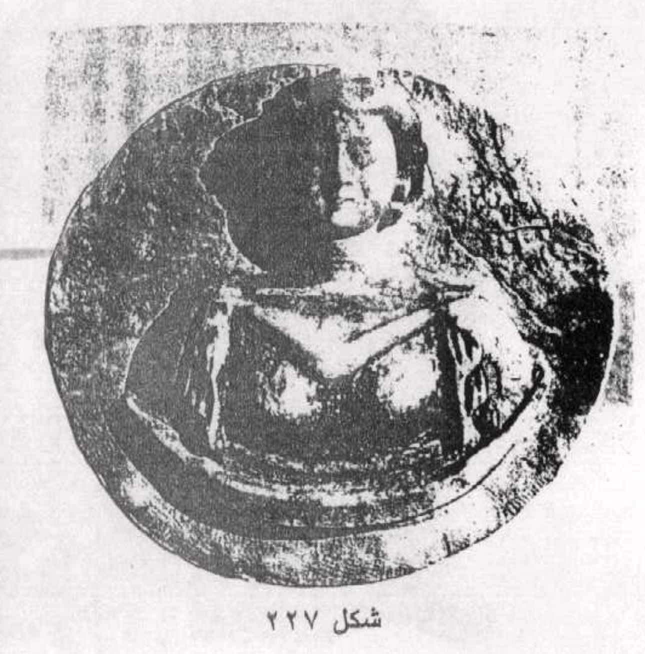




شكل ٢٢٦






شكل ٢٢٧


شكل ٢٢٨

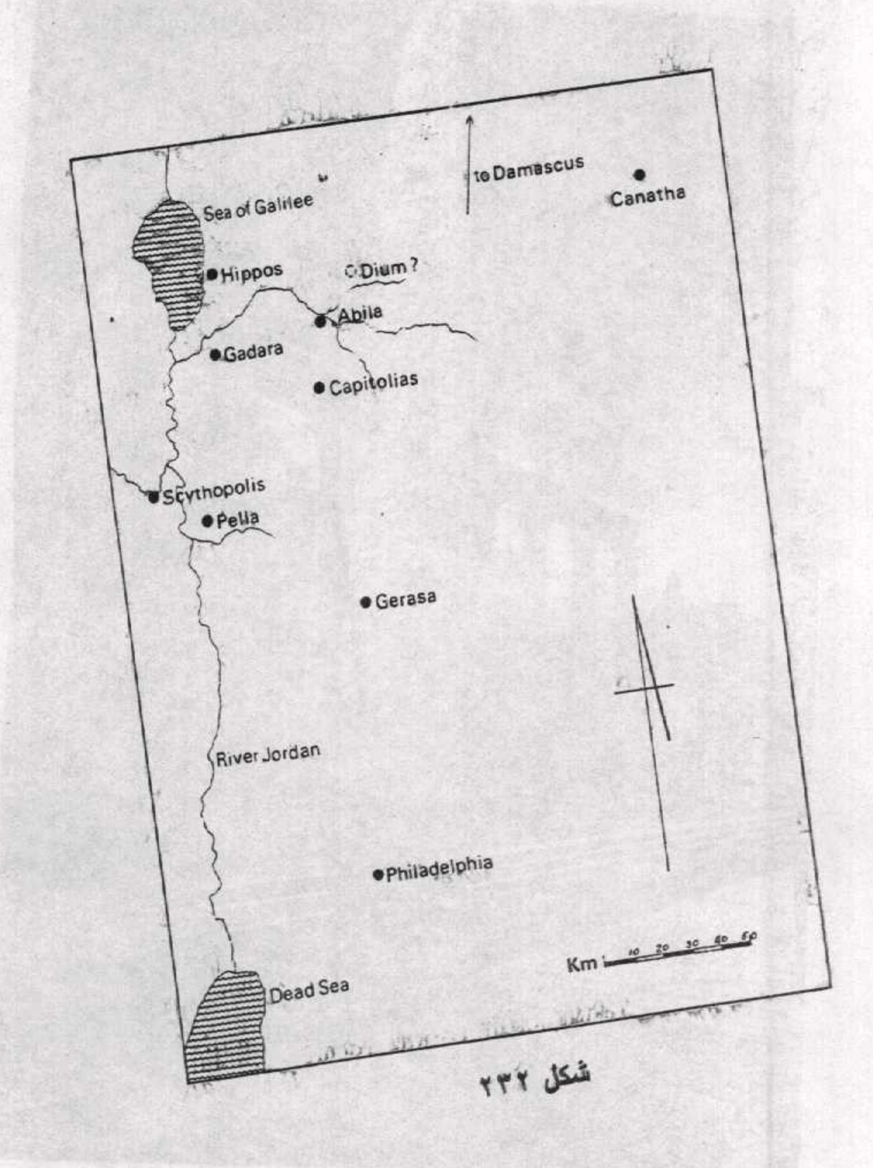

شكل ٢٢٩



شكل ٢٣١

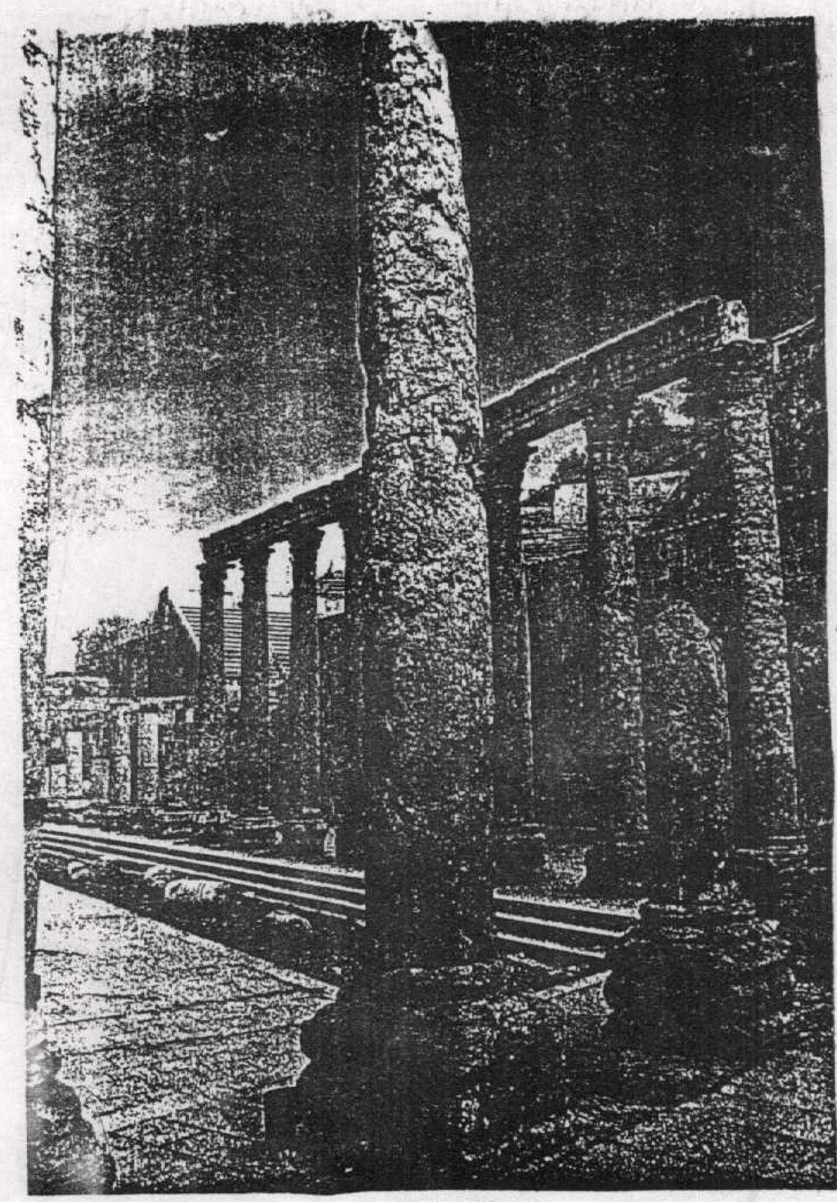


شكل ٢٣٠

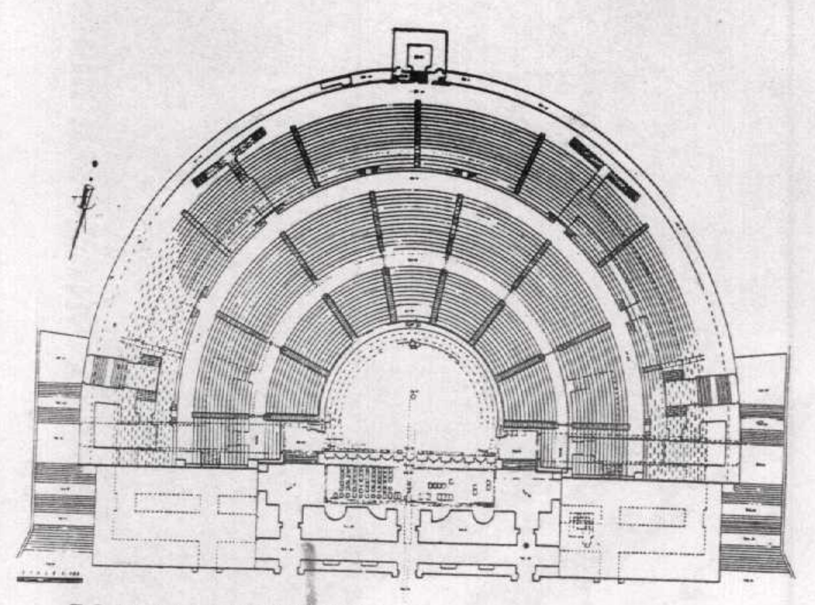


to Damascus
Canatha
Sea of Galilee
Hippos
Dium ?
Abila
Gadara
Capitolias
Scythopolis
Pella
Gerasa
River Jordan
Philadelphia
Km 10 20 30 40 50
Dead Sea

شكل ٢٣٢

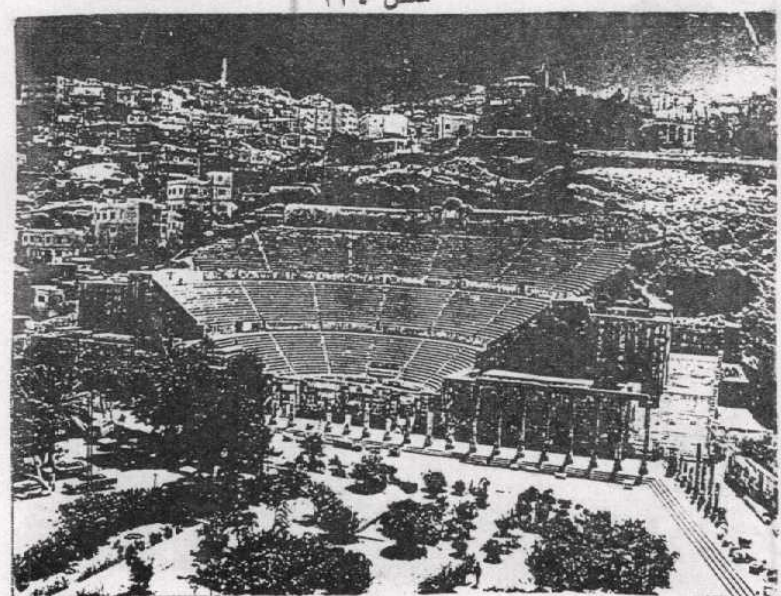


شكل ٢٣٣

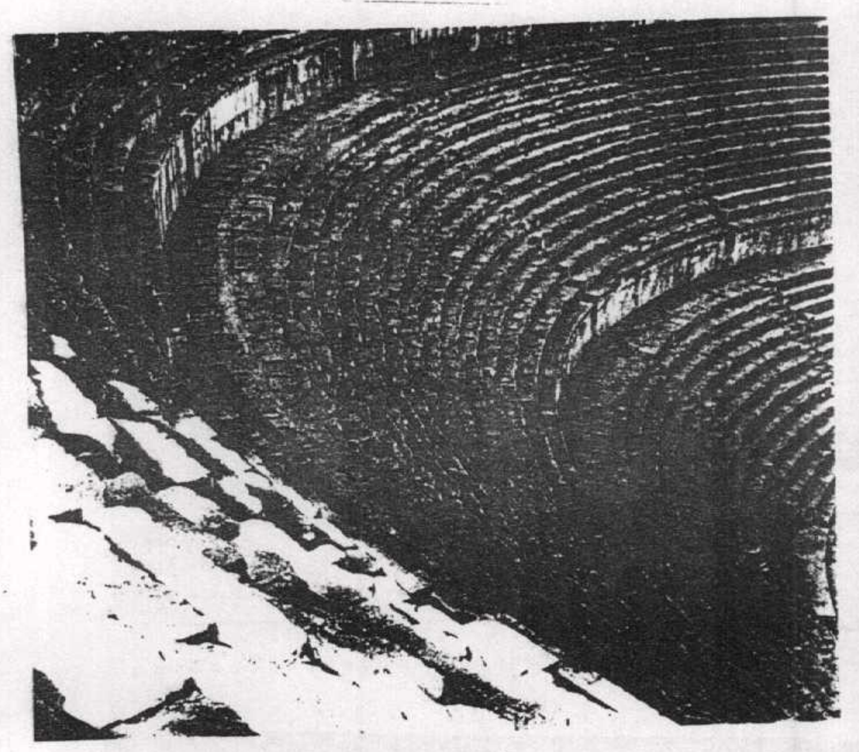




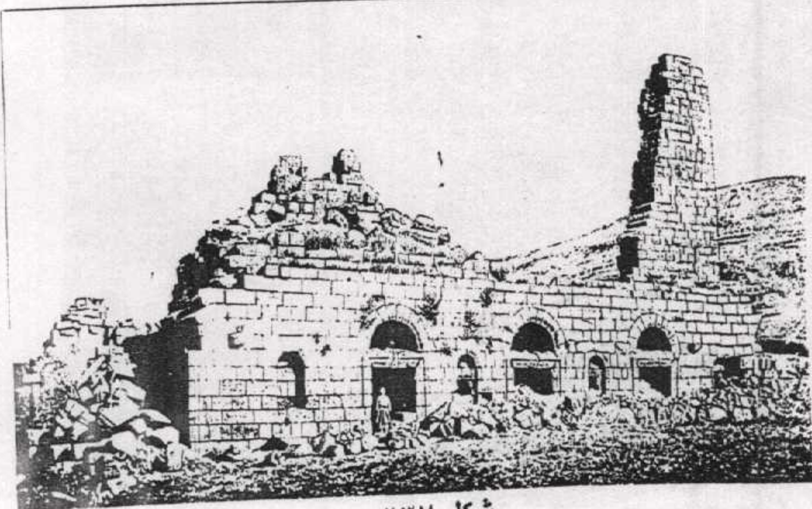
شكل ٢٣٤



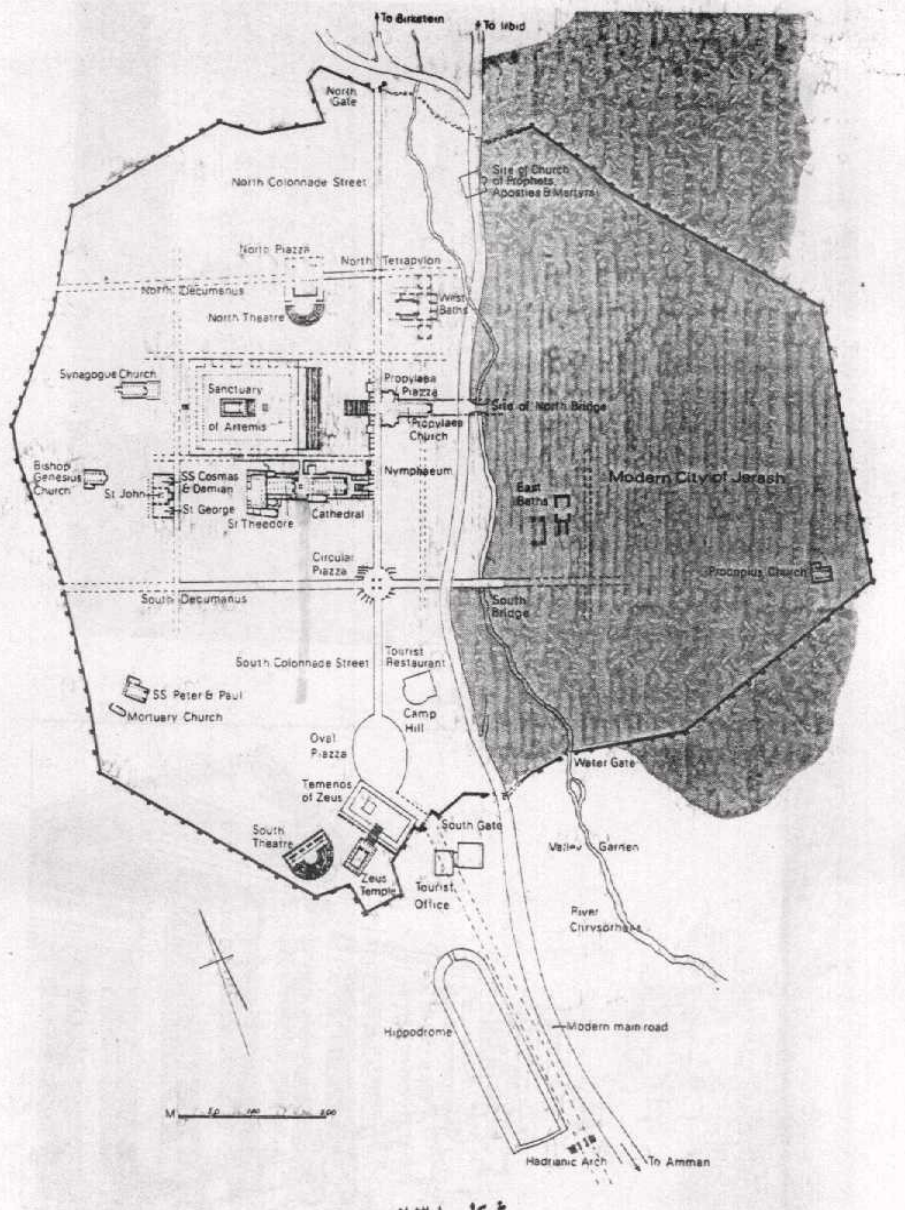
شكل ٢٣٥



شكل ٢٣٦

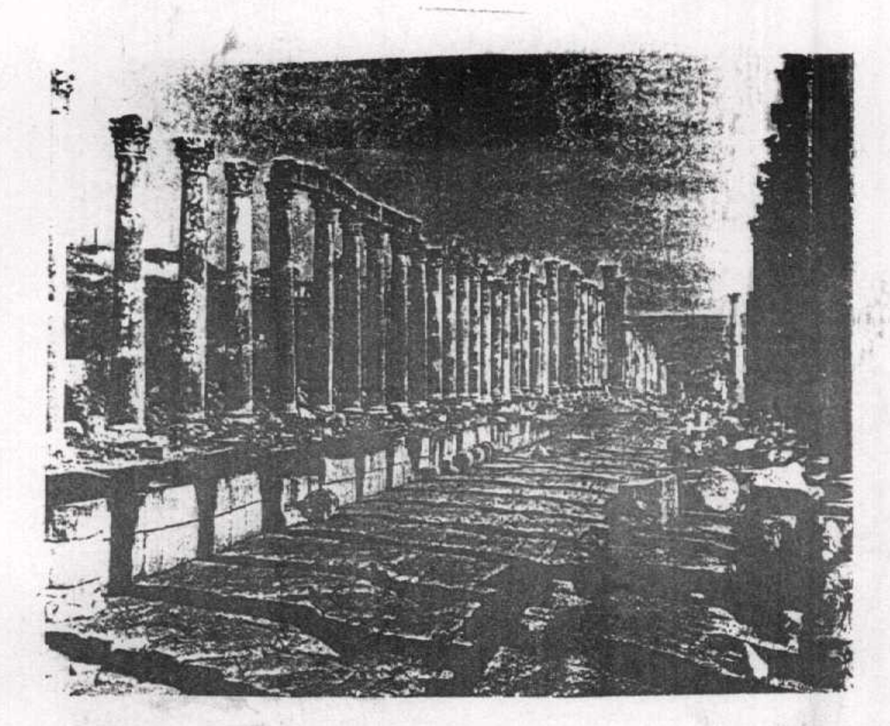


شكل ٢٣٧

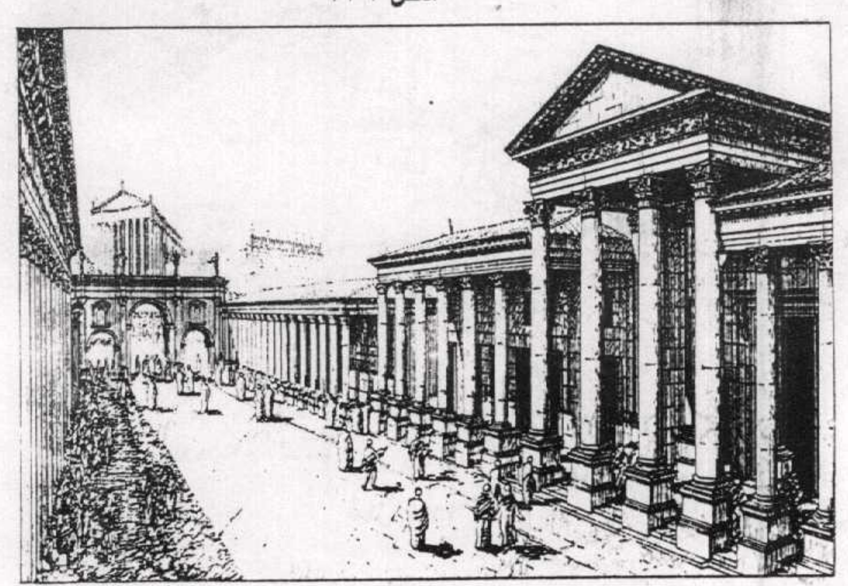


To Birketein
To Irbid
North Gate
Site of Church of Prophets, Apostles & Martyrs
North Colonnade Street
North Piazza
North Tetrapylon
North Decumanus
North Theatre
West Baths
Synagogue Church
Sanctuary of Artemis
Propylaea Piazza
Site of North Bridge
Propylaea Church
Bishop Genesius Church
St John
SS Cosmas & Damian
St George
St Theodore
Cathedral
Nymphaeum
East Baths
Modern City of Jerash
Circular Piazza
Procopius Church
South Decumanus
South Bridge
South Colonnade Street
Tourist Restaurant
SS Peter & Paul
Mortuary Church
Camp Hill
Oval Piazza
Water Gate
Temenos of Zeus
South Gate
South Theatre
Valley Garden
Zeus Temple
Tourist Office
River Chrysorhoas
Hippodrome
Modern main road
Hadrianic Arch
To Amman

شكل ٢٣٨



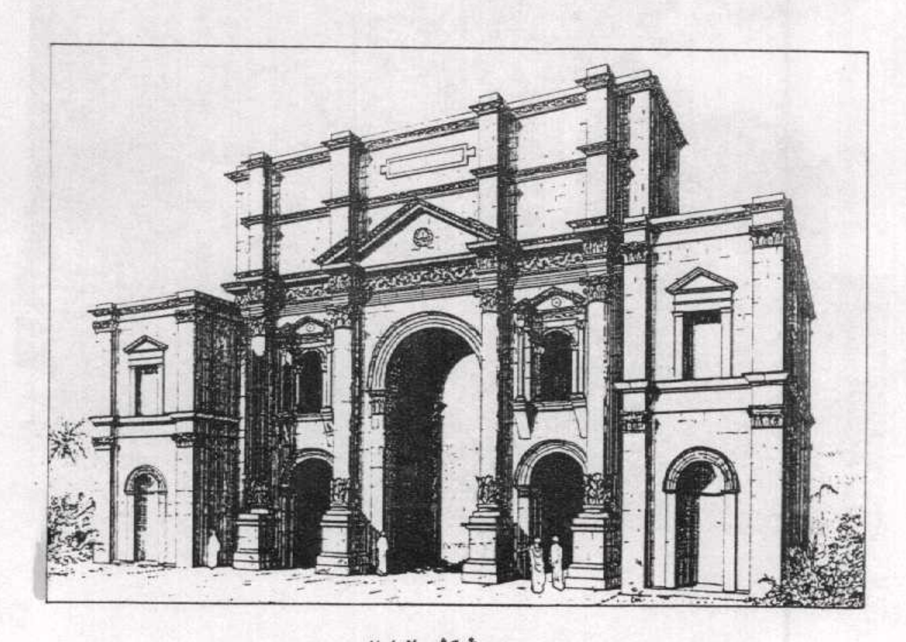
شكل ٢٣٩



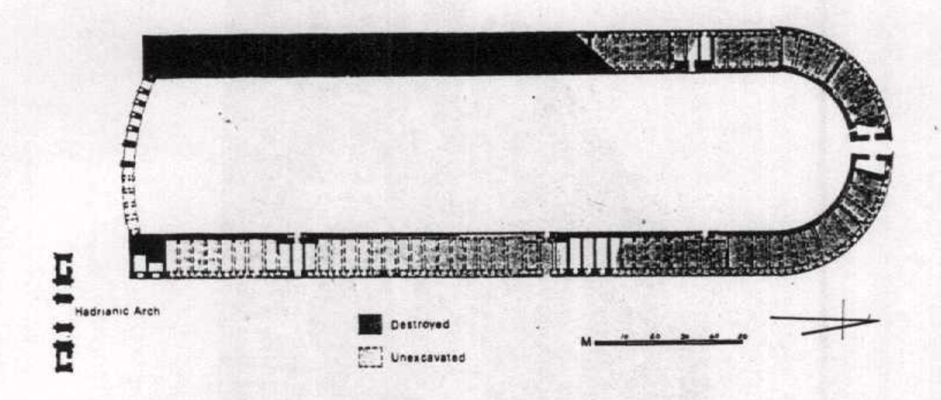
شكل ٢٤٠



شكل ٢٤١



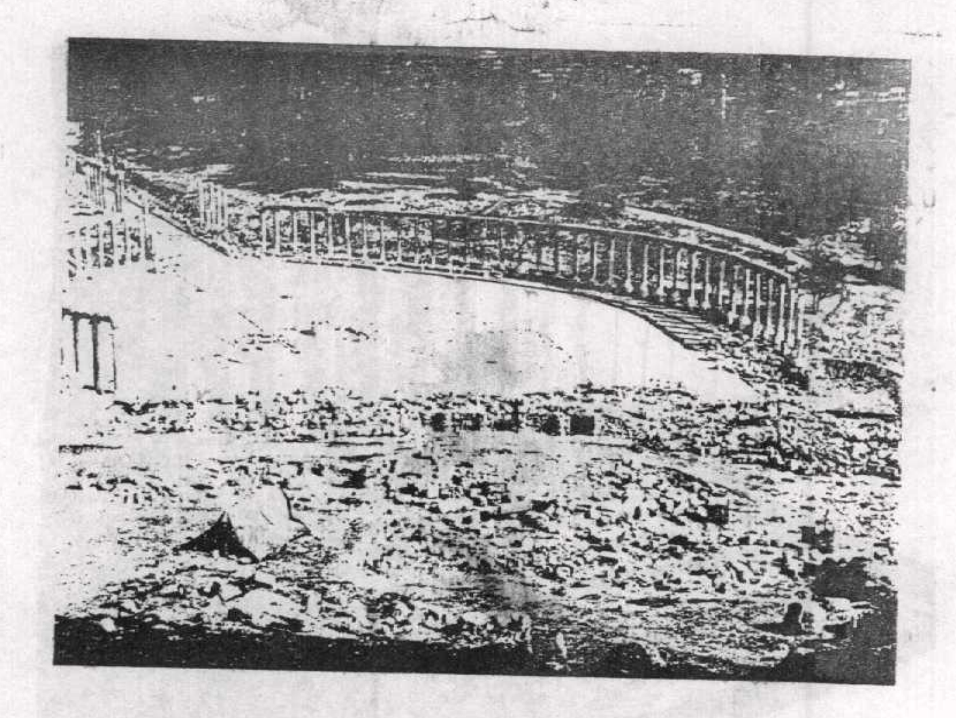
شكل ٢٤٢



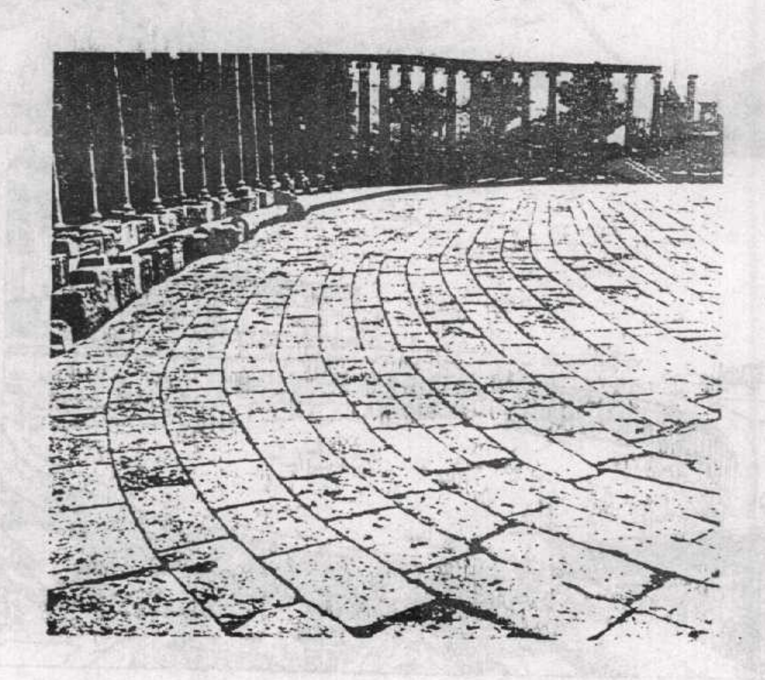
شكل ٢٤٣

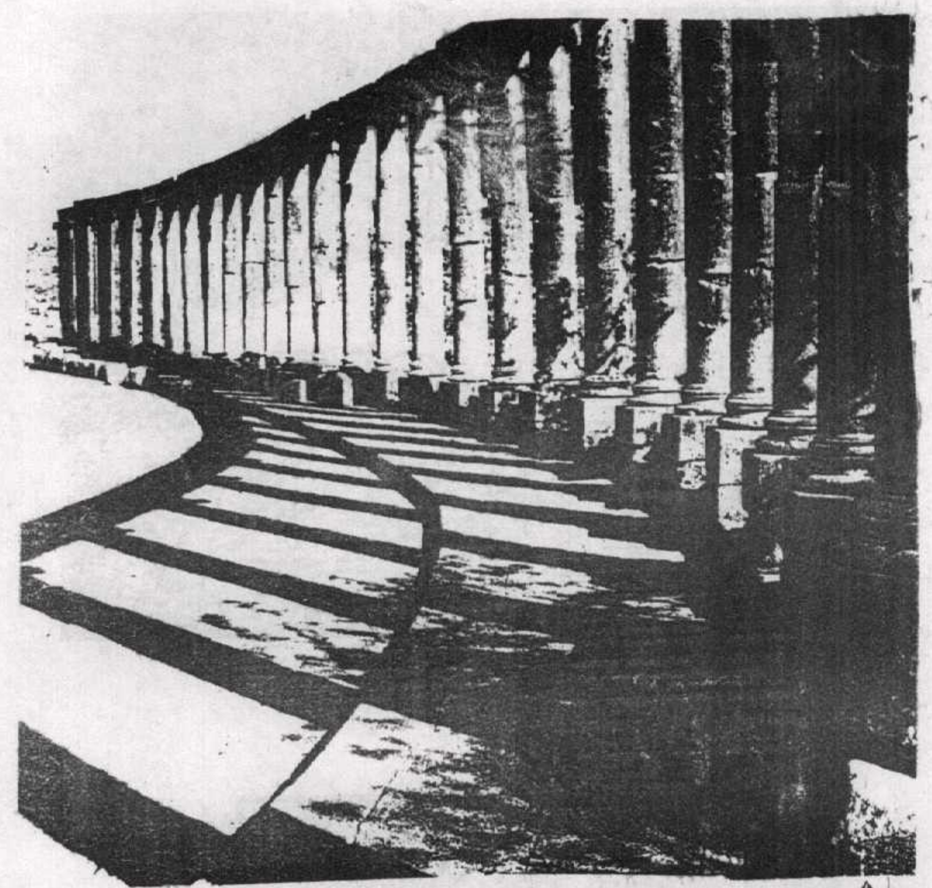


شكل ٢٤٤



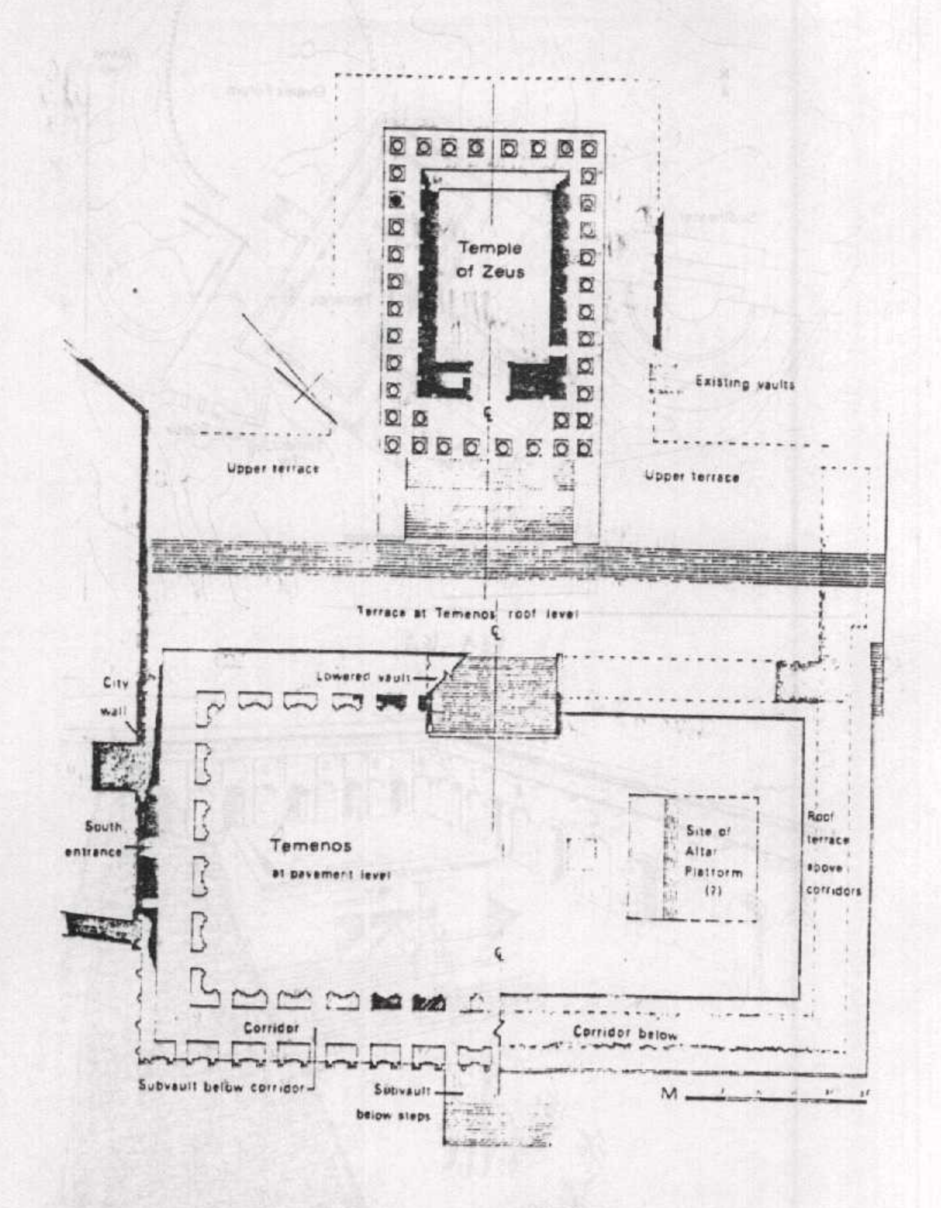
شكل ٢٤٦



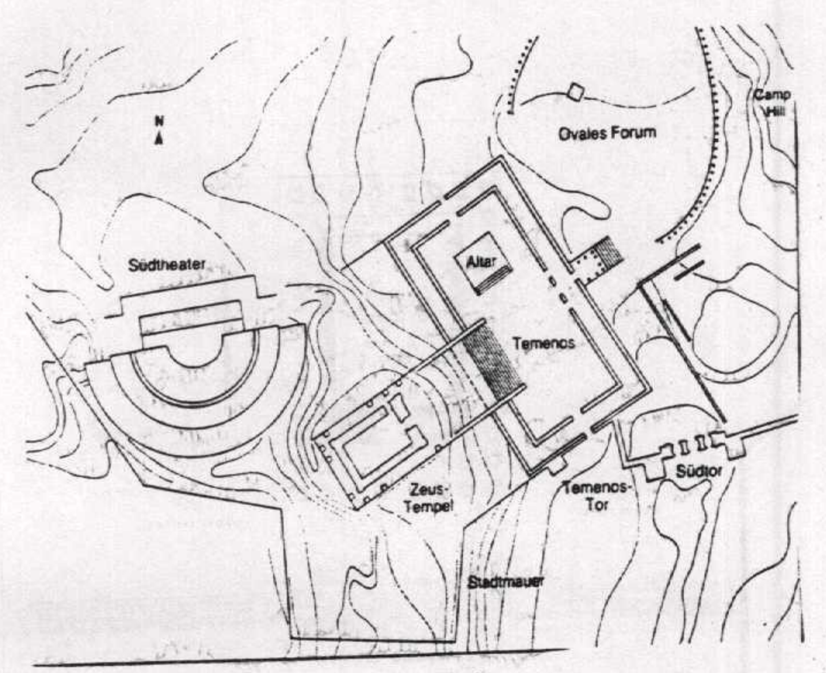


شكل ٢٤٧

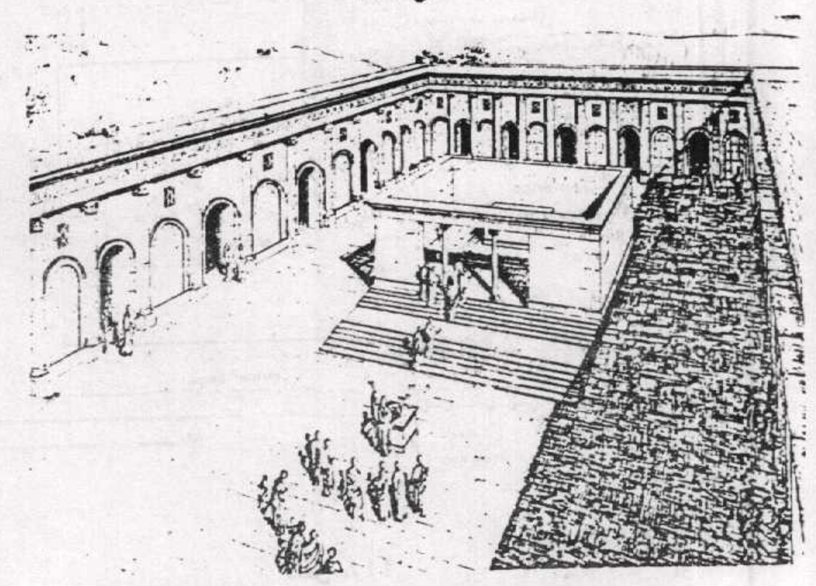



Temple
of Zeus
Existing vaults
Upper terrace
Upper terrace
Terrace at Temenos roof level
Lowered vault
City
wall
South
entrance
Temenos
at pavement level
Site of
Altar
Platform
(?)
Roof
terrace
above
corridors
Corridor
Corridor below
Subvault below corridor
Subvault
below steps
M

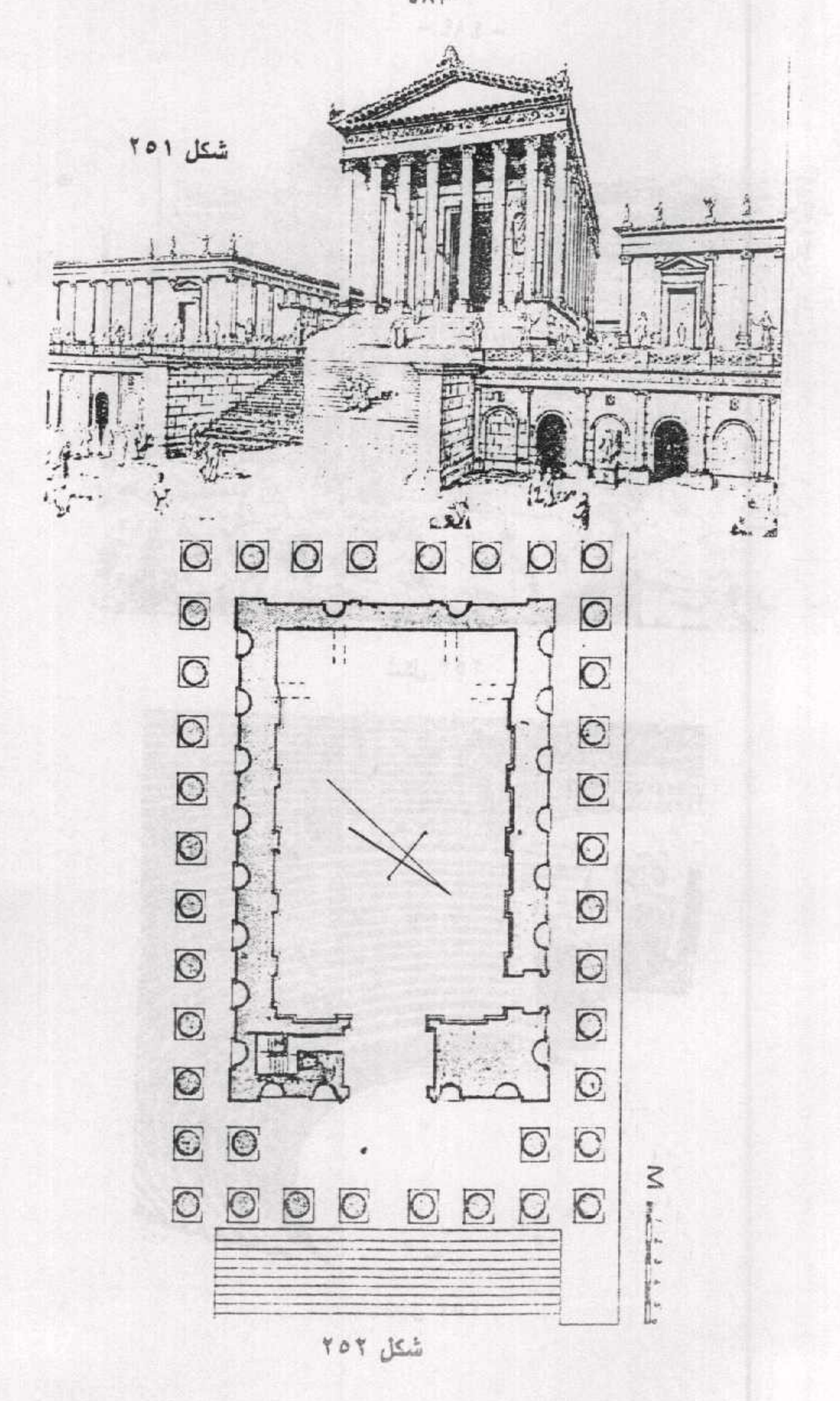
شكل ٢٤٨



شكل ٢٤٩

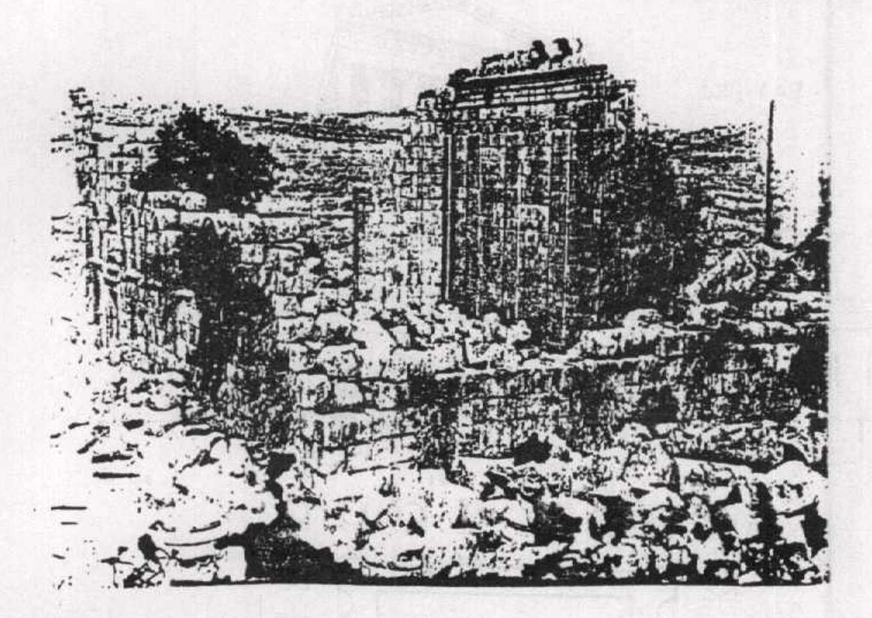


شكل ٢٥٠

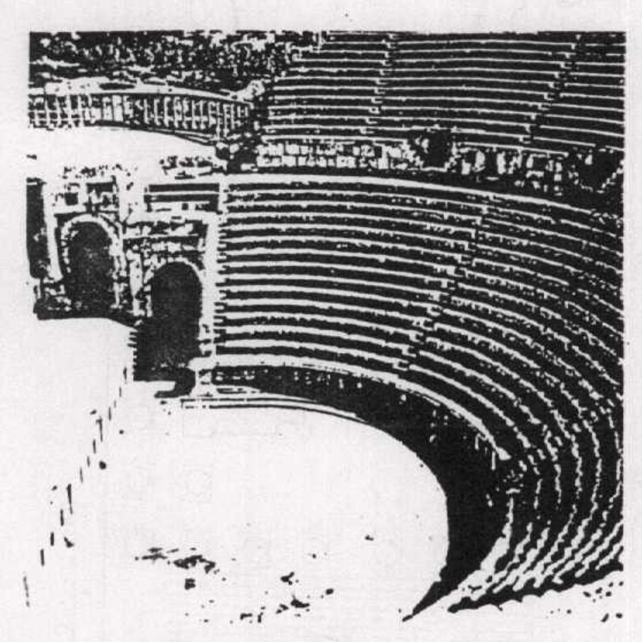


شكل ٢٥١

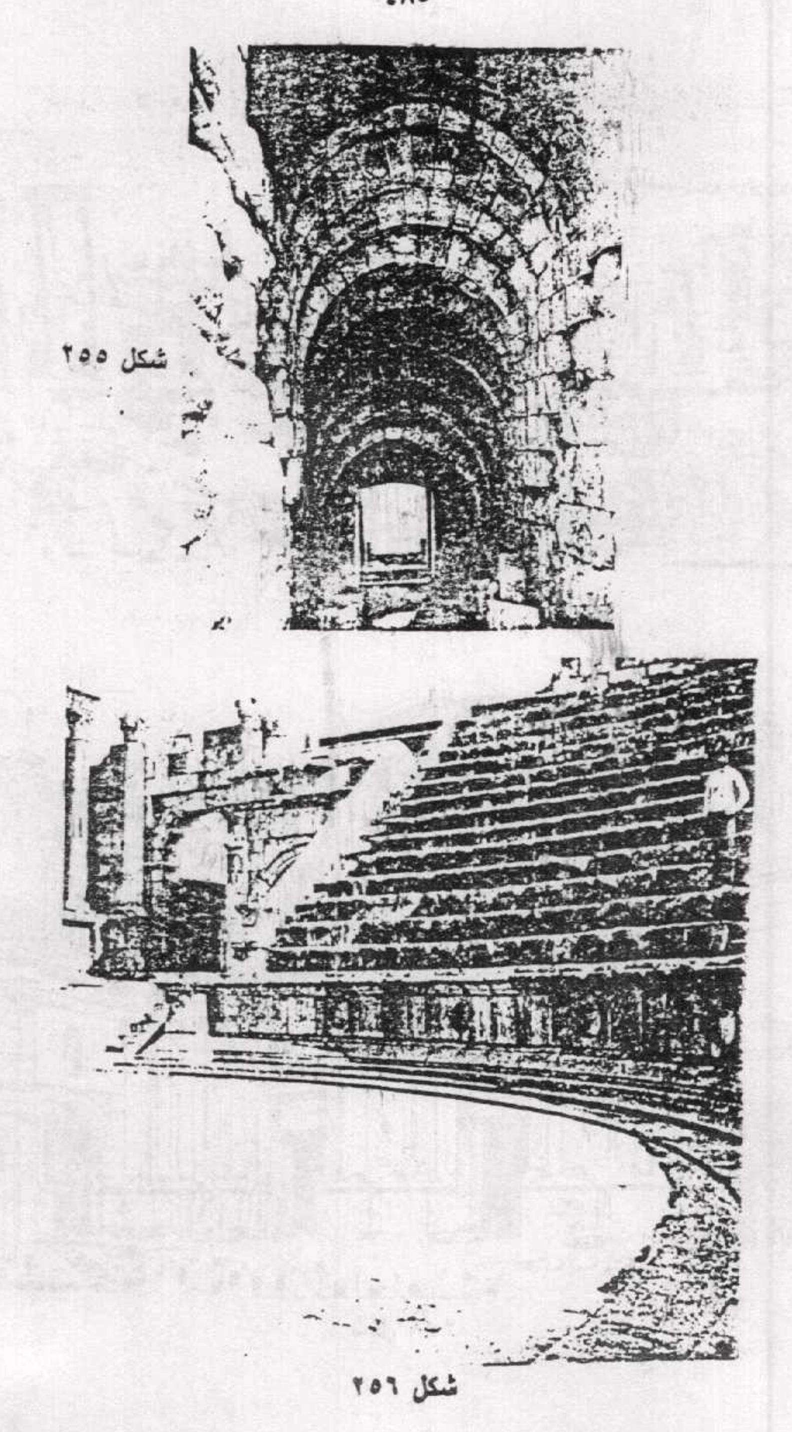
شكل ٢٥٢



شكل ٢٥٣

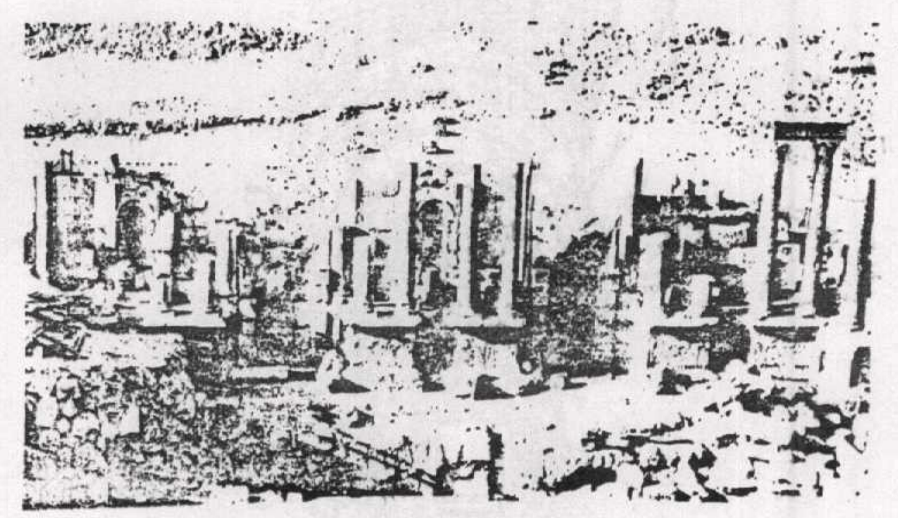


شكل ٢٥٤

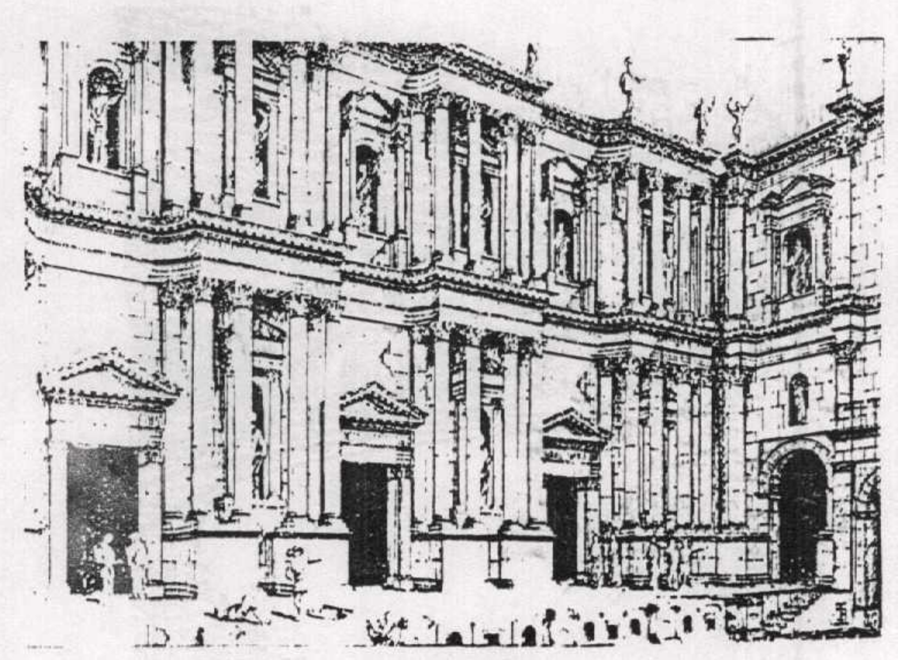


شكل ٢٥٥

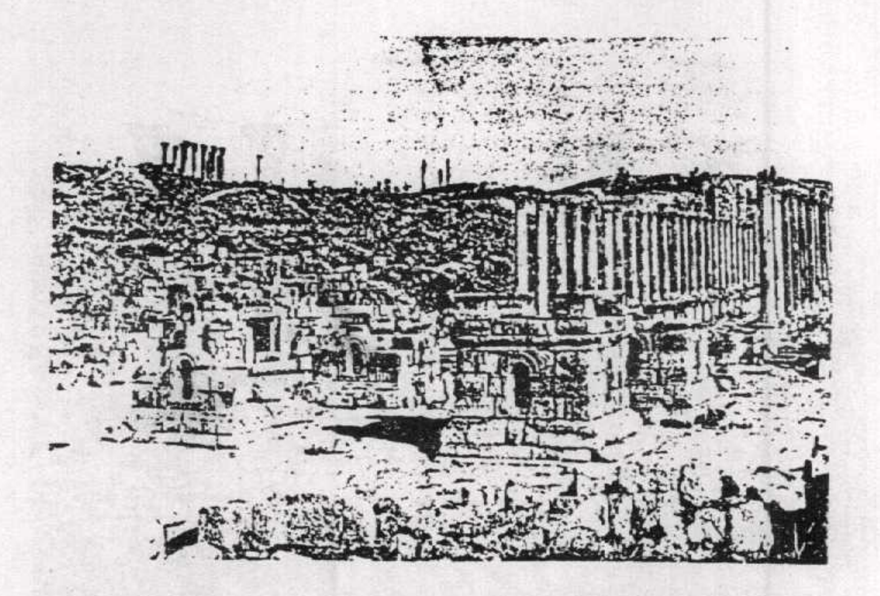
شكل ٢٥٦



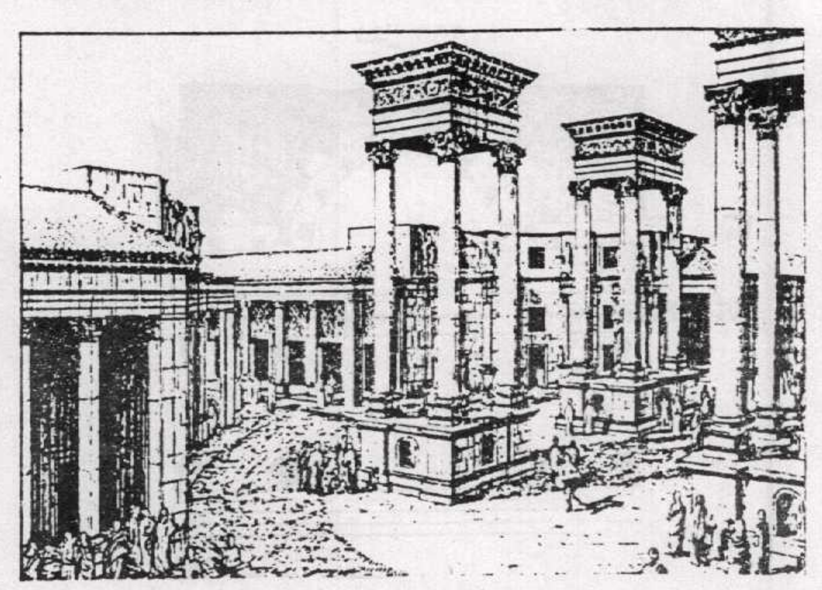
شكل ٢٥٧



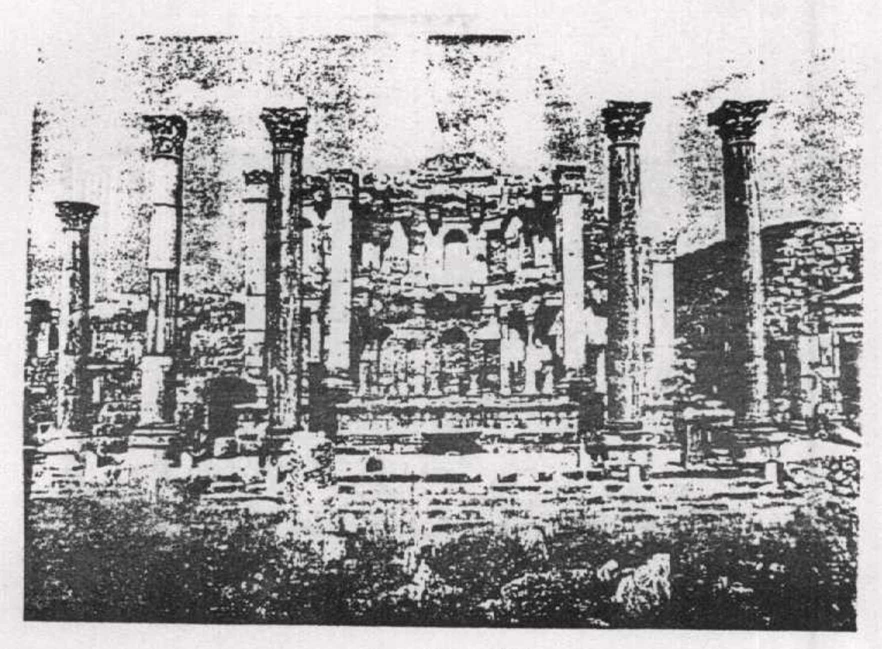
شكل ٢٥٨



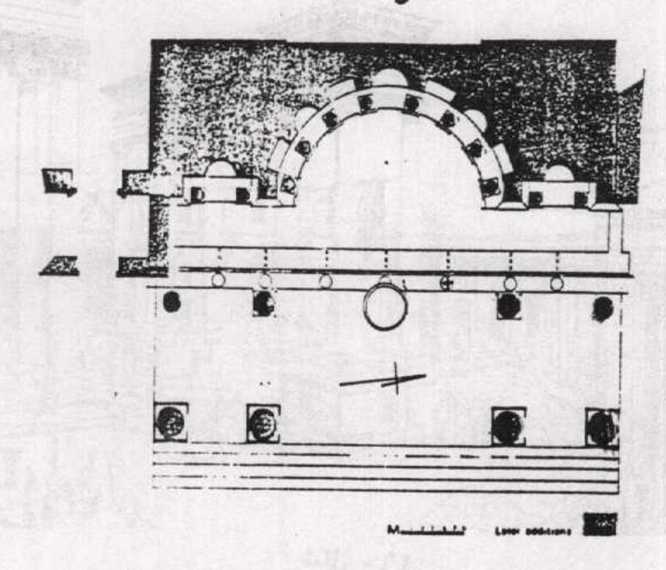
شكل ٢٥٩



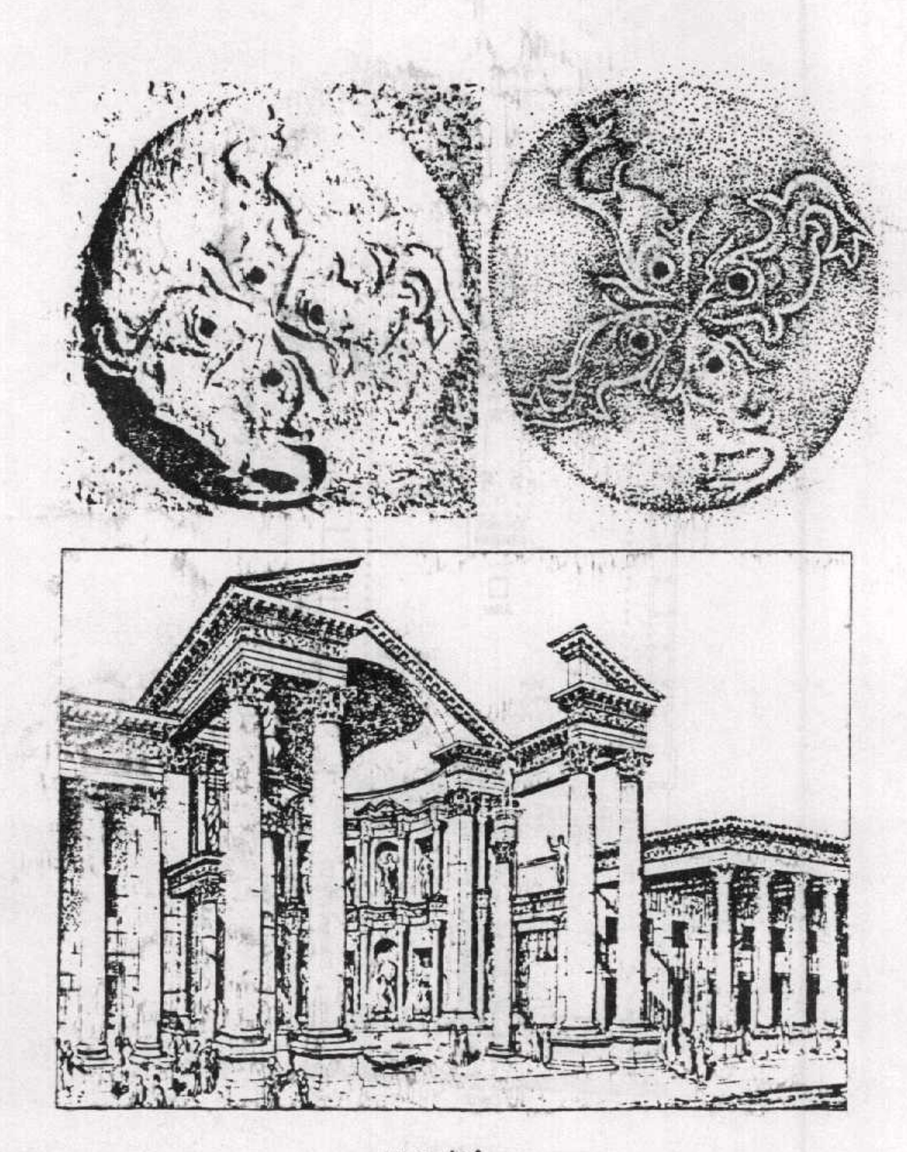
شكل ٢٦٠



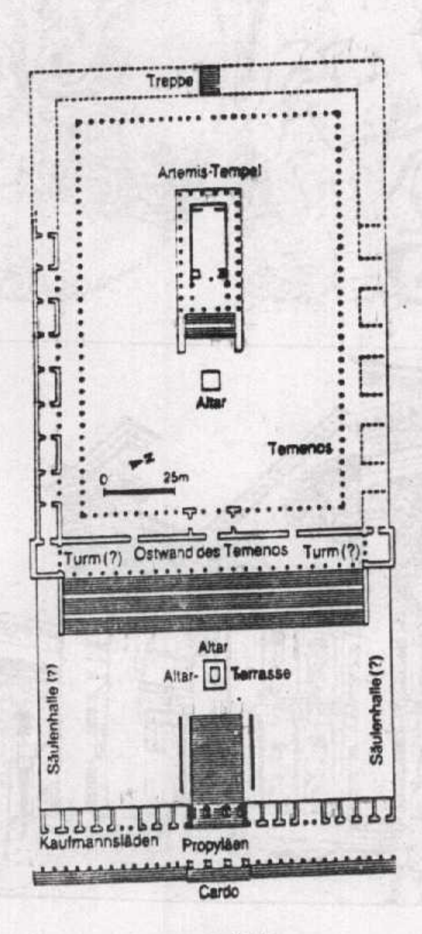
شكل ٢٦١



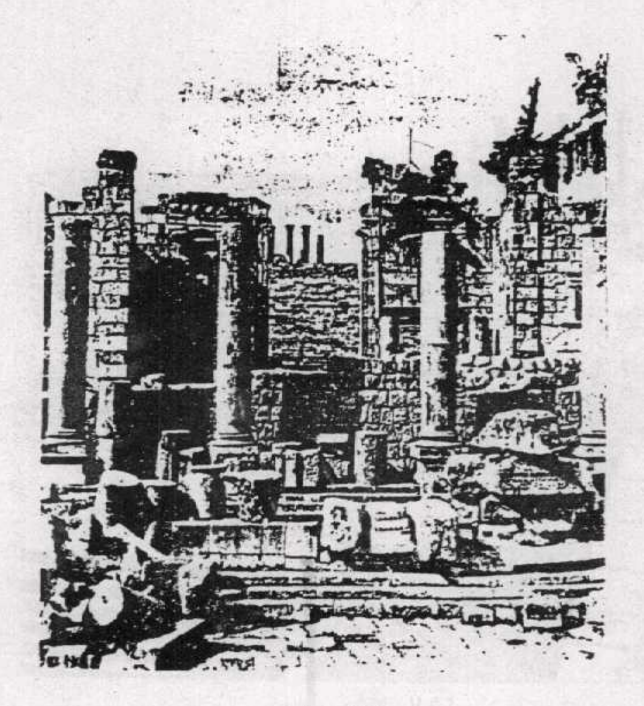
شكل ٢٦٢



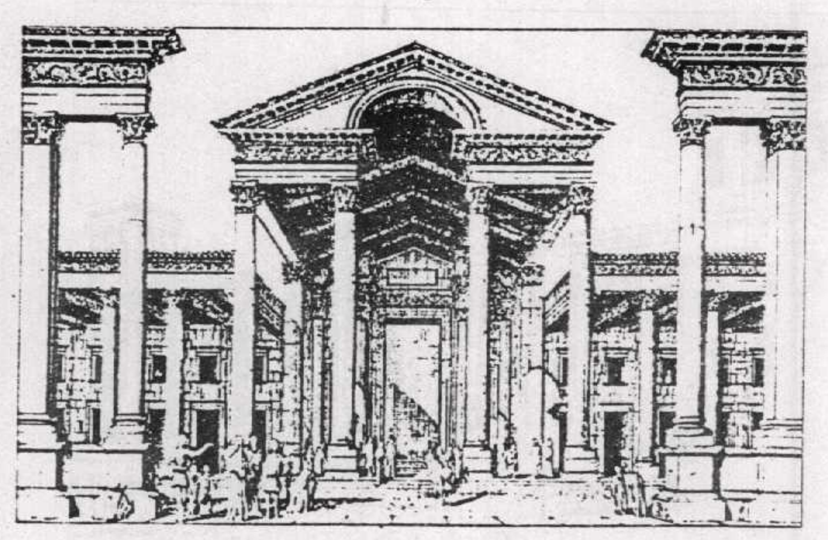
شكل ٢٦٣


Treppe
Artemis-Tempel
Altar
Temenos
0 25m
Turm (?)
Ostwand des Temenos
Turm (?)
Altar
Altar-
Terrasse
Säulenhalle (?)
Säulenhalle (?)
Kaufmannsläden
Propyläen
Cardo

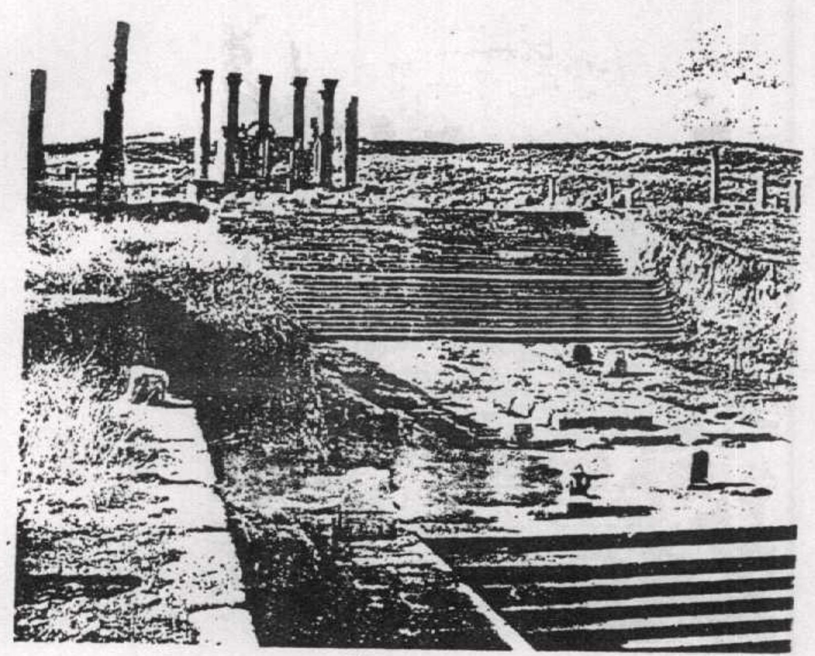
شكل ٢٦٤



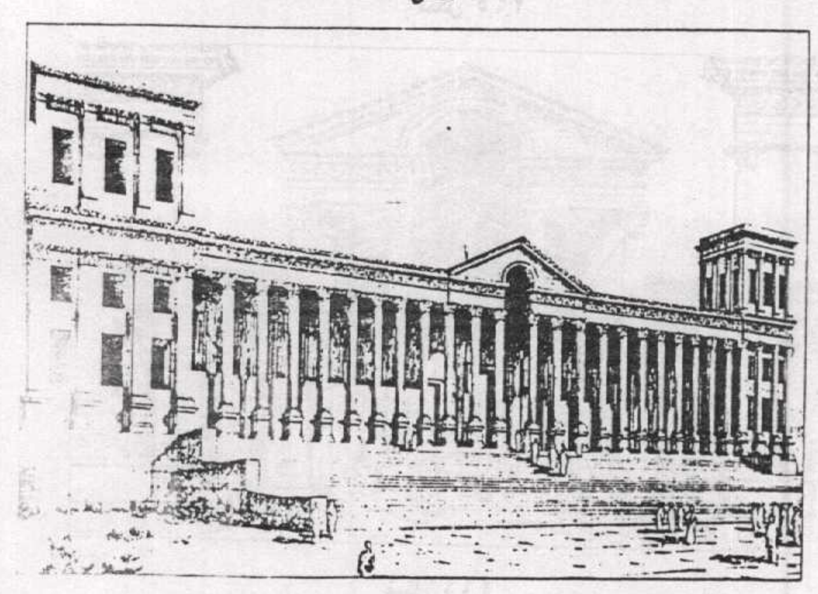
شكل ٢٦٥



شكل ٢٦٦



شكل ٢٦٧



شكل ٢٦٨



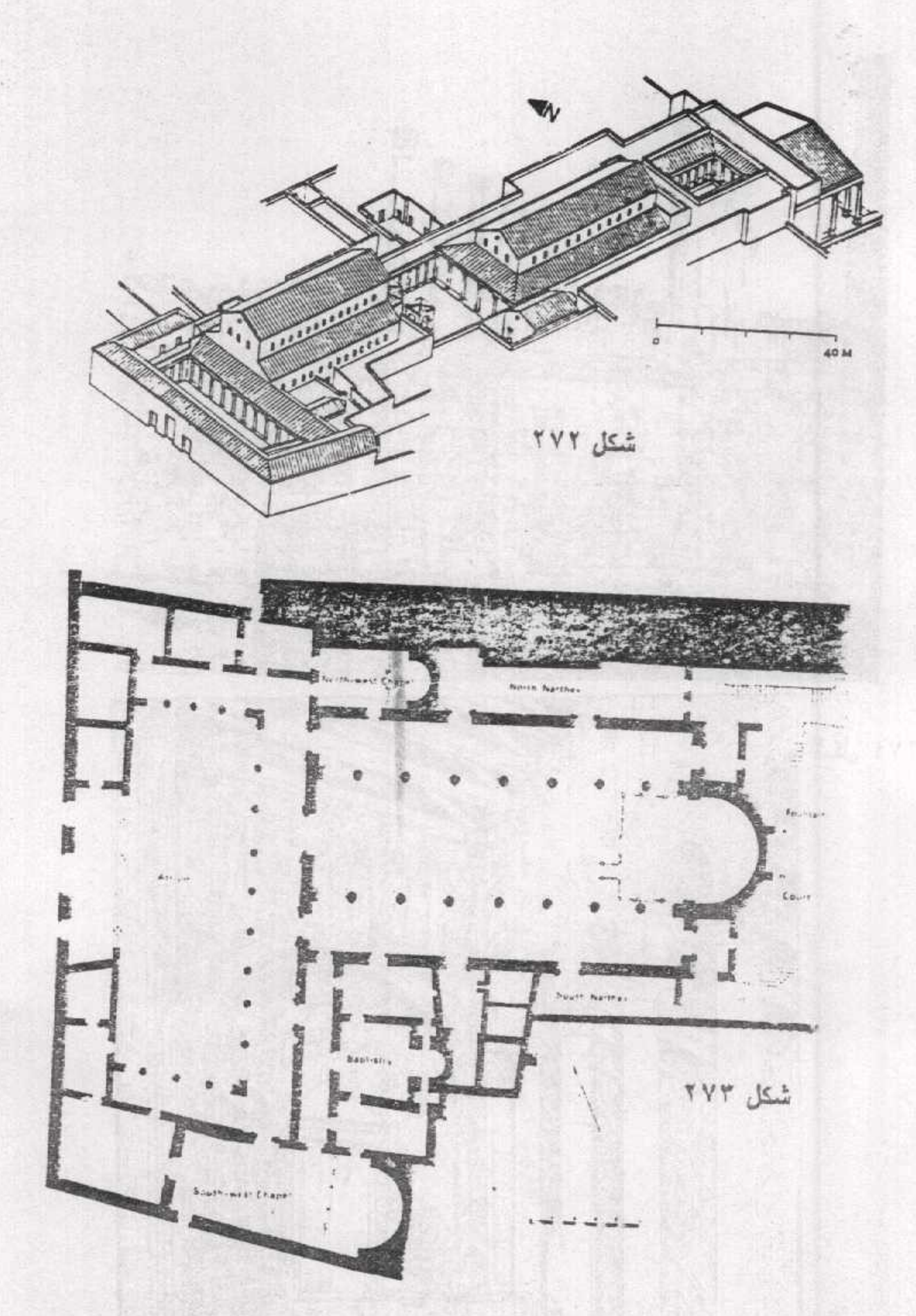
شكل ٢٦٩



شكل ٢٧٠

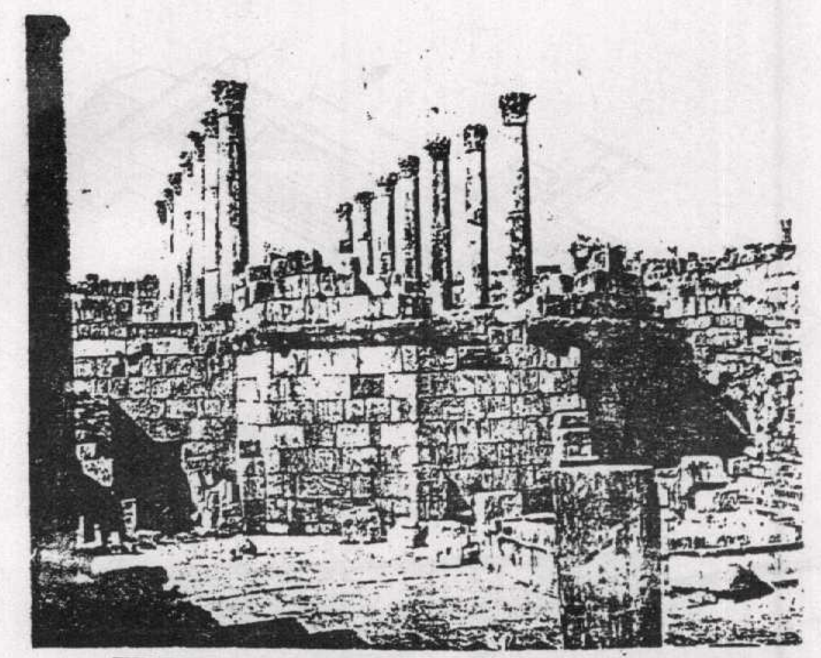


شكل ٢٧١

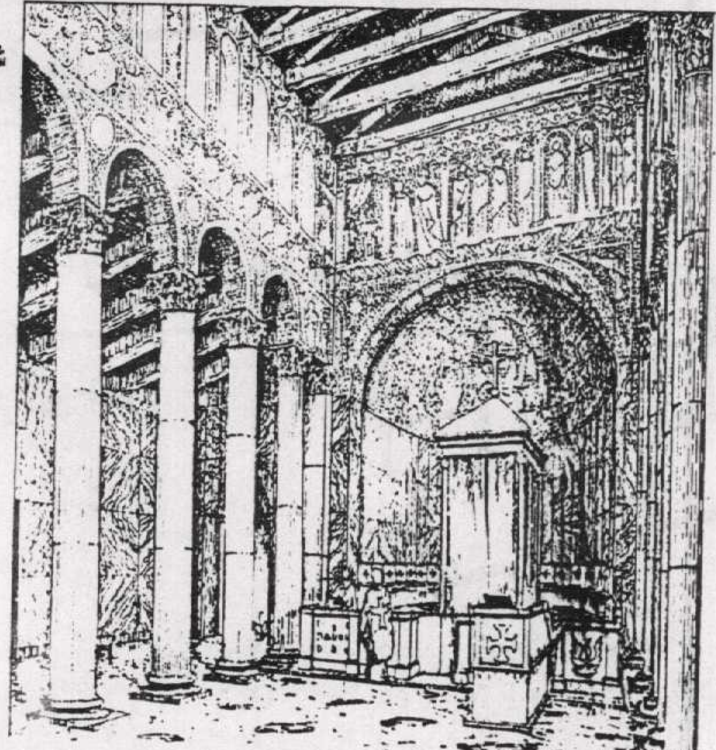


شکل ۲۷۲

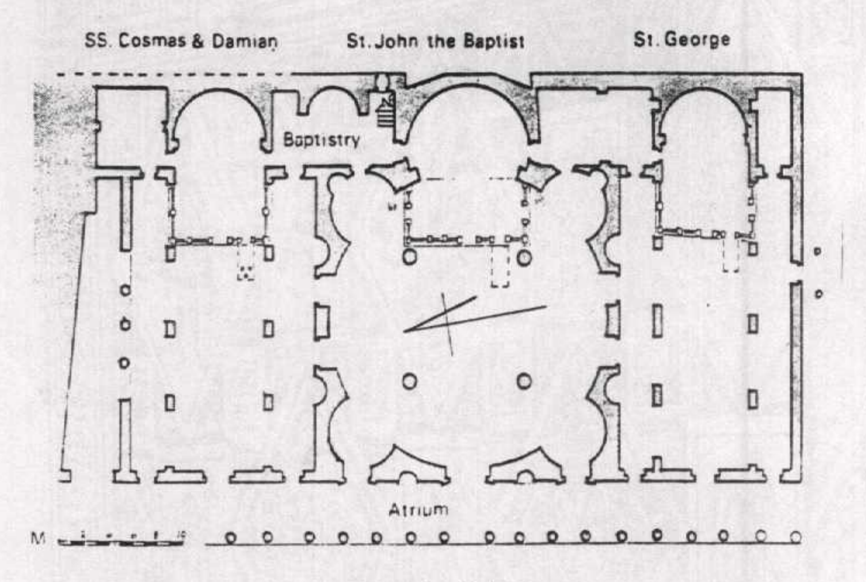
شکل ۲۷۳



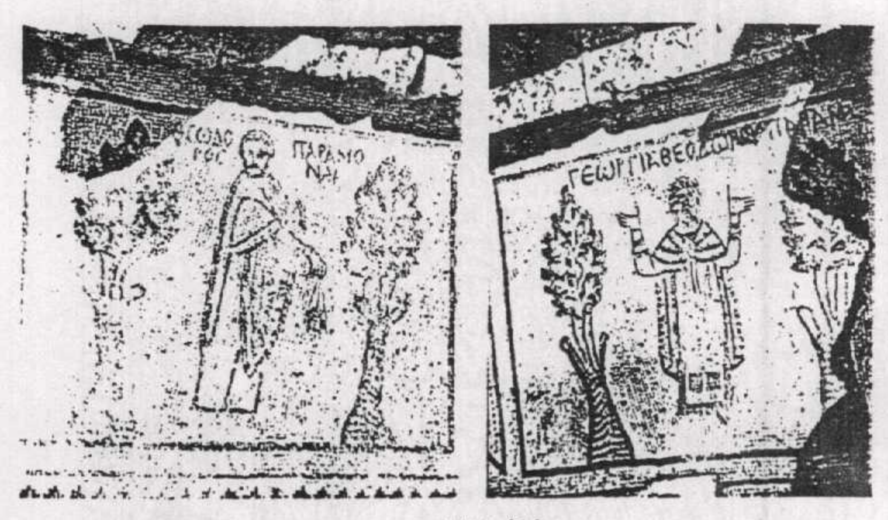
شكل ٢٧٤



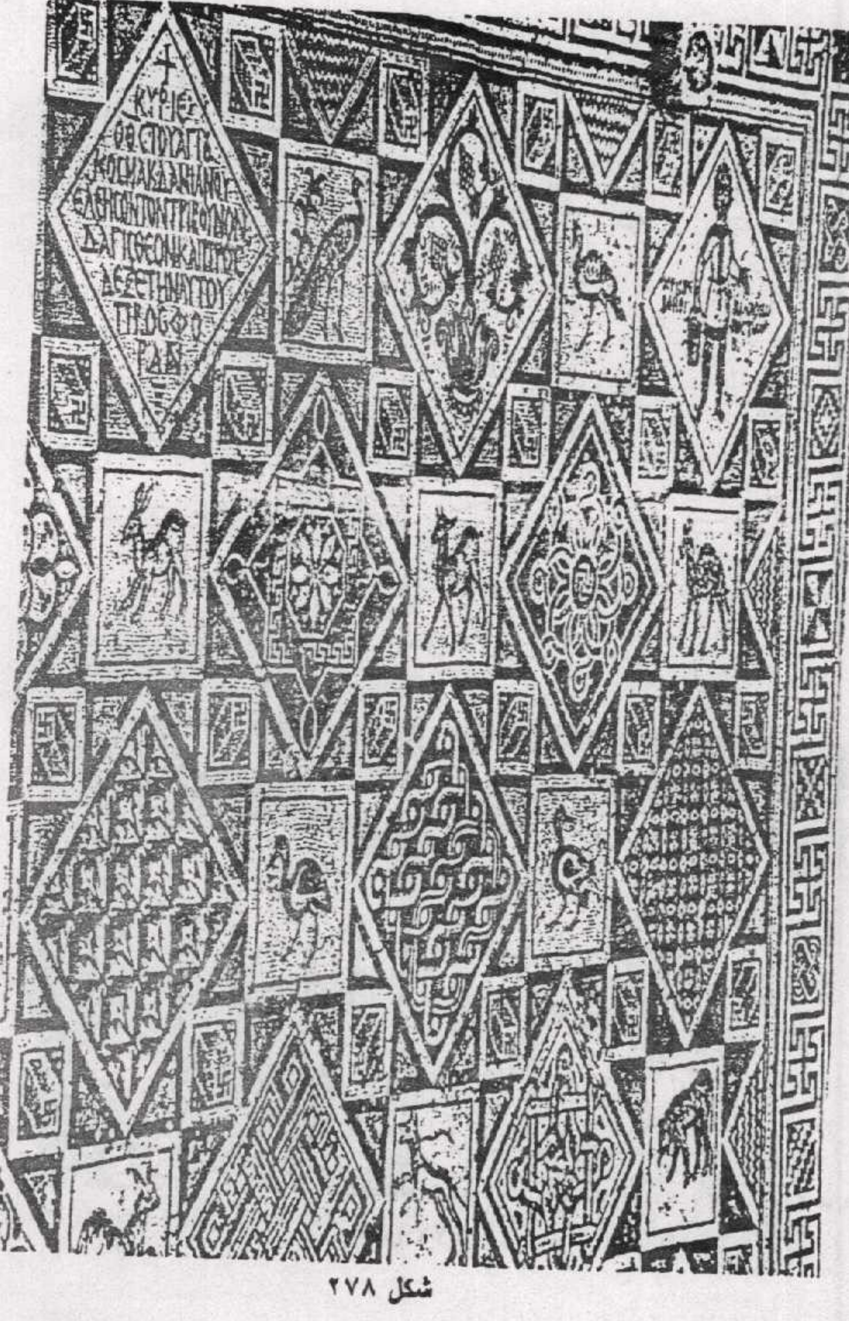
شكل ٢٧٥



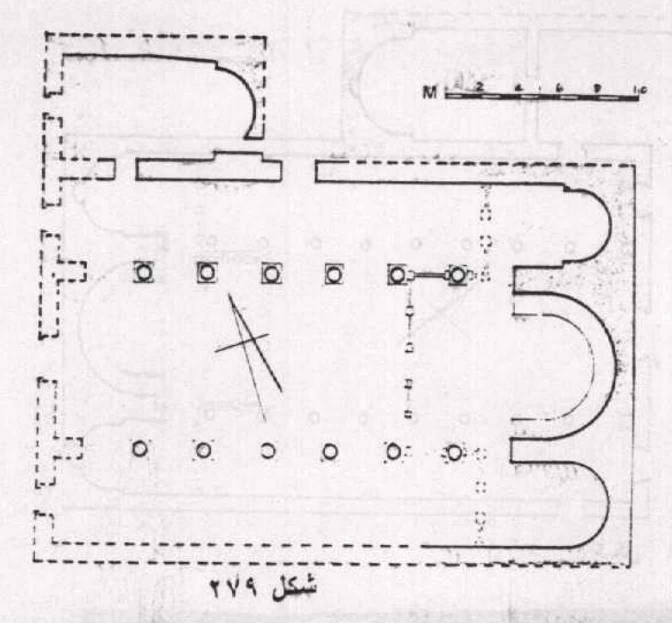
شكل ٢٧٦



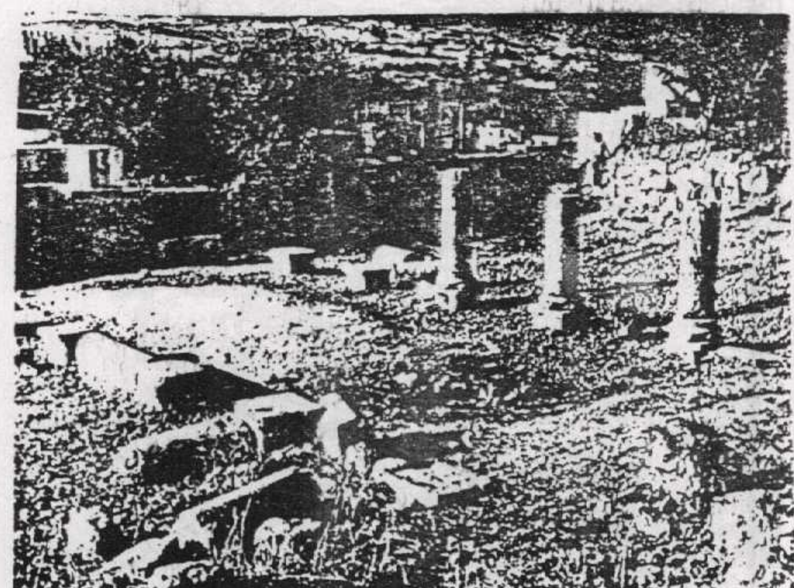
شكل ٢٧٧



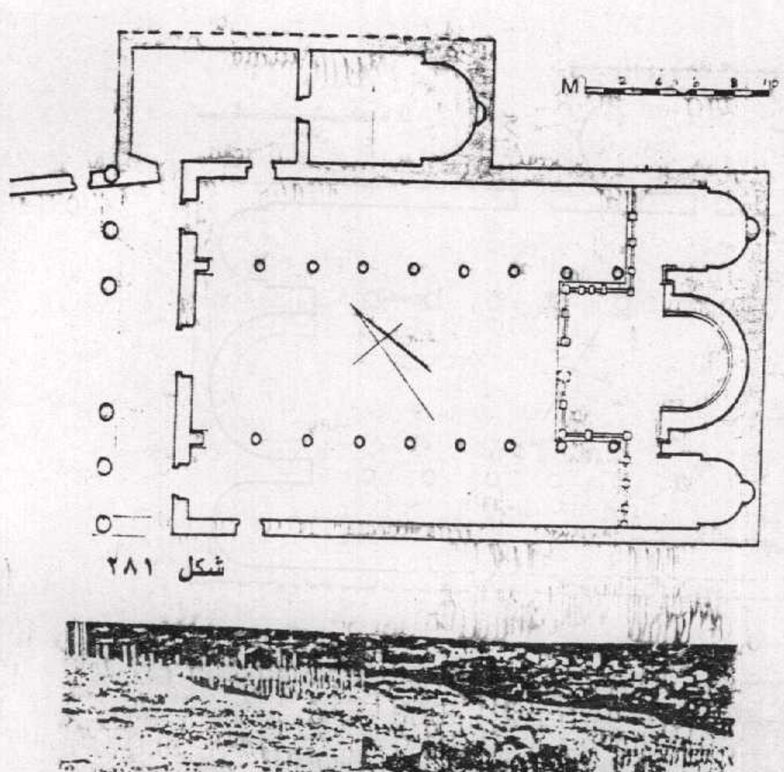
شكل ٢٧٨



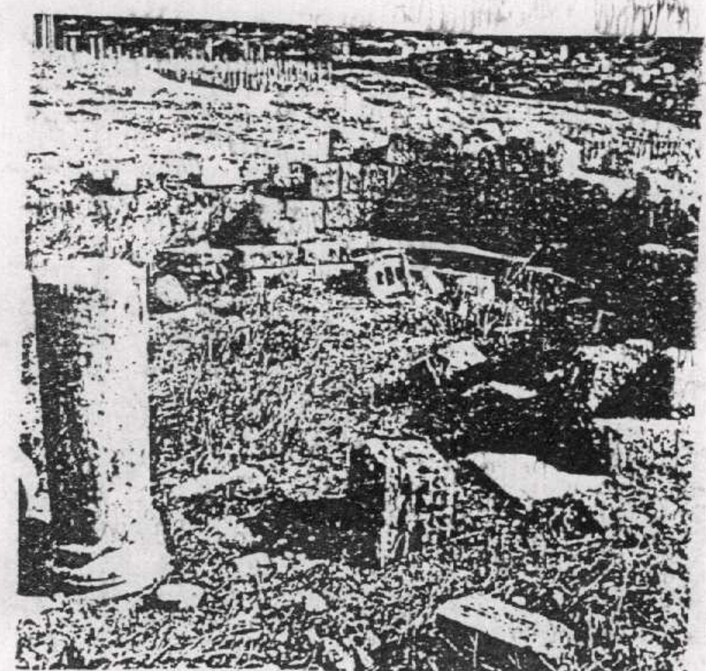
شكل ٢٧٩



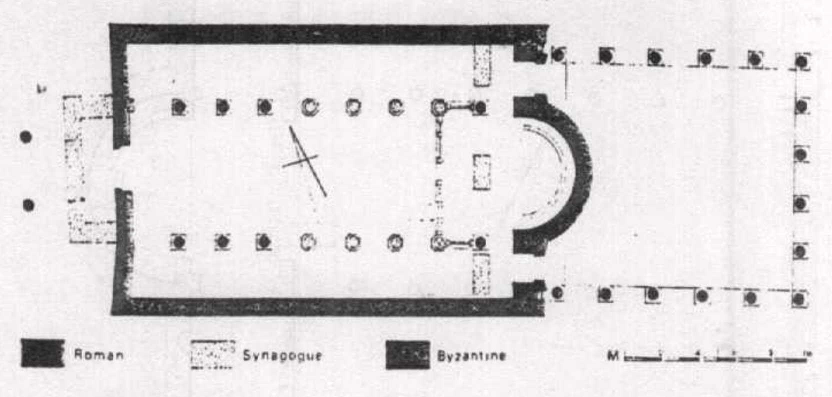
شكل ٢٨٠



شكل ٢٨١

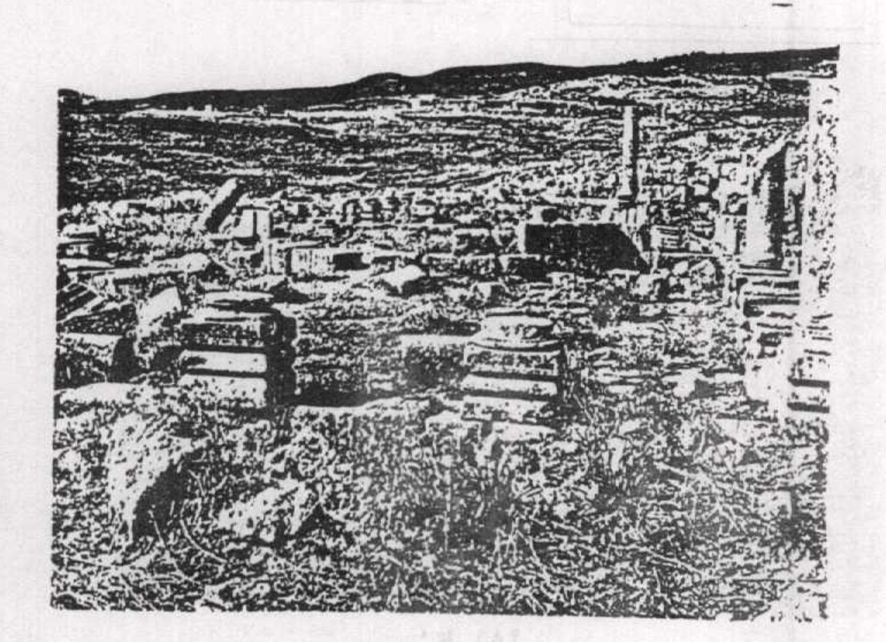


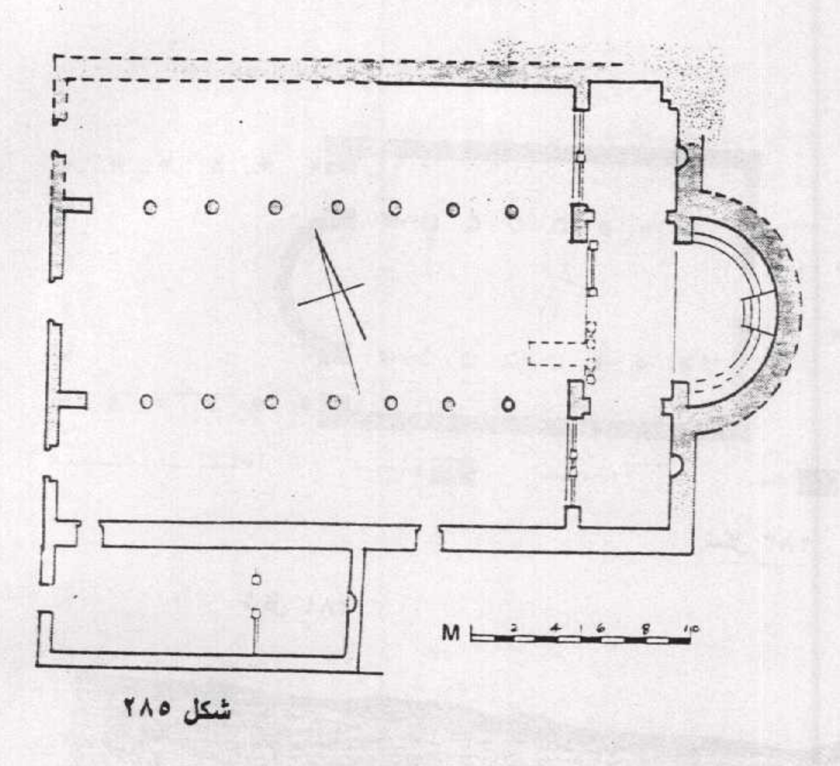
شكل ٢٨٢



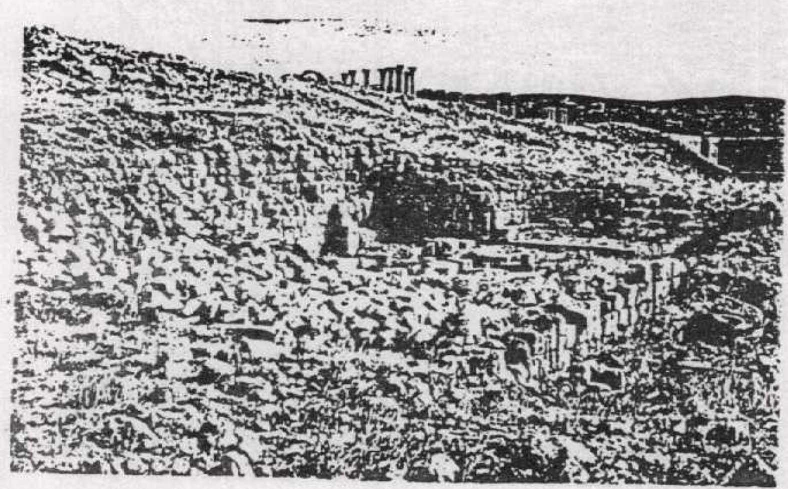
شكل ٢٨٣

شكل ٢٨٤

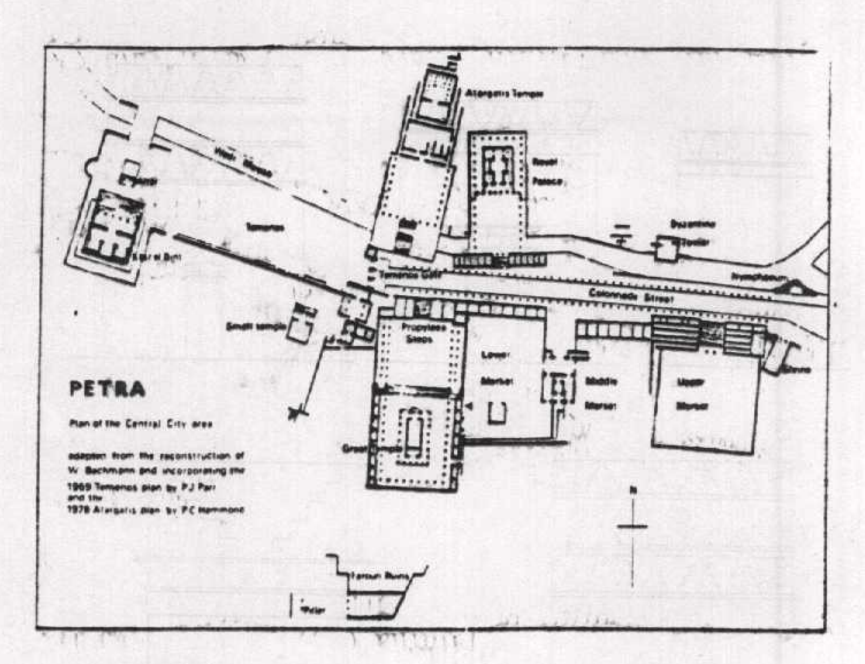




شكل ٢٨٥

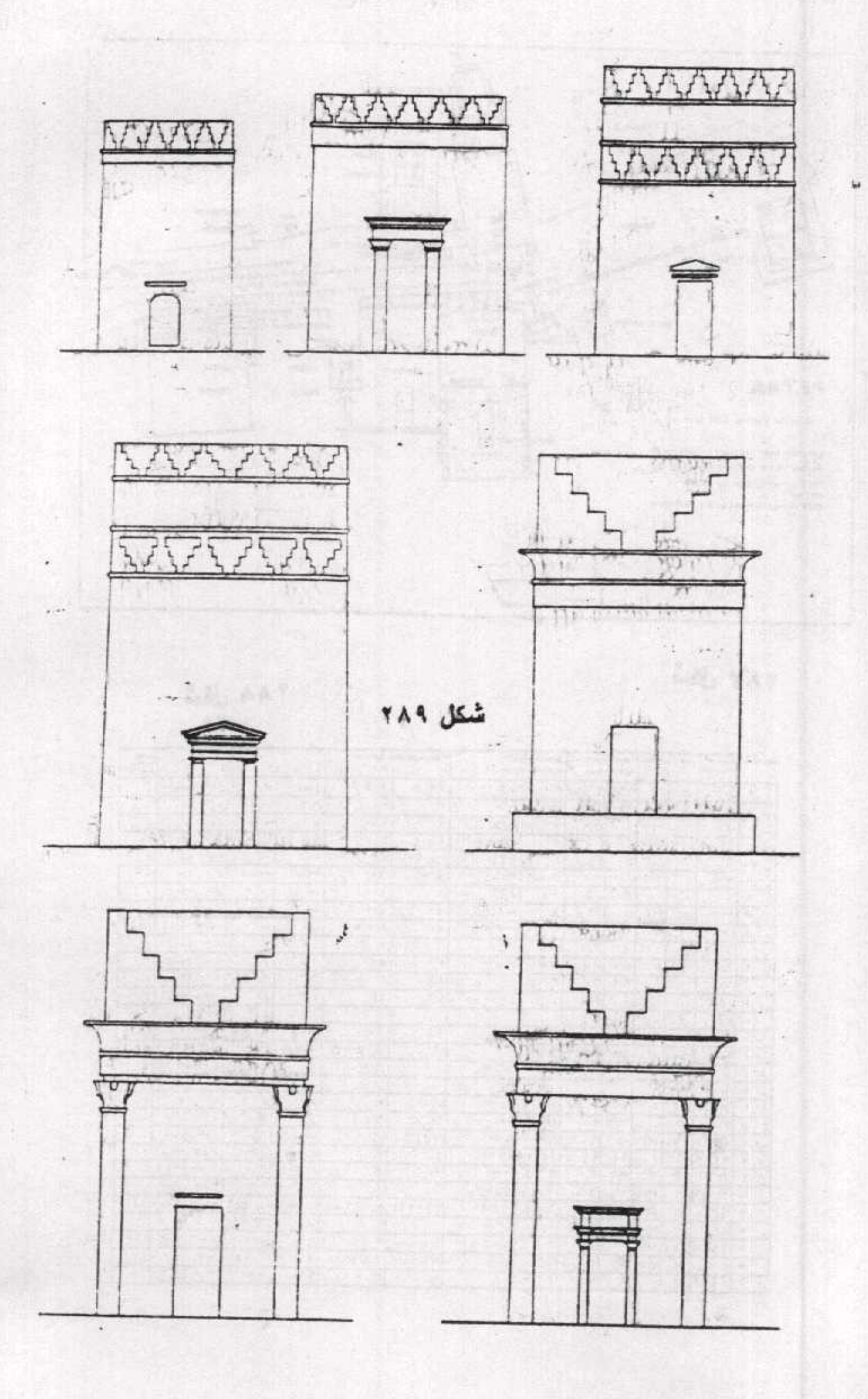


شكل ٢٨٦

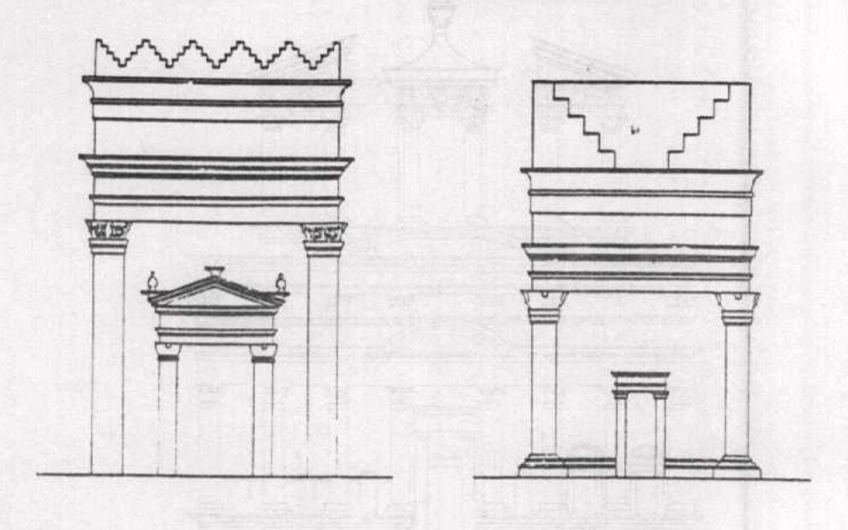


شكل ٢٨٧

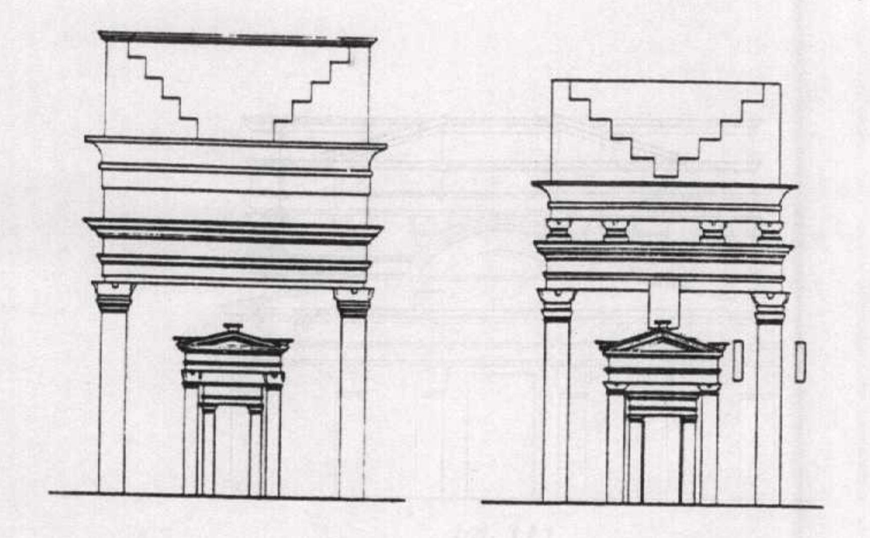
شكل ٢٨٨

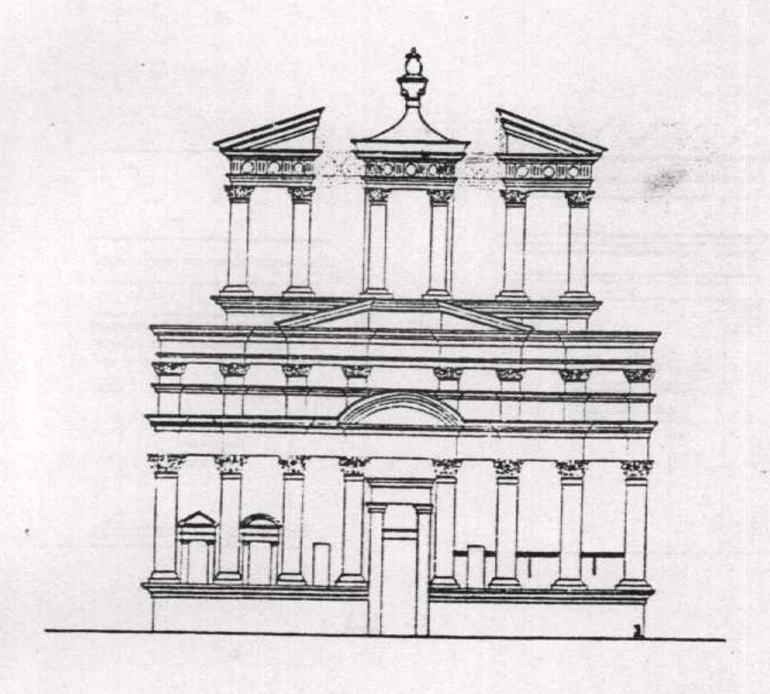


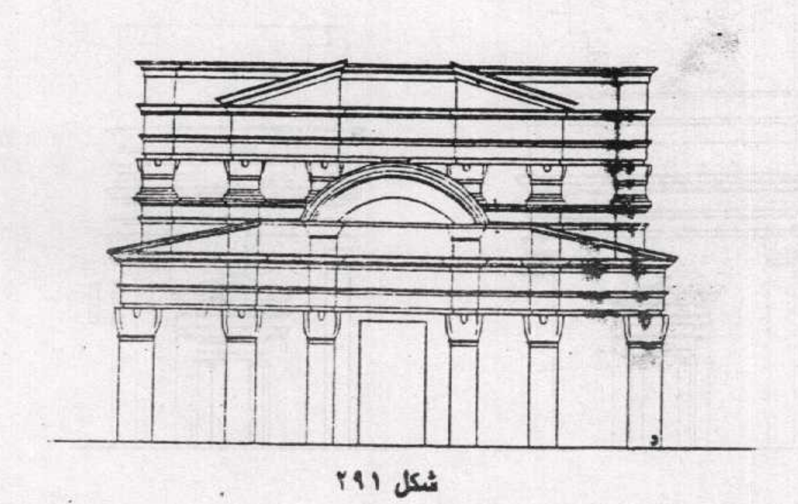
شكل ٢٨٩



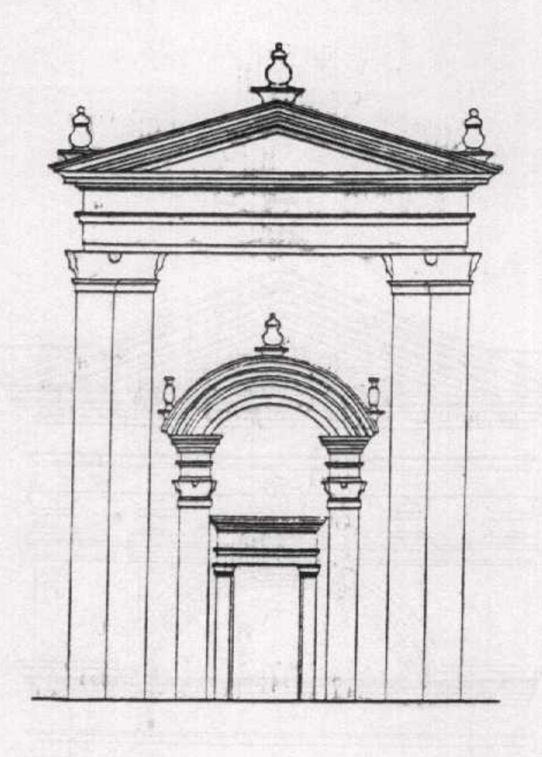
شكل ٢٩٠





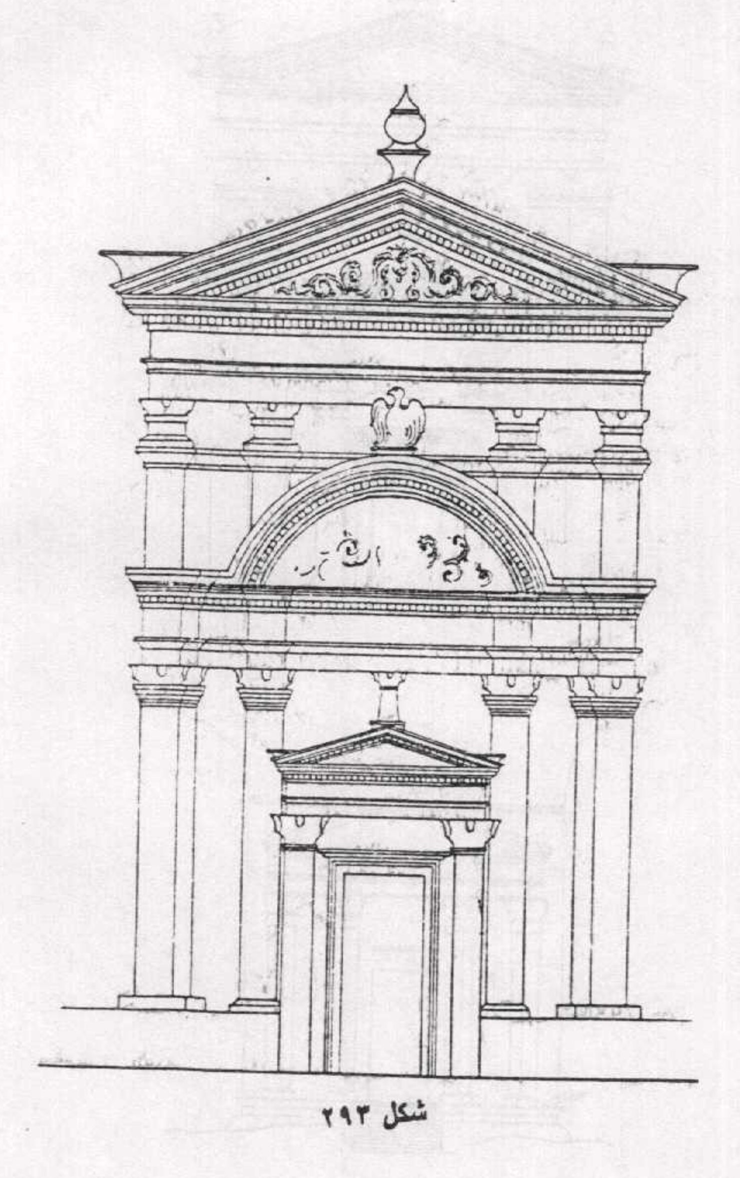


شكل ٢٩١

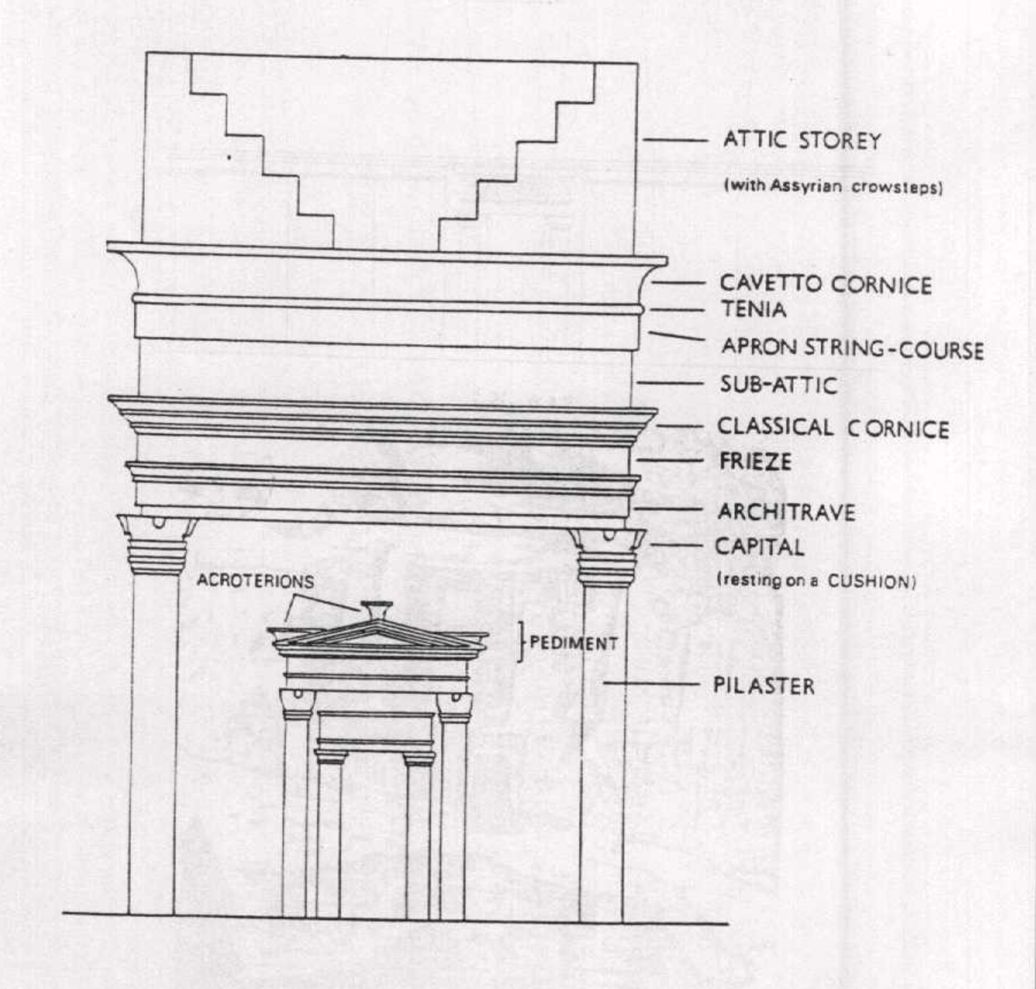




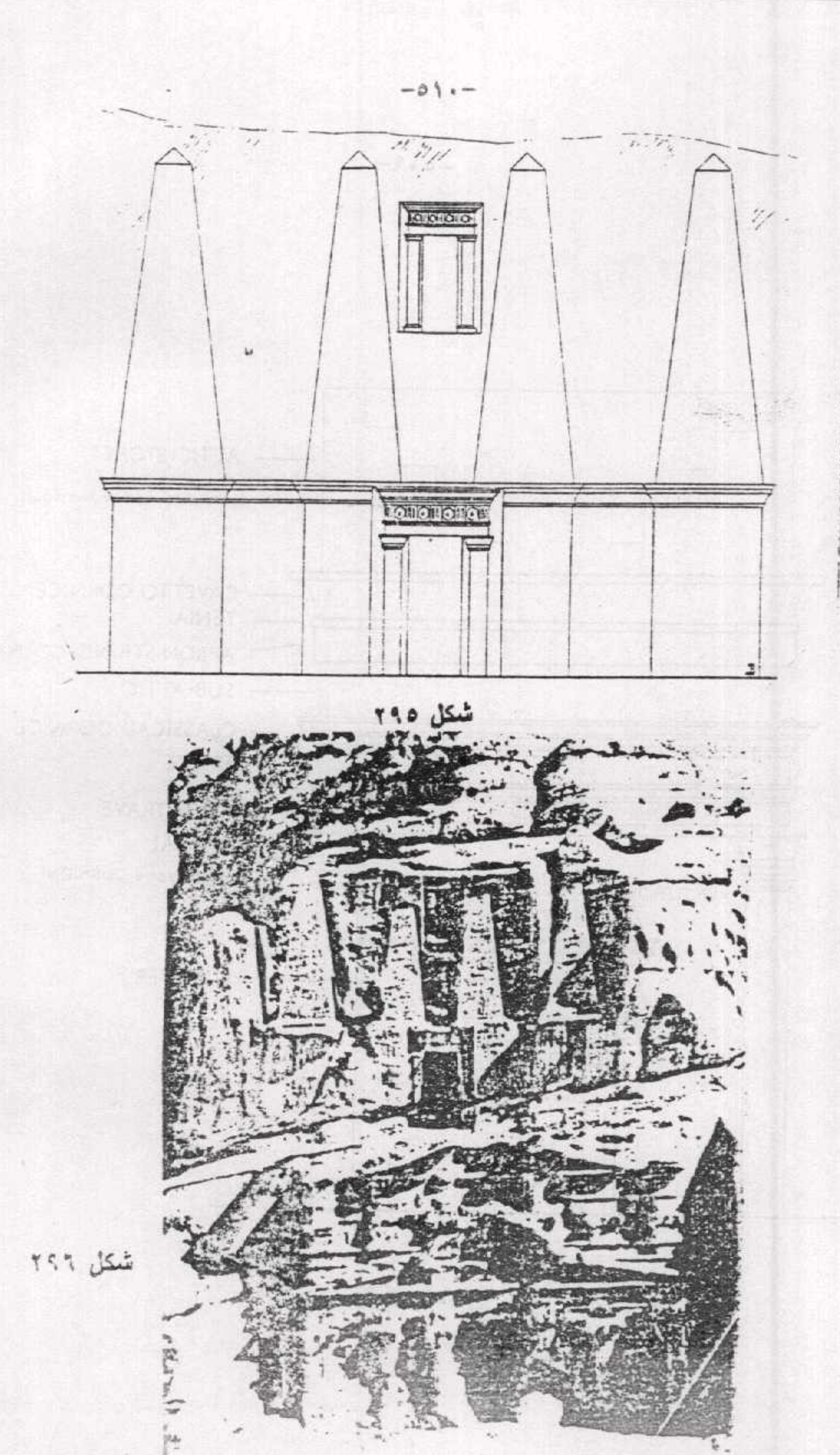
شكل ٢٩٢



شكل ٢٩٣

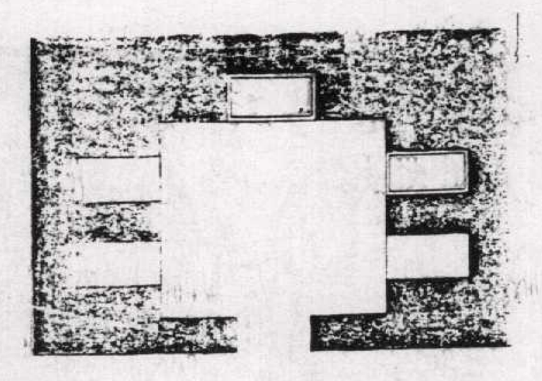

ATTIC STOREY
(with Assyrian crowsteps)
CAVETTO CORNICE
TENIA
APRON STRING-COURSE
SUB-ATTIC
CLASSICAL CORNICE
FRIEZE
ARCHITRAVE
CAPITAL
(resting on a CUSHION)
ACROTERIONS
PEDIMENT
PILASTER

شكل ٢٩٤

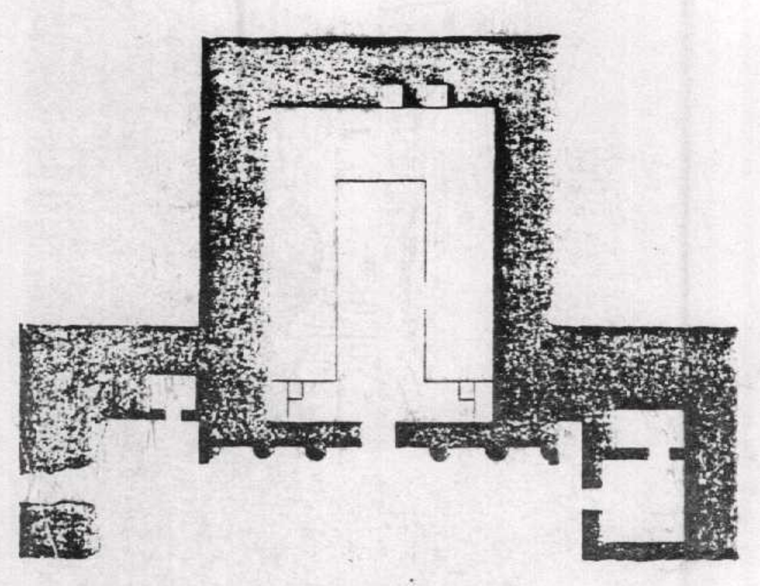


شكل ٢٩٥

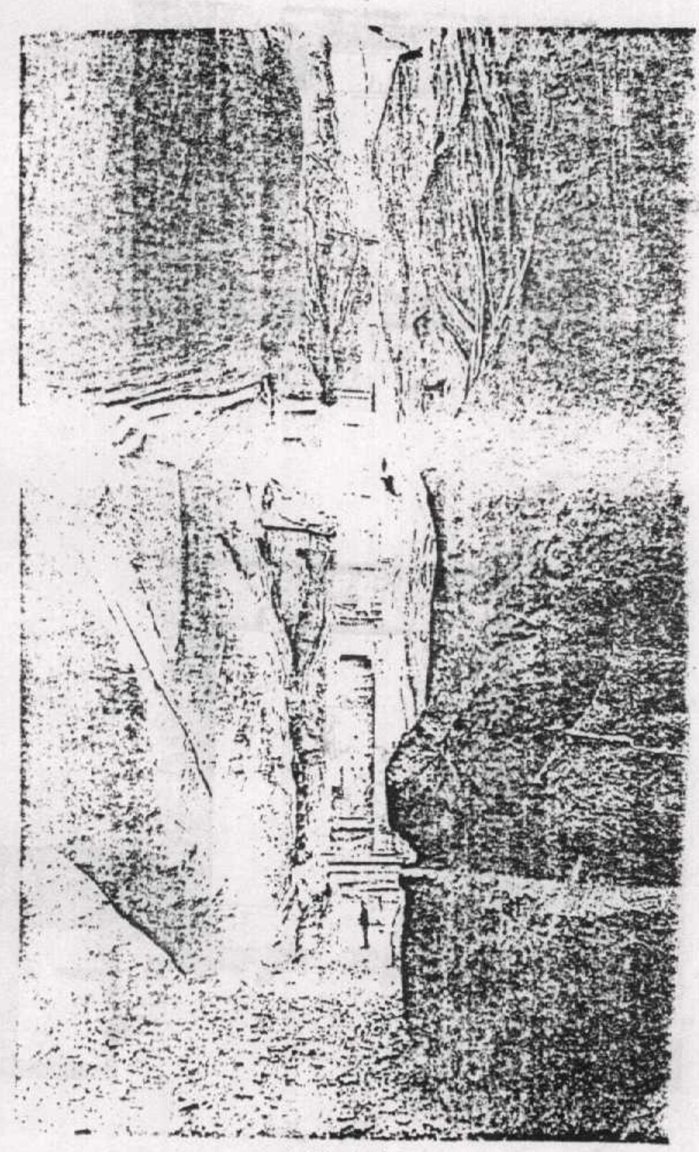
شكل ٢٩٦



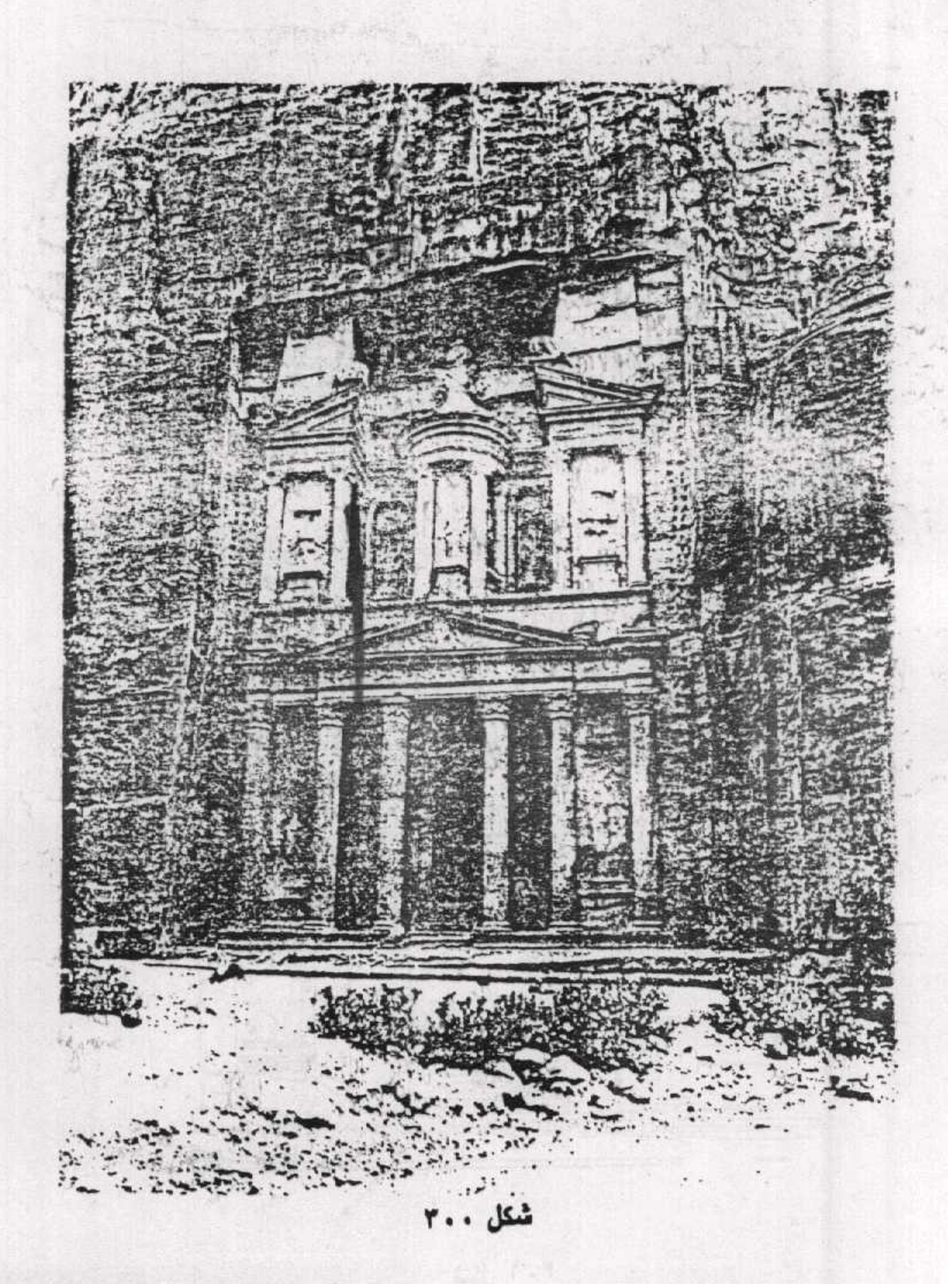
شكل ٢٩٧



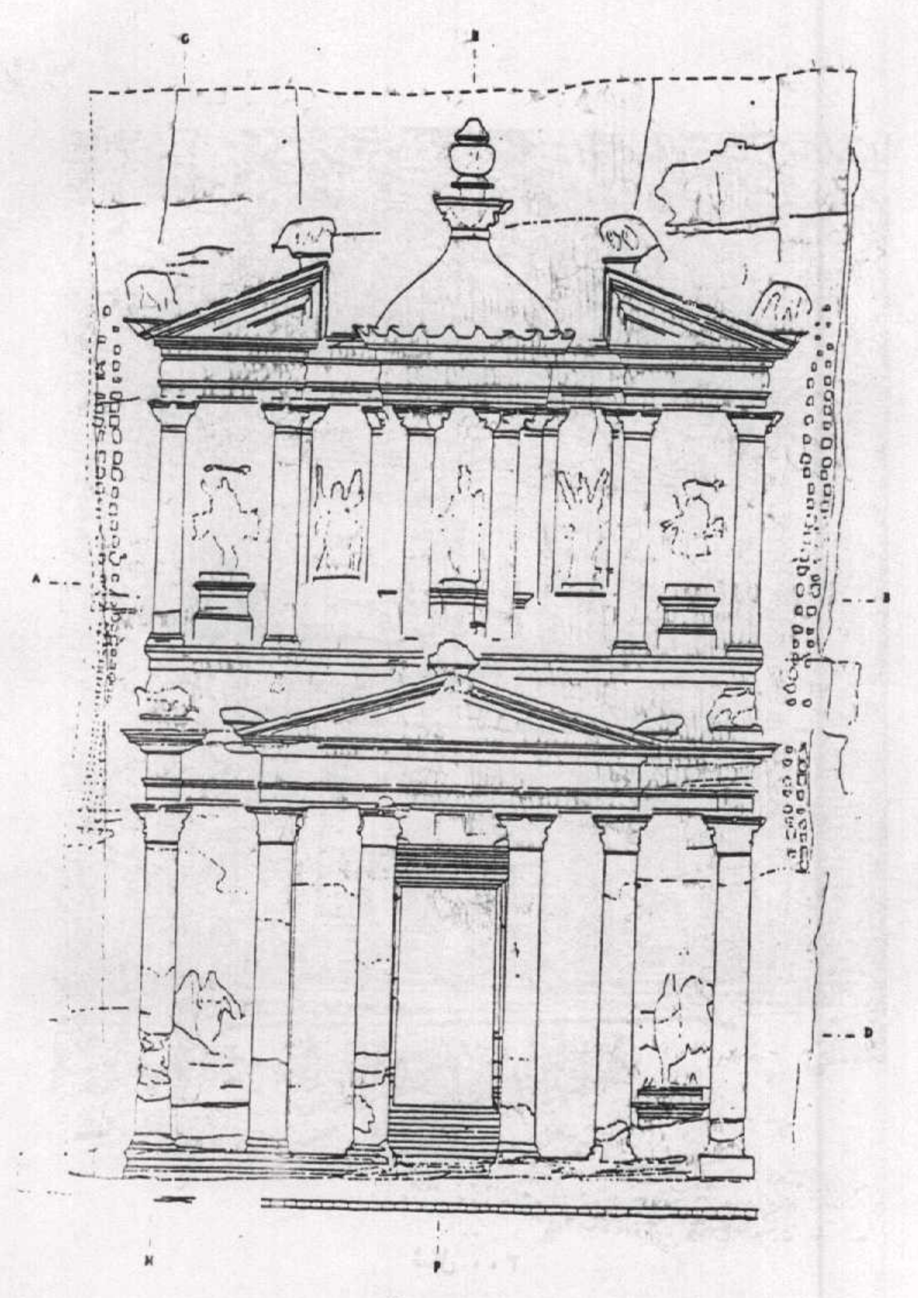
شكل ٢٩٨



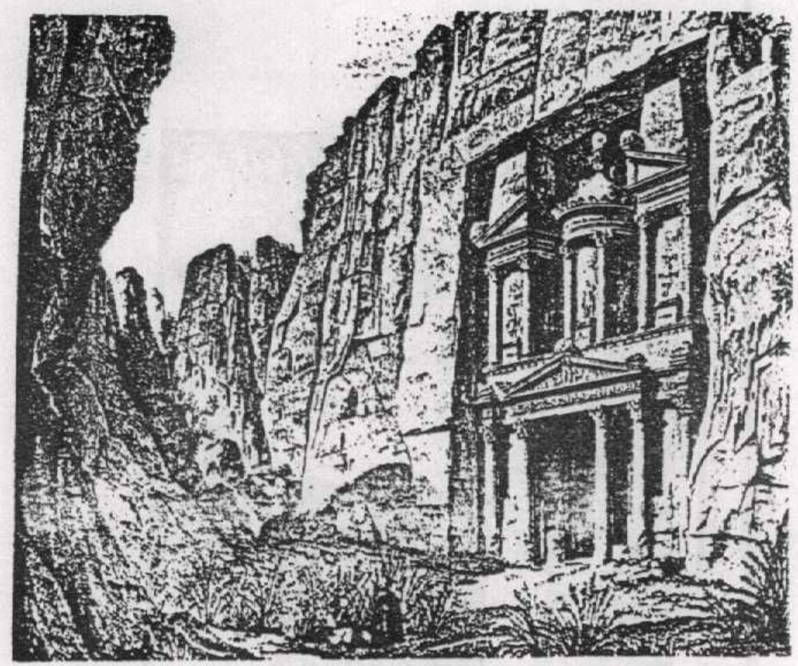
شكل ٢٩٩



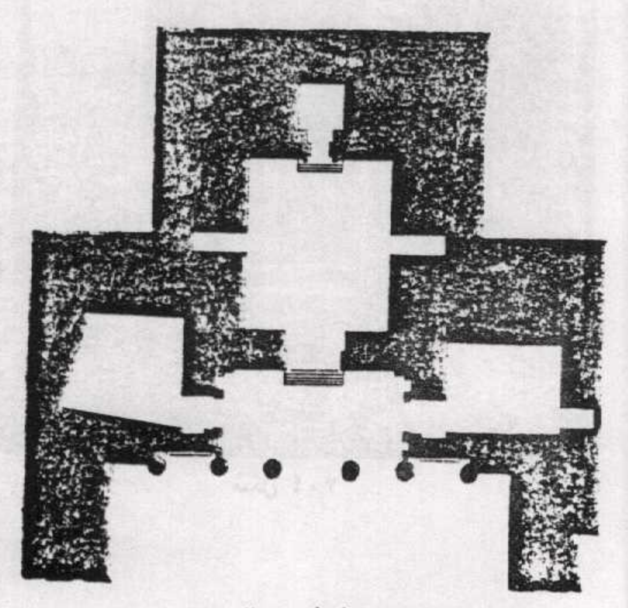
شكل ٣٠٠



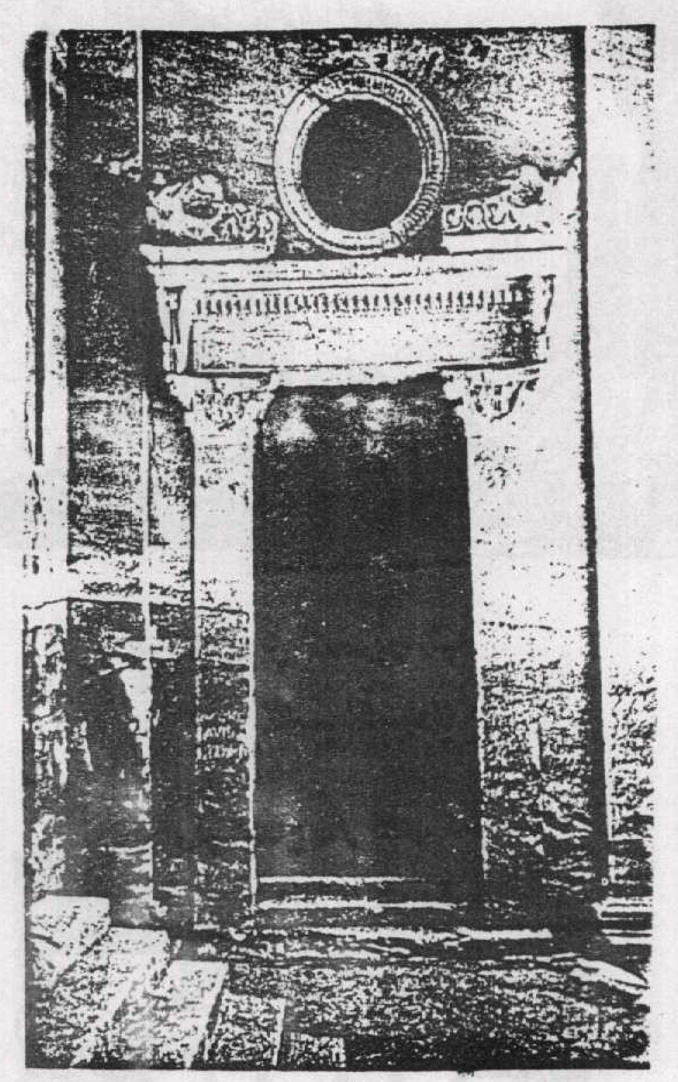
شكل ٣٠١



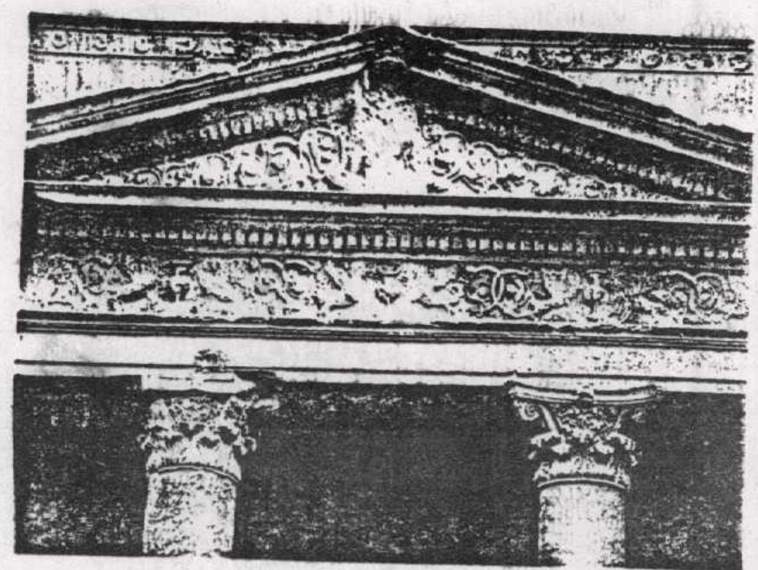
شكل ٣٠٢



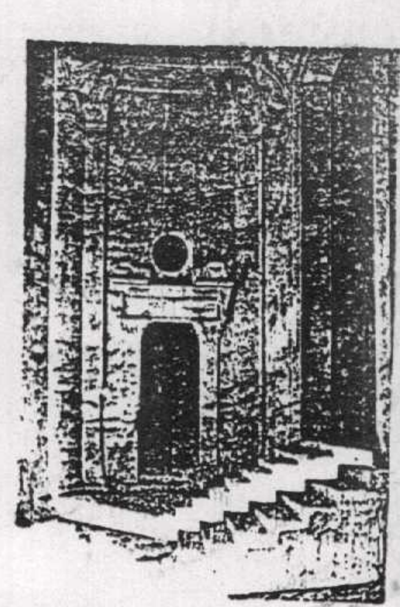
شكل ٣٠٣

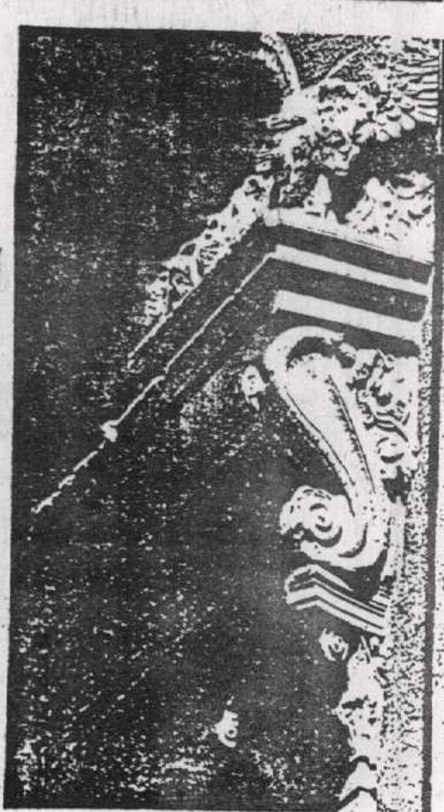


شكل ٣٠٤

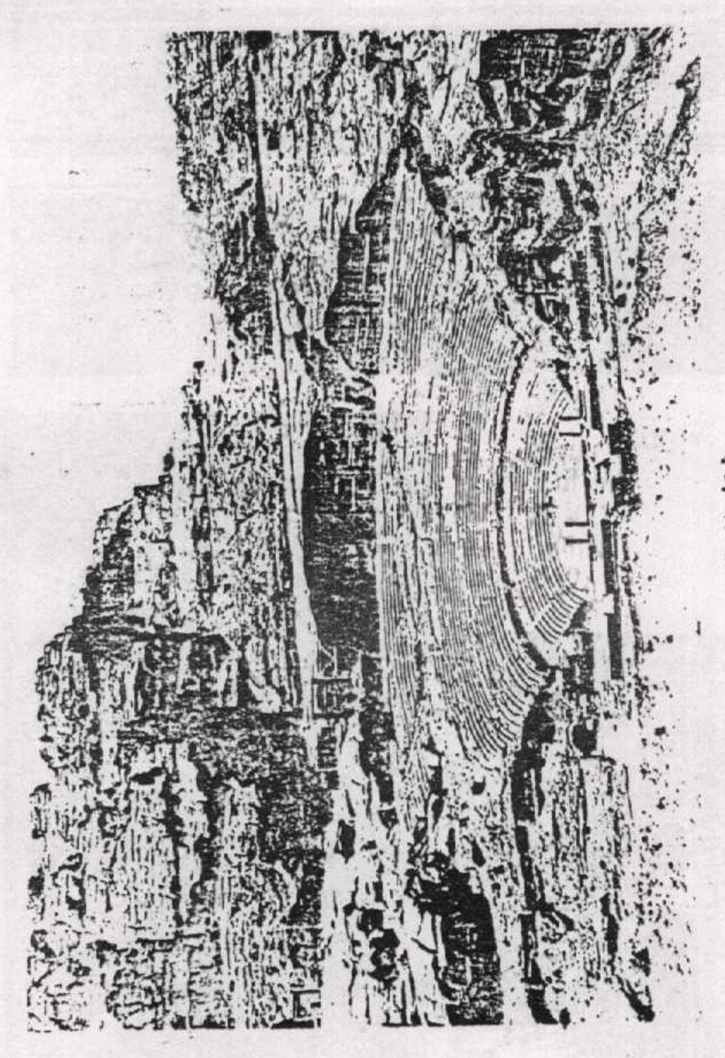


شكل ٣٠٥

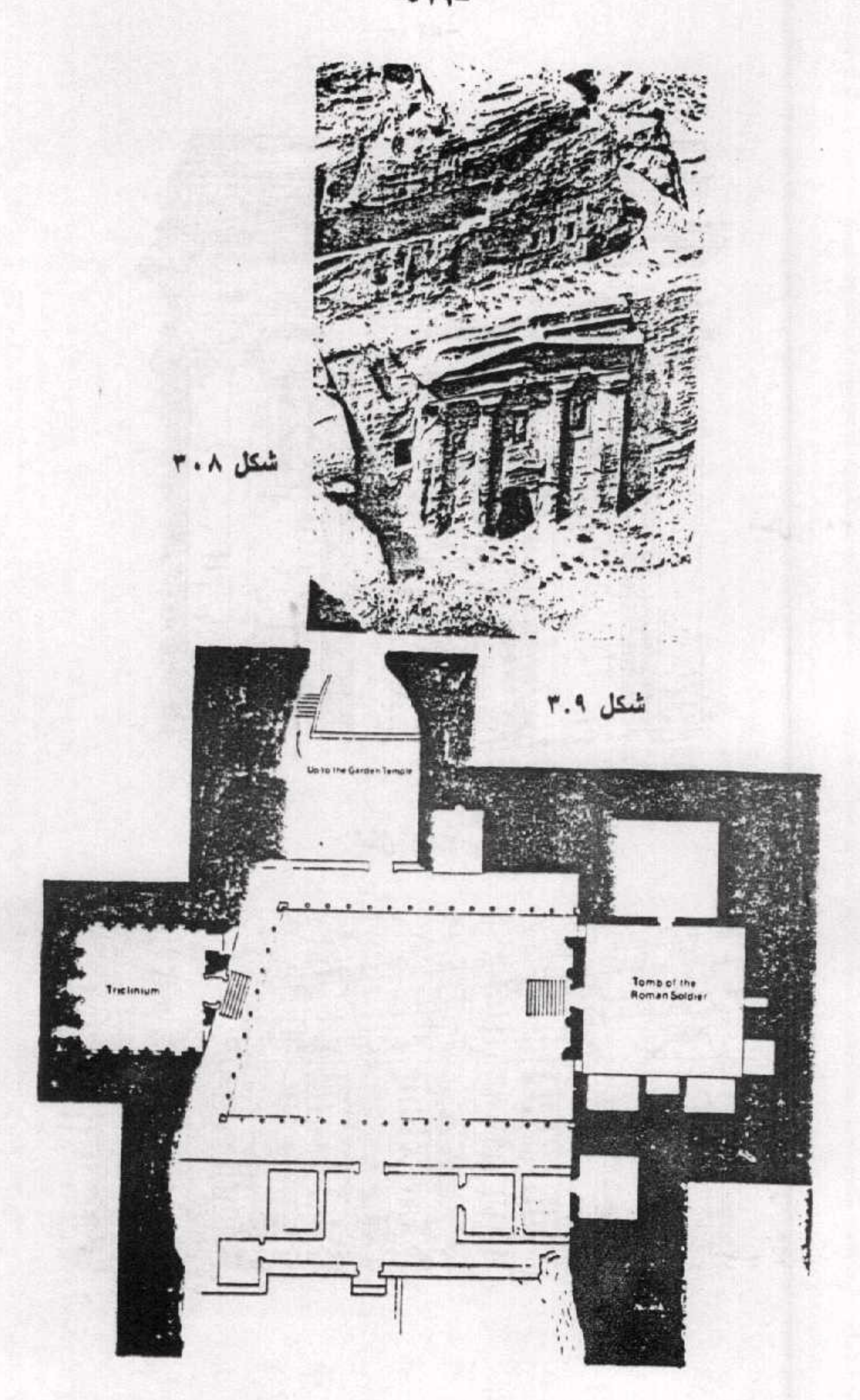




شكل ٣٠٦

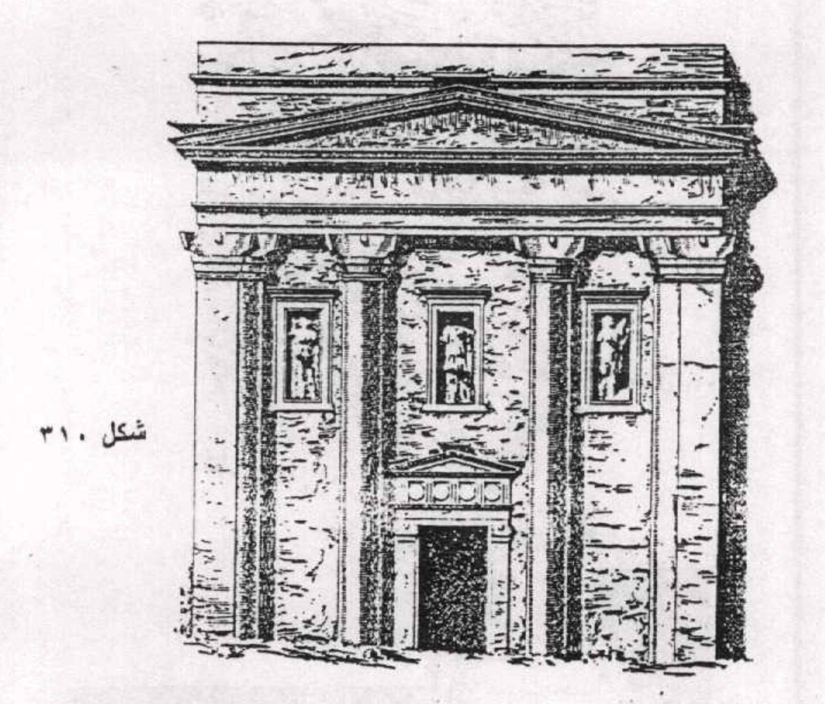


شكل ٣٠٧



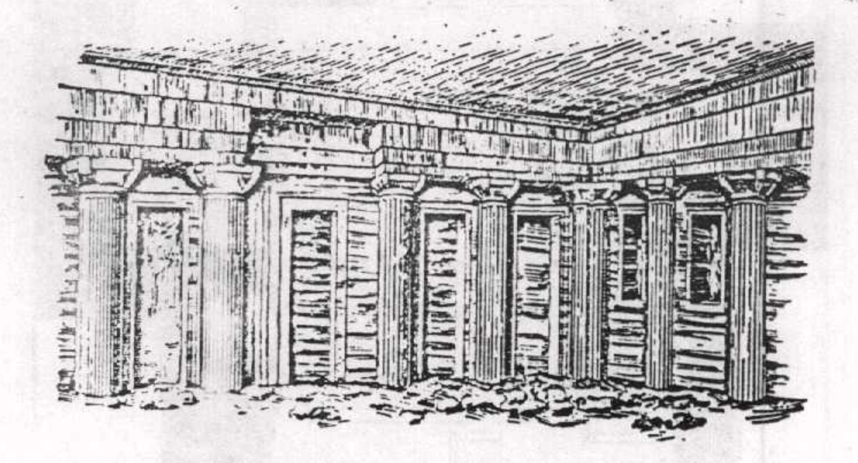
شكل ٣٠٨

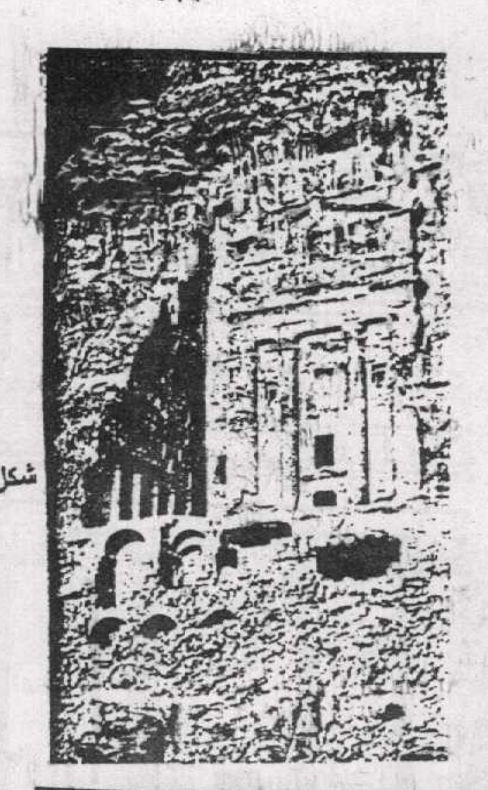
شكل ٣٠٩



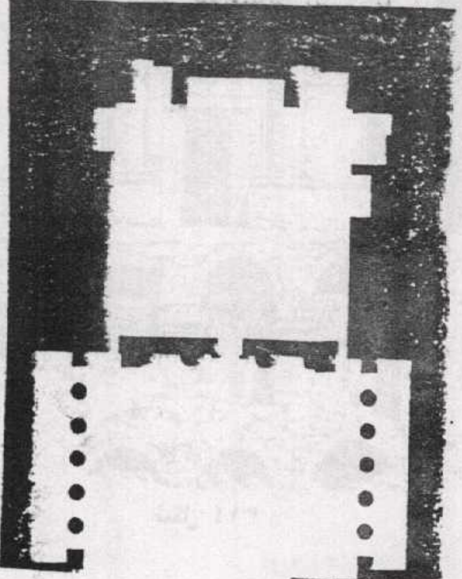
شكل ٣١٠

شكل ٣١١

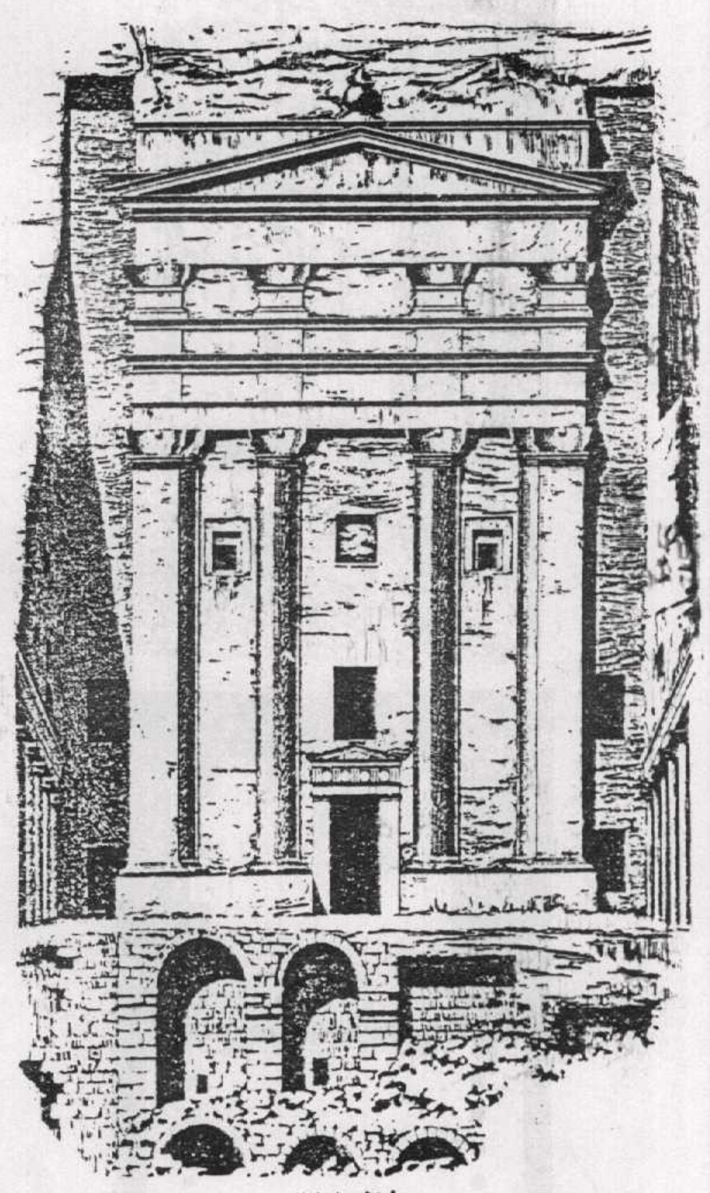




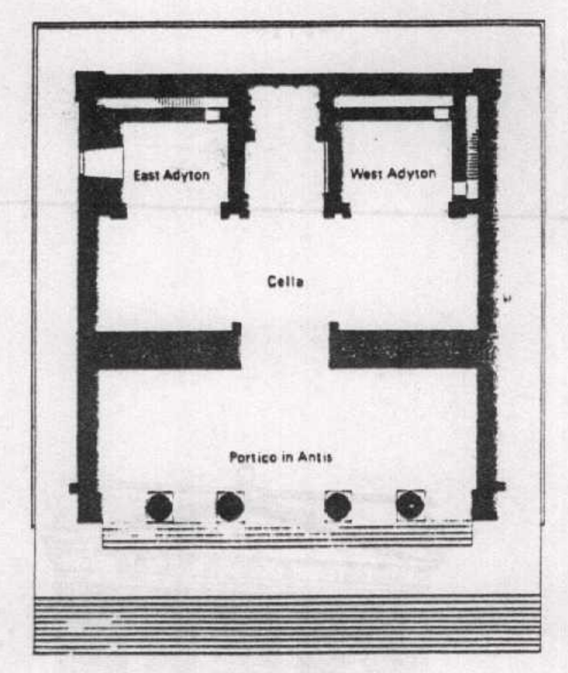
شكل ٣١٢



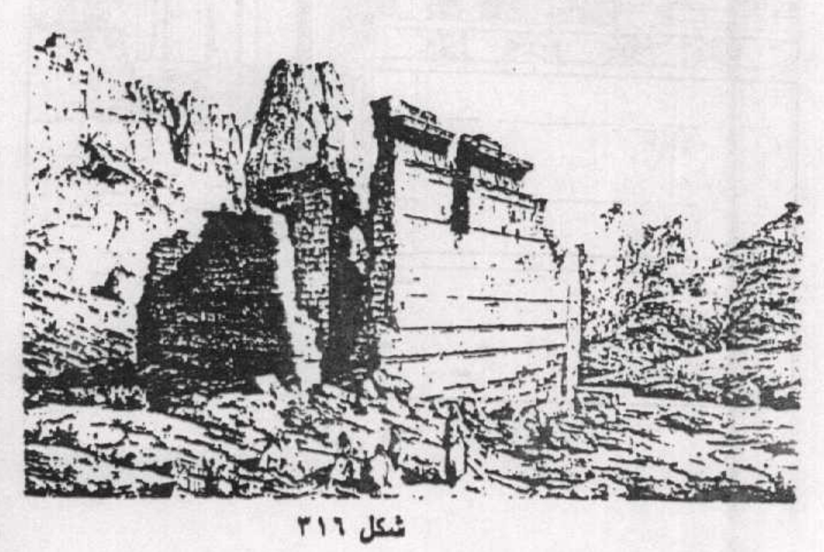
شكل ٣١٣



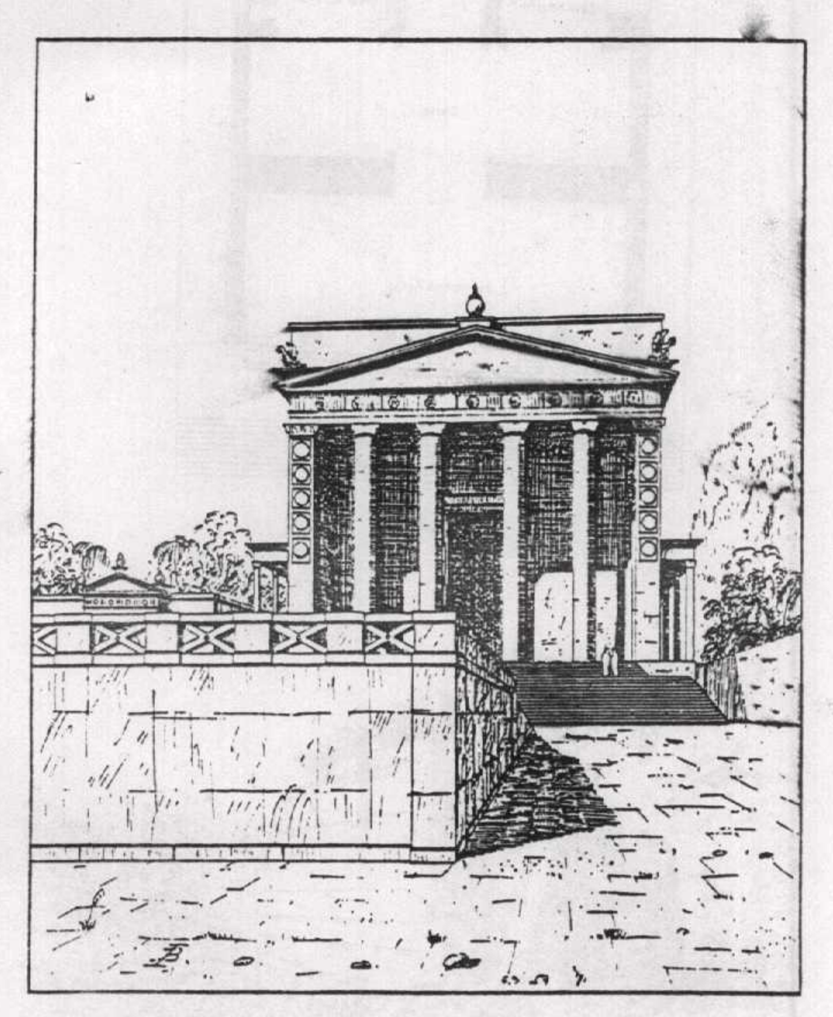
شكل ٣١٤



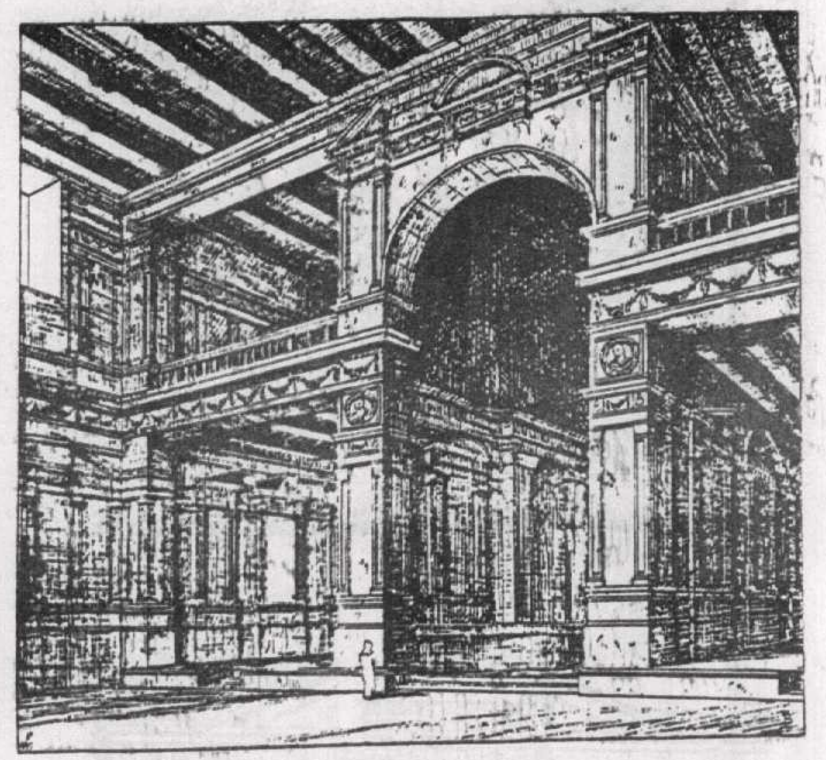
شكل ٣١٥



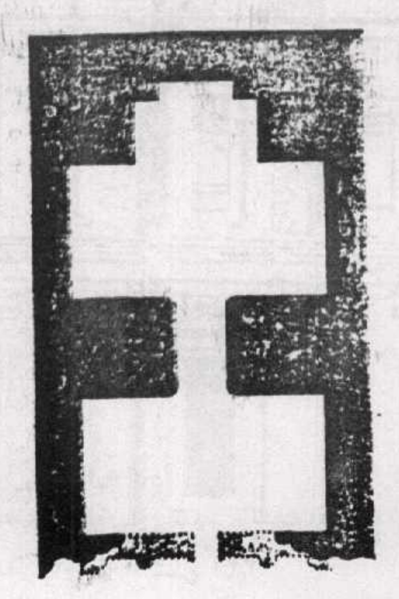
شكل ٣١٦



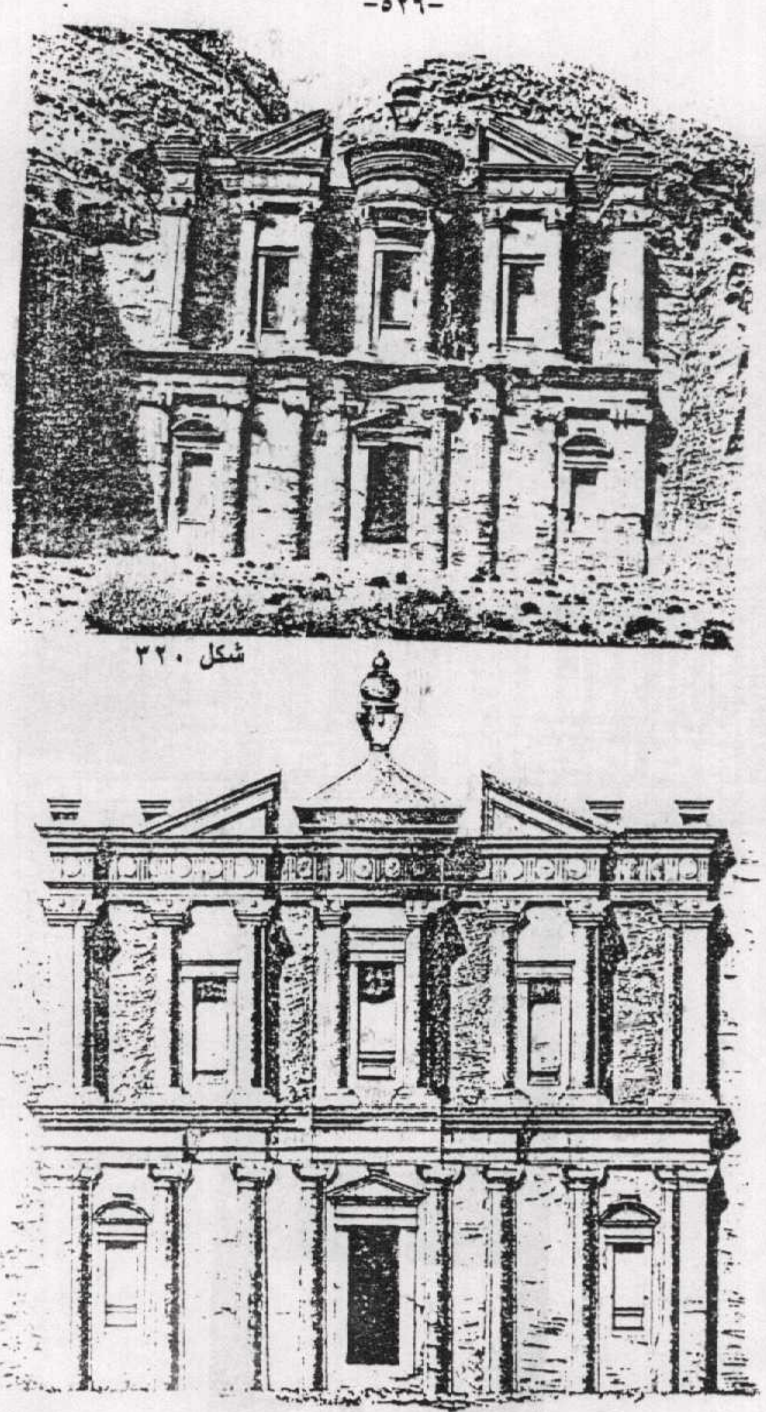
شكل ٢١٧



شكل ٣١٨

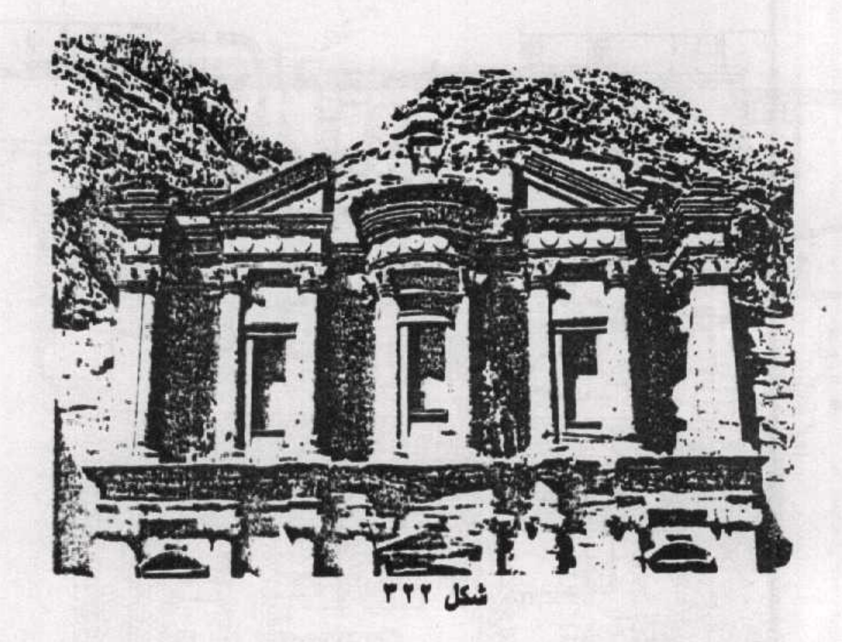


شكل ٣١٩

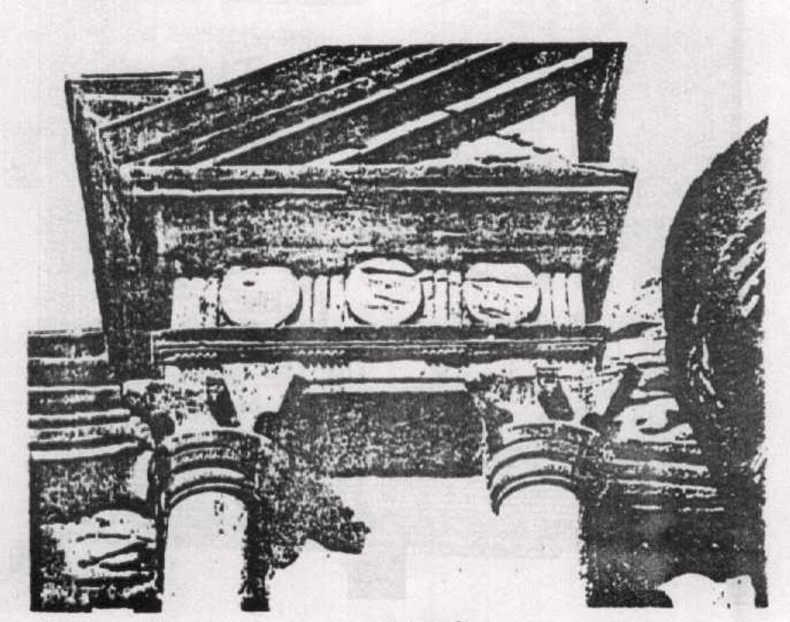


شكل ٣٢٠

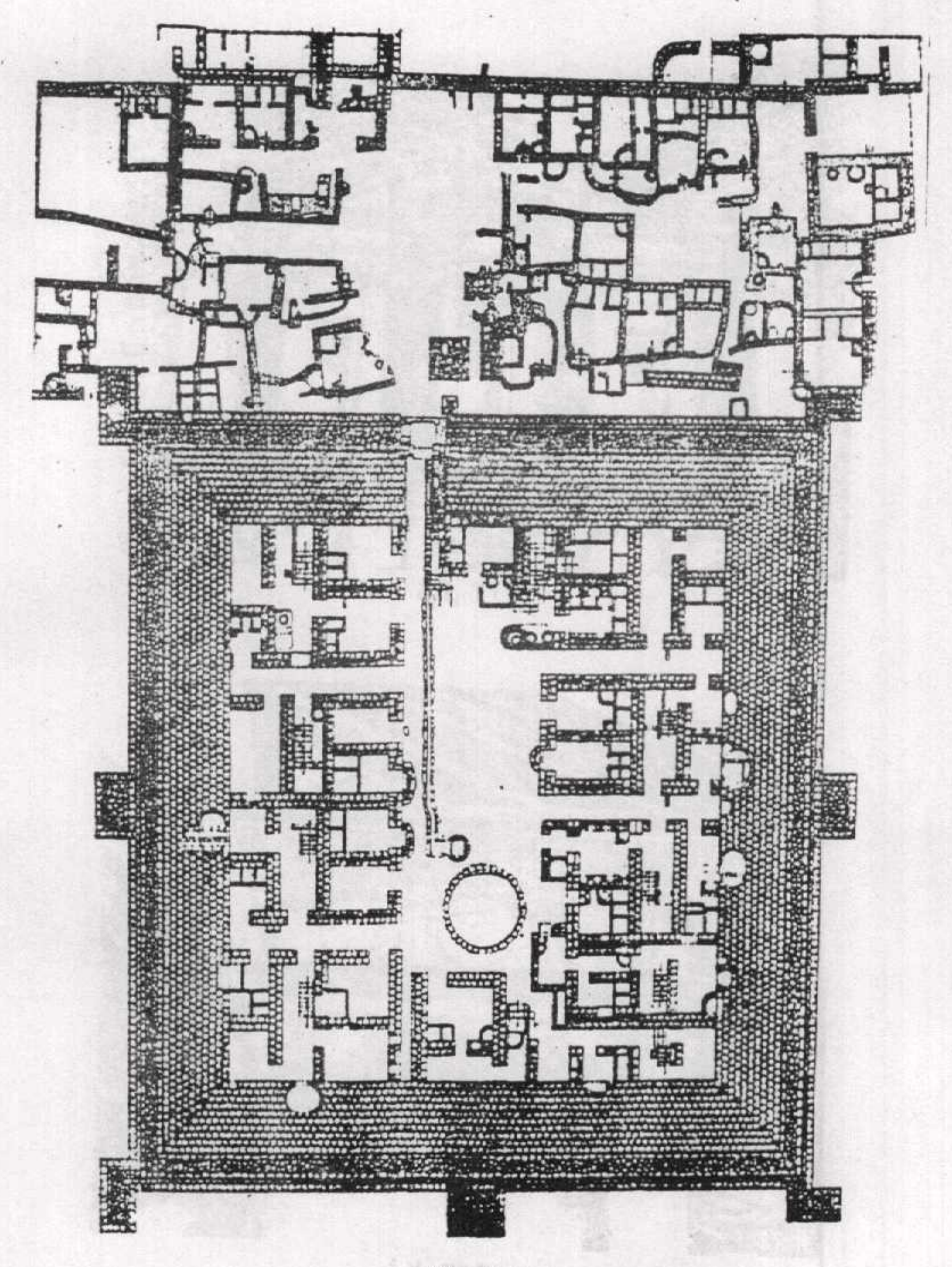
شكل ٣٢١



شكل ٣٢٢



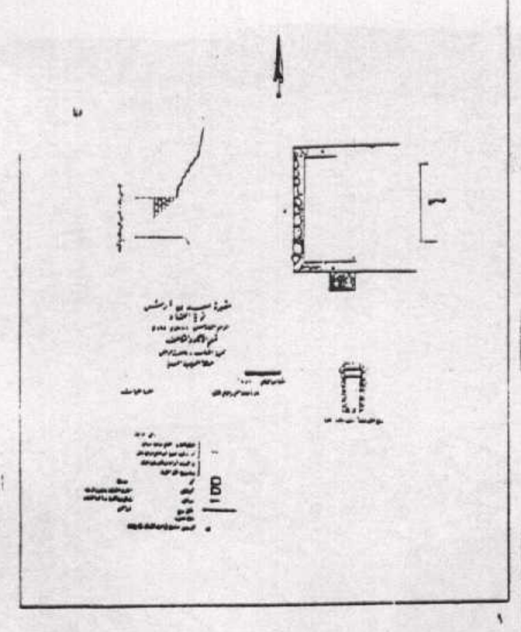
شكل ٣٢٣



شكل ٣٢٤

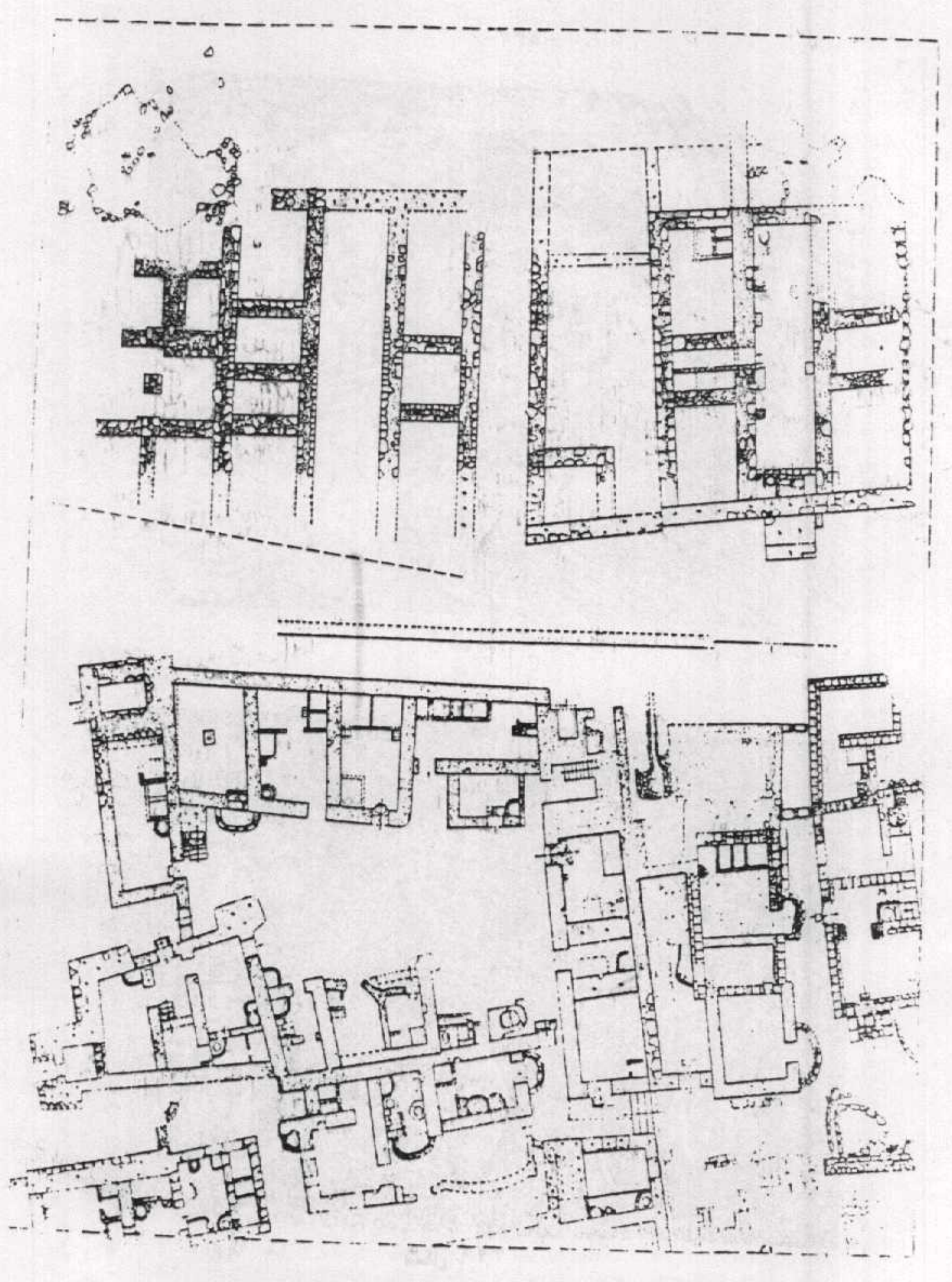


شكل ٣٢٥





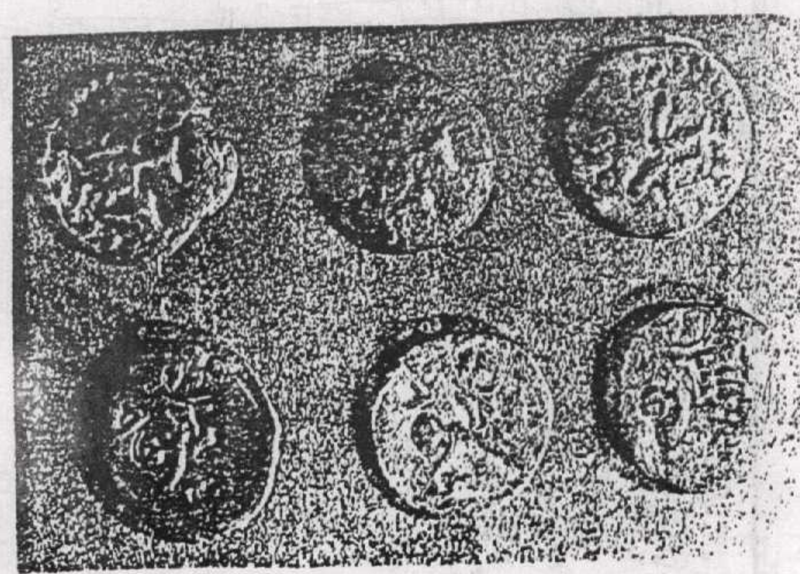
شكل ٣٢٦



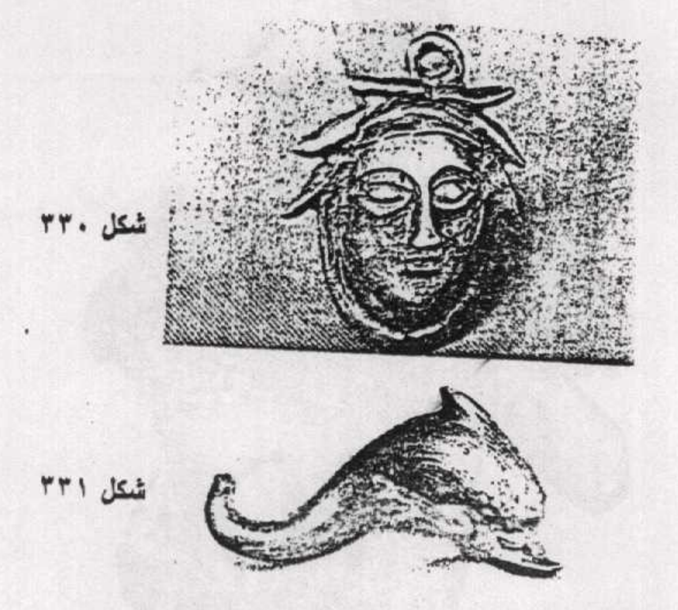
شكل ٣٢٧



شكل ٣٢٨



شكل ٣٢٩

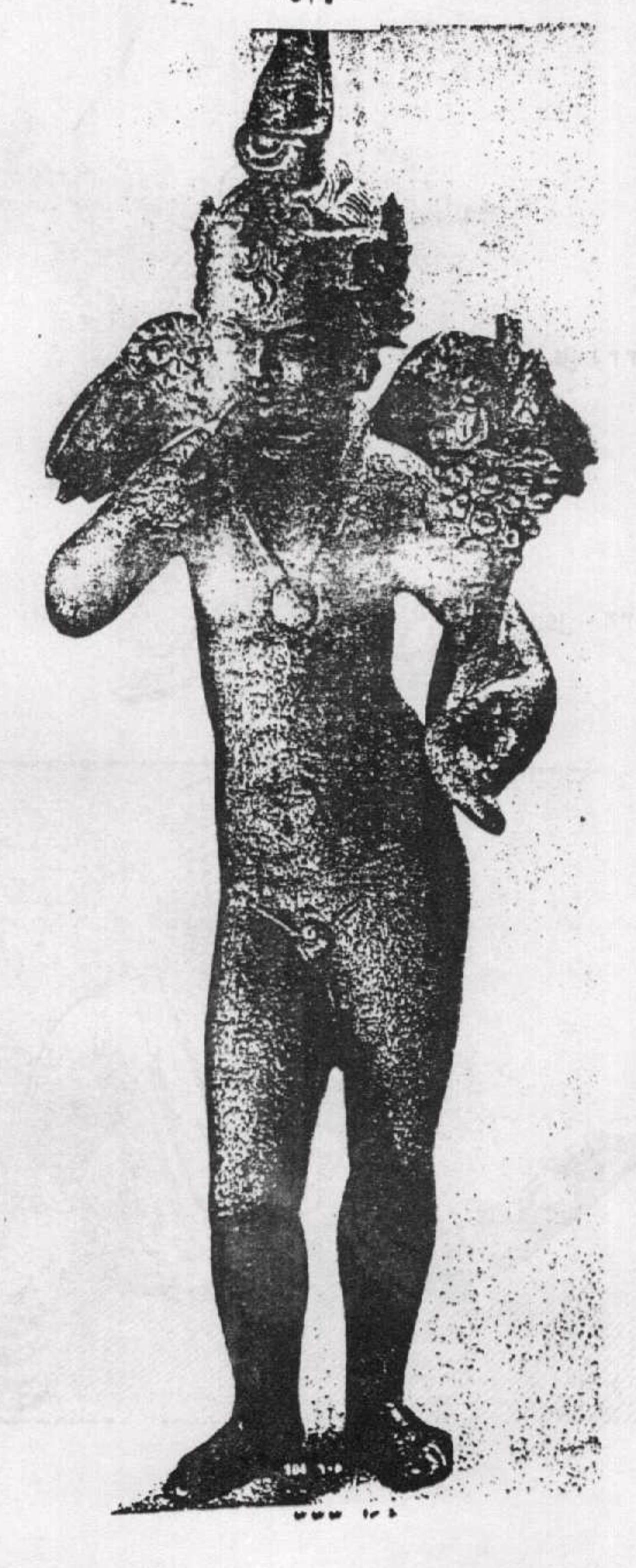


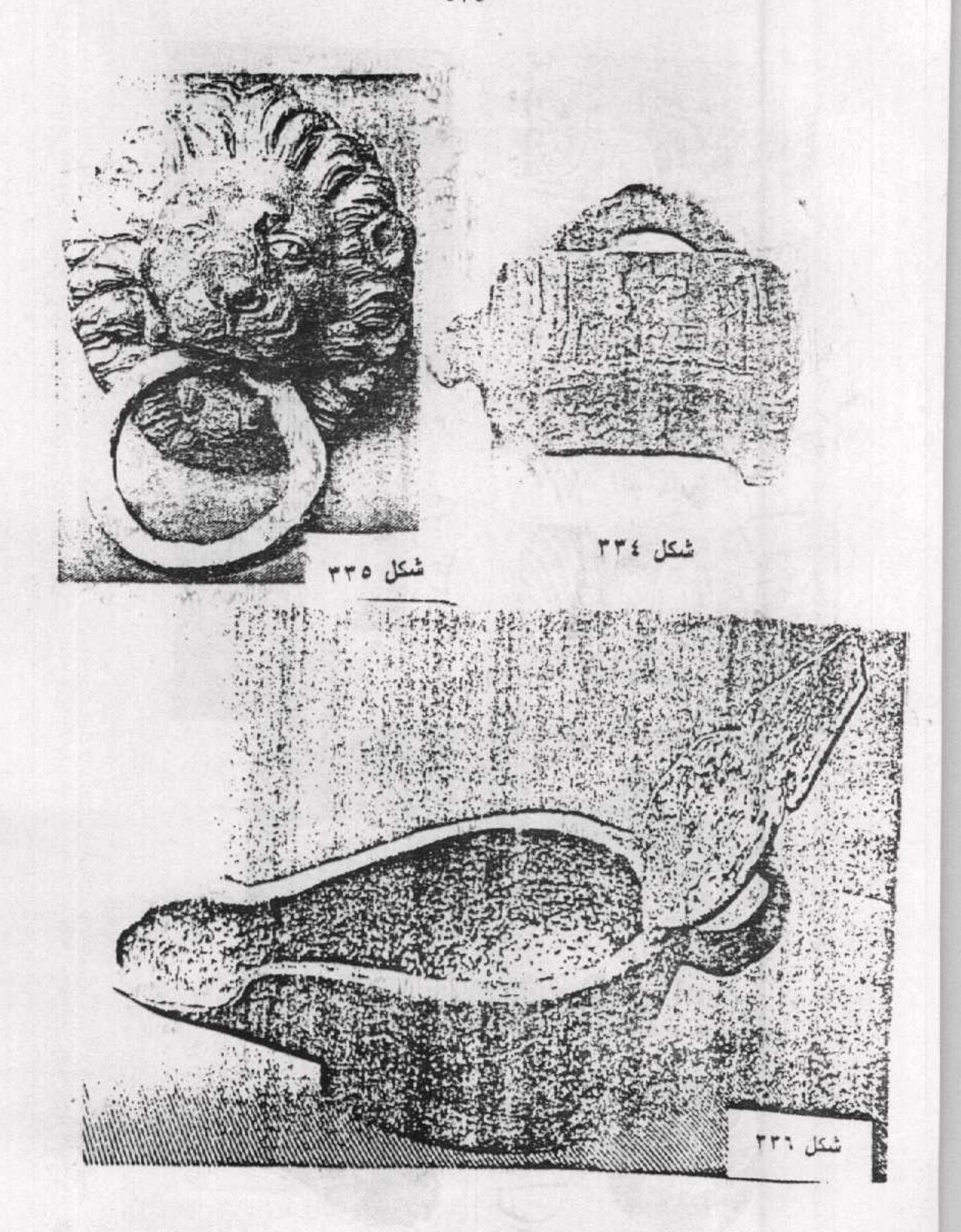
شكل ٣٣٠

شكل ٣٣١



شكل ٣٣٢

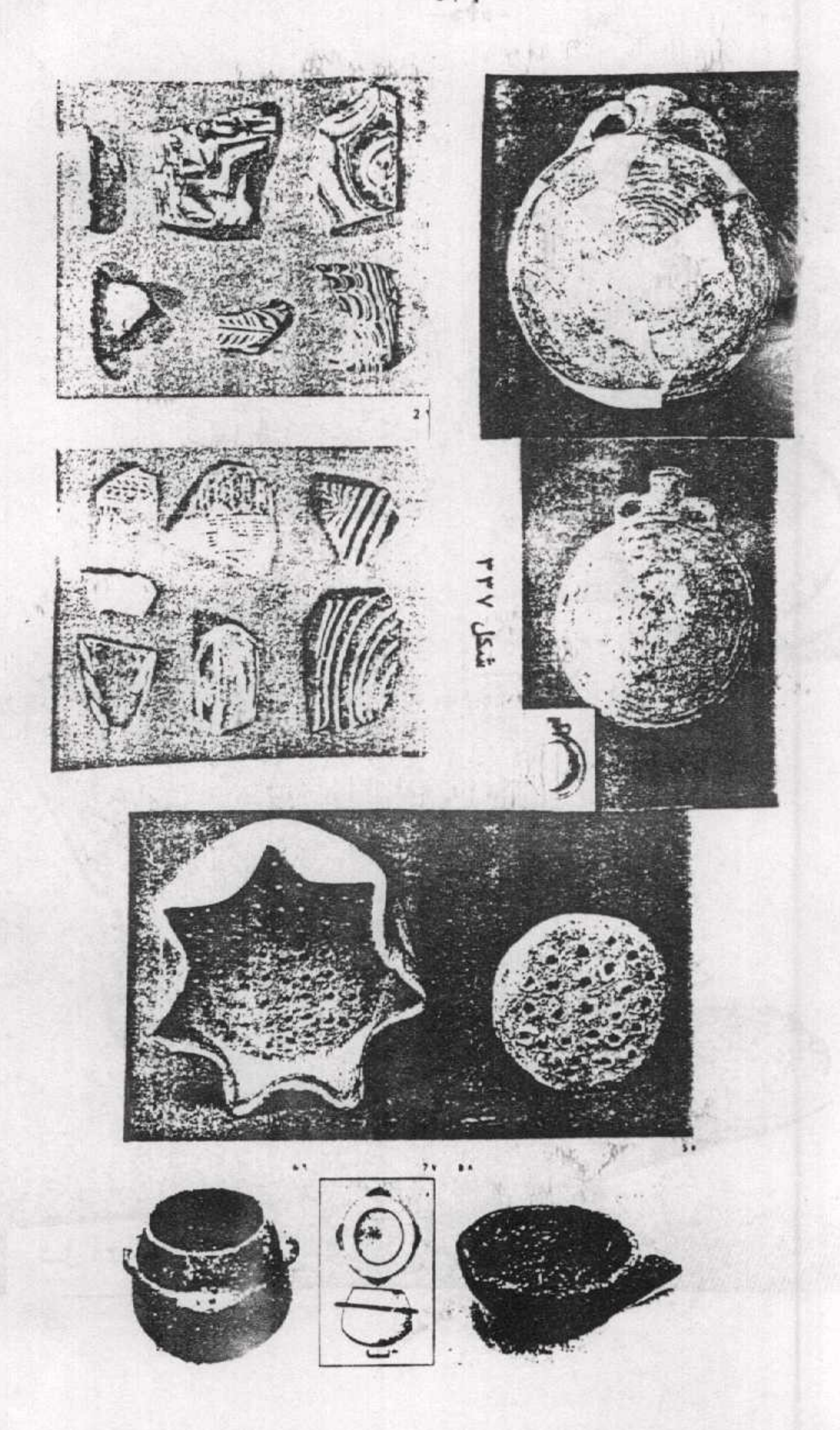




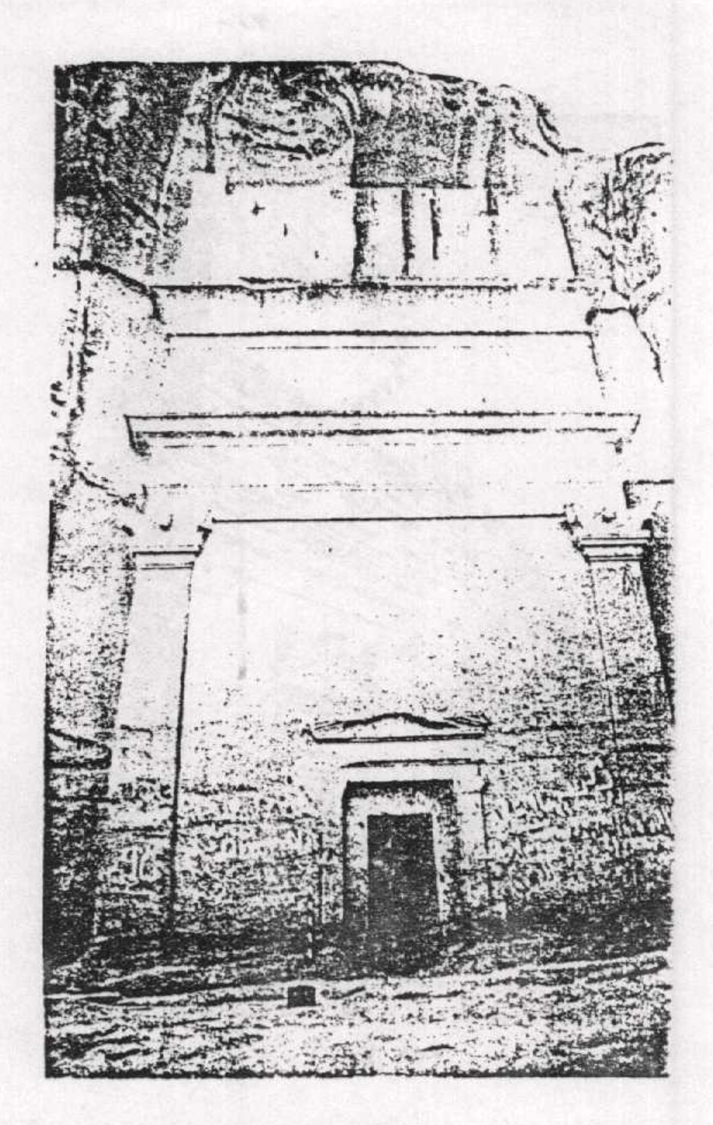
شكل ٣٣٥

شكل ٣٣٤

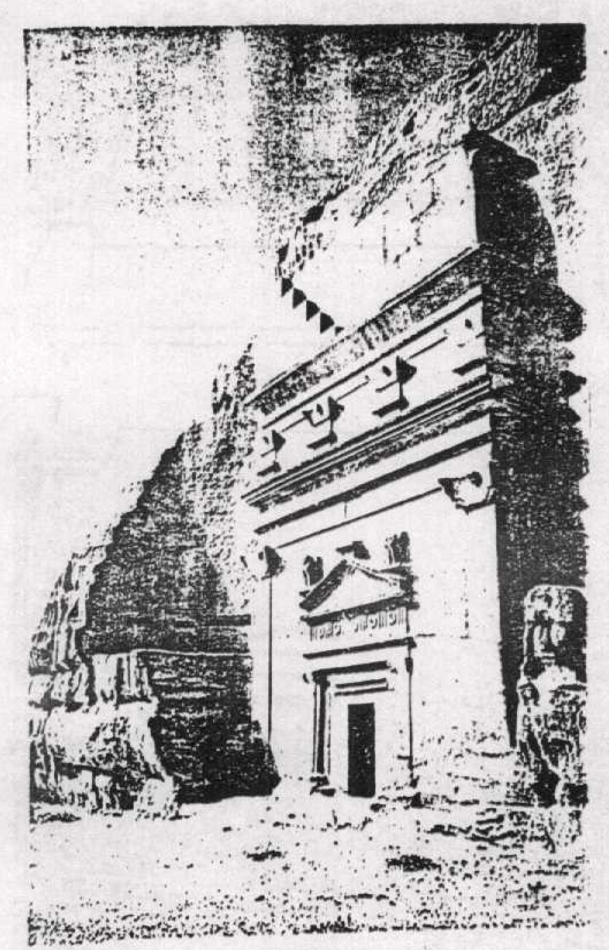
شكل ٣٣٦



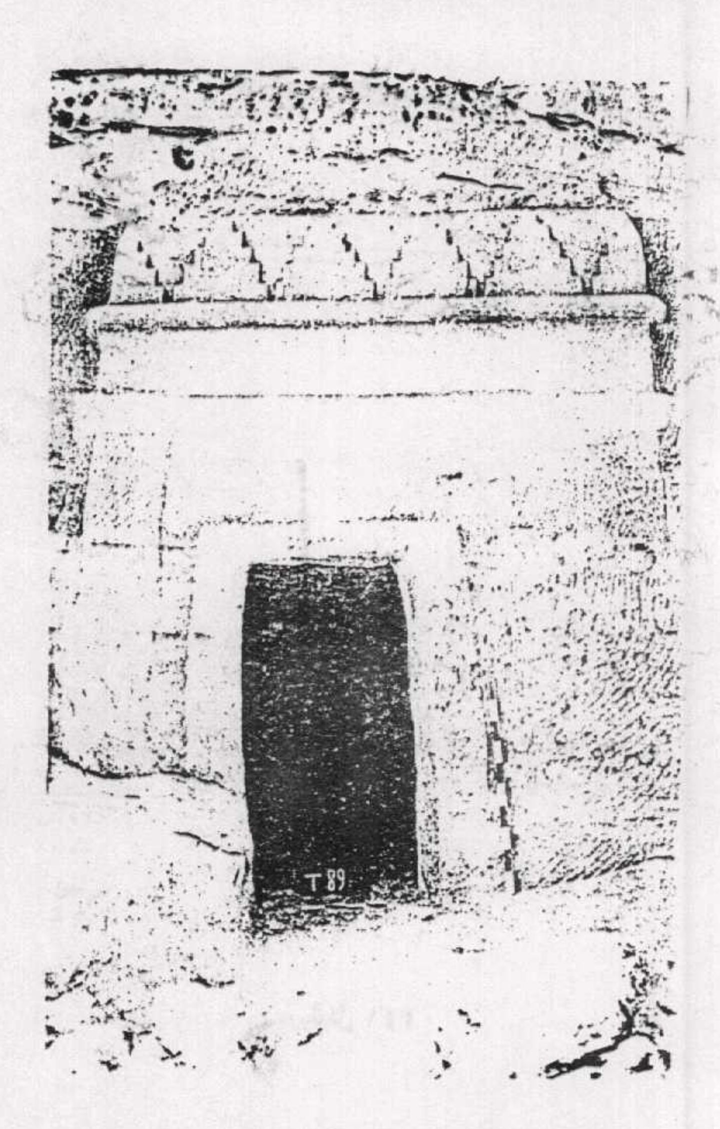
شكل ٣٣٧



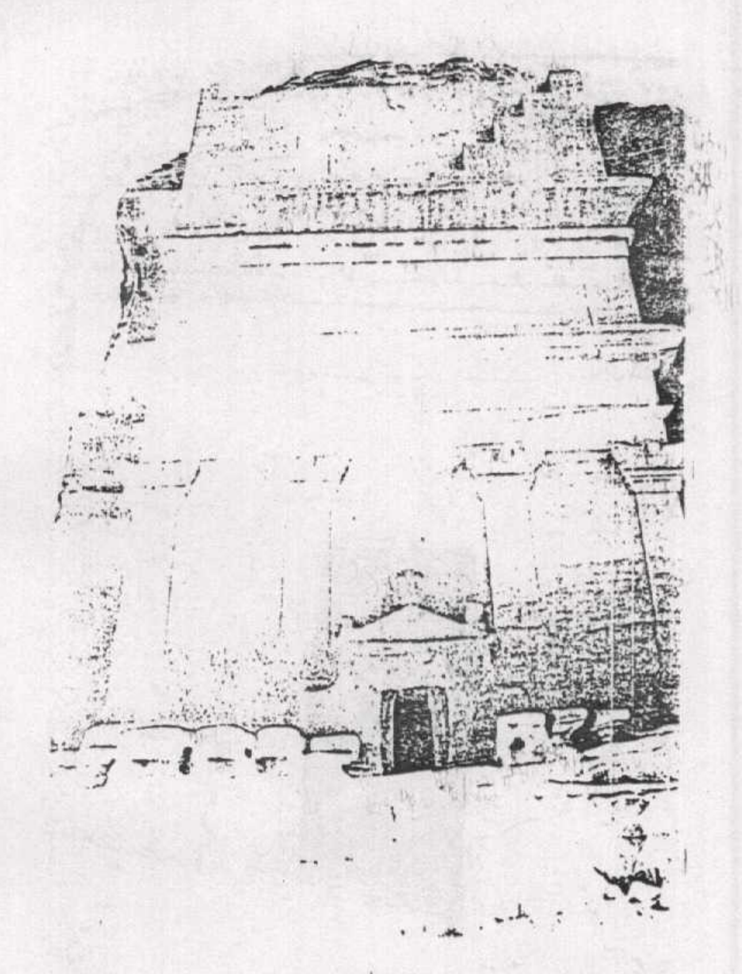
شكل ٣٣٨



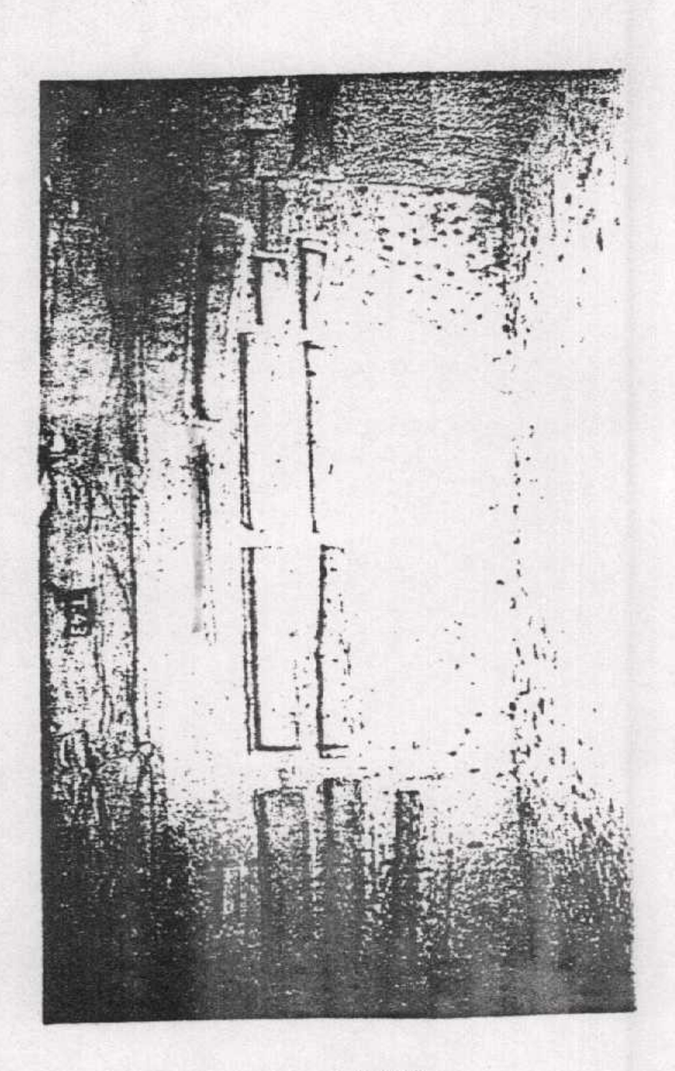
شكل ٣٣٩



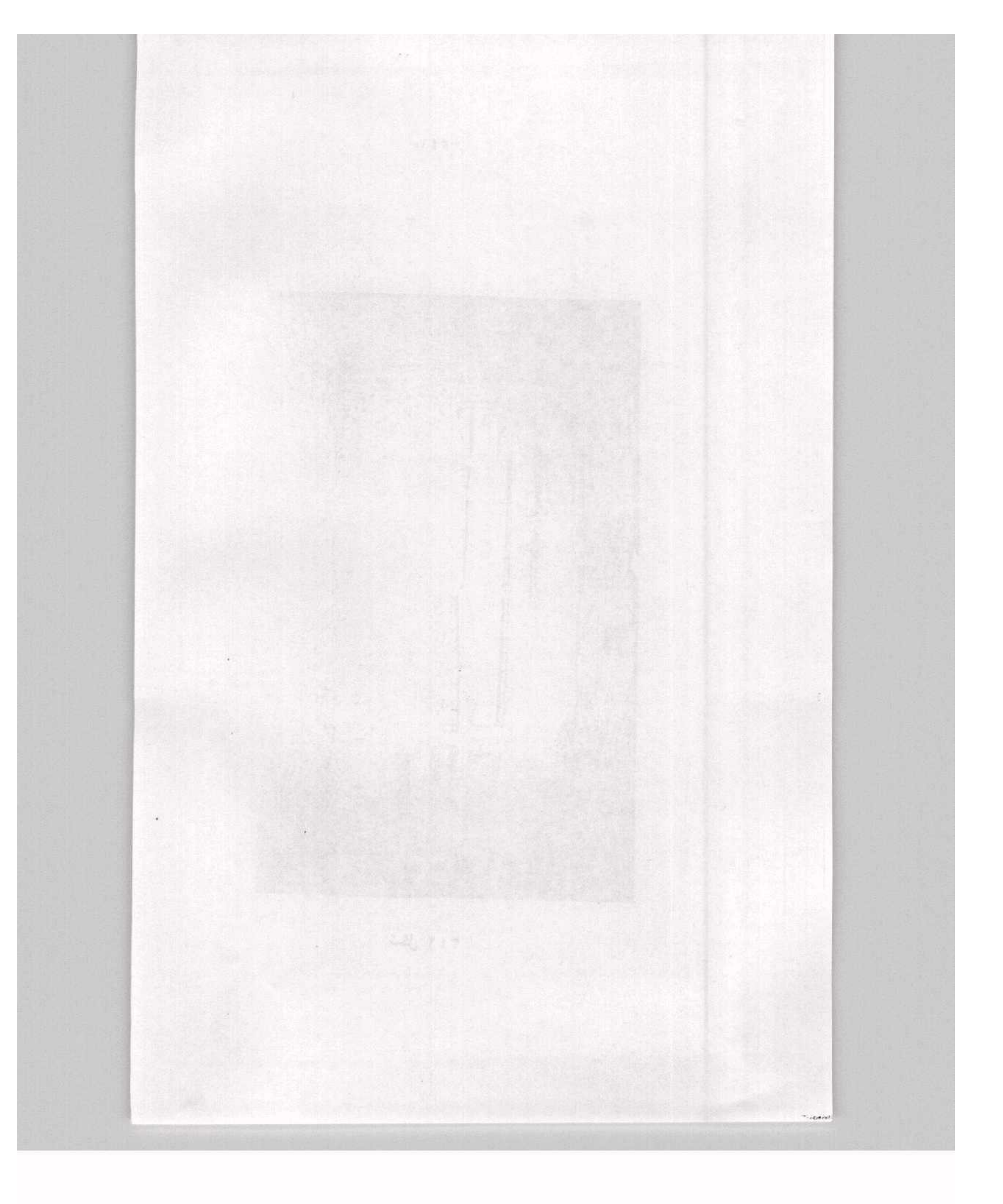
شكل ٣٤٠

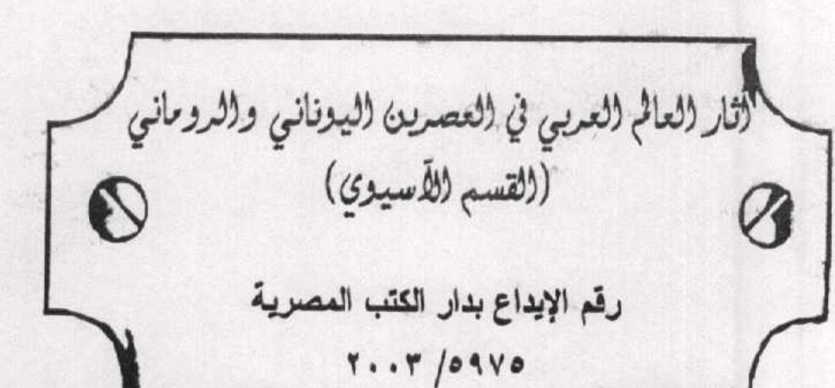


شكل ٣٤١



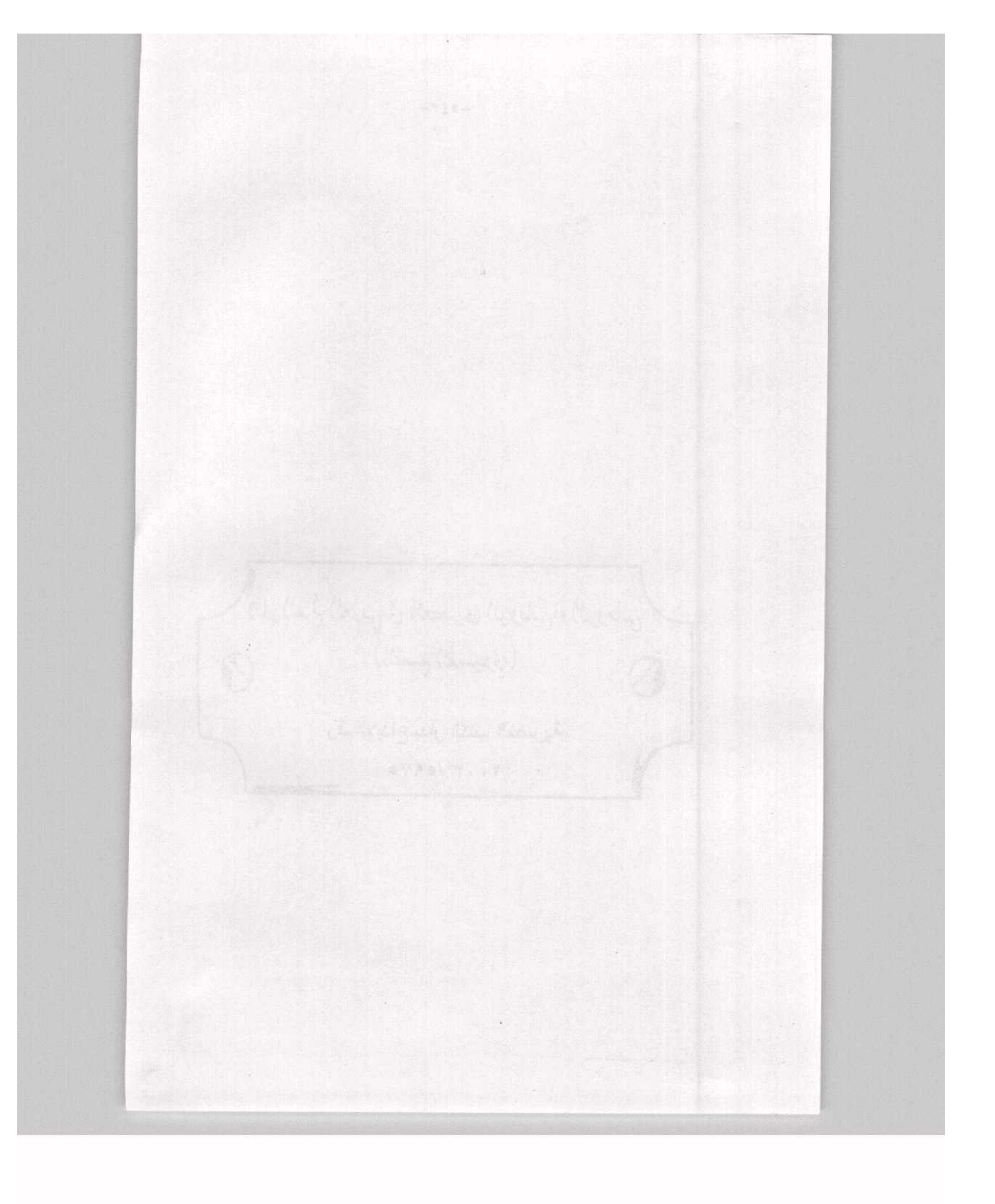
شكل ٣٤٢

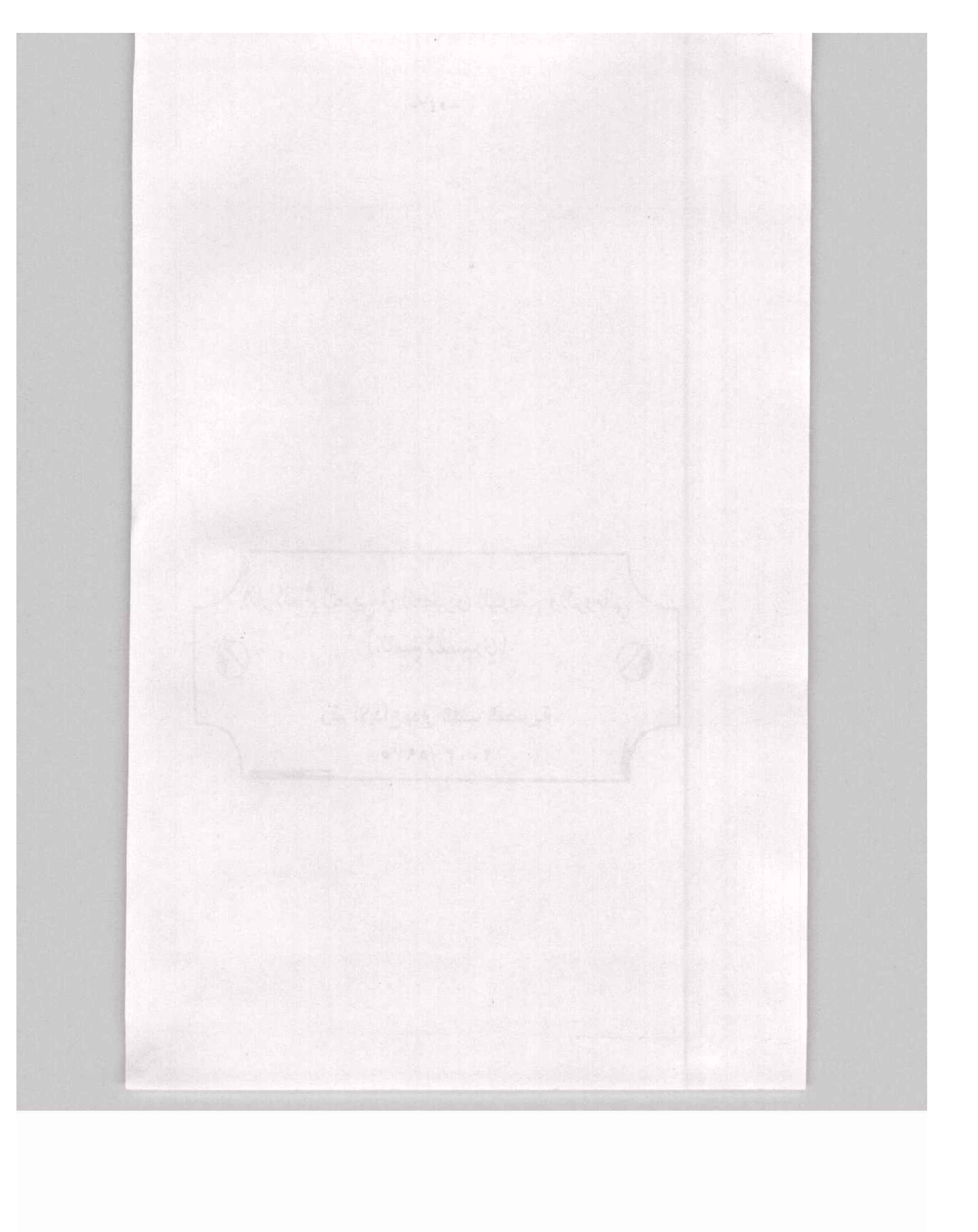




أثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني
(القسم الآسيوي)

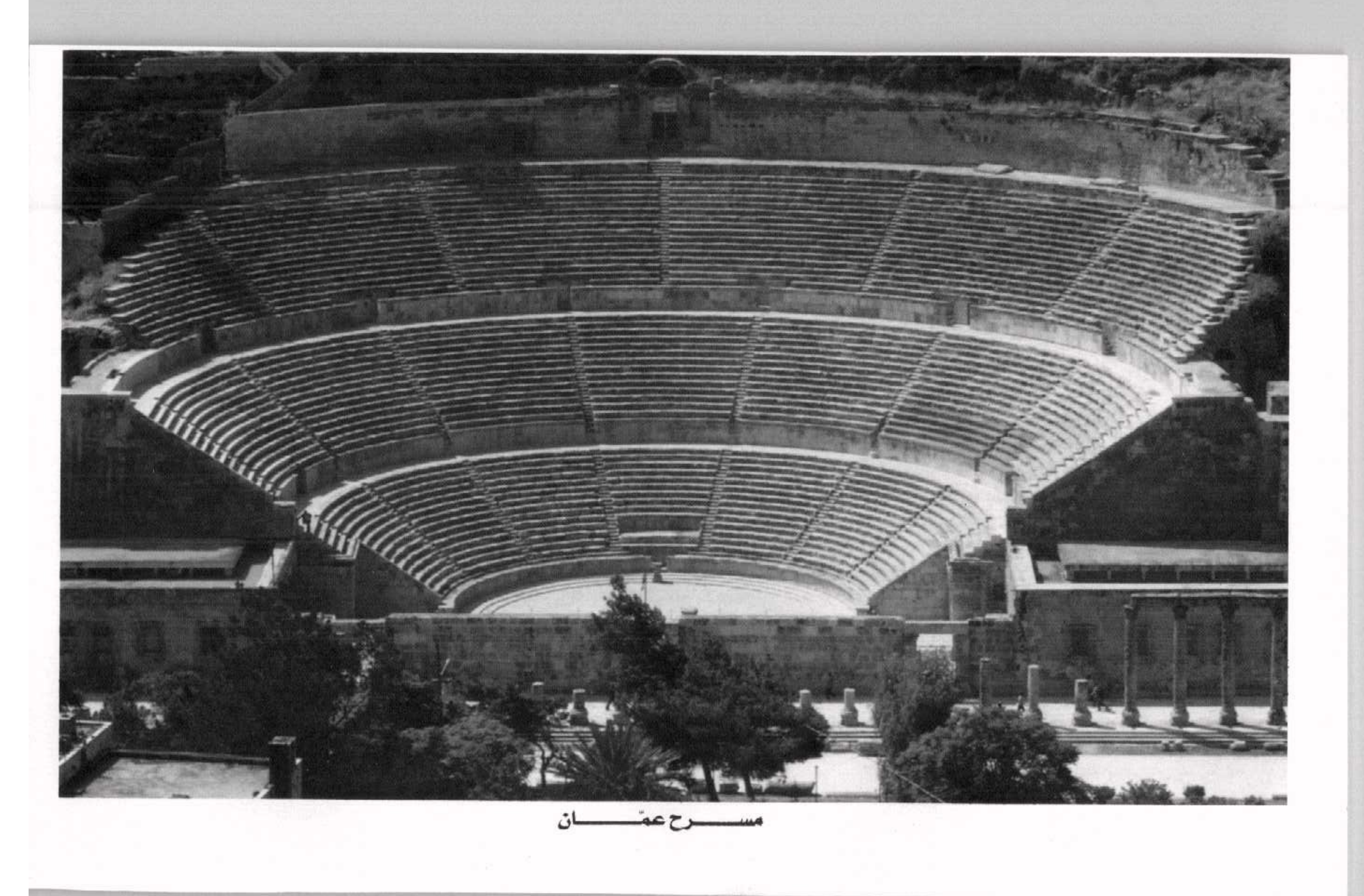
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٣/٥٩٧٥



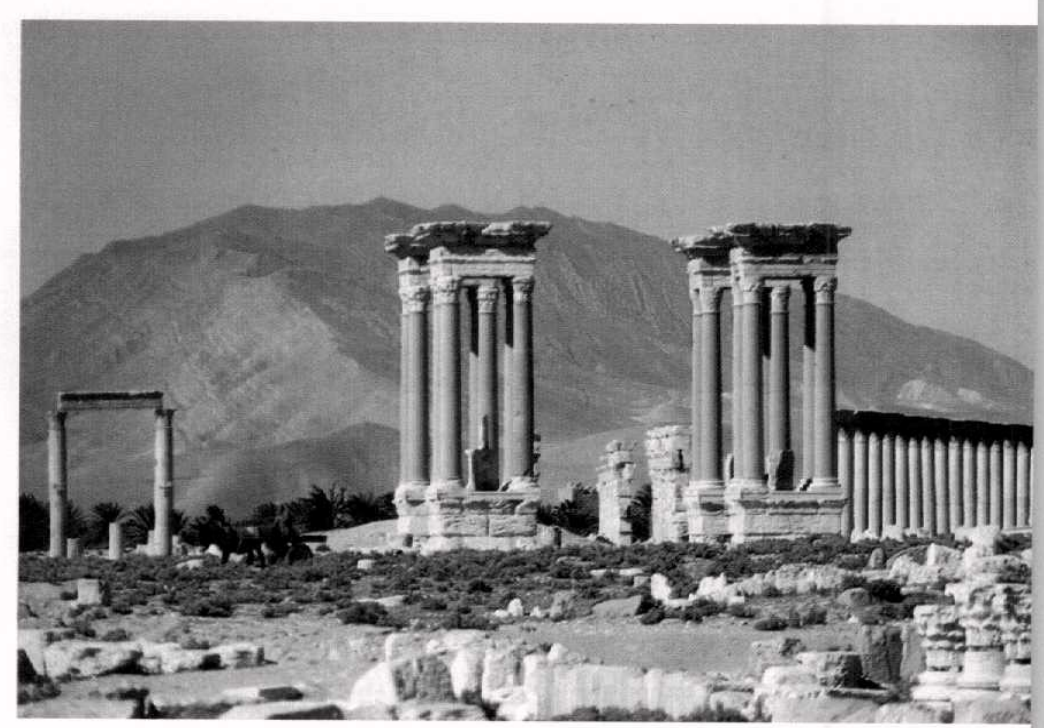




خـزنة فـــرعـون فى البـــــتراء



مسرح عمّان



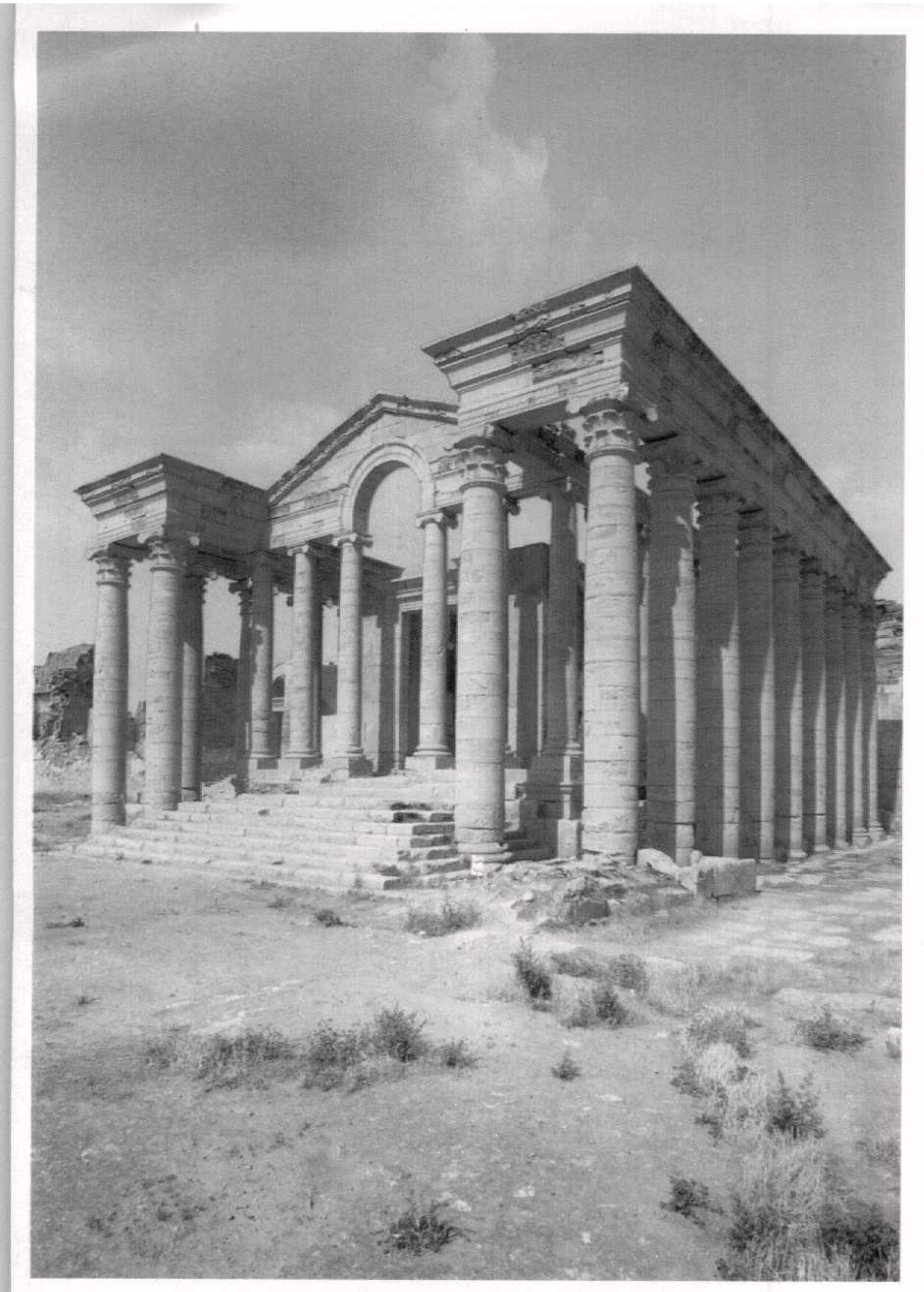
التـــترا بيـــلون فى بــالمـــيرا



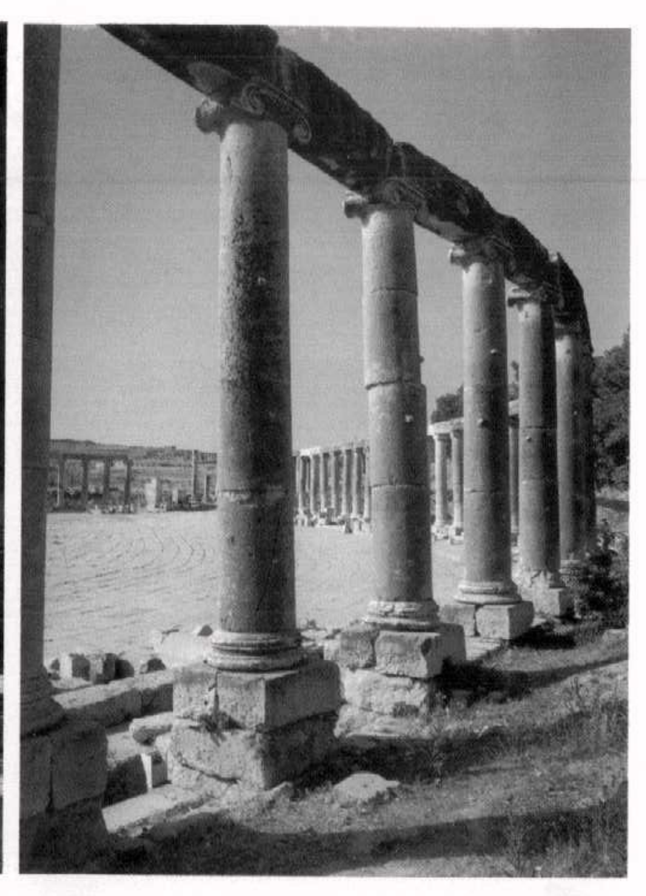
الآجـــورا فى بــالمـــيرا



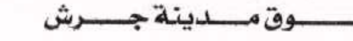
قوس النصر فى بالميرا



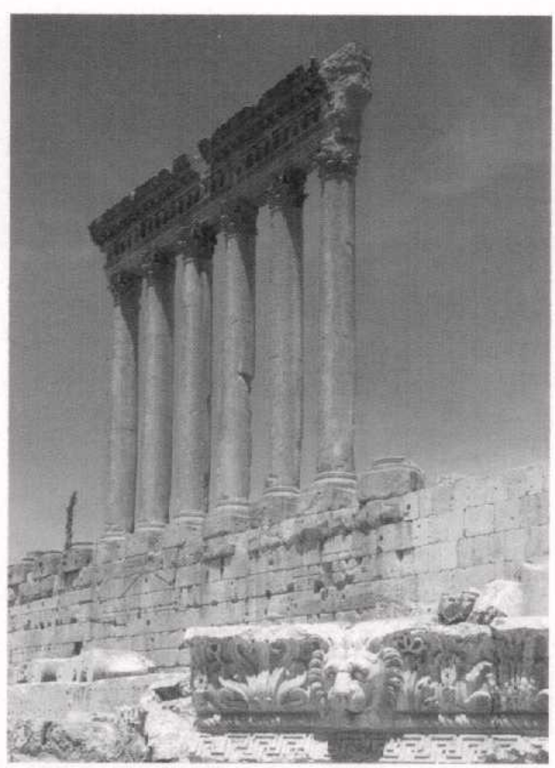
المعبد الهللينستي في الحضر







سوق مدينة جرش





معبـــد چـــوبيـــتر فى بـعــلـبك



خشبة المسرح فى بالمبرا